الأساطير والفلكلور فى موردفا

تأليف: تاتيانا دفياتكنا

ترجمة: عزة الخميسى

المشروع القومى للترجمة





1013

يعد الميثولوچى الأساس الثقافى العميق لحضارة الشعوب وثقافتها، وبالتالى لا غرابة فى تزايد الاهتمام مؤخرًا بميثولوچى الشعوب المختلفة فى أرجاء العالم. وتلك ظاهرة صحية لأنها تدفع للأمام عجلة عمليات القيام بأبحاث عديدة فى فروع مختلفة من العلوم بشكل عام، والسعى لإعادة بناء الثقافة التقليدية للمجموعات العرقية المختلفة بشكل خاص.

إن هذا الكتاب يقدم ميثولوچى المجموعة الموردفية، وهى إحدى المجموعات اللغوية للفين - أوجر، التى يعيش أفرادها فى أرجاء الأراضى الروسية، ويعد أول مطبوعة مختصرة من نوعها حول هذا الموضوع ذى الطابع الموسوعى، وقد نُشر فى البداية فى روسيا.

يتناول الكتاب موضوع بحثه من أوجه وزوايا مختلفة مثل؛ التصورات التقليدية للموردف عن العالم، ومجمل المنظومة التقليدية لرؤاهم عن العالم وغير ذلك، ويهدف هذا العمل إلى إعادة بناء منظومة الرؤى القديمة للموردف، بوصفها مجموعة عرقية، عن نشأة العالم وتكوينه.

الأساطير والفلكلور فى موردفا

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١٠١٣
- الأساطير والفلكلور فى موردڤا
- تاتيانا دفياتكنا
- عزة الخميسى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة كتاب :

МИФОЛОГИЯ МОРДВЫ

Т. П. ДЕВЯТКИНА

1998

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084

المشروع القومى للترجمة

الأساطير والفلكلور فى موردڤا

تـألـيـف : تاتيانا دفياتكنا
ترجمـة : عزة الخميسى

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دفياتكنا ، تاتيانا

الأساطير والفلكلور فى موردڤا / تأليف تاتيانا دفياتكنا ؛

ترجمة عزة الخميسى - ط ١ - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦ ،

٤٢٠ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

(١) الأساطير - (٢) الفلكلور - (أ) العنوان

رقم الإيداع ١٦٠٤٧/٢٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.BN. 977 - 305 - 990 - 1

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتـــويات

مقدمة المترجمة

أعتذر بداية عن هذه المقدمة التى قد تبدو للبعض طويلة ، فلست من هواة المقدمات الطويلة ، أو التفلسف على القارئ ، أو إظهار أهمية للمترجم دون وجه حق . المسألة فقط أن قراءة هذا الكتاب بالنسبة للعرب مِمَّنْ لا يعرفون الروسية (أولاً) ومن غير المتخصصين بقضايا الميثولوچى والفلكلور (ثانيًا) ، أشبه بالخوض فى المجهول ؛ لذا رأيت من المناسب توضيح بعض الأمور ، ففوجئت أنا نفسى حين وجدتنى فى نهاية الترجمة وقد أضف حوالى ٣٠٠ هامش ، فضلاً عن المقدمة . وكل قصدى من هذا الجهد الذى كلفنى وقتًا وبحثًا فى العديد من المراجع هو ألا يتوقف القارئ عند عبارات أو كلمات لا تفسير لها فى خبراته ومعارفه السابقة ، ويستمتع بالتالى بهذا العمل كما استمتعت أنا بترجمته ، بل واعتبرته إعادة اكتشاف لبلاد عشت فيها طويلاً ولم يتصادف أن تعرفت على هذا الجانب من حياة أبنائها .

يتناول هذا العمل أساطير موردڤا وفلكلورها ، وهى واحدة من جمهوريات الحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية. وتعد روسيا أكبر بلاد العالم من حيث العدد والتنوع فى الأقليات القومية التى تضمها واللغات الأم لسكانها . فروسيا تضم ٣٢ مجموعة عرقية و ٧٠ قومية منها قوميات صغيرة للغاية لا يتجاوز عدد أفرادها بضعة آلاف ، و ٢١ جمهورية حكم ذاتى للقوميات الكبيرة العدد نسبيًا ، فضلاً عن عشرات من مقاطعات الحكم الذاتى ، أما البنية اللغوية لروسيا فهى تتألف من :

١ - المجموعة الهند/أوروبية (السلاف الشرقيين فى المقام الأول) .

٢ - مجموعة الألطاى (الأتراك بشكل رئيسى) .

٣ - المجموعة القفقازية (على نحو خاص ممَّنْ استوطنوا جبال القفقان) ، وتدخل فى قوامها مجموعات صغيرة أخرى مثل الأباظية التى لها امتدادات فى الدول العربية مثل مصر أو لعل العكس صحيح) .

٤ - وأخيراً المجموعة الأورالية التى ينتمى إليها لغوياً الموردڤ موضوع هذا الكتاب . هذا بالإضافة إلى عشرات اللغات لمجموعات صغيرة أخرى لا تدخل فى المجموعات اللغوية الكبرى المشار إليها ، حتى إن لغات سكان روسيا تكاد تبلغ مئة . ولهذا السبب فلغة التواصل بين كل سكان روسيا من مختلف القوميات والمجموعات العرقية هى الروسية ، الأمر الذى قد يبدو طبيعياً لو أضفنا أن العرق الروسى يشكل ٨١,٥٪ من مجموع سكان البلاد .

وتقع جمهورية موردڤا للحكم الذاتى فى الغرب من وسط روسيا بين موسكو ونهر الفولجا (انظر الخريطة) . ويبلغ إجمالى عدد المورد ڤ بإحصاء عام ٢٠٠٢ حوالى ٩١٠ ألف نسمة ، يقطن منهم فى جمهورية موردڤا حوالى ٢٥٠ ألفًا فيما ينتشر الباقون فى أربعين جمهورية ومنطقة ومقاطعة من الأراضى التى ضمها الاتحاد السوفيتى السابق . ويشكل الروس ٦١٪ من سكان جمهورية موردڤا ، والمورد ڤ ٣٢٪ والتتار ٥٪ والباقى من قوميات أخرى .

ويأتى الأصل العرقى للمورد ڤ من قبائل فين - أوجر التى استوطنت منطقة تقاطع نهرى الفولجا والأوكا بوسط روسيا منذ منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد . وفى الفترة الممتدة ما بين منتصف الألفية الثالثة وحتى الألفية الثانية قبل الميلاد حدث عدد من الانشقاقات داخل هذه القبائل كان من نتائجها استقلال مجموعة عرفت باسم المورد ڤ أو فلنديى الفولجا (نسبة إلى نهر الفولجا حيث استقروا) . ومن ثم بدأت هذه المجموعة بدورها فى الانشطار إلى مجموعات مختلفة ، وحدث هذا حوالى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد فظهر "الموكشا" بالشمال والغرب و "الإرزيا" بالشرق ، والموكشا والإرزيا هما المجموعتان العرقيتان الرئيسيتان للشعب المورد ڤى .

وتشير مراجع التاريخ إلى هزيمة الموردف المنحدرين من قبائل فين – أوجر الأولى أمام الإمبراطورية المغولية فى القرن الثالث عشر . بعد ذلك التحق الموردف بالروس فى مواجهة المغول والتتار ، ومن ثم وبسقوط دولة التتار (١٥٥٢) أصبحت موردفا جزءًا من روسيا ، واندمج الموردف المقيمون فى الشمال بسرعة فى الجماعة الروسية ، ومن ثم أصبح التعليم وظواهر الحياة الاجتماعية كافة فى موردفا تجرى بشكل رئيسى باللغة الروسية ، بينما استطاع الفلاحون بالقرى الحفاظ على بعض مظاهر الثقافة التقليدية الموردفية .

وبالإضافة إلى الموكشا والإرزيا ، هناك مجموعتان عرقيتان تحتفظان بوجودهما إلى الآن هما : مجموعة التشوكتشا (Chukchi) (ويبلغ عددها ١٥ ألفًا) ومجموعة الكاراتاى ، ولهاتين المجموعتين خصوصيات فريدة تميزهما عن بعضهما بعضًا وتبدو واضحة فى اختلاف اللغة والعادات والملابس . وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر سُجلت مجموعة عرقية أخرى من الموردف هى التيريوخان (Teryukhans) .

وتقريبًا فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين بدأت المجموعة المتحدثة باللغة الموردفية فى التحلل والانقسام إلى بضع مجموعات بلغت خمسًا ، لكل منها ثقافتها وتقاليدها الخاصة ولغتها ، وكان لكل مجموعة من المجموعات الخمس بضع لهجات تختلف عن بعضها بعضًا . بل إن لغتى المجموعتين العرقيتين الرئيستين اللتين تشكلان قوام الشعب الموردفى – الموكشا والإرزيا – تختلف إحداهما عن الأخرى فى النطق والقواعد والمفردات ، فضلاً عن أن لهاتين اللغتين لهجات تتميز بالإغراق فى المحلية ، ويبلغ عدد لهجات الإرزيا خمسًا والموكشا ثلاثًا . ولقد أدى هذا الوضع إلى توقف اللغة الموردفية كمنظومة لغوية عن الوجود تمامًا ، واكتسبت الوحدات اللغوية المستحدثة خصوصياتها المميزة لها وفقًا لاختلاف الاتصال اللغوى الذى أقامته كل مجموعة ، وأصبحت الروسية منذ ذلك الحين لغة التواصل بين المجموعات العرقية المردفية من ناحية ، وبينهم وبين الشعوب والثقافات الأخرى من ناحية أخرى .

ولقد تطورت اللغة الأدبية الحديثة للإرزيا استناداً إلى لهجتى منطقتى كوزلوف وأرداتوف الروسيتين ، بينما ارتكز تطور اللغة الأدبية الحديثة للموكشا على لهجتى منطقتى كراسناسلوبودسك وتيمنيكوف الروسيتين . واستخدمت اللغة الموردفية المكتوبة الأولى (فى أواخر القرن السابع عشر) الأبجدية الرومانية ، وفى منتصف القرن الثامن عشر بدأ استخدام الأبجدية السلافية ، ونشأت اللغة الأدبية للإرزيا عام ١٩٢٢م والموكشا عام ١٩٢٣م باستخدام هذه الأبجدية ، وقامت أول جامعة حكومية موردفية عام ١٩٥٧م .

ولم يعرف الموردف التوحيد إلا فى القرن الثالث عشر بدخول الإسلام مع التتار الذين غزو بعض مناطق روسيا بما فى ذلك المناطق التى استوطنها الموردف ، وظل الموردف على الدين الإسلامى حتى القرن السابع عشر حين بدأ يتوافد على هذه المناطق المبشرون الروس لنشر المسيحية . ومنذ ذلك الحين استمرت عملية تحول الموردف من الإسلام إلى المسيحية حتى اكتملت فى القرن التاسع عشر . وتميزت الفترة الواقعة بين الديانات السابقة على التوحيد من ناحية والتحول إلى المسيحية مروراً بالإسلام من ناحية أخرى بتحلل المنظومة الدينية التى وحدت الدينى بالسحرى/ الميثولوجى أولاً ، وبسيادة ثنائية دينية جمعت بين الرؤى الدينية المبكرة للموردف والأرثوذكسية المسيحية جنباً إلى جنب ثانياً .

ولقد تطورت الرؤى الدينية الموردفية المبكرة عن العالم والكون من أبسط الأفكار (العالم الذى يتشكل من المادة الحية) ، مروراً ببعض الأفكار البدائية للغاية (القائلة إن العالم خلق نفسه بنفسه) ، ومن ثم بتصورات وأفكار أكثر تحديداً (عن الآلهة فى أشكالها الميثولوجية) ، وانتهاء بفكرة "الخلق" التى كانت غريبة على منظومة الرؤى الدينية المبكرة للموردف ، والتى دخلت إليهم مع المسيحية . ولعل أهم ما يميز منظومة الرؤى الدينية المبكرة للموردف هو :

١ – مبدأ ثنائية الآلهة ، أى انقسامهم إلى ذكور وإناث .

٢ – طغيان الربات الحارسات .

٣ – المكانة الخاصة للإلهات الحارسات المعنيات مباشرة بمصالح الناس، والتي كانت أحيانًا كثيرة تحظى عندهم بمكانة أعلى من مكانة الآلهة السماوية نفسها .

٤ – اختلاط الديني بالسحري ، فلقد كانت الصلوات عندهم مصحوبة بطقوس سحرية خاصة ، وبمرور الوقت ، وبشكل خاص بتحولهم إلى المسيحية ، انفصلت الصلوات تدريجيًا عن الطقوس السحرية ، وظلت الأخيرة إلى يومنا هذا تميز بعض أعيادهم في أكثر من مكان بموردفا .

ومن الواضح أن منظومة الآلهة الأبوية / الذكرية قد أخذت في الظهور في زمن متأخر جدًا بعد أن هيمنت لقرون طويلة الأيديولوجية والنظام الأمومي للآلهة . وكان الذكور يحتلون مرتبة الآلهة فقط باعتبارهم أزواجًا أو أبناء للإلهات ، وتصور الموردف أن الإلهات الإناث أنفسهن كن يتحولن أحيانًا إلى آلهة ذكور .

والأساس الأول الذي يحمل التصورات الجنينية الأولى للموردف عن أصل العالم نجده في إحدى أساطير الإرزيا التي تتحدث عن محيط عظيم من المياه الأولى تسبح فيه ثلاث سمكات ، أي أن الماء عندهم هو أصل العالم .

ولقد تعددت الآلهة عند الموردف إلى حد بعيد ، ولم يحدث أن وصل إليهم مفهوم العائلة الإلهية التي يقف على رأسها آلهة كبرى أو عليا ، على الرغم من أن شكاي إله الشمس احتل عندهم مكانة خاصة وبارزة ، وكذلك أنجي باتيا أم الآلهة . وعبد الموردف الشمس والقمر والفجر وظواهر الطبيعة الأخرى وكانت لديهم آلهة للريح والغابات والرعد وغير ذلك ، فضلاً عن آلهة ترعى كل شؤونهم الدنيوية كالعشيرة والمنزل والفرن والزرائب وما إلى ذلك . وعلى هذا الأساس انقسمت منظومة الأرواح عندهم إلى أرواح منزلية وأخرى سماوية .

ومن بين العبادات المبكرة للموردف تحتل عبادة الأسلاف منزلة بالغة الأهمية تكاد تبلغ عبادة الآلهة ؛ إذ كان الموردف يعتقدون أن الأسلاف يرعون مصالح أحفادهم ، ويساعدون الأحياء ويحمون العشيرة .

بل إن من أكثر الجوانب الغريبة والمثيرة للدهشة فى منظومة الرؤى الدينية للموردف قبل التوحيد هو علاقتهم بأسلافهم وبموتاهم عمومًا ، وتلك المشاعر التى تتراوح ما بين التقديس والكراهية والخوف فى آن . فهم يعبدون الأسلاف ويقيمون لهم جميع الطقوس والشعائر ويقدمون لهم القرابين لاسترضائهم واستعطافهم فى أعياد خاصة إحياء لذكراهم يستحضرونهم فيها ، ويستدعونهم لحضور سائر الأعياد والمناسبات الأخرى ، ولكنهم بالقوة نفسها يخشونهم ويحاولون التخلص منهم بأقصى سرعة ممكنة ، ويقيمون لهذا الهدف طقوسًا سحرية خاصة يرجونهم فيها الإسراع بالعودة إلى عالمهم . وكان لدى الموردف أيضًا مجموعة كبيرة من الطقوس السحرية التى تستهدف حمايتهم من المـوت والموتى ، على الرغم من أنهم آمنوا بالآخـرة ، وبأن الموتى يحيون هناك حياة كاملة ويتزوجون وينجبون .

ولقد تميزت العبادات الموردفية قبل التوحيد بتوحد السحرى بالدينى فى لحمة خاصة بين الصلوات والطقوس والشعائر السحرية ، ومن ثم وعلى امتداد فترات زمنية طويلة اختفت هذه الظاهرة تدريجيًا وانفصلت الصلوات عن الطقوس السحرية بشكل خاص بعد تحويلهم إلى ديانات التوحيد .

ومن الجدير أيضًا بالتوقف عنده فى منظومة الرؤى الدينية المبكرة للموردف ظاهرة إيمان الموردف بوجود مجموعة من التضادات تحكم نشأة الكون والإنسان وتنظم العديد من جوانب حياتهم اليومية . فلقد وُجدَ العالم عندهم فى خضم تضاد ثنائى ، تضاد الخير والشر الذى يتمثل فى المقام الأول فى معركة الإله والشيطان التى كان الموردف يعتقدون أن خلق العالم والإنسان على حد سواء يبدأ منها . وثانيًا : تضاد الحياة والموت . وتحكم فكرة الشىء ونقيضه الكثير من جوانب حياتهم الاجتماعية ، فهناك تضاد الأنثى والذكر والجانب الأيمن والأيسر وغير ذلك كثير .

ومن الجدير بالذكر - أخيرًا - أنه إلى يومنا هذا مازالت بعض ملامح التصورات الدينية السابقة على التوحيد وبشكل خاص تلك المرتبطة بعبادة : الماء والنار والشجر تجد لها مكانًا فى حياتهم ، والموردف فى بعض القرى مازالوا يمارسون بعض

طقوسهم تلك فى مناسبات مختلفة . ويحتفظ فلكلور الموردف (فى الأغانى والحكايات) إلى الآن بصور تحمل بصمات الطوطمية القديمة ، وحتى يومنا هذا مازال بوسعنا ملاحظة آثار العبادة القديمة للأسرة / العشيرة .

ومما يلفت الانتباه أن الموردف منذ اعتناقهم المسيحية وإلى الآن ظلوا فى الأعياد يؤدون الطقوس الخاصة بالقديسين المسيحيين ، وفى الوقت نفسه يمارسون الطقوس الخاصة بآلهتهم المحليين . لقد أضفى الموردف تفسيرهم الخاص بل وأسماءهم الخاصة على بعض الأحداث والشخصيات المسيحية ، ومن ذلك على سبيل المثال اعتبار أن السيدة العذراء هى "فيديافا" إلهة الماء عندهم والنبى إليا هو إله الرعد "أتياماشكاى" (عند الموكشا) / "بورجينيياز" (عند الإرزيا) ، وهذه ظاهرة كثيراً ما تتكرر فى حياتهم اليومية .

هذا العبور السريع بين صفحات تاريخ الموردف لا يفى بأى غرض سوى إعطاء فكرة ، على الرغم من كونها مبتسرة وعاجلة ، عن الموردف للقارئ العربى ؛ ليتمكن إن رغب فى البحث حول موضوع هذا العمل . بيد أن الاختصار والعجلة لا يعفيانى هنا من بعض التفصيل فيما يتعلق بجوانب قد لا يلحظها القارئ خلف سطور الكتاب .

بداية ، فهذا العمل جهد مكرس بكلمات المؤلفة لإعادة بناء منظومة الرؤى الميثولوجية للموردف كمجموعة عرقية، وهو هدف بلا شك نبيل ؛ لأن المؤلفة بذلك تسعى لتغطية فراغ ظل قائماً طوال الحكم السوفيتى ، ذلك الذى يتناول الناس بوصفهم بشراً وليس بوصفهم تروساً فى الماكينة الاشتراكية ، الناس بكل أحلامهم وآلامهم وذكرياتهم وانتماءاتهم وماضيهم ، وكل التفاصيل التى تشكل وجدانهم وتصنع من الفرد وحدة إنسانية فريدة متميزة ومن التجمع الإنسانى تجمعاً بشرياً له سماته الخاصة . وظنى أن إهمال هذا الجانب من حياة الناس كان واحداً من أسباب فشل التجربة الاشتراكية . وفى الحقيقة لم تقتصر نظرة النظام السوفيتى للجماعات الإنسانية على تجاهل هذا الجانب فحسب ، بل تعدته لارتكاب مظالم كبيرة فى حق الأعراق والقوميات التى ضمها الاتحاد السوفيتى ، وحدث هذا على يد ستالين إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها .

ولذا ومنذ الإعلان عن سياسة البريسترويكا (إعادة البناء) التى قادها جاربتشوف ، ومن ثم بشكل خاص بعد تفكك الاتحاد السوفيتى انفتحت كل تقيحات هذه المظالم وجاءت بردود فعل عنيفة بدأت بخروج بعض جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق عن الكومنولوث الذى أقيم (جمهوريات البلطيق الثلاث) ومن ثم تفجرت حركات انفصالية ، مسلحة فى بعض الحالات ، على أساس عرقى ودينى ، ومازالت تؤرق روسيا مثلما يحدث فى الشيشان وغيرها الآن .

ولسنا هنا بصدد تقييم التجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، لكن من الإنصاف الإقرار بالمظالم التى وقعت بحق أعراق الاتحاد السوفيتى وقومياته بحجة حماية التجربة الاشتراكية ، والموضوعية تفرض كذلك الاعتراف بأن ما يحدث الآن فى روسيا من حركات قومية ودينية تسعى للانفصال هو فى بعض جوانبه حق يراد به باطل . والحق هنا هو حق جميع أقليات العالم وأعراقه ، الصغير منها والكبير ، فى أن يُحترم تاريخها وثقافتها وتراعى كل خصوصياتها ضمن وحدة الوطن الأم أيًا كان هذا الوطن – روسيا أو غيرها من بلدان العالم . أما الباطل فيتمثل هنا فى استغلال التطلعات المشروعة لهذه الأقليات القومية والعرقية لتفتيت أوطانها وتقديمها لقمة سائغة تنفيذًا لمخططات ومصالح أخرى . وما يحدث فى روسيا الآن لا يبتعد عن هذه الصورة فى بعض جوانبه ، الأمر الذى يتمثل فى السعى الدؤوب لجهات وبلدان وجماعات خارج وداخل روسيا الآن؛ لتفكيك روسيا وإلقائها شظايا تحت أقدام الهيمنة الأمريكية . وإذا كان على روسيا الآن أن تدفع الثمن الباهظ لسياسات الاتحاد السوفيتى الجائرة بحق هذه القوميات ، فلا يمكن أن يكون هذا الثمن نفيًا لسيادتها وتفتيتًا لأراضيها ، وتحويلها إلى كيانات صغيرة فى عصر التكتلات والقوى الكبرى . والقضية هنا ليست متعلقة بروسيا بقدر ما هى متعلقة بسيناريو عالمى يشق طريقه بقوة لتفتيت بلدان العالم وتجزئتها لصالح المخططات الأمريكية .

لقد كانت بالفعل للسياسة السوفيتية الجائرة على حق بعض القوميات والأعراق والأديان انعكاسات بالغة السوء لعل أبسطها كراهية أبناء القوميات الأخرى للروس ، وتراوحت ردود الفعل ما بين الانفصال التام عن روسيا والكومنولث ، وإشعال حروب

مسلحة – فى أعلى درجات ردود الفعل الساخنة من ناحية – والتقهقر إلى الخلف تنبيشًا عن السلف الصالح ضمن صفحات التاريخ البعيد – فى أهدأ أشكال ردود الفعل من ناحية أخرى .

ولقد راودنى شعور قوى بأن خلف سطور هذا العمل الجميل نوعًا من البحث عن السلف الصالح وتنصلاً من الانتماء إلى روسيا كوطن أم ، وذلك من خلال التأكيد على الأصل البعيد للموردڤ باعتبارهم ينتمون كعرق لفنلندا ، لا لروسيا .

ويظل هذا الكتاب الذى بين أيدينا من أجمل ما قرأت عن ميثولوچيا الشعوب وثقافاتها ، ولا شك أن المؤلفة بذلت فيه جهدًا يستحق كل الاحترام والتقدير . ففى هذا العمل تقدم تاتيانا دفياتكنا للقارئ فلكلور الموردڤ وأساطيرهم كجموعة عرقية . وتدخلنا فى عالم أربعين من الآلهة والآلهة الحارسة ، بما فى ذلك الإشارة إلى أصولهم وأشكال تجليهم وأعمالهم . وتحتل المواد الموسوعية الجزء الرئيسى من الكتاب فتتناول بالشرح والتفسير أهم الرموز والإشارات والأمارات وأشياء الثقافة التقليدية الروحية ، فضلاً عن الطقوس والأعياد الوثنية والمعاصرة ، والاحتفالات والشعائر المرتبطة بعالم الحيوان والظواهر الطبيعية . وتضم المواد الموسوعية أيضًا المفاهيم الميثولوجية عن المكان والزمان والحياة والموت والأعداد وعبادات الأسلاف والطقوس السحرية والتعاويذ والرُّقيات والسحر والقرابين والمحرمات والرجس والرموز الواقية والمضادة للسحر والعكوسات وتفسير الأحلام وغير ذلك .

أما الهوامش التى أضفتها للكتاب والتى بلغت حوالى ٣٠٠ هامش ، فقد استعنت بمجموعة من المراجع أهمها :

١ – الموسوعة الروسية الكبرى إصدار عام ١٩٩٧م .

٢ – القاموس الموسوعى السوفيتى . الطبعة الرابعة . موسكو عام ١٩٨٦م .

٣ – قاموس اللغة الروسية . أكاديمية العلوم السوفيتية . الطبعة ٢٢ موسكو عام ١٩٩٠م . أوجيكوف س. إى .

٤ – قاموس اللغة الروسية ، دار اللغة الروسية للنشر ، موسكو ، الطبعة الثانية عام ١٩٨١م .

٥ – قاموس التعابير والأمثال السائرة الروسية ، دار اللغة الروسية للنشر ، موسكو ١٩٨٩م .

٦ – قاموس الكلمات الأجنبية (فى اللغة الروسية) الطبعة ١٨ عام ١٩٨٩م .

٧ – ويبستر – القاموس الموسوعى الموسع للغة الإنجليزية عام ١٩٩٩م .

٨ – موسوعة أوكسفورد .

٩ – الموسوعة البريطانية الكبرى عام ١٩٩٩م .

ولقد حاولت قدر الإمكان أن تتضمن الهوامش إشارات إلى المشترك فى هذا الجانب أو ذاك مع ما هو مترسخ فى ثقافتنا ، كما حرصت على أن تتضمن التفسير المناسب لكل ما حسبت أنه قد لا يبدو للقارئ العربى واضحًا بما فيه الكفاية .

من الجدير بالذكر هنا أن القارئ أحيانًا قد يلاحظ ثمة فرقًا بين المصطلح مترجمًا إلى الإنجليزية ، ومترجمًا إلى العربية ، فقد آثرت أن أضع المصطلح بالإنجليزية ليكون عونًا للقارئ لمزيد من الإلمام بالأمر ، ثم ترجمة المصطلح إلى العربية عن الأصل الروسى .

ولا أذيع سرًا حين أقول إننى بذلت جهدًا مضاعفًا فى هذا العمل فرضته أولاً الطبيعة الشائكة للموضوع ، وفرضته ثانيًا ضرورة شرح ظواهر موردقية وتفسيرها من خلال المصطلح الروسى .

كل ما أرجوه أن يكون هذا الجهد قد حقق بعضًا من أهدافه عندما يطلع القارئ العربى على الطبيعة الخاصة لهذه الجماعة البشرية – الموردف . وسنكتشف مرة أخرى أن هموم الإنسان الخاصة بالموت والحياة والنزوع إلى الفرحة ودرء الألم تختلف فى عناصرها وتفاصيلها من شعب إلى آخر ، لكنها تظل تعبر عن ذات الطبيعة الإنسانية التى لا تختلف فى مواجهة العالم من شعب إلى آخر .

عزة الخميسى

مايو ٢٠٠٦

مقدمة المؤلفة

الميثولوجى هو الأساس الثقافى العميق لحضارة الشعوب وثقافتها، وبالتالى لا غرابة فى تزايد الاهتمام مؤخرًا بميثولوجى الشعوب المختلفة فى أرجاء العالم، وتلك ظاهرة صحية ؛ لأنها تعنى السعى لإعادة بناء الثقافات التقليدية للمجموعات العرقية المختلفة من ناحية ، ودفع سير عمليات البحث فى مختلف فروع العلوم من ناحية أخرى ، وظنى أن الميثولوجى يمكن مقارنته بأهم مكونات الكمبيوتر (Hardware) التى تُحفظ فيها المعطيات الأساسية لتشغيل الكمبيوتر، وكل ملف (أى كل أسطورة) يتم حل شفرته هو اكتشاف فى عالم العلم والثقافة.

ويقدم هذا الكتاب ميثولوجى المجموعة الموردفية[1]، إحدى المجموعات اللغوية

(١) المجموعة الموردفية وتنتمى إلى جمهورية موردفا إحدى جمهوريات الحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية وعاصمتها صارنسك . تقع موردفا وسط غرب روسيا بين موسكو ونهر الفولجا ، تحدها من الشرق جمهورية تشوفاشيا للحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية . ويتميز القطاع الشمالى الغربى من موردفا بسهول الأوكا – دون ، بينما يشكل القطاع الجنوبى الغربى جزءًا من مرتفع الفولجا . وتتميز موردفا بأنهارها الهادئة الحركة مثل نهر الموكشا وفروعه . وتكتسح غرب موردفا غابات تغطى حوالى ربع مساحة الجمهورية . وبإحصائيات عام ١٩٩٧م يبلغ عدد سكان موردفا حوالى مليون نسمة ويسكن العاصمة حوالى ٣٢٢ ألف (إحصاء عام ١٩٩٢) ، يقطن الحضر منهم حوالى ٥٩٪ . ومن بين المليون نسمة تعداد سكان موردفا يحتل الروس نسبة حوالى ٦١٪ والموردف ٣٢٪ والتتار ٥٪ . ويتحدث الموردف بلغتين مختلفتين تمامًا تنتميان إلى المجموعة اللغوية فين – أوجر وهما لغتا القوميتين الصغيرتين : الموكشا والإرزيا اللتين تشكلان البنية القومية الرئيسية للشعب الموردافى . ولقد أفضى الاختلاف الشديد بين لغتى الموكشا والإرزيا إلى انتشار عدد كبير من اللهجات بين الموردف ، وإلى لجوء الموردف للغة الروسية كلغة واحدة للتواصل بينهما . ويتحدث بلغة الموشكا بشكل رئيسى غرب البلاد وشمالها بينما يتحدث الشرق بلغة الإرزيا . ولقد استخدمت اللغة الموردفية المكتوبة الأولى (فى أواخر القرن الـ ١٧) =

للفين – أوجر[٢]، والتى يعيش أفرادها فى أرجاء الأراضى الروسية طولاً وعرضاً.

والكتاب الذى بين أيدينا "الميثولوجى الموردفى" هو أول مطبوعة مختصرة من نوعها حول هذا الموضوع ذى الطابع الموسوعى، ولقد نُشر الكتاب فى البداية فى روسيا (بجمهورية موردفا، عام ١٩٩٨م) ومن ثم فى أستونيا – مطبوعات جامعة

= الأبجدية الرومانية ، وفى منتصف القرن ١٨ بدأ استخدام الأبجدية السلافية . ونشأت اللغة الأدبية التى تعتمد لغة الإرزيا عام ١٩٢٢م والتى تستخدم لغة الموكشا ١٩٢٣م مستخدمتين الأبجدية السلافية ، وقامت أول جامعة حكومية موردفية عام ١٩٥٧م . وموردفا بلد زراعى بشكل رئيسى ، وتشتهر بزراعة البطاطس والخضروات والقمح وتربية النحل ، وتظل تربية النحل إلى الآن أحد أهم الأنشطة الاقتصادية التى تمارسها فى المقام الأول النساء فى الريف . والعلامات الآرخيولوجية الأولى لوجود الإنسان فى هذه المنطقة يرجع تاريخها إلى العصر الحجرى الحديث (من ٨٠٠٠ – ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد) وجاء – أول ما جاء – ذكر الموردف فى مخطوطة أدبية من مخطوطات القرن ١٦ الميلادى تشير إلى هزيمة الموردف – المنحدرين من قبائل فين – أوجر الأولى أمام الإمبراطورية المغولية فى القرن ١٣ . بعد ذلك التحق الموردف طواعية بالروس فى مواجهة المغول والتتار ، ومن ثم وبسقوط دولة التتار (١٥٥٢) أصبحت موردفا جزءاً من روسيا . فقد اندمج الموردف المقيمون فى الشمال بسرعة فى الجماعة الروسية وأصبح التعليم بشكل رئيسى باللغة الروسية . بينما حافظ الفلاحون الموردف فى القرى على الثقافة التقليدية الموردفية . وقع الموردف إبان الثورة الروسية ١٩١٧م تحت تأثير المناشفة – التيار المناهض لثورة ١٩١٧م ، وبعد انتصار الشيوعية قامت فى ١٩٣٤م جمهورية موردفا السوفيتية الاشتراكية . أصبحت موردفا عام ١٩٩١م بعد تفكك الاتحاد السوفيتى جمهورية حكم ذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية . (المترجمة)

(٢) فين أوجر (Finno-Ugric) تمتد المنطقة التى استوطنتها قبائل فين – أوجر من النرويج حتى نهر الأوب بسيبيريا وجنوبياً حتى حوض الكاريات فى وسط أوروبا وأوكرايينا . وحتى الآن تعتمد عملية بحث تاريخ توسعهم الجغرافى ومعرفته اعتماداً كلياً تقريباً على المعيار اللغوى ، إذ إن المعارف التاريخية حولهم حديثة للغاية والمكتشفات الآرخيولوجية شحيحة أيضاً ويتم تأويلها وتفسيرها على نحو مختلف حتى الآن ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار موقعهم فى قلب روسيا وتلاحم تاريخهم بالتاريخ الروسى ؛ ولهذا السبب يشار إليهم اعتماداً على اللغة ، أو على لغتى القوميتين اللتين تشكلان البنية القومية للموردف : الساموياد، فين – أوجر التى يتحدث بها مواطنو أجزاء من شمال الاسكندنافيا وشرق أوروبا وشمال غرب أسيا . وتنتمى اللغة التى يتحدث بها شعب الموردف لهذه المجموعة اللغوية . وينقسم فين – أوجر إلى فرعين كبيرين : الفين والأوجر . وتضم الفين لغتين أساسيتين هما الفنلندية – التى يتحدث بها الشعب الفنلندى ، واللغة الأستونية التى يتحدث بها شعب أستونيا (إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق) . فيما تضم الأوجر اللغة الهنجارية . وللفين فروع عديدة ، منها مجموعة فنلنديو البلطيق وتضم الفنلندية والأستونية ويضع لغات أخرى ، من ذلك لغة الشعب الكاريلى ولغة الشعب اللاتفى ولغات الإرزيا والموكشا التى يتحدث بها السكان المقيمون فى المناطق الغربية والمتوسطة من نهر الفولجا . (المترجمة)

تارتو – أستونيا ٢٠٠٢م ، ويتناول الكتاب موضوع بحثه من أوجه وزوايا مختلفة، مثل التصورات التقليدية القديمة للموردواف عن العالم ومجمل المنظومة التقليدية لرؤاهم عن العالم وغير ذلك. ويستهدف هذا العمل إعادة بناء منظومة الرؤى القديمة للموردف، كمجموعة عرقية، عن نشأة العالم وتكونه، والتى اجْتَهدتُ بشدة لاقتفاء آثارها فى جميع المراجع والمخطوطات والمدونات المتوفرة حول الموضوع، بما فى ذلك المغرق فى القدم والقديم والحديث من هذه المصادر.

وينقسم الكتاب إلى جزأين : الجزء النظرى (المقدمة) والجزء الموسوعى (المواد الموسوعية)، وتتناول المقدمة الموردف كمجموعة عرقية، فتشير إلى وضعهم الديموجرافى والمناطق التى استوطنوها واستقروا فيها، وتقدم نماذج من ثقافتهم المادية والروحية، فضلاً عن عرض لأهم الأدبيات التى عالجت الميثولوجى الموردفى.

وفى الجهد العلمى والميدانى الذى بذلته فى هذه اللبنة الأولى لعملية إعادة بناء منظومة التصورات والرؤى الموردفية حول الكون ونشأته وأصله بتتبع آثارها وبصماتها فى أساطيرهم وطقوسهم ولغاتهم، ومن الجدير بالذكر أن الزمن والثقافات المتعددة للمجموعات العرقية الأخرى (وبشكل رئيسى الروسية والتتارية) بالإضافة إلى الدين (الوثنية السلافية التى استبدلت لاحقًا بالإسلام ومن ثم بالمسيحية بعد الوثنية تبنت موردفا الإسلام ومن ثم انتقلت إلى المسيحية/المترجمة) قد تركت بصماتها على تطور المفاهيم الميثولوجية الموردفية.

ففى زمن التحول إلى المسيحية (فى الفترة الواقعة تقريبًا بين القرنين ١٧–١٩) سادت ثنائية دينية وميثولوجية : فقد تزامن وجود الوثنية الموردفية القديمة والأرثوذكسية المسيحية جنبًا إلى جنب، أى وجود فكرتين اثنتين عن العالم والكون والأصل الأول للإنسان، الأولى هى فكرة النشوء (القائلة بأن الأرض والإنسان الأول وُلدا من بيضة الطائر العملاق)[٣] والثانية هى الخلق (أى أن الإله خلق كل شىء إما بمساعدة الشيطان أو فى خضم صراعه ضده).

---

(٣) (الأرض والإنسان ولدا من بيضة الطائر العملاق) هى الأسطورة الأكثر انتشارًا فى هذه المناطق ، وأبعد نقطة شمالاً من نقاط انتشار هذه الأسطورة هى فنلندا وأستونيا . وتقول الأسطورة إن طائرًا مائيًا =

وتحتل المواد الموسوعية الجزء الرئيسى من الكتاب وتتناول بالشرح والتفسير أهم الرموز والإشارات والأمارات وأشياء الثقافة التقليدية الروحية، فضلاً عن الطقوس والأعياد الوثنية والمعاصرة، والاحتفالات والشعائر المرتبطة بعالم الحيوان والظواهر الطبيعية. وتضم المواد الموسوعية أيضًا عددًا من المفاهيم الميثولوجية عن المكان والزمان والحياة والموت والأعداد وعبادات الأسلاف والطقوس السحرية والتعاويذ والرقيات والسحر والقرابين والمحرمات (الرجس) والرموز الواقية والمضادة للسحر (العكوسات/المترجمة) وتفسير الأحلام وغير ذلك من مفاهيم تشكلت على مر عصور مختلفة وخضعت لتأثيرات التغيرات التى طرأت على الرؤى الميثولوجية للموردف. ويقدم الكتاب أربعين من الآلهة والآلهة الحارسة الوثنية(٤)، ويشير إلى أصولهم وأشكال تجليهم وأعمالهم.

= أو نوعًا من أنواع النسور أو العقاب أقام عشًا له على ركبة "الخالق" الذى يسبح فى المياه الأولى ، ومن ثم طرح الطائر بيضة تدحرجت فى المياه ، وتحولت أجزاؤها إلى "الأرض والسماء والقمر والنجوم" . ويتبنى هذه الأسطورة فنلنديو الفولجا (أى ذوو الأصول الفنلندية المقيمون على ضفاف نهر الفولجا) والموردف . والقاسم المشترك فى تفاصيل هذه الأسطورة بين الشعوب التى تتبناها هو أن الشيطان حوّل شعر الإنسان إلى شعر كلب ، وأفسد ببصاقه أو لعابه الإنسان وجعله عرضة للأمراض والموت . ومن أشهر أساطير الموردف حول أصل العالم تلك التى تقول : إن الإله جلس على صخرة فى منتصف بحر أسطورى بدائى ويبصق فى المياه ، ويبدأ البصاق يتضخم ويتضخم فضربه الإله بعصاه فظهر الشيطان (متخذًا أحيانًا شكل الأوزة) . وهنا أمر الإله الشيطان بالغوص فى البحر ليأتى بالأرض من أعماقه . ونجحت المحاولة الثالثة للشيطان فأتى بالأرض لكنه حاول أن يخفى بعض الأرض فى فمه . وبينما كان الإله ينثر الرمل على الأرض ، بدأت الأرض فى التضخم والنمو ، واكتشف الإله احتيال الشيطان فحول وجنتيه إلى جبال وهضاب . (المترجمة)

(٤) الآلهة والآلهة الحارسة فى الوثنية : فى المنظومة التقليدية الميثولوجية للموردف هناك الإله God و Deity-patron (ness) ، ولقد فضلت ترجمة Deity-patron (ness) بـ "الإله الحارس" أو "الإلهة الحارسة" ؛ لأن لفظ الحارس أقرب إلى الأذن المصرية وفى تصورى أقرب إلى روح الكلمة والمراد بها . وتجدر الإشارة هنا إلى أن من السمات الخاصة بمراحل التطور الأولى لشعوب فين - أوجر غياب مفاهيم متعلقة بالعائلة الهرمية التكوين من الآلهة التى يقف على رأسها الإله الأكبر أو الأعلى . ويرى بعض الباحثين أن كل ما ورد فى أساطيرهم من ألفاظ لها معنى "الأعلى" كان المقصود بها غالبًا أعلى من حيث المكان فقط . وعرف الموردف بدلاً من ذلك نوعًا من تعدد الآلهة (God) والآلهة الحارسة (Deity-patron/ess) المتساوية الأهمية (بهذا القدر أو ذاك) ووفقًا للظرف المحدد ، فلديهم على سبيل المثال : إله الأرض =

وكقاعدة، فى الميثولوچى الموردفى تولد الآلهة الحارسة إما من بيضة أو من نوع من المصاهرة مع الآلهة[٥]، وخلق الإله بعضهم بنفسه وبعضهم الآخر استخدمهم الإله للزواج من الفتيات البشريات. وغالبية الآلهة الحارسة إناث عادة ما يتجسدن فى أشياء مختلفة على الأرض (كالماء والغابات والأبنية وغير ذلك).

وكان اهتمامى المهنى منصبًا - فى غالب الأحيان - على الطقوس والميثولوجى. ويلخص هذا الكتاب أكثر من سبعين من أعمالى المنشورة بما فى ذلك المقالات والكتب والأبحاث المقدمة للمؤتمرات والندوات الدولية والروسية، فضلاً عن مواد علمية عديدة لمشاريع ورش عمل تم تنفيذها، ويشتمل أيضًا على معلومات عن الميثولوجى كنت قد استقيتها من والدتى الخبيرة بشؤون الثقافة التقليدية الموردفية. وأود التأكيد هنا على أهمية جميع الأعمال السابقة التى وضعها العلماء الروس والفنلنديون والموردفيون، فقد كانت المعطيات التى قدموها بمثابة عون كبير لى، فضلاً عن استخدامى لبعضها، وإن يكن، فى معظم الأحيان، على نحو موسع.

وأود أن أشكر مركز الأبحاث العلمية للأكاديمية السلوفاكية للعلوم والفنون، ولابنتى سيما ديفياتكنا وكل مَنْ قدم لى يد العون فى نشر هذا الكتاب، فلقد أسهم جميعهم فى إخراج هذا العمل إلى النور. وأقدم شكرى بشكل خاص إلى الدكتورة مونيكا كروبيج (من سلوفاكيا) لمساعدتها الكريمة فى تنظيم عملية النشر.

وفى تصورى أن الكتاب سيكون شيقًا للقارئ العادى مثله مثل المتخصصين، فهو يضم بين طياته معطيات فريدة حول الثقافة الموردفية، التى هى جزء لا ينفصم من ثقافة العالم.

= وإله السماء ، وكان قدماء الموردف يرددون "إله السماء أبونا ، والأرض - أمنا" . وتشير المؤلفة فى مواضع أخرى إلى إرهاصات تحول نحو أحادية الإله اعترضتها الحروب وتأثيرات ميثولوجى الشعوب الأخرى على الموردف . (المترجمة)

(٥) كان الموردف القدماء يعتقدون أيضًا أن الأطفال الذين يولدون من هذه المصاهرة يصبحون حكام العالم إلى أن يموتوا وينتقلوا إلى السماء . (المترجمة)

الشعب الموردفى : التاريخ . اللغة . الثقافة

ينتمى الموردف[٦] - إحدى القوميات التى تقطن الفيدرالية الروسية - إلى المجموعة اللغوية "فين - أوجر"، وهم أكبر ثالث شعب من حيث العدد من مجموعة فين - أوجر بعد الهنجار والفنلنديين، ووفقًا لتعداد سكان عام ٢٠٠٢م، يقطن روسيا ٨٤٤٥٠٠ موردفى، من بينهم ٢٨٣٨٦١ يعيشون فى جمهورية موردفا، وينتشر الباقون فى أربعين جمهورية ومنطقة ومقاطعة من الأراضى التى ضمها الاتحاد السوفيتى السابق.

ويتألف شعب الموردف من مجموعتين عرقيتين يرجع انقسامهما فى المقام الأول إلى اللغة، تتركز الأولى وهى مجموعة الإرزيا Erzia بشكل رئيسى فى الأجزاء الشرقية من جمهورية موردفا، فى حين تقطن الثانية وهى الموكشا Moksha[٧] فى أجزائها الغربية، ويأتى الأصل العرقى للموردف من منطقة تقاطع نهرى الفولجا (Volga)[٨] والأوكا

---

(٦) يطلق على شعب موردفا : الموردفيون أو الموردف أو الموكشا أو الإرزيا Mordvin, Mordvinian, Moksha, Erzia . (المترجمة)

(٧) الموكشا أيضًا نهر من أهم أنهار موردفا . (المترجمة)

(٨) الفولجا : أطول أنهار القارة الأوروبية والممر المائى الرئيسى لغرب روسيا. ينبع الفولجا من تلال فالداى شمال غرب روسيا ويمتد بطول ٣٥٣٠ كيلومترًا نحو الجنوب الشرقى لروسيا ليصب فى بحر القزوين. وحول حوض النهر تحيا أعداد ضخمة من الروس، ولنهر الفولجا أهمية اقتصادية بالغة، ويُعد من أهم أنهار العالم. وتتم تغذية الفولجا بالمياه بشكل رئيسى من الثلوج (٦٠٪) والمياه الجوفية (٣٠٪) والأمطار (١٠٪). والنهر صالح للملاحة على طول امتداده، ولنهر الفولجا دور بالغ الأهمية فى حياة الشعب الروسى والفنون الروسية والفلكلور الروسى الذى يطلق على النهر اسم "الفولجا الأم"، فضلاً عن كونه أصبح رمزًا لروسيا، وموضوعًا للأغانى والقصص والحكايات، ويحتل إجمالاً مساحة ضخمة فى الذاكرة الوطنية الروسية . (المترجمة)

(Oka)[٩] حيث استقـــروا على أطـــلال تنتمى إلى ثقـافـات آرخيـــولوجية قـديمة مثل مـدينة جـــوروديتس[١٠] . وفى عـام ألف بعـد الميـلاد ضـمت المنطقـة التى اسـتـوطنهـا الموردڤ القـدمـاء : وديان أنهـار الأوكا والفولجـا (فى منطقـتيهـمـا الوسطى)، وأنهـــار التسنا والموكشـا والسورا[١١] (Vihlyaev, 1974:27-28) .

ويعود انقسام قبائل الموردڤ القديمة إلى موكشا وإرزيا إلى أواسط الألفية الأولى بعـد الميـلاد (Stepanov, 1968:263; 1970: 31,43, 55) . ومن بين الأسـبـاب التى دفـعت إلى هذا الانقسام، عادة ما يُذكر، الاتسـاع الضخم للأراضى التى احتلها الموردڤ القدمـاء وبالتـالى الصعـاب التى حـالت دون التواصـل بينهم (Mokshin, 1977:43) وفى الوقت نفسه أفضى التـأثير الذى مارسته القبائل المجاورة إلى تبلور خصوصيات وتمايزات بين الموردڤ انعكست على لغتهم وهيئتهم الأنثروبولوجية وأنماط حياتهم وثقافتهم، مما سهل هذا الانقسام .

ومن الأسباب التى أفضت إلى هذا الانقسـام أيضًا هجرات الشعوب فى الألفية الأولى واستيطان البلغار[١٢] (Bulgars) لمنطقـة وسـط الفولجا (فى نهاية الألفية الأولى)

(٩) يقع نهر الأوكا غرب روسيا، وهو الرافد الأكبر للفولجا، ينبع من وسط روسيا ويمتد بطول ١٥٠٠ كيلومتر؛ ليتقاطع مع الفولجا فى جزئه الأعلى عند مدينـة نيجنى نوفـجـورود، ويتـجمد النهر منذ مطلع ديسمبر حتى نهاية مارس أو بداية مايو . (المترجمة)

(١٠) مدينة جوروديتس على نهر الفولجا، واشتـهـرت فى التاريخ بوفـاة قيصر روسيا الشهير ألكسندر فيها عام ١٢٦٣ بعد عودته من رحلة تأديب المنتفضين فى بضع مدن ضد الضرائب التى فرضها المغول على المزارعين، وكان ألكسندر يستهدف بذلك كسب تعاطف المغول مع مطلب روسيا بإعفائها من تقديم أبنائها للقتال لغزو إيران الذى كان يخطط له المغول . (المترجمة)

(١١) ألتسنا: نهر يقع فى مقاطعة تامبوف بغرب روسيا، والسورا: نهر يقع بوسط غرب روسيا وهو أحد روافد الفولجا يمتد بطول ٨٦٤ كيلومتراً ليلتقى بالفولجا فى مدينة نيجنى نوفـجورود، والموكشـا: نهر بجمهورية موردڤا . (المترجمة)

(١٢) البلغار قبائل عرفت فى تاريخ أوروبا الشرقية فى العصور الوسطى، وكانت إحدى جماعاتهم أجداداً للبلـغـار المعاصرين، وكـانـوا أغلب الظـن من القبـائل التركيـة التى استوطنت وسـط آسـيا، =

وظهور دولة بلغار الفولجا. وكان للغـزو التتارى - المغولى، بلا شـك، دور لا يستهـان به فى تعميق عمليـة انقسـام الموردف إلى : موكشا وإرزيا.

وتقريبًا فى القرنين الثامن والتاسع بدأت المجموعة المتحدثة باللغة الموردقية فى التحلل، وانقسمت اللغة الموردقية لأسلاف الموردف إلى بضع لهجات، وتوقفت المنظومة اللغوية الموردافية عن الوجود . واكتسبت الوحدات اللغوية المستحدثة خصوصياتها المُمَيزة لها وفقًا لاختلاف الاتصال اللغـوى الذى أقامتـه كل مجمـوعة (Tzygankin, 1991:94) . وتنتمى لغـات الموكشا والإرزيا إلى مجموعة الفولجا من فرع فين - أوجر من فروع أسرة اللغـة الأورالية[١٣] ، وتختلف اللغات الموردقـية (الموكشـا والإرزيا) عن بعضـها بعضًا فى النطق والقواعد والمفردات. ولهذه اللغـات لهجات تتميز بالإغراق فى المحلية،

= ووصلت إلى السـهول الأوروبية غرب نهر الفولجا مع قبائل الهون حوالى ٣٧٠ بعد الميلاد، وبعد تاريخ طويل من التقدم والتراجع عن المنطقة تمكنت واحدة من هذه القبائل من احتلال بلدة تقع عند التقاء نهرى الفولجا وكاما وأقامت هناك طوال ٦٠٠ عام، وتسمى هذه المجموعة بـ "بلغار الفولجا"، وشيدوا لأنفسهم دولة بدائية (دولة بلغار الفولجا) لعبت دورًا لا يستهـان به فى التجارة بين المنطقـة والعالم الخارجى بما فى ذلك روسـيا وبيزنطة والخلافة الإسلامية فى بغداد، وتحـولوا إلى الإسـلام حوالى عام ٩٢٢ . وبمرور الوقت أخذوا تدريجيًا يفقدون طابعهم القومى ويندمجون ومن ثم ينصهرون فى البوتقة الروسية . (المترجمة)

(١٣) بدأت أسرة اللغة الأورالية فى التحلل على امتداد الألفية الخامسة والرابعة قبل الميلاد، لتظهر مجموعتا اللغـة : فين - أوجر والسـامويد، ويعتقد المؤرخون أن الشعوب الأورالية الأصلية اسـتوطنت المنطقة الواقعة بين جبال الأورال ووسط نهر الفولجا. وفى الألفية الثانية ومنتصف الثالثة قبل الميلاد انشق فين - أوجر المقيمون فى وسـط روسـيا؛ ليستقلوا كمجموعة متمـيزة عرفت باسم فنلنـديى الفولجـا (نسبة إلى نهر الفولجا حيث استقروا) أو الموردف، بدأت بدورها الانشطار إلى مجموعات مختلفة حوالى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد فظهر الموكشا بالجنوب والإرزيا بالشمال. ومن المعروف أن روسيا الحالية تضم ٧٠ قومية منها قوميات صغيرة للغاية لا يتجاوز عدد أفرادها بضعة آلاف، وتضم ١٠ جمهوريات حكم ذاتى للقوميـات الكبيـرة العـدد نسبيًا. أما البنية اللغوية لروسـيـا فهى تضم : ١- المجموعة الهند/أوروبية (السلاف الشـرقيين بشـكـل رئيسى) ٢- مجمـوعـة الألطـاى (الأتـراك بشـكـل رئيسـى) ٣- والمجموعة القوقازية (بشكل رئيسى ممَنْ استوطنوا جبال القفقاز) فضلاً عن مجموعات صغيرة أخرى مثـل الأباظيـة التى لها امتـدادات فى الـدول العـربية مثـل مصر أو لعل العكـس صحيح ٤- المجموعة الأورالية . (المترجمة)

ويصل عدد لهجات الإرزيا إلى خمس والموكشا إلى ثلاث. ولقد تطورت اللغة الأدبية الحديثة للإرزيا على أساس لهجات كوزلوف/أرداتوف[١٤]، بينما اعتمد تطور اللغة الأدبية الحديثة للموكشا على لهجة كراسناسلوبودسك / تيمنيكوف[١٥] .

ومنذ البدايات الأولى تطورت اللغات الموردقية المكتوبة باعتماد الأبجدية السلافية[١٦]، ويعود تاريخ المخطوطات الموردقية الأولى إلى أواسط القرن الثامن عشر بعد الميلاد (Feoktistov, 1976: 161-162) . وترتبط نهضة اللغات المكتوبة وتطورها ارتباطًا وثيقًا بانتشار المسيحية بين الموردف، فمنذ ذلك الحين بدأت تظهر ترجمات العهد الجديد وغيره من الكتب الدينية إلى لغات الموكشا والإرزيا. ومع بداية القرن العشرين بلغ عدد المراجع الموردقية أكثر من ٣٠٠ مرجع وحوالى نصف هذا العدد تم نشره. وفى هذه الفترة نفسها تم وضع حوالى خمسين قاموسًا، وأخذت تنشر تباعًا أدبيات الفلكلور الموردقى.

---

(١٤) كوزلوف/أرداتوف مدينتان روسيتان ، تقع كوزلوف الآن فى جمهورية تشوفاشيا للحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية، وتقع بدورها شرق الحدود الرسمية الحالية لموردفا. وأرداتوف مدينة تأسست عام ١٧٨٠م فى منطقة ألتير الواقعة حاليًا شرق موردفا . (المترجمة)

(١٥) كراسناسلابودسك/تيمنيكوف : كراسناسلابودسك مدينة تأسست عام ١٦٤٨م على نهر الموكشا (فى جزء من منطقة فولجاجراد يقع فى الأراضى الموردقية)، وتيمنيكوف مدينة تأسست عام ١٥٣٦م على نهر الموكشا فى موردفا، شيدت المدينتان على شكل مدن/قلاع فى قلب الغابات لحماية الحدود الروسية ومازالتا على حالهما إلى الآن . (المترجمة)

(١٦) الأبجدية السلافية هى منظومة الكتابة التى تطورت فى القرنين التاسع والعاشر بين الشعوب المتحدثة باللغة السلافية من الأرثوذوكس الشرقيين، وهى الأبجدية المستخدمة، حاليًا، فى روسيا وفى بعض الجمهوريات التى شكلت فى السابق الاتحاد السوفيتى وأيضًا البلغار والصرب، وتعتمد على الكتابة اللاتينية للعصور الوسطى وأضيفت إليها حروف أخرى كانت أشبه بتعديل، أو دمج لبعض الحروف اللاتينية؛ لتعويض النقص فى الأصوات فى اللغة اللاتينية نسبة إلى السلافية. وأول أدب مكتوب بالسلافية هو ترجمة الإنجيل وغيره من نصوص الكنيسة، والسلافية المعاصرة هى التى تتحدث بها شعوب روسيا وأوكرابينا وبلغاريا والصرب . (المترجمة)

وتشكلت البنية الأنثروبولوجية للموردف نتيجة امتزاج أنماط عرقية أوروبية مختلفة (من البحر الأبيض والبونتيك[١٧] (Pontic) وشرق البلطيق). وفى هذا الصدد يُعد الموردف أقل الشعوب الفنلندية الشرقية امتزاجًا بالمغول، فيما يتأكد التشابه الأنثروبولوجى بين الروس والموردف من الطبيعة المشتركة لأنماطهم الأنثروبولوجية، ومن عملية الامتزاج والتطور اللاحق للشعبين الروسى والموردفى. وبينما يطغى على شعب الإرزيا النمط الأشقر، يطغى على الموكشا النمط الأسمر (Mark, 1960) ، ولقد تعرض المفهوم التقليدى للأمة الموردفية (ككل واحد (كعرق) أى : المجموعتين العرقيتين : الموكشا والإرزيا) والذى يعكس كل خصوصيتهم وتميزهم من حيث المظهر الأنثروبولوجى واللغة ونمط الحياة والثقافة - تعرض مؤخرًا لجدل واسع (Tsygankin, 1991: 92-112, Nadkin, 1992: 3-8) وفى هذا الصدد يرى بعض الباحثين أن الموردف من الموكشا والإرزيا هما شعبان مستقلان. ووفقًا للأبحاث التى أجراها الباحث جوريانوف، فإن الموردف الآن يشكلون مجموعة إثنية متحولة (meta-ethnical) تتشكل من عرقين اثنين (Guryanov, 1993: 24) .

وبالإضافة إلى الموكشا والإرزيا، ظلت إلى وقتنا الحاضر مجموعتان عرقيتان تحتفظان بوجودهما هما : مجموعة الشوكشا Chukchi[١٨] (ويبلغ عددهم ١٥ ألفًا) وتقطن مناطق تنجوشيف وتوربييف (بشمال روسيا - المترجمة) ومجموعة كاراتاى التى يحيا أبناؤها فى منطقة كاما - أوستين بجمهورية تتاريا (للحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية - المترجمة). ولهاتين المجموعتين خصوصيات فريدة تميزهما عن غيرهما وتبدو واضحة فى اللغة والعادات والملابس. فضلاً عن أن الشوكشا/الموردف قد تأثروا بالموكشا والإرزيا وورثوا كثيرًا من ملامحهما ، بينما تأثر الكاراتاى بالتتار.

(١٧) جبال بونتيك Pontic شمال شبه جزيرة الأناضول بشمال تركيا وتمتد لتصل إلى الشاطئ الجنوبى للبحر الأسود، وبونتيك تستخدم للإشارة إلى البحر الأسود . (المترجمة)

(١٨) الشوكشا : شعب يقطن أقصى الشرق الروسى فى شبه جزيرة شوكشا فى شمال شرق سيبيريا. وتشكل الأراضى التى يقطنوها الآن جزءًا من مقاطعة الحكم الذاتى تشوكوتكا فى إطار الفيدرالية الروسية . (المترجمة)

ووفقًا للرواية الشائعة فلقد فرَّ الكاراتاى إلى هذه البقاع إبان الغزو التتارى – المغولى. وتعنى كلمة "كاراتاى" التتارية "المهر الأسود" ، ومن الواضح أنها تأتى من تقديم المهر الأسود كقربان، ويعتبر الكاراتاى أنفسهم موكشا (UPTMN, 1983: 229) .

وفى النصف الثانى من القرن ١٩ سُجلت مجموعة عرقية أخرى من الموردف هى التيريوخان (Teryukhans)(١٩) الذين أقاموا فى نيجنى نوفجورود (Nizhni Novgorod)(٢٠) .

---

(١٩) التيريوخان (Turukhan-Teryukhans) من شعوب الفين – الإسكاندينافية التى استوطنت شمال غرب سيبيريا، عاش قدماؤهم على الصيد بجميع أنواعه، وهناك نهر بالاسم نفسه فى المناطق التى عاشوا فيها . (المترجمة)

(٢٠) نيجنى نوفجورود (مدينة جوركى) مدينة روسية تاريخية عريقة على نهر الفولجا. تقع غرب روسيا عند تقاطع نهرى الفولجا والأوكا، وتبعد عن موسكو ٤٢٠ كيلو مترًا. أجمع كثير من المؤرخين على أن المدينة ظهرت للوجود عام ١٢٢١م وشيدها أحد الأمراء الروس (يورى فيسفيلودوفيتش أمير مقاطعة فلاديمير) فى خضم الفترة التى كانت روسيا فيها تزحف لضم الأراضى الواقعة على الفولجا التى استوطنها الموردف حتى ذلك الحين. وتُعد المدينة موقعًا استراتيجيًا مهمًا؛ إذ تقع على الرافد الأكبر لنهر الفولجا الذى يمتد من البلطيق وحتى وسط أسيا، ويتصل بنهر الأوكا (الصالح للملاحة) والذى يمتد بدوره إلى منطقة فلاديمير – موسكو، ومن ثم يتقاطع مع نهر الكاما الذى يصل إلى جبال الأورال وسيبيريا. وفى عام ١٣٩٢م ضُمت المدينة إلى إمارة موسكو، وسرعان ما تحولت إلى أحد أهم القلاع الروسية فى مواجهة تتار الفولجا. ومن نيجنى نوفجورود شن الأمير إيفان الثالث (١٤٦٩) ومن بعده إيفان الرابع (١٥٥٢) حملاتهما ضد قازان عاصمة التتار. وأفضت سيطرة الروس على الفولجا فى أواسط القرن الخامس عشر إلى انتعاش التجارة فى المدينة، حتى إن السوق السنوية التى نُظمت فى المدينة عام ١٨١٧م أصبحت أكبر وأهم أسواق التجارة فى روسيا، خاصة وأن المدينة تتمتع بأنهار وتقاطعات أنهار هادئة مهمة صالحة للملاحة. وقد جذبت المدينة التجار والبضائع من أوروبا وأسيا. واستمرت هذه السوق تحتل هذه المكانة حتى الثورة الروسية عام ١٩١٧م . وبعد الثورة، وتيمنًا بالكاتب الروسى الشهير ماكسيم جوركى الذى ولد فى المدينة (١٨٦٨–١٩٣٢)، أطلق اسم جوركى على المدينة ثم عادت لتصبح نيجنى نوفجورود عام ١٩٩٠م ، وأفضى ازدهار التجارة المدينة إلى الاستخدام المبكر لعمل الأقنان فى عمليات التصنيع، حيث قامت أولى عمليات التصنيع (فى روسيا كلها – وبشكل خاص الصناعات الثقيلة والهندسية) وظهور الفبريقات، ونبهت الأهمية الصناعية للمدينة إلى ضرورة تدمير المصانع المهمة بها فى الحربين العالميين الأولى والثانية على يد خصوم روسيا، وهو ما حدث. وتعد نيجنى نوفجورود الحديثة إحدى أكبر المدن الروسية، ومركزًا لمنطقة ضخمة تمتد على طول نهرى الفولجا والأوكا. وتأتى قوة المدينة الآن من المصانع والصناعات المهمة بها فضلاً عن كونها منطقة تقاطع مواصلات واتصالات حيوية. وفى المدينة الآن عدد كبير من المؤسسات التعليمية المهمة مثل: جامعة لوباتشيفسكى العريقة وأقدم مسارح الدراما الروسية (تأسس عام ١٧٩٨)، بالإضافة إلى المبانى التاريخية العريقة التى يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر بما فى ذلك كاتدرائية أرخانجل الشهيرة . (المترجمة)

والذين يعتبرهم فريق من علماء الأعراق الروس ينتمون إلى الإرزيا. وحتى مطلع القرن العشرين كان التيريوخان [٢١] يعتبرون أنفسهم موردف على الرغم من أنهم كانوا يتحدثون الروسية، أما الآن فقد فقدوا هذا الوعي القومي وأصبحوا يعتبرون أنفسهم روساً.

ولا يستخدم الموكشا والإرزيا (الذين يسمون أنفسهم مباشرة: موكشا وإرزيا) اسم "موردف" تعريفاً لأنفسهم. ولقد ذُكر هذا الاسم أول ما ذكر في القرن السادس بعد الميلاد على لسان المؤرخ القوطي يوردان (Gothic historian Iordan) في "De origine actibus que Getarum" (About the origin and deeds of the Geths) حيث روى يوردان أن واحداً من شعوب أوروبا الشرقية يسمى – موردن (Mordens). ويتضمن مرجع آخر الجذر نفسه "مورد" (mord)، وهو مخطوطة من مخطوطات القرن العاشر وضعها الإمبراطور البيزنطي كونسطنتين السابع (Konstantinas Porphyro-gennetos) هي "De administrando imperio" أي: (About governing the empire)، ذكر فيها بلداً اسمه مورديا (Mordia) يقع على بُعد عشرة أيام من السير انطلاقاً من البيتشينيج Pechenegs[٢٢] (Harva, 1952: 4). وورد اسم موردفا (Mordva) في المخطوطات الروسية في القرن الثاني عشر في (Povest' vremennykh let) أي (A tale of Temporal Years)

(٢١) كانوا: كل الأفعال الواردة في الكتاب فيما يتعلق بالطقوس والعادات والتقاليد وما شابه ذلك، وترد بصيغة الماضي، وأحياناً ترد عبارة "حتى أيامنا هذه"، والتزمتُ أنا بالنص فلا علم لي ما إذا كانت هذه الطقوس والعادات والتقاليد مازالت قائمة على الرغم من أن الشيء لا ينمحي كلية من العادات والتقاليد القديمة. (المترجمة)

(٢٢) البيتشينيج Pechenegs قبائل تركية استوطنت في البداية المنطقة الواقعة بين نهري الفولجا والأورال، ومن ثم احتلت منطقة سهول شمال البحر الأسود (من القرن ٦ وحتى ١٢). وفي القرن ١٠ سيطرت هذه القبائل على الأراضي الواقعة بين نهري الدون والجزء الأسفل من الدانوب (بعد أن طردت الهنجار من الدانوب) لتتحول بذلك إلى خطر داهم على بيزنطة. وكانت هذه القبائل (بحكم الموقع الجغرافي الذي استقرت فيه) موضع هجوم المحيطين بهم وبشكل خاص الخزر؛ لذا أخذوا تدريجياً في التحرك غرباً (خاصة بعد تدهور دولة الخزر وعجزها عن صد مثل هذه الهجرات) ليطردوا الهنجار من المنطقة ويبدأوا في الهجوم على المناطق الروسية، على الرغم من الهزائم المتكررة التي ألحقها الروس بجيوشهم فلم تكف هذه القبائل عن شن حملات للزحف على الأراضي الروسية طوال القرنين ١٠ و ١١. في عام ١٠١٨م هزمت بيزنطة البلغار وأصبحت جاراً مباشراً لهذه القبائل التي تقدمت على الرغم من ذلك (١٠٩٠ – ١٠٩١) صوب قلاع القسطنطينية في معركة دمر فيها الإمبراطور إليكسوس جيوشهم عن بكرة أبيها. (المترجمة)

وفى الوثائق الرسمية ورد تعبير "شعب الموردف" أو " أمة الموردف" فقط بعد عام ١٩٢١م .

وتشير إحدى المخطوطات المبكرة – التى يرجع تاريخها إلى عام ٩٨٦ بعد الميلاد – إلى مجموعة عرقية تسمى أرزيا (arisa) ، وتلك رسالة بعث بها يوسف ملك الخزر إلى صاحب المقام العالى خاشيد (Kokovtsev, 1986:98-99) . ومن ثم ذكر العالم العربى ابن حوقل[٢٣] الذى عاش فى القرن العاشر فى كتابه "المسالك والممالك" قبيلة تسمى "أرزايا" (arsaya) .

وأولى الشهادات المكتوبة حول العرق المسمى موكشا (moxel) نجدها فى مذكرات الرحالة الفلمنكى جيلوم روزبروك (Guillaume Ruysbrieck) الذى رافق سفير لودفيج المقدس (Ludwig the Holly) عام ١٢٥٣ بعد الميلاد فى رحلته إلى آسيا عبر جنوب روسيا. وجاء يوسافات بربارو (Iosafat Barbaro) من مدينة فينيسيا على ذكر "الموكشا" فى القرن الخامس عشر (Barbaro, 1971: 133-134, 195) . ومن حيث علم الألفاظ مازال اللفظان "موكشا" و "إرزيا" مبهمى الأصل حتى الآن.

ولقد كان لوحدة الشعبين الموردفى والروسى دور بالغ الأهمية فى تطور شعب الموردف، وبدأ هذا التقارب فى مرحلة مبكرة جداً، لم تكن فيها بلاد الروس نفسها قد توحدت بعد كوحدة كاملة، واستُكمل هذا التقارب مع نهاية القرن الخامس عشر، عندما تأسست الدولة الروسية الموحدة (Moksha, 1989 : 46) . وانتهت المرحلة الثانية لتوحد شعب الموردف مع الشعب الروسى فى القرن الثامن عشر بانتقال الموردف من الوثنية إلى المسيحية الأرثوذكسية.

وفى العصور القديمة كان الموردف يحصلون على طعامهم من الصيد، صيد السمك بشكل رئيسى ، ومن تربية النحل. ومع تطور حياتهم احتلت زراعة الأراضى

(٢٣) ابن حوقل : (٩٠٧ – ٩٨١ ميلادية) رحالة وجغرافى ومؤرخ عربى شهير، زار أرجاء البلدان الإسلامية من مشرقها إلى مغربها وكتب عنها، من أشهر مؤلفاته: "المسالك والممالك" و" صورة الأرض" . (المترجمة)

الصالحة والصيد المكانة الرئيسية فى اقتصادهم. وفى المراحل المبكرة جداً من تطورهم الاقتصادى عرف الموردف حيوانات مثل : الخنازير والخراف والثيران والماعز والبقر والخيل. وعرف الموردف منذ زمن بعيد أيضًا استخدام المعادن والمصنوعات المعدنية، واستخراج الحديد من المعادن الخام - التى جادت أرضهم بها بوفرة - الموجودة فى المستنقعات والطبقات العليا من التربة (Peterburgsky, 1995 : 120) واستخدموا جلد السنجاب كمعادل نقدى (Yozhef, 1968: 25) . وعرف الموردف العملات المعدنية مؤخراً، وحدث ذلك فى القرن العاشر وسميت "يارماكت"، وهو لفظ تركى الأصل يعنى "قَطَعَ - شَقَّ" (أى شق قطعة معدنية لجعلها قطعًا معدنية منفصلة صغيرة نسبيًا يمكن تداولها بين الناس - المترجمة) . وفى تلك العهود احتلت التجارة مع العرب مركزًا بالغ الأهمية فى النشاط الاقتصادى لشعب الموردف، وازداد ازدهار التجارة مع العرب بقيام دولة بلغار - الفولجا؛ إذ إن جزءًا كبيرًا من الموردف انضوى تحت راية هذه الدولة (Mok shin, 1989: 38) ولقد ظهر الجزء الأكبر من المنظومة النقدية فى منطقة الفولجا قبل زمن طويل من ظهور العملات المغولية.

ومن المخطوطات الروسية يمكن استنتاج أن الموردف قد شيدوا القرى والمقابر والمأوى الشتوية للماشية خلف المنازل، ولم يكن أى منها محصنًا، ولكنهم شيدوا فى الغابات تحصينات أشبه بالمدينة - القلعة وزودوها بالعتاد والسلاح الثقيل وكانوا يخفونها بين الأشجار فى قلب الغابات لاستخدامها فى أوقات الخطر (Vavilin, 1995 : 148-166) . وبدأ الموردف فى تشييد المدن مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر على نهر الموكشا، وتم اكتشاف معظم هذه المدن فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . واتخذت جميعها شكل المدينة - القلعة التى شيدت على هذا النحو خصيصًا لحماية حدود الدولة الروسية من الغزو الآتى من الجنوب (من الرُّحل فى السهول المجاورة، ومن تتار منطقة القرم ومن بشكيريا ومن الكازاخ). ولقد شيدت الحكومة الروسية هذه المدن - القلاع عند تقاطع الطرق بالغابات، وجلبت لبنائها أعداداً غفيرة من أبناء شعوب الفولجا بما فى ذلك الموردف، وعلى هذا النسق من البناء مازالت قائمة على أراضى جمهورية موردڤا الحالية مدينة تيمنيكوف (١٥٣٦) ومدينة كراسناسلوبودسك (١٦٢٧) ومدينة سارنسك (١٦٤١) وأنسار (١٦٤٨) وغيرها.

ولعل أكثر الأنماط المعمارية التى بناها الموردف شيوعًا هو النمط الأكثر انتشاراً فى المناطق الوسطى فى روسيا؛ حيث الفرن بأحد أركان المنزل (الذى يسمى الركن الأحمر) المواجه لباب المنزل، وترتفع مدخنته فى اتجاه نوافذ الحائط المقابل له. ولا يختلف البيت الموردفى من الداخل إلا قليلاً جداً عن منزل الفلاح الروسى.

وقبل الانتقال إلى المسيحية انتشر تعدد الزوجات بين الموردف، واتخذ أبناء الطبقات الحاكمة (الأمراء "المورزا" (murzas)) لأنفسهم عدة زوجات، وكان يُسمح للموردفى أن يتزوج قدر استطاعته المادية. بيد أن تدهور الوضع المادى للفلاحين لم يسمح لأحد بعد ذلك أن يتزوج أكثر من ثلاث زوجات (Lepyokhin, 1771: 173) . وفى القرنين السابع عشر - الثامن عشر أصبحت القاعدة بين الموردف هى الزواج من واحدة، وفى أحيان نادرة يتخذ الرجل لنفسه زوجتين.

ومن غرائب الأمور فى هذا الصدد زواج ذكور صغار السن (من عمر ٣ - ١٠) من بنات فى أعمار تتراوح ما بين ٢٠ - ٣٠ عامًا (Evsevyev, 1966: 321) ، الأمر الذى يفسره البعض بأسباب اقتصادية بحتة هى الاستحواذ على العمل غير مدفوع الأجر للبنات الزوجات.

وفيما يتعلق بالملابس القومية الأصلية يختلف الموردف الإرزيا عن الموكشا، ولدى كل مجموعة ما لا يقل عن ١٥ شكلاً من الملابس القومية المختلفة. وتعود الملابس الكثيرة الزينة والزركشة للموردف فى القرن الثامن عشر إلى الألفية الأولى وبداية الثانية. وأزياء السيدات أشبه بأزياء الأعياد معقدة الخياطة ممتلئة بالخيوط مكتظة بالزركشات والتصميمات المركبة الصعبة (Balashov, 1995: 176) . حتى إن ارتداء النساء لملابس الأعياد كان يتطلب بضع ساعات، ولم يكن باستطاعة أى امرأة ارتداء ملابس الأعياد دون مساعدة.

ويتميز القميص لدى نساء الموكشا عنه لدى نساء الإرزيا من حيث التفصيل والزخارف، ويجمع التطريز الموردفى بين اللون الأسود مُضْرَب للأزرق والأحمر الغامق كألوان أساسية، ثم يضم الأصفر والأخضر لجعل الزخرفة المؤلفة من خطوط مشجرة

أكثر تألقًا وإشراقًا. وفى التطريز والزخرفة الموردفية تغلب على غيرها أوراق نبات القيقب ورؤوس الأفاعى وأرجل الدجاج، ويحاط القميص بحزام من الصوف المضفر أو بقطعة من القماش أشبه بجلد الأسد، وترمز هذه التفاصيل إلى "الكمال" وتعكس أيضًا - باختلافها - حجم ثروة صاحبها وممتلكاته من الأراضى (Balashov, 1995: 183) . ومما يميز ملابس الموكشا السروال الذى يصل إلى الكاحلين.

وفى العصر الحجرى كانت النساء ترتدى أقراطًا فضية وذهبية تتدلى على الصدغين وحُلى برونزية (Tallgren, 1928 : 7) . فضلاً عن حُلى يضعنها على صدورهن (وتستخدم كمحابس أو أقفال فى الوقت نفسه) وتتخذ شكل طوق بيضاوى مزود بإبرة متحركة (فى ملابس الإرزيا) وحلقة توضع على إبزيم على شكل معين هندسى (فى ملابس الموكشا). وتستخدم بعض هذه الحُلى لتثبيت ياقة القميص إلى الأعلى. وكان يتم، أيضًا، تزيين الصدر والرقبة بالخرز أو نوع خاص من الحلى يصنع من الخرز الزجاجى، وكانت النساء يزين أزرعهن وأياديهن بالأساور والخواتم المصنوعة من النحاس والفضة والذهب.

وغطاء الرأس عند نساء الإرزيا كان يثبت على قاعدة قوية يرتفع فوقها شكل أسطوانى أو نصف أسطوانى أو مخروطى، وكان إطار الغطاء يصنع من الليف أو لحاء شجر البتولا، أما الجزء الداخلى من غطاء الرأس هذا فكان يمتد لينزلق إلى أسفل ليغطى ظهر النساء. وغطاء الرأس عند الموكشا كان يتخذ شكل المعين الهندسى ويتكون من قطعتين أو ثلاث، وكان النساء يضعن وشاحًا من القنب(٢٤) عادة ما يعقد على شكل عمامة، وفى بعض المناطق كانت تسريحة الشعر للنساء المتزوجات أشبه بالقرون، وكانت تسريحة الشعر تختلف باختلاف وضع المرأة قبل الزواج وبعده؛ فلكل وضع تسريحة خاصة به.

---

(٢٤) القنب Canvas : قماش قطنى خَشن تصنع منه الأشرعة والخيام وغير ذلك مما يتطلب هذا النوع من القماش . (المترجمة)

وكانت نساء الموكشا تزين الآذان بحلى صغيرة مستديرة مغطاة بخرز زجاجى، فى حين كانت نساء الإرزيا تضع على الأذنين كرات من زغب الأوز أو حلقات تتدلى منها عملات فضية.

وكان الحذاء[٢٥] التقليدى للموردف يصنع من اللحاء، ومن ثم بدأت النساء فى استخدام الأحذية الجلدية القصيرة المزينة بالخيوط الحمراء. وحتى الآن مازالت نساء الموكشا يضعن أشياء خاصة على ركبهن – اتقاء البرد – عادة قطعة من النسيج مخططة أو ذات أشكال هندسية مغزولة من الصوف.

وإلى وقتنا هذا مازالت نساء الموكشا أيضًا – فى عدة مناطق من موردفا – يستخدمن الثياب التقليدية فى الحياة اليومية وفى الأعياد والمناسبات الخاصة، فى حين يرتدى نساء الإرزيا الثياب التقليدية فقط فى المناسبات الخاصة مثل حفلات الزواج. بينما يحرص كبار السن من النساء على الاحتفاظ ببعض ملابسهن التقليدية لاستخدامها ككفن لهن عند الموت.

والآن يتم صيانة الكثير من عناصر الملابس الشعبية التقليدية النسائية وتطويرها للموكشا والإرزيا فى الأعمال الخلاقة للمبدعين الموردف من فنانى بيوت الأزياء والتطريز.

على الرغم من بعض الفروق الطفيفة التى تتميز بها منطقة عن أخرى فيما يتعلق بطرائق إعداد الطعام وأنواع الطعام التى يأكلونها، من الصعب وجود أى فرق يذكر بين الإرزيا والموكشا. ويعتمد المطبخ الموردفى التقليدى على المنتجات الزراعية وهو مرهون بالنشاط الاقتصادى الرئيسى للشعب الموردفى؛ أى : الزراعة ورعى الماشية وتربية النحل، وتضم قائمة الغذاء لدى الموردف السمك والحيوانات ولحم الغابة[٢٦] وثمارها الأخرى فضلاً عن التوت والمكسرات وهى من أهم مكونات غذائهم.

---

(٢٥) الحذاء : ليس المقصود حذاء بالمعنى المعاصر للكلمة بل نوع من الخُف يصنع من لحاء الشجر والنباتات ويسمى "لبطى" راجع الصور بالملحق . (المترجمة)

(٢٦) لحم الغابة : Mushroom ويسمى أيضًا الفطر، لحم نباتى يظهر مختبئًا حول جذوع الأشجار فى الغابات، وترتبط به طقوس شعبية فى روسيا؛ حيث يخرج الناس فى موسم الجمع فى جماعات كبيرة =

ومن المحاصيل التى كان يزرعها الموردف منذ زمن بعيد الذرة والشوفان والشعير والحنطة السوداء والبازلاء والجاودار والقمح والعدس وبذور عباد الشمس. وبالنسبة للخضروات التى عرفها الموردف فى مختلف مراحل تطورهم هناك الكرنب والخيار والبصل والثوم واللفت والفجل والبنجر والقرع والجزر. ويحب الموردف المخللات واللبن الرايب، ويغرمون للغاية بالمرق المصنوع من اللبن الرايب وزيت القنب.

ومنذ قديم الزمان استخدم الموردف الخبز المصنوع من الجاودار كأهم مكونات غذائهم، وحتى الآن يخبزونه فى بعض القرى من العجين المختمر ويضعونه فى فرن ساخن على أوراق الكرنب. ويحتل الخبز حتى الآن مكانة مهمة فى جميع المناسبات الاحتفالية بما فى ذلك الزواج والوفاة وحفلات العائلات والمناسبات التقليدية الأخرى مثل التنبؤ بالغيب..

ومن أقدم الوجبات الموردفية نوع من الشوربة تُعد من حبات الذرة وقدر قليل من البطاطس، وتنتشر على نطاق واسع بين الموردف الفطائر المصنوعة من دقيق الذرة أو القمح، وحتى اليوم تصنع هذه الفطائر وتؤكل مع الحليب أو الكريمة أو الزبد. واستعداداً لفصل الشتاء يقوم الموردف بحفظ لحم الغابة فى الخل وتخليل الكرنب وتخزين التفاح بترطيبه ونقعه، وحتى الآن يقوم الموردف بتخزين دهن الخنزير بطرائق مختلفة منها تعريضه للدخان فى موقد خاص.

وأفضل ما يُقبل عليه الموردف من وجبات هى تلك المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطقوسهم القومية ومناسباتهم الخاصة مثل : الدورة الزراعية والأعياد الأسرية والدينية. من ذلك

= ومعهم سلال ويدورون فى الغابات بحثًا عنه، ويشارك الأطفال فى عمليات الجمع، حيث من الشيق جداً لهم البحث عن المختبئ منه حول جذوع الأشجار فى الغابات ويلهون ويمرحون فى هذه الأثناء. وهناك عادات شعبية واسعة الانتشار حول جمع لحم الغابة والاحتفاظ بكميات منه حتى الموسم القادم بالتخليل والشى وغير ذلك. وهو من أشهر الوجبات الشعبية ويطهونه بأشكال مختلفة مثل: التحمير والشى وإضافته للحوم والوجبات المختلفة. ولعل فى اتخاذ غطاء الرأس عند المتزوجات من نساء الموردف لشكل لحم الغابة معنى مرتبطاً بأهميته وانتشار العادات الشعبية المتعلقة بجمعه وأكله عند الروس، أو قد يكون السبب فى ذلك تشابه ثمرة لحم الغابة بعضو الذكر . (المترجمة)

على سبيل المثال، الفطائر المحشوة بلحم الأرانب وعصيدة الذرة، وكانت هذه الوجبات تقدم فى أثناء الصلوات الجماعية وحفلات الزواج والتعميد والجنائز، التى كان يُقدم فيها بشكل خاص طبق يعرف باسم "عصيدة العواجيز".

وفى طقوس الزواج عند الإرزيا، كان اليوم الأخير لوجود العروس بمنزل والديها - وهو أول أيام العرس - يسمى " يوم العصيدة ". ومن تقاليد العرس أن يقوم العريس بالدوران حول أول دعامة تقام من دعائم منزله الجديد ممسكًا بيده قدرًا يحتوى على عصيدة الذرة التى ترمز إلى طول العمر.

ولقد عرف الموردف بعض أنواع الخبز والكعك التقليدية بعد دخولهم المسيحية. ففى شهر مارس، على سبيل المثال، كانوا يخبزون الكعك صانعين منه أشكالاً مختلفة كالطيور، وفى يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع من الصيام الكبير كانوا يخبزونه ويزينونه بالصلبان الصغيرة وقطع صغيرة من الفحم والبذور.

ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر احتلت البطاطس مكانة مهمة بين وجبات الموردف (Balashov, 1995: 194) وكانوا أيضًا يطهون أنواعًا مختلفة من الجيلى الممزوج بالنشا والشوفان والبازلاء والجاودار. وكان للحليب أيضًا - ولا يزال - مكانة خاصة فى المطبخ الموردفى سواء اللبن المحفوظ أو الرايب أو الزبادى أو الطازج.

وتُعد البيرة المصنوعة من العسل الأبيض (تسمى بيور Pure) من أقدم المشروبات لدى الموردف، وكانت مشروبًا تقليديًا يتناولونه كالقربان فى بعض المناسبات التقليدية الدينية، وكانت هذه "البيرة المقدسة" تصنع من خليط من العسل الأبيض ونوع خاص من الحشائش والشعير، تُعد مثلما تعد البيرة العادية. وأحد المشروبات التقليدية يسمى البوظا (عند الموكشا) والبراجا (عند الإرزيا). ولا تزال بعض قرى الموكشا إلى الآن تحتفل بعيد يسمونه "آفان بوظا"(٢٧). ومن المشروبات غير الكحولية المنتشرة الآن مشروب يسمى الكفاس ويعد من خبز الجاودار.

(٢٧) آفان بوظا : فى الجزء الموسوعى من الكتاب ستجد هذا العيد تحت اسم Holiday, magical public ceremony of women's beer . (المترجمة)

ومن الجدير بالذكر أن الموردڤ لم يعرفوا قط عادة فصل الرجال عن النساء على طاولة الطعام.

وتؤكد الاكتشافات الآرخيولوجية فى الألفية الأولى وبداية الثانية أنه منذ قرون طويلة مضت برزت بين القبائل الموردڤية موهبة التصوير الفنى للعالم المحيط، الأمر الذى تجسد فى فنونهم التشكيلية من تزيين أدوات عملهم وملابسهم وقدورهم، إلى تصوير حيواناتهم المقدسة - رمز القوى السماوية. وهكذا اكتسبت النماذج الأصلية من الحياة أشكالاً فنية تنطبق عليها كل معايير الفنون التشكيلية.

واحتل التطريز طوال القرون الثلاثة الأخيرة مكان الصدارة بين مجالات الفن والإبداع لدى الموردڤ، بالإضافة إلى أعمال الخرز الزجاجى، وأشكال الحلى والزينة والأزرار من الخرز. وكان الموردڤ على الدوام أسطوات فى الفنون التطبيقية وأشكال الغزل المختلفة والحياكة والنسيج المزخرف وأشغال الإبرة.

وكان الشكل التقليدى لتميز الرجال تاريخيًا فى الفنون الشعبية هو نحت الزخارف على الخشب، فكانوا ينحتون الزخارف وأشكال الزينة المختلفة لواجهات المنازل وخزانات الزواج وإطارات النوافذ وأنوال الغزل وعجلاته وغير ذلك من أدوات العمل الخشبية. وفى كتاب مبدع رصد النحات الموردڤى نيفودف س.د (Erzia, 1876 - 1959) التقاليد الوطنية للنحت على الخشب، والإدراك الفنى للواقع عند الموردڤ ، فضلاً عن المساهمة المتميزة التى قدمها الموردڤ فى تطور فن النحت على الخشب فى بلادهم وعلى المستوى العالمى، ومازال فن النحت على الخشب يحيا ويزدهر فى موردڤا إلى الآن.

وتعود أولى المعلومات التى تشير إلى الحياة الموسيقية الموردڤية والأغانى والآلات الموسيقية إلى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ولقد صانت الذاكرة الفردية والجماعية للموردڤ تراثهم من الأغانى الدينية وغير الدينية، وتتمثل التقاليد الموسيقية الجماعية - غير الدينية - فى المقام الأول فى الأغانى الملحمية والحماسية والأغانى الكورالية وأغانى الأفراح، فضلاً عن الأغانى التى تصاحب الرقص الذى يتخذ أثناءه الراقصون شكل الدائرة. أما التقاليد الفردية فتتمثل فى أغانى الأمهات لأبنائهن الصغار فى المهد والأغانى الفردية فى الأفراح.

وتنتشر الأغانى التقليدية غير الدينية، أى تلك المتحررة التى تُغَنى فى أى زمان وأى مكان والتى تعكس - أكثر من غيرها - طبيعة شعب الموردف، إلى يومنا هذا انتشارًا كبيرًا، وتغنى على نطاق واسع فى المناطق الريفية وبشكل خاص مناطق الموكشا، ولا يزال الموكشا أيضًا يصونون أغانى المناسبات والأغانى الدينية ليومنا هذا، بما فى ذلك بعض أغانى الأفراح وأغانى اللوم والعتاب وأغانى النواح على الميت أو فى الأحداث المفجعة.

ولقد تخلصت بعض أشكال الغناء، التى كانت فى السابق مرتبطة بعبادة الأشجار والحيوانات المقدسة بالغابات والحيوانات والطيور المنزلية الأليفة، من أوجه الارتباط بالمراحل والرؤى ما قبل المسيحية، ولا تزال تغنى وتعزف إلى الآن على الرغم من تبدل وظيفتها (Boyarkina, 1995: 438) .

والمزمار المزدوج (يسمى عند الإرزيا nudey وعند الموكشا nyudi) هو أكثر الآلات الموسيقية التقليدية شيوعًا، وكانوا يصنعونه من عودين مجوفين من أعواد القصب مثبتين ببعضهما بعضًا من حجم واحد وبأطوال متساوية أو مختلفة تتراوح ما بين ١٧ - ٢٠ سم ، وكانوا يستخدمون هذا المزمار فى السابق لعزف الألحان اليومية باختلاف أنواعها أو الألحان المصاحبة للرقص أو ألحان الرعاة.

وإحدى أكثر الآلات الموسيقية انتشارًا هو ما يسمى "الفام" أو "الأوفام" (Fam-ufam) عند الموكشا و "البوفاما" (puvama) عند الإرزيا، إنه فرمار - القربة ذو الشكلين المختلفين اللذين يتميزان عن بعضهما بعضًا بتميز المادة المصنوع منها المزمار واختلافها فضلاً عن اختلاف المادة التى يصنع منها خزان الصواء؛ ففى الشكل الأول من هذا المزمار يصنع خزان الصواء من جلد العجل بينما فى الشكل الثانى يصنع من مثانة الثور أو البقر أو الخنزير وأحيانًا حتى من مثانة بعض الحيوانات/القرابين. وفى السابق كان هذان الشكلان من المزمار أهم الآلات الموسيقية التى تستخدم فى عزف الموسيقى الدينية أو موسيقى الطقوس الخاصة والموسيقى التى تصاحب أغانى الطقوس الخاصة مثل: الكريسماس والزواج والأعياد الزراعية القديمة. وكانوا يعتقدون أن لجَرس المزمار مغزى خاصًا فى حمايتهم من جميع أشكال الأذى والأضرار فى حفلات الزواج، وقدرة على استعطاف الآلهة واسترضائها، وفى هذه الحالة كانت الألحان تعزف فى أجواء تطغى عليها طقوس السحر (Boyarkina, 1995: 461-463) .

وفى زمننا هذا يستخدم الموردف الهارمونيكا الروسية - وبدرجة أقل - الكمان لتصاحب عمليات الرقص والغناء بلغات الموكشا والإرزيا والروس .

ويجيد الموكشا والإرزيا الروسية مثلما يجيدون لغاتهما الوطنية. واللغة الروسية بالنسبة للموردف من الموكشا والإرزيا هى لغة التواصل فيما بينهما من ناحية، وبينهما وبين القوميات الأخرى وعلى رأسها الروسية من ناحية أخرى، أى لغة التواصل مع الثقافات الأخرى، بيد أن ثنائية اللغة هذه تحمل فى طياتها خطراً على التطور اللاحق للغات الموردفية - الموكشا والإرزيا.

إذ تتقلص بمرور الوقت أعداد الموردف ممَنْ يعتبرون أن لغات الموكشا والإرزيا هى لغاتهم الوطنية، وبموجب إحصاء ١٩٧٩ اعتبر ٩١٪ أن الموردفية هى لغتهم الوطنية فيما هبطت هذه النسبة عام ١٩٨٩ لتصبح ٥ . ٨٥٪، ولهذه الظاهرة أسباب عديدة، فاللغة الموردفية لا تستخدم فى المؤسسات التربوية والتعليمية لا قبل سن المدرسة ولا فى أثناء التعليم المدرسى، ولا تستخدم بين الشتات الموردفى. وفى سبعينيات القرن العشرين أصبح التعليم الروسى هو التعليم الرسمى فى المدارس الموردفية. والآن تُدرس اللغة الموردفية فى المدارس الثانوية كلغة اختيارية، أما أطفال الموردف الذين يعيشون خارج جمهورية الموردف فليست لديهم فرصة لتعلم لغتهم الوطنية، وفى الأحياء الموردفية التى تكتظ بغالبية من الموكشا تصدر ٢١ صحيفة ليس من بينها ولا واحدة بأى من اللغتين الموردفيتين.

وعلى الرغم من أن الموكشا والإرزيا قد تحولتا أخيراً (١٩٩٨) إلى لغتين رسميتين، فإنهما مازالتا غير مقبولتين فى التعامل فى كل ما هو كتابى رسمى فى المؤسسات الرسمية بالجمهورية أو فى أوساط رجال الأعمال أو الأحداث والخطب العامة فى المدن. ويخصص الراديو والتليفزيون المحلى بالجمهورية ١٥٪ فقط من وقته للبث باللغة الوطنية. ومثله مثل باقى شعوب روسيا، يسعى شعب الموردف لإحياء لغاته الأصلية وثقافاته وتاريخه وتطويرها، وفى القلب منها الميثولوجى التى مازالت إلى الآن لم تلق الاهتمام والدراسة العميقة المطلوبة.

المراجــع

Lit.: Balashov V. A., Luzgin A. S., Prokina T. P. Odezhda // Mordva. Istoriko-kulturnye ocherki. Saransk, 1995; by these same authors: Pishcha i domashnyaya utvar. Ibid.; Boyarkina L. B., Boyarkin N. I. Muzykalnoe iskusstvo. Ibid.; Barbaro I. Puteshestvie v Tanu. Barbaro i Kontarini o Rossii. L., 1971; Vavilin V. F. Poselenie i zhilishcha // Mordva. Istoriko-kulturnye ocherki. Saransk, 1995; Vikhlyayev V. I. Rasselenie mordovskih plemen v 1 tys. n.e. // Voprosy geografii Mordovskoi ASSR. M., 1974; Guryanov S. K. Samosoznanie mordovskogo naroda. Saransk, 1993; Evsevyev M. E. Izbrannye trudy. T. 5. Saransk, 1966; Yozhef R. Istoriya deneg. Budapest, 1968; Kokovtsev P. K. Evreisko-Hazarskaya perepiska v X v. L., 1932; Lepyokhin I. I. Dnevnye zapiski puteshestviya po raznym provintsiyam Rossiiskogo gosudarstva v 1769 gg. SPb., 1771; Mark K. Yu. Etnicheskaya antropologiya mordvy // Voprosy etnicheskoi istorii mordovskogo naroda. M., 1960; Mokshin N. F. Etnicheskaya istoriya mordvy. Saransk, 1977; Mokshin N. F. Mordovsky etnós. Saransk, 1989; Nadkin D. T. Narodonkon velmofteman kizefksonza // Moksha, 1992, No. 5–6; Peterburgsky I. M. Traditsionnye zanyatiya i orudiya selskohozyaistvennogo truda v proshlom i nastoyashchem // Mordva. Istoriko-kulturnye ocherki. Saransk, 1995; Puteshestviya v vostochnye strany Plano Karpini i Rubruka. M., 1911; Stepanov P. D. Drevnyaya istoriya mordvy-erzi (ocherk pervyi pismennye istochniki). Tr. MNIIYALIE. Vyp. 34. Saransk, 1968; Stepanov P. D. Drevnyaya istoriya mordvy-erzi (ocherk vtoroi arheologicheskii i etnograficheskie dannye). Tr. MNIIYALIE. Vyp. 39. Saransk, 1970; Ustno-poeticheskoe tvorchestvo mordovskogo naroda. T. 10. Legendy, predaniya, bylichki. Saransk, 1983; Feoktistov A. P. Ocherki po istorii formirovaniya mordovskih pismennyh literaturnyh yazykov. M., 1976; Tsygankin D. V. Unikalnoe dostoyanie chelovechestva // Mordovsky narod: chto nas volnuet. Saransk, 1991; Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952; Erzian mastor. Saransk, 1994–1996 gg.

خطوط عريضة حول تاريخ جمع مواد الميثولوجي الموردفي ودراستها

يعود تاريخ أول المصادر المدونة حول الميثولوجي الموردفى إلى القرن الثالث عشر، وتدور بشكل رئيسى حول المعتقدات الدينية، وتشير معظم هذه المدونات إلى أن الوثنية كانت البدايات الدينية المبكرة للموردف (Julian, P. Karpini, G. Ruybrieck) . ولقد أكد هذا المعنى بعض الرحالة المبشرين مثل: بربارو فى القرن الرابع عشر وباربيرينو فى القرن السادس عشر ودفريل فى القرن السابع عشر (I. Barbaro, Barberini, F. D'Avril) .

وسيجد الباحث قدراً كبيراً من المعلومات التفصيلية حول المعتقدات الدينية والميثولوجي الموردفى فى "Mordvinian Religious Beliefs and Mode of Life at the end of the 18 century" الذى وضعه العالم المتخصص فى مسح الأراضى ميلكوفيتش (K. Milkovitch, 1905) . وفى هذا العمل وللمرة الأولى يتم ذكر أهم الآلهة الحارسة للموردف (وإن يكن قد شاب هذا الرصد أخطاء فيما يتعلق ببعض الحقائق والمصطلحات)، والقرابين التى كانوا يقدمونها لهم والأعياد التى يحيونها احتفالاً بآلهتهم. ويذكر الكتاب، أيضاً، الأماكن التى كانت تقام فيها الطقوس السحرية الوثنية (وكانت تسمى "كيريميت") التى كانت تنقسم وفقًا لوظيفتها إلى رئيسى وثانوى، ويقدم الكتاب تفاصيل أكثر حول كهنة الطقوس السحرية الوثنية، وطقوس الدفن وتصورات الموردف عن العالم الآخر، أو ما وراء هذا العالم.

ويمكن للباحث أن يجد مادة غزيرة ومتنوعة، أيضاً، فى أعمال بابوف (١٨٣٤) وفوكس (١٨٣٩) وليوبولدوف (١٨٤٤) وبريميروف (١٨٧٠) ومارتينوف (١٨٦٥)

وتيرنوفسكى (١٨٦٧) وأرلوف (١٨٧٦) ويورتوف (١٨٧٧) عن طقوس التعبد السحرية والوثنية والممارسات السحرية بما فى ذلك تلك التى كان يلجأ إليها الناس؛ لحماية أنفسهم فى أثناء طقوس دفن الموتى والجنائز، واحتفالات إحياء ذكرى الموتى[٢٨] واحتفالات الزواج وغير ذلك.

ولقد جمع ليوبولدوف فى منطقة صاراتوف معلومات حول "اتصالات" الأحياء بالعالم الآخر (مثل إرسال التحيات إلى الموتى، وإرسال طرود الأكل إليهم عبر حفرة ممتدة من القبر إلى سطح الأرض، وحك العملات النقدية وهو طقس يرمز إلى إرسال النقود إلى الموتى). وتجدر الإشارة هنا إلى أن ليوبولدوف قد أورد بعض الحقائق التى لم تدعم مصداقيتها مراجع أخرى. وعلى سبيل المثال لا تورد أية مراجع أخرى ما أشار إليه حول طقوس عبادة سحرية جماعية كانت تقام فى شهر أغسطس وتسمى "كيريميد" أى "عيد الحلوى" (ومن الواضح أن لفظ كيريميد مشتق من كيير أى : يقطع الشىء - يقطع بضربات متتالية - يشق ويفرم - يجر ويسحب - يُحَوِل إلى عسل) والمقصود هنا العمليات المختلفة لتصنيع العسل الأبيض والعيد الذى يقام احتفالاً بذلك)[٢٩] ،

(٢٨) إحدى أشكال العبادات المبكرة لفين - أوجر هى عبادة موتى القبيلة، أما موتى الآخرين فكانوا شراً يتخلصون منه بطقوس خاصة عنيفة، ويقيمون الأعياد للموتى ويقدمون لهم القرابين (باعتبارها أنصبتهم من إنتاج القبيلة) وغير ذلك اعتقاداً منهم بضرورة هذا التواصل مع الموتى لحماية القبيلة واستمراراً لسعادتها، وكانت أعياد ومناسبات إحياء ذكرى الموتى كثيرة وعديدة ومختلفة وقد جعلوا أساطير عديدة من أساطيرهم تدور، أو يكون محورها الموتى. وسبقت عبادة الأسلاف عبادة الموتى، وتعد الأولى أقدم أشكال العبادات التى ظهرت عند فين - أوجر، وكانت نوعًا من أنواع المؤسسة العائلية حيث تتسم إقامة تواصل بين الأحياء والأسلاف (الموتى بالطبع) بأهمية اجتماعية بالغة، ويُنظر إليهم باعتبارهم حكماء العائلة ووعاظها . (المترجمة)

(٢٩) يعرف الموردف تاريخيًا بأنهم شعب زراعى، وبلد ينتشر فيه الغابات على نطاق واسع، ولقد تميزوا بشكل خاص بتربية النحل وصناعة العسل الأبيض، حتى أضحت ولا تزال واحدة من أهم ملامح الاقتصاد الريفى، وليس غريبًا إذن أن يكرسوا عيداً للاحتفال بـ "العسل الأبيض" أو الحلوى . (المترجمة)

ويمكن افتراض أن لفظ " كيريميت "– مكان أداء الطقوس السحرية الوثنية – هو تحوير لـ "كيريميد"؛ أى : عيد الحلوى.

وفى مؤلفه "الموردڤ الموكشا" يزودنا أورلوف بمواد غنية ومتميزة للغاية حول أساطير العبادات المختلفة، فيما يصف مترابولسكى فى مؤلفه "الموردڤ" (١٨٧٦) الإدراك الميثولوچى للعالم عند الموردڤ بمقاطعة طامبوف (كعبادة الشمس والقمر والفجر)، والاعتقاد بوجود الروح الشرير والأشباح، التى غالبًا ما تُقتَل – فى اعتقاد الموردڤ – بضربات الصواعق التى ترسى الحق والعدل المطلقين. ويناقض هذا ما جاء بالديانة الأرثوذوكسية حول الروح الشرير والروح الطيب؛ حيث يتقيأ الروح الشرير الرئيسى – الذى يتخذ شكل أفعى سوداء – اللهب.

وقد كان للعالم ميلنيكوف – بتشرسكى إسهامات ضخمة فى دراسة الميثولوچى الموردڤى فى مؤلفاته : "الموردڤ – المعتقدات الدينية والعادات والحياة اليومية فى نيچنى نوفجورود" (١٨٨٧) و "موضوعات موردڤية"(١٩٠٩) وغيرهما. ويسعى هذا العالم فى أبحاثه لإعادة بناء المنظومة المعقدة لرؤى الموردڤ ما قبل المسيحية والتى تشكلت وتطورت عبر قرون طويلة، ويدحض ميلنيكوف – بتشرسكى فى أعماله الفكرة القائلة: إن الموردڤ كانوا وثنيين، ويؤكد فى الوقت نفسه على تشابه المعتقدات والشعائر والطقوس الدينية قبل المسيحية لدى كل من الموردڤ والروس.

ويزعم بعض الباحثين مثل: سميرنوف ويفسيفيف وهارفا أن كل منظومة الميثولوچى الموردڤى التى أوردها ميلنيكوف – بتشرسكى (بما فى ذلك الإلهة أنجى/باتيا Ange Patyay التى اكتشفت فى نيچنى نوفجورود) ما هى إلا وهم زائف اخترعه خيال ميلنيكوف – بتشرسكى، والمواد المتوفرة لا تشير إلى مصداقيتها. بيد أن الإلهة أنجى/باتيا لها بالفعل وجود كما تشير المواد المتوفرة فى مصادر عديدة أخرى والتى تؤكد بالتالى صحة ما قاله ميلنيكوف – بتشرسكى. ومازالت أيضًا ذاكرة الموردڤ من الإرزيا والموكشا فى منطقة كوفيلكينو (بجمهورية موردڤا) تصون ذكرى

الإلهة أنجى/باتيا باعتبارها إلهة الخصب وراعية المرأة فى أثناء الولادة وراعية الأطفال حديثى الولادة.

ومن بين المواد والأدبيات المتوفرة الجديدة بالاهتمام كتاب "Les restes de la mythologie Mordovine" للعالم مينوف (W.Mainof) (1889) ؛ حيث قام المؤلف باستخلاص تعميمات لما ورد فى الكتب السابقة عليه فى هذا الصدد، وقدم ملاحظاته الخاصة حول المعتقدات والطقوس الدينية السحرية للموردف. وينطوى هذا العمل على أهمية بالغة فى عملية التحليل المقارن، فضلاً عن أهمية آرائه فيما يتعلق بتأثير الميثولوچى الموردفى على الميثولوجى الروسى.

وفى كتاب يضم مجموعة مقالات مختارة باسم : (Picturesque Album : Peoples of Rusia-1880) نجد مواد غزيرة شيقة حول الطقوس والمعتقدات الدينية للموردف (بما فى ذلك عادات الزواج والدفن والطقوس المتبعة عند ولادة الأطفال). وتشير أحد الأبحاث مجهولة المؤلف فى هذه المجموعة إلى الثنائية الدينية للموردف، أى الاعتراف بأساسين متناقضين يحكمان العالم : الخير والشر، وبناء عليه انقسام كل الآلهة إلى معسكرين من الأرواح[٣٠] . فيما يتناول بحث آخر تصورات الموردف عن كسوف الشمس (باعتباره عملاً من أعمال الروح الشريرة) و "سقوط" النجوم والطرائق السحرية لعلاج الأمراض، والتعاويذ والسحر والخرافات والمعتقدات والطقوس الشعبية.

---

(٣٠) منظومة الأرواح فى ميثولوجى فين – أوجر: فى العادة لا تظهر الآلهة الكبرى عند فين – أوجر إلا فى ارتباط بطقوس أو أحداث محددة، إنها بعيدة غير مرئية. ولكن يختلف الوضع بمساعدة "الأرواح الحارسة". إنها كائنات فوق – طبيعية تظهر ظهوراً محدداً للناس الذين يسمعون أصواتها. وتظهر هذه الأرواح خصيصاً عندما يحدث أن يجرى إخلال أو خرق للمعايير الاجتماعية. وتتسم هذه الأرواح (ومعها أيضاً أرواح الموتى) عند الموردف بأهمية بالغة كقوى منظمة للسلوك والحياة اليومية. وهذه الآلهة كثيرة للغاية منها إلهة الغابات والماء وإلهة النار وإلهة الريح إلخ. وتتضح منظومة القيم الاجتماعية عبر منظومة الأرواح أو الآلهة الحارسة"، فروح المنزل تحمى المنزل وروح الماشية ترعى الماشية فى أثناء الشتاء وسوء الطقس وهلم جرا . (المترجمة)

ويُعد كتاب سميرنوف أى . ن "الموردڤ" (١٨٩٥) مرحلة وسيطة بين التحليل الوصفى والتحليل النظرى للميثولوجى الموردقى، وقدم فيه سميرنوف استنتاجات بالغة الأهمية حول المعتقدات الدينية للموردڤ قبل تحولهم إلى المسيحية. وبإعمال البحث العلمى للمادة الميدانية التى جمعها، توصل سميرنوف إلى أن الأرواح الحارسة فى منظومة الميثولوجى الموردقى تنقسم إلى مجموعتين اثنتين : الأرواح المنزلية التى تنصهر أو تتجسد فى أرواح الموتى، والأرواح التى تجسد الظواهر الطبيعية. ولقد أوضح هذا العالم أيضًا تنوع عناصر تشكل الكلمة فى اللغات الموردقية، ملقيًا الضوء بشكل خاص على النهايات التى تحدد جنس الاسم والدلالات الميثولوجية لذلك. وأشار فى هذا الصدد إلى الانتشار الواسع النطاق فى لغة الموكشال "ava" (الأم – المرأة) و "atya" (الرجل العجوز – الرجل) و "azorava" (ست البيت)، أما فى لغة الإرزيا فتنتشر "Paz" (أى الإله) على سبيل المثال. ووصف سميرنوف أيضًا طبيعة الأشكال المختلفة لطقوس العبادات وسماتها الرئيسية.

وبحث هذا العالم، على نحو تفصيلى، الطبيعة الخاصة المميزة للمعتقدات الدينية للموردڤ فى خضم عملية تطورهم، مؤكدًا أن رؤى الموردڤ فى هذا الصدد تطورت من أبسط الأفكار عن العالم الذى يتشكل من المادة الحية إلى تصورات وأفكار أكثر تحديدًا عن الآلهة فى أشكالها الميثولوجية.

وحول طقوس التعبد السحرية (التى كانت أعيادًا دينية فى الوقت نفسه) يميز سميرنوف أربعة عناصر: موضوع العبادة والوسطاء بين الناس والآلهة والمكان المحدد لأداء هذه الطقوس وأخيرًا الطقوس المحددة. ويقدم سميرنوف وصفًا وتفسيرًا تفصيليين لكل عنصر من هذه العناصر، ويحدد الملامح المشتركة فى تطور المعتقدات

الدينيـة لدى كل من الموردف والمـارى[٣١] . ويعـتـقد سـمـيـرنوف أن الموردف قد تأثروا بجيرانهم الإيرانيين والسيسيان[٣٢] ، الأمر الذى يمكن اقتفاء أثره، على سبيل المثال، من أصول كلمـات مثل "azoro" و "azor" الموردفيتين (أى : المضيف - السيد - المـالك) التى يمكن افــتــراض أن أصـلهـــا يعــود إلى كلمـــة "ahura" البـهلوية (Zend)[٣٣] (بمعنـى المـالك) وكلمـــة "aura" الفارسية (بمعنى المـالك).

وقدم العـالم الفنلندى باسـونن (Paasonen. H) خـدمات جليلة للعلم، فـقـد جـمـع مواد ميثولوجيـــة غنيــة فى أثنـــاء الرحـــلات التى قـام بها للقـرى الموردفيـة (١٨٩٠ - ١٨٩٩ و ١٨٩٨ - ١٩٠١) فضـلاً عما جمعه من أفواه الرواة من الموردف. ونشر جزءاً من هـذه المعلومـات فى كـتـاب بعنوان : Mordwinische Volksdichtung تضـمن فنون الفلكلور المختلفة مثل : الأغانى والحواديت وأعمـال السـحر والتعاويذ والندب والرثاء وغير ذلك. وتدور هذه الأغانى الميثولوجية حول أعمال كبار الآلهة الحارسة ووظائفهم، ويحلل باســونن فى مـؤلفــه "Mythologisches, Etymologisches" (١٩١٤) الأصــول التاريخية لأسماء الآلهة عند الموردف.

ويخصص ماركيلوف عدة أبحاث علمية نشرت بعنوان : "المعتقدات الدينية لشعوب الاتحاد السوفيتى" (١٩٣١) لدراسة عبادات الأسـلاف والطقوس والشـعائر والأطعمة

---

(٣١) Mari : ينتمى الموردف إلى ما يسمى فنلنديو الفولجا الذين ينقسمون بدورهم إلى (١) الموردف (أى الموكشا والإرزيا) الذين يعيشون فى المناطق الوسطى لنهر الفولجا، (٢) التشيريميس أو المـارى (Cheremis-Mari) الذين استوطنوا المناطق الواقعة بالقرب من تقاطع نهرى الفولجا والكاما . (المترجمة)

(٣٢) Scythian اسم أطلقته روما القديمة فى القرن الثامن قبل الميلاد على عدد من قبائل جنوب شرق أوروبا وآسيا، والتى تضم فيما تضم الآن موردفا وأوكرايينا وغرب روسيا. ويعتقـد أن هـذه القبائل هاجرت إلى هذه المناطق من جبال الألطاى على الحدود الصينية فى القرن الثامن قبل الميلاد. وكانت لغاتهم ضرباً من الإيرانية . (المترجمة)

(٣٣) Zend : شرح الكتاب المقدس للزارادشتية وتفسيره لغة البهلوية - لغة الفرس الساسانيين. والمقصود هنا اللغة البهلوية . (المترجمة)

التى تقدم فى الجنائز، فضـلاً عن البدايات الأولى للمعتقـدات الدينية بما فى ذلك أعمال السحر والشعوذة المعهودة، ليس فقط عند الموردف بل أيضًا لدى شعوب فين – أوجر الأخرى.

وفى كتابه "Public praying and other religious rituals of the Mordvinians in the Penza province" (١٩١٤) قدم يفسيفيف م. ى (M.E Evsevyev) وصفًا تفصيليًا للشعائر والطقوس الوثنية وأعمال تقديم القرابين والأضحيات التى أُقيمت عام ١٩١٠ فى مقاطعات إقليم بنز (ناروفتشاتسك وجاراديشنسك وكراسناسلابودسك وإنسار). وكان يفسيفيف أول من وصف على نحو مفصل ومستفيض حفلات الزفاف الموردفية (١٨٩٣) التى تعود بعض طقوسها إلى الأساطير الموردفية.

وأوضح ماسكاييف (A. I. Maskayev) على نحو رائع فى بحثه "Mordvinian Folk fairy-tale" علاقة الفلكلور بالأساطير. ويقارن المؤلف فى عمله هذا – مقتفيًا أثر بروب (V.Ya.Propp) ومتبنيًا منهج دراسات الفلكلور البنيوى – بين مختلف العناصر والأفكار والموضوعات المميزة للحكايات الشعبية عن "الجن" من ناحية والأساطير من ناحية أخرى. ومن الحكايات التى تعود أصولها إلى الميثولوجى حكاية زواج الحيوان – الطوطم(٣٤) من امرأة موردفية، ذلك الزواج الذى تمخض عن ولادة كائن نصفه إنسان ونصفه دب، وله عادات الحيوانات المتوحشة وقوتها. ويُميز المؤلف الحكاية السحرية

(٣٤) زواج الحيوان الطوطم : يدخل الحيوان/الطوطم فى منظومة الحيوانات المقدسة عند الموردف ، ومن أشهر أساطير فين – أوجر تلك الأسطورة التى تروى زواج الدب (الحيوان الطوطم) من واحدة من بنات البشر . وفى مناطق الصيد لشعوب فين – أوجر تعد الطقوس المتعلقة بالدب مركزية وبالغة الأهمية . وتشير الأساطير فى هذا الصدد إلى أن الدب من أصل سماوى ، وأنه ابن إله السماء نزل من السماء إلى الأرض ثم عاد إليها بعد وفاته . وفى بعض الأساطير حول الدب تتجنب النساء الدب خشية الحمل منه . وسوف تتكرر الإشارة إلى هذه الأسطورة وإلى مركزية الطقوس المرتبطة بالدب وأهميتها فى أكثر من موضع فى الجزء الموسوعى من الكتاب . (المترجمة)

الخيالية باحتوائها على شخصيات خارقة وأشياء تتحدث وتتحرك وصور أسطورية وأحداث مختلفة تتميز بالطبيعة السحرية (مثل تشييد جبل باستخدام قضيب خشبى أو تدمير المدن والمبانى بمساعدة السحر والحركات والأشياء السحرية). ويشير المؤلف إلى أنه فى مثل هذا النوع من الحواديت من الصعب التمييز بين الحكاية والأسطورة .

ويعدد ماسكاييف فى كتابه الحكايات الشعبية الرائجة حول إلهة الغابات فيريافا (Viryava) وحول الأطفال الذين وقعوا تحت رحمة الشريرة بابايجا (Baba-Yaga)(٣٥) والذين أُنقذوا من شرها بفضل سرعة بديهتهم، أو صراع الشباب البواسل (الذين عادة ما تكون ولادتهم مصحوبة بمعجزات) ضد الأفعى وغير ذلك. ويرى ماسكاييف أن نهايات حكايات الجن السحرية دائمًا سعيدة، والمحن والصعوبات التى يلقاها البطل يمكن مقارنتها بتلك التى يعانيها الشاب عند إقدامه على الزواج أو المعاناة التى يمر بها كما تصورها الأساطير - لقبوله عضوًا فى عشيرته أو مجتمعه .

وقدم ماسكاييف عملاً آخر لا يقل أهمية فى دراسة الميثولوجى الموردفى بعنوان : (Mordvinian epic folk song) يحدد فيه الملامح الخاصة المميزة للأغنية الملحمية الشعبية قائلاً : إنها أشكال قديمة تم صيانتها كمنظومة متطورة للتصورات والرؤى الميثولوجية حول الطبيعة والمجتمع. ويقدم الكتاب تحليلاً متماسكًا وعميقًا للأغانى

(٣٥) بابايًجا : عند الروس هى "أمنا الغولة" عند المصريين . وبابايًجا (تقرأ الياء هنا مثلما تقرأ الياء الأولى فى كلمة "ييجى" بالعامية المصرية (بمعنى يأتى) فى الحواديت الروسية ساحرة تستخدم كل فنون السحر لتصل إلى مآربها ، شمطاء عجوز منفوشة الشعر مهلهلة الثياب يخلو فمها من الأسنان تمسك دائمًا بيدها مقشة طويلة الذراع تمتطيها لتطير بها أينما شاءت. تسكن كوخًا متداعٍ ينتصب بالكاد على قمة شجرة . ويدخل الأطفال فى هذه الأساطير طرفًا فى الصراع ضد هذه الشريرة وسحرها وشرها ويعملون خيالهم فى كيفية الانتصار عليها ، ويحدث أن ينتصروا عليها بالفعل . ويسميها الروس Baba-Yaga فيما يسميها الموردف Yaga Baba ، و Baba تعنى بالروسية امرأة ، وتطلق على المرأة العجوز أو الجدة ، أو حين يراد الاستهانة بامرأة كقول المصريين بالعاملية (الولية أو المرة) ، وYaga اسم علم . (المترجمة)

الفلكلورية، التى لها ملامح عديدة مشتركة مع حواديت وحكايات الجن السحرية الخيالية ومع الأساطير القديمة حول صراع الناس ضد الكائنات الأسطورية (صراع الإنسان ضد الغول وضد الطوطم).

وتتمثل الحدوتة الأسطورية فى الأغانى التى تدور حول كفاح الإنسان فى مواجهة الموت (ويعد هذا الموضوع قاسمًا مشتركًا بين الشعوب الفنلندية) وحول أطفال المعجزات واختطاف العريس القادم من السماء لعروسه الدنيوية والشجرة – المغنية التى نمت فوق قبر الرجل المقتول والمحن التى يمر بها المرء عند إقدامه على الزواج. ويرى ماسكاييف أنها تجسد جانبًا من الرؤى والتصورات الاجتماعية المبكرة التى سادت حين لم يكن قد تبلور نهائيًا بعد ، ومن ثم تناقض ، مفهومى "العائلة" و "العشيرة" (المقصود كمؤسسات اجتماعية / المترجمة) ، وحين لم تكن قد تبلورت بعد حدود صارمة فاصلة بين "المعبود السلف" من ناحية ، و "الشخصية الميثولوجية" من ناحية أخرى.

ويعود فضل المحاولة الأولى لإعادة إضفاء تفسير عقلانى للميثولوجى الموردفى إلى العالم الفنلندى هارفا (U. Harva) فى كتابه : "Die religiosen der Mordwinen" (١٩٥٢). وبناء على المصادر المتوفرة للقرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بما فى ذلك مخطوطات الرواة الموردف، شيد هارفا بناء هرميًا متناسقًا لآلهة الموردف، وأوضح منظومة العلاقات المتبادلة بينهم، ووضع أسس رؤيته الخاصة حول الميثولوجى الموردفى. ومتتبعًا خطى باسونين، أكد هارفا أن فكرة الخلق غريبة على الموردف وبالتالى فالأساطير التى تدور حول هذه الفكرة لا يمكن أن تعود إلى أزمنة مبكرة . ويتوصل هارفا إلى أن أهم ما يميز المنظومة الميثولوجية للموردف هو مبدأ ثنائية

الآلهة (أى انقسامهم إلى : ذكور وإناث). ويشدد المؤلف على المكانة الخاصة فى الميثولوجى الموردفى للآلهة الدنيوية وعلى أنهم فى بعض الأحيان كانوا أعلى مكانة من الآلهة السماوية الأمر الذى يؤكده الظهور المبكر لهذه الآلهة نسبة لظهور الآلهة السماوية، وأولى هارفا اهتمامًا كبيرًا لوصف طقوس الدفن والأعياد والمناسبات الجنائزية واحتفالات إحياء ذكرى الموتى.

وقد نُشرت المعلومات والحقائق المتعلقة بالآلهة الحارسة الوثنية والتى جمعها موكشين (N. F. Mokshin) فى أثناء زياراته للقرى الموردفية فى كتابه : "Mordvinian religious beliefs" (١٩٦٨) ، ولقد أثرى موكشين المراجع الأساسية المهمة لهارفا ويفسيفيف مضيفًا إليها مزيدًا من المعلومات والحقائق.

ويتناول سامارودف (K. T. Samorodov) فى بحث علمى بعنوان : "الشعر الطقسى الموردفى" (١٩٨٠) ظهور الموضوعات والأفكار الميثولوچية فى فنون الشعر الطقسى ويكشف عن التصورات والرؤى القديمة للناس وعن الطبيعة وسعيهم وتطلعهم للسيطرة عليها بمساعدة السحر، وإيمانهم بالآلهة الأسطورية المختلفة. ويقرر المؤلف أن الشعر الطقسى الموردفى (وبشكل خاص الأغانى) ظل فى جوهره وثنى مع مسحة بسيطة من الثقافة المسيحية لا تؤثر على هذا الجوهر، وأنه لم يحدث اندماج كامل بين الأعياد المسيحية والوثنية قط، على الرغم من الازدواجية ذات الطبيعة الخاصة التى عرفها تاريخ تطور الأديان عند الموردف. ووفقًا لاستنتاجات سامارودف اقتصر الأمر على استعارة الأسماء فقط من طقوس الكنيسة المسيحية وأعيادها، وبالتالى تغيير تتابع الطقوس الزراعية.

وفيما يتعلق بإعادة بناء الرؤى الميثولوجية الموردفية تتسم بأهمية بالغة المادة التى تم جمعها عن الفلكلور الموردفى باسم : "فنون الشعر الشفاهى للشعب الموردفى" "Oral Poetry of the Mordvinian People" التى نشرت تباعًا منذ عام ١٩٦٣ (صدر منها حتى الآن ١١ مجلدًا فى ١٧ كتابًا)، وتقدم هذه المجموعة تقريبًا كل الأنواع الأدبية (الأساطير والأغانى والأعمال التى تدور عن السحر والسحرة وغير ذلك) والتى يعود أصل بعضها إلى الميثولوجى الموردفى.

التصورات التقليدية للموردڤ عن العالم
ونمط تفكيرهم

لعل إحدى أهم منظومات الميثولوجي تلك المنظومة التقليدية للرؤى والتصورات الميثولوجية عن العالم التى يُعبِّر الناس وفقها عن رؤاهم حول تكوين العالم وبنيته، إنها اللبنة الأولى التى تقوم على دعائمها الرؤى الدينية والتصورات الخاصة بماضى العالم ومستقبله واتجاهات تطوره ومكانة الإنسان فيه، وتنعكس الرؤى الميثولوجية للعالم (صورة العالم) ليس فقط فى الأساطير التى تدور حول نشأة الكون، ولكن أيضًا فى الطقوس والشعائر المختلفة (المرتبطة بالزواج والدفن والولادة) فضلاً عن الصلوات الجماعية والقرابين والمعتقدات الشعبية والخرافات ونذر النحس أو الشؤم واللغة وعبقريتها الخاصة وعباراتها الاصطلاحية وأسماء الأشياء وظواهر الطبيعة (Napolshikh, 1991: 16) .

وتعود مصادر معارفنا عن الميثولوجى الموردڤى (للموكشا والإرزيا) إلى عصر الجماعة المعروفة باسم فين – أوجر (فى الألفية الثانية والثالثة قبل الميلاد). بيد أن المواد التى تدور حول الفلكلور والإثنوجرافى[٣٦] والتى يمكن الاعتماد عليها كأساس لعملية إعادة بناء الميثولوجى الموردڤى شحيحة للغاية ومجتزأة بل ويناقض بعضها بعضًا أحيانًا، الأمر المرتبط فى المقام الأول ببعد الفترة الزمنية وبالتالى فقدان الكثير منها، فضلاً عن تشكل مجموعتين عرقيتين مختلفتين من قلب الشعب الموردڤى.

(٣٦) الإثنوجرافى (Ethnography) : فرع من فروع الأنثروبولجى Anthropology يعنى بالوصف العلمى ثقافات الشعوب . (المترجمة)

ولعل أحد أهم أسباب هذه الظاهرة أيضًا تأثيرات ميثولوجي الشعوب الأخرى - كالإيرانيين والأتراك والسلاف والبلطيق وفى المراحل المتأخرة الإسلام ومن بعده المسيحية - على الميثولوجي الموردقي (Petrukhin, Khelimsky, 1994: 563) وإبان التحول إلى المسيحية أخذ توحد الديني بالسحري ، الذى ساد فى عهود الوثنية ، فى التحلل . وتعود هذه الظاهرة إلى التأثيرات المتناقضة لمنظومتين : واحدة دينية والأخرى ميثولوجية (الأرثوذوكسية والوثنية) على الميثولوجي الموردقي.

وتصورات الموردف القدماء عن العالم والكون تشبه فى العديد من الأوجه تصورات معظم الشعوب الهند - أوروبية والسيبيرية. وبشكل عام لا يمكن القول بوجود وحدة موردقية تجمع ميثولوجي الموكشا وميثولوجي الإرزيا على الرغم من تشابه الموضوعات (Maskaev, 1964 : 131) ، ويبدو هذا الأمر واضحًا فى تمايز ثقافتيهما المادية والروحية فضلاً عن اللغتين المختلفتين. ولوحظت مجموعة من التباينات أيضًا بين أساطير المجموعات العرقية الموردقية الأخرى مثل: الشوكشا والتيريوخان والكاراتاى ميزتهم إلى حد بعيد عن بعضهم بعضًا على صعيد: اللغة والعادات والملابس وغيرها من السمات الخاصة بكل مجموعة. وعلى سبيل المثال فالإله الأعلى Demiurge (خالق الكون المادى/المترجمة) فى الأساطير الشعبية للإرزيا هو تشيباز (Chipaz) (إله الشمس) بينما عند الموكشا هو شكاى أو شكابافاز (Shkay-Shkabavaz) (إله الزمن والشمس)، وعند الإرزيا أصبح الإله الأعلى فى أزمنة لاحقة نيشكينباز (Nyshkinpaz) ابن تشيباز، وهو بطل أسطورى عَلَّم الإنسان العمل (وتصور الأغانى الأسطورية نيشكينياز جالسًا على شجرة بلوط موزعًا السعادة على البشر ومتحكمًا فى مصير الإنسان). وعند التيريوخان كانت أنجى - باتيا (التى جاء ذكرها عند سميرنوف بشكل يشكك فى وجودها) أم الآلهة، وتم التأكد مؤخرًا من وجود أنجى - باتيا عند الموكشا أيضًا وذلك فى منطقة كافيلكينسك بجمهورية موردڤا.

وبشكل عام فالأساطير الموردقية التى تدور حول أصل العالم والكون شحيحة للغاية كما سبق وذكرنا، ويبدو أن هذا يرتبط أيضًا بأن التصورات الأولى للموردف حول

خلق العالم كانت بدائية غير متطورة (انظر Harva, 1952: 144) (كالقول بأن العالم خلق نفسه بنفسه). ويؤكد ميترابولسكى (Mitropolsky, 1876: 18) أن الأساس الأول الذى يحمل التصورات الجنينية الأولى للموردف عن أصل العالم تشير إليه إحدى أساطير الإرزيا التى تتحدث عن محيط عظيم (الماء العظيم - الماء المهول - الماء الأول) تسبح فيه ثلاث سمكات، وأن هذه الفكرة تحمل فى طياتها - وفقًا لميترابولسكى - التصورات الجنينية الجوهرية الأولى حول تشكل العالم عند الإرزيا (أى أن الماء عند الإرزيا هو أصل العالم/المترجمة).

بيد أن أصل الكون ونشأته عند الموردف ترتبط عادة بأصل الأرض ونشأتها (Mastor, M-E) باعتبار هذه النشأة والأصل من خلق نظام محدد. وبتأثير المسيحية بدأت تتبلور لديهم الأفكار حول الإله الأعلى. وتصورات الموردف عن العالم ونشأته وتكونه ملتبسة وتدور حولها شكوك كثيرة، فتارة يرون أنه قد شارك فى خلق العالم ليس فقط "شكاى" و"تشيباز" بل وأيضًا "شيياتان" أو "إيديميفز" - الروح الشريرة. والحكاية الأقدم حول الخلق (مقارنة بحكايات فنلنديى الفولجا الآخرين والتى لا تنتمى إلى التقاليد المسيحية الشائعة أو إلى تقاليد البوجوميلز)[٣٧] هى الأسطورة التى تدور حول الإله الأعلى وهو يغوص فى أعماق محيط متخذًا هيئة بطة، ساعيًا وراء قطعة من الأرض، تلك القطعة التى تناولها ثم أطلقها من فمه وخلق على هذا النحو الأرض. وقلد الشيطان بعد ذلك ما فعله الإله فخلق الجبال.

(٣٧) Bogomils طائفة دينية ظهرت فى القرن العاشر بعد الميلاد فى البلقان واتخذت بلغاريا مركزًا رئيسيًا لها بينما انتشرت بين الشعوب السلافية، ولقد سعت هذه الطائفة إلى دمج الثنائية الدينية الشرقية مع الرؤية الإنجيلية لإصلاح الكنسية الأرثوذكسية البلغارية، وتسمى الطائفة بوجوميلز نسبة إلى واضع هذه العقيدة الكاهن بوجوميل. ويعتقد البوجوميلز أن الابن الأول للإله هو الشيطان وأنه ثار وخلق - فى معارضة للكون الروحى الأول - عالمًا ماديًا وكائنات بشرية، ومن ثم منح الإله الأعلى الكائنات البشرية روحًا حية. بيد أن هذه الروح تظل أسيرة فى قبضة الشيطان حتى ينزل الابن الثانى للإله (اللوجس أو المسيح) من السماء ويقضى على قوة الروح الشريرة، وتقبل هذه العقيدة كل ما جاء فى العهد الجديد وبعض ما جاء فى العهد القديم. وفى عام ١١١٨ أعدم إمبراطور بيزنطة قائد هذه الطائفة، بيد أن تأثيرهم كان قد انتشر وظهر لهم أنصار فى كل من فرنسا وإيطاليا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر . (المترجمة)

وتبدو البصمات الواضحة للتأثير المسيحى (إخفاء قطعة من الأرض)[٣٨] على أساطير الموكشا فى أسطورة تتحدث عن الإله الأعلى (فياردى شكاى) الذى يسبح فى قارب، يأمر الشيطان بالتحول إلى بطة ذهبية العينين وبالغوص فى قاع المحيط ليأتى بالرمال. بيد أن الشيطان لا يرغب فى الإذعان لشروط فياردى شكاى بالغوص فى قاع المحيط ليأتى بالرمال إلا فى المرة الثالثة. وهكذا فعملية خلق العالم تجرى فى خضم صراع الإله مع الشيطان فى أكثر من حالة على مر الزمن : ففى البداية يأتى الشيطان من قاع المحيط بـ "مادة البناء" مخفيًا إياها فى فمه، ومن ثم يبصقها فتتشكل السهول، ثم يخلق كل ما هو غير مستوٍ على الأرض (الحفر والوديان والجبال).

وفى أسطورة الإرزيا حول الموضوع نفسه نرى تشيباز "الإله الأعلى" يبحر على ظهر صخرة فى البحر/المحيط ويخلق الشيطان ببصاقه وبضربة من عصاه، ويأمره بالغوص ليأتى بالرمال، والرمال التى ينثرها تشيباز فى كل اتجاه تنمو وتتضخم وتتحول إلى أرض (Melnikov, 1981 : 45-47) وفى أسطورة أخرى (ليس من الواضح ما إذا كانت تعود للموكشا أو الإرزيا) نرى الإله يجبر الروح الشريرة - التى تتخذ شكل بطة تسبح على سطح الماء - على الإتيان بقطعة أرض من قاع الماء العظيم (Mitropolsky, 1876: 19) .

وفى تصورات الموردف القدماء، وفين - أوجر إجمالاً، عن تشكل العالم يحتل الطائر السابح فى الماء الأول مكانة خاصة، وتعود هذه الصورة إلى أزمنة بعيدة، الأمر الذى تؤكده معطيات الآرخيولوجى المتوفرة (مثل الدلايات البرونزية فى شكل "بط" والأدوات المنزلية على شكل طائر وغير ذلك).

والأقل انتشارًا من الأولى هى أسطورة خلق العالم على يد "إنى نارمون" (الطائر العظيم - طائر العالم)، حيث يضع الطائر العظيم البيضة العظيمة

---

(٣٨) أغلب الظن أن المقصود هو الأسطورة المشار إليها سابقًا التى تروى أن الشيطان قد أخفى عن الإله قطعة من الأرض جلبها بأمر الإله من قاع البحر العظيم، فعاقبه الإله على خداعه هذا بأن جعل من وجنتيه جبالاً وتلالاً وكل ما هو غير مستوٍ على سطح الأرض . (المترجمة)

(إنى آل (عند الموكشا والإرزيا) – أوتسيو آل (عند الموكشا)) ومنها يظهر العالم : تظهر الأرض المستديرة من قلب البيضة، ومن قشرها يظهر كل ما هو صلب فوق الأرض (السماوات) وتحتها (العالم السفلى). وفى أساطير خلق العالم نرى صورة شجرة الحياة التى ينام تحتها (ولاحقًا فوقها) بعد أن خلق الأرض "تشيباز" خالق الكون عند الإرزيا مرتين ويستمر نومه كل مرة ثلاثين عامًا، وبينما هو نائم تنمو الشجرة وترتفع عاليًا لتخفى الشمس بفروعها، وتمتد جذورها فى أعماق الأرض لتصل إلى جوفها الرطب، فتملأ المياه الوديان والوهاد التى خلقها الشيطان على سطح الأرض، وفى المكان الذى نام فيه الإله يتشكل منخفض عميق أصبح لاحقًا مجرى نهر السورا (Mainof, 1889 : 109 - 110) .

وينقسم العالم فى الميثولوجى الموردقى، مثله فى ذلك مثل ميثولوجى شعوب فين – أوجر، إلى عوالم رئيسية ثلاثة : العالم العلوى/ السماء (Menel, M., - E.) والعالم الأوسط/الأرض (Moda, M.,-E.) التى تحيطها مياه المحيط، والعالم السفلى التحت – أرضى، عالم البرد والظلام. وتجسد "كيلى" (Kelu) (شجرة البتولا) العلاقات المتبادلة بين العوالم الثلاثة. وفى بعض مواطن الإرزيا كان الناس يعتقدون أن تنظيم العالم كله يماثل خلية النحل ذات الأقسام الأربعة : العلوى والسفلى واثنان مركزيان، ويقطن الناس أحد هذه العوالم، ويقطن عالم آخر منهم كل ما يمكن تصوره من الكائنات الحية. وتقع كل نحلة تحت حماية الإله الذى، مثله مثل "ملكة النحل"، يتسيد الدنيا. والراعى السماوى لخلايا النحل هو "إينيشكيباز" (أو نيشكيباز) الذى يخلق النجوم، التى يعتقد الإرزيا أنها أرواح السعداء من الناس الذين يعيشون فى منازل براقة، تنيرها أشعة الشمس. ويتصور الموردف إينيشكيباز كالإنسان يربى النحل وتدور حوله أرواح النحل. أما مقام الإله فهو "الدب الأكبر" أو برج فيستا (الأرجح أن المقصود برج الميزان / المؤلفة)[٣٩] (Mainof, 1889: 109 .

---

(٣٩) الدب الأكبر (فلك) Great Bear (عند اليونان القديمة) و Ursa Major (عند الرومان)، و Plow (فى أوروبا) والاسم الشائع هو Big Dipper : كوكبة من ٧ نجوم فى نصف الكرة الشمالى بالقرب من القطب الشمالى. و Vesta هى ربة نار الموقد وأهل البيت عند الرومان، و Vesta نجم يدور حول الشمس بين مارس وجوبيتر، و Libra برج الميزان . (المترجمة)

ووفقًا لتصور الموردف للعالم ، فإن كل الأحياء، سواء كانوا على الأرض أو فى الماء أو الهواء، قد ظهروا جميعًا مع ظهور الأرض. أما تصور أن الأرض كانت فى البداية صغيرة الحجم فيعود إلى زمن بعيد جداً (Harva, 1952 : 140) . وتشير بعض حكايات الموردف إلى أن الأرض مسطحة تتخذ شكل مغرفة أو كأس ملتوى الأطراف، أو تتخذ شكلاً هندسيًا، ووفق روايات أخرى فالأرض مستديرة تغسلها مياه المحيط العظيم، أو رباعية الشكل تنتصب فى كل ركن من أركانها الأربعة سارية فضية. وفى أساطير أخرى، تصور الموردف أن فى كل ركن من أركان الأرض الأربعة يوجد برميل، و "فارمافا" إلهة الريح تتناوب الجلوس فى هذه البراميل، وأن اتجاه الريح يعتمد على موضع البرميل الذى تجلس فيه وينفتح لحظة هبوب الريح (Harva, 1952 : 141) .

وتروى بعض الأغانى الميثولوجية للإرزيا أن سمكة بيضاء اللون (البيلوجا)[٤٠] تحمل الأرض، وفى أغانى أخرى ثلاث سمكات : السيفروجا والأسيوتر والبيلوجا وتحميها إلهة نهر رافا. وتحيا هذه السمكات – التى تحمى بدورها الناس – فى مكان يقع بين البحر ونهر رافا (Evsevyev, 1963 : 209-210) . وتسبح هذه السمكات فى البدايات الثالثة – اللجج الثلاث[٤١] – لكى تحمل الأرض على ظهورها.

(٤٠) البيلوجا : Beluga نوع من السمك الضخم يوجد فى بحر قزوين والبحر الأسود والبحر الأدرياتيكى وبحر أزوف، يتراوح طوله ما بين ٤ – ٥ أمتار ووزنه طن أو أكثر، يؤكل لحمه ويؤخذ منه الكفيار ويسمى فى بعض المصادر الحفش الضخم وفى البعض الآخر الدلفين الأبيض، والمقطع الأول من الكلمة "بيلى" تعنى بالروسية الأبيض، والسيفروجا Sevruga : نوع كبير من الأسماك شبيه بالقرش، يبلغ طوله ٢,٢ متر ووزنه حوالى ٨٠ كيلو، يوجد فى حوض البحر الأسود وبحر أزوف وبحر قزوين، يبحر للأنهر لوضع بيضه. يؤكل لحمه ويؤخذ منه الكفيار ونوع من الغراء، وتقل بمرور الوقت أعداده. الأسيوتر : osutr هو Sturgeon بالإنجليزية ويسمى فى بعض المراجع العربية الزجر، يوجد فى حوض الأطلنطى والأجزاء الغربية من الهادى. يبلغ طوله ٣ أمتار ووزنه ٢٠٠ كيلو. ولهذا النوع من السمك ١٧ شكلاً يوجد منها فى الجمهوريات التى ضمها الاتحاد السوفيتى السابق ٩ أنواع. ويلاحظ بلا شك أن هذه الأسماك توجد فى مناطق الاتحاد السوفيتى السابق بما فى ذلك موردفا فى روسيا وبالتالى هى مألوفة وليس غريبًا ذكرها فى هذا المجال، ونهر رافا هو نهر الفولجا . (المترجمة)

(٤١) البدايات الثلاث – اللجج الثلاث : Starts three ahvsses ، المقصود البدايات الأولى .

ولذا تسبح الكبرى مع الشروق والوسطى فى منتصف النهار (يبدو أن المقصود مركز الأرض/المؤلفة) بينما تبحر الصغرى غربًا صوب الاتجاه الذى تغرب منه الشمس (Uptmn, 1963 : 26) .

وفى حكايات سحرية أخرى فإن حيتانًا ثلاثة هى التى ترفع الأرض وتفصلها عن المساحات التى تحتلها المياه والعالم السفلى (Harva, 1952 : 130 - 140) ، وبتحركها فى الجهات المختلفة تقيم هذه الحيتان تناسق العالم وتوازنه وتحافظ عليهما، وتسبب التحركات الحادة لحاملى الأرض الفيضانات والزلازل. وفى الأساطير المتأخرة فإن مثل هذه الكوارث هى عقوبات ينزلها الإله على الناس بسبب خطاياهم وخرقهم للنظم التى أقامها الأسلاف. والإشارة فى هذه الحواديت إلى أن فيديافا (إلهة الماء عند الموكشا والإرزيا) تحرس السمكة التى تحمل الأرض يزودنا بكل الأسباب للاعتقاد بأن فى صورة السمكة طوطم من نوع ما، حيوان من الأقرباء أو الأنساب أو الأسرة يُحَرِّمون صيده فى أوقات محددة (Maskayev, 1964: 237) .

وفكرة الموردف عن "الأركان الأربعة" للأرض مرتبطة، على ما يبدو، بالجهات الأربع للعالم : الغرب والشرق والجنوب والشمال على الرغم من أنها تفتقر التعبير الصريح الواضح عن هذا المعنى. وكان الموردف يحددون الجهة وفق مكان الشمس، فالشرق قبل الشمس (أو من حيث تستيقظ الشمس) والغرب بعد الشمس (أو حيث ترقد الشمس). وصفات الآلهة والسمات المميزة لها ترتبط بالشرق – أى من حيث تأتى الآلهة، والجهة الرئيسية للأرض هى بالتالى الشرق، فمن هناك تشرق الشمس ويبدأ اليوم، وهناك يحيا الإلهان شاكى ونيشكيباز. ولهذا السبب كان الموردف يصلون ساجدين على الركبة ووجوههم نحو الشرق، وفى العصور القديمة كانوا يجعلون أبواب منازلهم تطل على الشرق.

وتروى الأغانى التى تصاحب طقوس الزواج أن للأرض أيضًا أربعة أركان، وفى منتصف الأرض كراسٍ فضية (رمز آلهة السماء)[٤٢] وطاولات صفراء (رمز الخصوبة).

(٤٢) آلهة السماء الآلهة العليا : فى ميثولوجى الموردف مجموعة من الآلهة العليا/آلهة السماء وأخرى دنيوية، يراها الناس ويشعرون بها كأنها تحيا معهم . (المترجمة)

فى الطقوس التى كانوا يؤدونها عند بناء البيوت، ويظهر المربع كرمز أسطورى/ملحمى، حيث يتم تحديد المربع (الذى سيقام عليه البيت)، وتوضع فى منتصفه طاولة عليها خبز وملح، ثم يتم غرس شجرة جديدة عادة ما تكون شجرة سنديان (التى ترمز إلى أصل الحياة وتطورها). ويرمز سطح المنزل إلى السماء بينما يرمز هيكل المنزل إلى الأرض ويرمز القبو إلى العالم السفلى أو العالم الآخر.

وفى بعض أساطيرهم يخلق الإله "شكاى" السماء بعد أن خلق الأرض، ثم يخلق النجوم من الأحجار المتجمعة على سطح الأرض. ولم تُسَجَّل أساطير حول الشمس والقمر عند الموردف، وكانوا يعتبرون أن المحيط السماوى كان فى الأصل جزءًا من العالم – توجد فيه الأجسام السماوية. وكان الموردف يعتقدون أن الإلهين الأعليين "تشيباز" و "شكاى" يعيشان على الشمس. وفى أساطير عديدة نجد شكاى إله الموكشا يتخذ القمر مستقرًا له. ولا شك أن بعض هذه الأساطير ظهرت فى أزمنة متأخرة لأنه كان يصاحب ذكر شكاى الإشارة إلى الشخصية المسيحية إيفان المُبشر. وكان الموردف ينظرون إلى السماء باعتبارها "قبة زرقاء" فوق الأرض، مركز الكون (أى : النجم الشمالى/المؤلفة). وعرف الموردف الموكشا أيضًا أن السماء هى مركز القبة الزرقاء أعلى مكان فى الكون (Harva, 1952: 140) ، وتصوروا أن الضوء الأبدى يتسلل ليغطى الأرض من ثقب فى القبة السماوية، وفى التعاويذ والأغانى وطقوس الدفن كانوا ينظرون إلى القبة الزرقاء باعتبارها ضوءًا أو حرارة مشعة ذهبية أو فضية أو أحيانًا كريستالية تنبعث لتنشر الضوء والدفء. ووفقًا للأساطير كانت روح الإنسان بعد الموت تطير نحو السماء المنيرة صوب "نشكيباز" ابن الإله الأعلى الذى يحدد مستقرها الأخير، بينما يُترك الجسد للشيطان. ووفق تصورات متأخرة زمنيًا تحيا فى السماء أرواح الموتى الذين رحلوا قبل الأوان والأطفال والأتقياء.

وينقسم العالم السماوى فى الميثولوجى الموردفى إلى بضع طبقات، إحداهن من الحديد، وأخرى من الحجر. وعندما كان "بورجينيباز" (إله الرعد عند الإرزيا) يقود أحصنته النارية المشدودة إلى مركبته، كان الشرر ينطلق من العجلات ومن أظلاف الخيل (Yurtov, 1883: 129) . وإذا خرق إنسان المحرمات التى يفرضها بورجينيباز، كان الإله يعاقبه أو يقتله بأسهم حجرية تسمى "بوريجين كيف" أو "أتيام كيف" أى حجر الرعد.

وكان الموكشا يتصورون أن السماء كانت فى الأصل أقرب كثيراً إلى الأرض والسحب كانت تحتك بأسطح المنازل، ولهذا السبب كانت نساء الإرزيا تُبعد السحب بقضيب معدنى، فيما تبعدها نساء الموكشا بالطاسة. وفى أساطير أخرى كانت السحب قريبة إلى الحد الذى يمكن به لمسها باليد (Harva, 1952 : 140) . ووفقًا لأساطير التيريوخان قامت "أنجى باتيا" أم الآلهة بصب الحياة من السماء على الأرض، فتنزلت الحياة على الأرض مع الندى والمطر والثلج والبرق (Melnikov, 1981 : 81) .

وعرف الموردف الشمس والقمر دون معرفة نشأتهما وأصلهما، وفكرتهم عنهما تنحصر فى أنهما خُلقا بعد خلق السماء. وبعد القمر والشمس عرفوا : طريق الغرانيق (Kargon'ki, M., E.) والميزان (kursyakst-kursya, E.) والثريا[٤٢] (Ozyasket, E.) وتعكس هذه الأسماء النظرة الشعرية القديمة للموردف عن العالم. وبينما كانت تجرى عملية شخصنة قوى الطبيعة، أصبح العالم الأعلى مستقراً للآلهة العليا : شكاى وتشيباز ونيشكيباز وبورجينيباز.

وقدم الناس القرابين للشمس والقمر والنجوم، وقاموا فى هذا الصدد بطقوس سحرية خاصة وفرضوا على أنفسهم المحرمات. وانعكست عبادة الشمس فى العديد من الطقوس (التى تؤدى فى الأفراح والأعياد الدورية/السنوية) وفى عادات الحياة اليومية وأشكال الزينة. وفى الفلكلور يشخصن الموردف الشمس والقمر، فالشمس هى المعشوقة والقمر هو العاشق، وأطلقوا على الشمس أوصافًا عديدة : "مازى" (الحمراء) و"ليامبا" (الدافئة)، وغير ذلك.

وخُلق أول إنسان بعد خلق الأرض والسماء وظواهر الطبيعة المرئية، وتتنوع أساطير الموكشا والإرزيا عن أصل الإنسان، فعند الموكشا خلق "شكاى" الإنسان من

---

(٤٢) Milky Way / Cranes' Way المجرة/درب التبانة/ وطريق الغرانيق هى الترجمة الحرفية عن الروسية. Libra برج الميزان. و Pleiades "الثريا" ستة نجوم ساطعة وواحد لا يرى بالعين المجردة فى كوكبة الثور، أو بنات أطلس السبع اللواتى تروى الأسطورة الإغريقية أنهن تحولن إلى مجموعة نجوم . (المترجمة)

جذع شجرة تبلغ من العمر ثلاثين عامًا (بالإرادة والنظرة والرغبة)، فيما خلق "تشيباز" إله الإرزيا الإنسان من الطين (Melnikov, 1981: 53) ، وفي رواية أخرى (حيث لا يشير أي شيء ما إذا كان مصدرها الموكشا أم الإرزيا) من التراب (Metropolsky, 1876 : 19) . وتشير أساطير التيريوخان في منطقتي نيجني نوفجورود وسيمبريسك إلى أن الشيطان بدأ يشكل الإنسان من طين ورمل وتراب جمعه من ٧٧ مكانًا مختلفًا من الأرض، ولكن "تشتيباز" هو الذي أكمل تشكيله ونفخ فيه الحياة (Melnikov,1981: 54) .

وعند الموكشا يقال: إن "شكاي" قد خلق الناس في الأصل عماليق وأمد في قامة الإنسان حتى ٩٩ أرشنًا(٤٤)، وأطال أيضًا في عمره حتى ٧٠٠ – ٨٠٠ سنة، ولكنهم أبيدوا جميعًا في الطوفان، وتدريجيًا أصبح من بقي منهم بعد الطوفان أقصر قامة.

وتشير الأغاني الميثولوجية عند الإرزيا إلى أنه بعد خلق الأرض ظهرت في البداية الشمس ثم القمر ومن بعده الإنسان ثم شعب الإرزيا (Erzian morot, 1928 : 3)الذي، بعد أن عاش ٧٠ عامًا، استوطن ٧٧ قرية وعَمَرَ الأرض (Harva, 1952:137-138)ووفقًا لأساطير أخرى فمن البيضات الثلاث لـ "إني نارمون" (الطائر العظيم) ولد الآباء الأوائل للشعوب الثلاثة : الإرزيا والروس والتشوفاش(٤٥) .

(٤٤) أرشن : وحدة قياس روسية قديمة لمعرفة الأطوال تساوي ٠,٧١ من المتر . (المترجمة)

(٤٥) Chuvash التشوفاش : شعب تعود أصوله إلى قبائل فين – أوجر التي اختلطت مع القبائل البلغارية المتحدثة بالتركية في منطقة الفولجا. وأفضى الزواج المشترك بين فين – أوجر وبلغار الفولجا الجنوبيين المتحدثين بالتركية في القرون الواقعة بين الـ ١٠ و ١٥ إلى ظهور أسلاف الشعب التشوفاشي. وفي القرن الـ ١٣ احتل المغول مناطق التشوفاش لتصبح بذلك جزءًا من إمارة كازان تحت حكم التتار. وبانضمام التشوفاش للروس في مواجهة التتار وبعد هزيمتهم أصبحت تشوفاشيا جزءًا من الإمبراطورية الروسية. كان التشوفاش يعبدون الصور والأرواح، وإبان حكم التتار انتقلوا إلى الإسلام (منذ القرن الـ ١٤ وحتى مطلع القرن الـ ١٦) وفي القرن الـ ١٨ تحول معظمهم إلى المسيحية. ويتحدث التشوفاش بلغة تسمى باسمهم : "التشوفاك" التي تنتمي للأسرة التركية للغات المسماة "لغات الألطاي"، ويستخدمون أبجدية محورة عن السلافية. ولقد انصهر هذا الشعب إلى حد بعيد في البوتقة الروسية وانتشرت بالتالي لديهم ظاهرة التحدث باللغتين : التشوفاكية والروسية. وتقع جمهورية تشوفاشيا للحكم الذاتي في إطار الفيدرالية الروسية على نهر الفولجا في القطاع الأوروبي الأوسط من الفيدرالية الروسية . (المترجمة)

وتشـيـر بعض الأسـاطيـر المتـأخـرة إلى أن نيـشـكيـبـاز (الإله الأعلى للإرزيا) ويورجينيباز (إله الرعد عند الموكشا والإرزيا) و نيقولاباز (القديس المسيحى نيقولاى)(٤٦) قد وضعوا الأعراف والأحكام وخلقوا الآلهة الأخرى (M. V., 1977 : 2) ، فيما أرسى "إنى نارمون" (الطائر العظيم) التقاليد الثقافية. وتشير الأغانى الميثولوچية إلى "إنى نارمون" جالسًا فى عش على شجرة العالم ("إن تشوفتو" عند الإرزيا، وعادة ما تكون السنديان أو البتولا) أو فى حقل (UPTMN 1981: 104) يستخرج من ثلاث بيضات ثلاثة طيور : القُبرة والعندليب والوقواق، ويكلف إنى نارمون كل طير بالقيام بمهام محددة، فـالقـبـرة مـسـئـول عن أمـور الزراعـة والمزروعـات (وهو رمـز الطفـولة والصـبـا)، والعندليب مسئول عن كل ما يتعلق بـالمنزل (وهو رمز الشبـاب)، فيما يرعى الوقواق الحطب والغابة (وهو رمز الحزن والأسى).

والمتوفر من الأساطير حـول أصل الآلهة نجده أشبه بالشظايا والكِسَـر الممزقة ولا يضم كل الآلهة. ووفـقًا لتـصـورات الموردف تولد أو تظهـر الآلهـة الدنيـوية وبعض الآلهة العليا من بيضـة، ولقد وُلدت (أو ظهرت) أنجى/باتيا (أم الآلهة عند الإرزيا) من "البيضة" التى كسرها تشيباز الإله الأعلى. وتشير إحدى الأساطير إلى أخوات ثلاث من الإلهات "نوروفافا" (إلهة الخصب عند الإرزيا) و"فارمافا" (إلهة الريح عند الموكشا والإرزيا) و"فيريافا" (إلهة الغابات عند الموكشـا والإرزيا) خرجن من بيضـات ثلاث ومن ثم وضـعـهن الطائر العظيم "إنى نارمـون" فى عش أعلى شـجرة بتولا ضـخـمة (Harva, 1952 : 141) . ويولد نشكيباز إله الإرزيا من تشيباز، ويخلق شكاى (الإله الأعلى) : ماستورون كيردى (إله الأرض عند الموكشـا والإرزيا)، و"فـارمـاباز" (إله الريح عند الإرزيا وابن "فـيـريافـا" إلهـة الغـابات). وعند الإرزيا يولد مـاسـتـورباز إله المملكة السـفلية من زواج تشـيـبـاز

(٤٦) نيشكيباز/يورجينيباز/نيقولاباز : يلاحظ هنا الخلط أو الثنائية الدينية الوثنية/المسيحية التى أشارت إليها المؤلفة فى موضع آخر، فنيشكيباز ويورجينيباز آلهة وثنية بينما نيقولاى (أضيفت إلى اسمه اللاحقة الموردفية باز Paz بمعنى الإله) من القديسين المسيحيين . (المترجمة)

ونوروفافا إلهة المحاصيل (عند الإرزيا)[٤٧] . وتلد نيشكندا تيتيرت ابنة أنجى/باتيا بورجينيباز (إله الرعد عند الإرزيا). ويخلق الإله الأعلى/خالق الكون نفسه والآخرين، ولا تقتصر أعماله على زمان أو مكان.

ويكمن تفرد الميثولوجى الموردقى فى طغيان الإلهات الراعيات الإناث، فهناك ماستورافا (إلهة الأرض عند الموكشا والإرزيا) ومساعدتها موداڤا (عند الموكشا والإرزيا) على سبيل المثال. وعلى الأرض تعيش الإلهات الحارسات : للزراعة والحيوانات والحرف والطبيعة والماء والغابات والنار والريح، وهن وفق تصور الموردڤ يتزوجن وينجبن الأطفال (Smirnov, 1895 : 209 - 210) ، بيد أنهن لا يقمن بدور مستقل وإنما يظهرن فقط كمساعدات للإلهات، ينفذن رغباتهن[٤٨] .

ومن الواضح أن منظومة الآلهة الأبوية/الذكرية[٤٩] قد أخذت فى الظهور فى زمن متأخر جداً. وقبل تحول الموردڤ إلى المسيحية (فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر) لم تكن هذه الآلهة قد اتخذت بعد شكل المنظومة المتناسقة على نحو يمكنها من أن تحل محل النظام الأمومى لآلهة "الأوليمب". ويرى ماسكاييف أنه نادراً ما توجد أى آلهة ذكور مستقلين فى الميثولوجى الموردقى طوال الفترة التى امتدت قروناً من هيمنة الأيديولوجية والنظام الأمومى، وأن الذكور كانوا يحتلون مرتبة الآلهة فقط باعتبارهم أزواجًا أو أبناء للإلهات، أو أن الإلهات الإناث أنفسهن كن دائمًا يتحولن إلى آلهة ذكور . (Maskayev, 1964: 144)

وعلى الرغم من أن "شكاى"(عند الموكشا) و "باز" (عند الإرزيا) تترجم فى وقتنا الحاضر "إله"، على نحو يذكر بالإله المسيحى الذكر، فإن الموردڤ يعتبرونهم آلهة من

---

(٤٧) سبقت الإشارة إلى نوروفافا باعتبارها إلهة الخصب عند الإرزيا . (المترجمة)

(٤٨) يتضح هنا التمييز فى بنية الميثولوجى الموردقى بين الآلهة العليا السماوية والآلهة الدنيوية التى تحيا على الأرض مع الناس وتعيش حياتهم، وتنفذ إرادة الآلهة العليا، وأخرى تمثل المملكة السفلية/العالم الآخر، ورابعة هى خليط بين البشرى والسماوى. راجع هامش المترجمة رقم ٣٠/المترجمة .

(٤٩) Patriarchal Theogony : مبحث أصول الآلهة، المقصود هنا الآلهة الأبوية الذكرية . (المترجمة)

جنس محايد، وينظرون فقط إلى "كيرين شوتشكون باز" (إله البناء واللحاء عند الإرزيا) باعتباره إلهًا من الجنسين وتجدر الإشارة هنا إلى أن لفظى "شكاى" و "باز" لا توحيان بنوع الجنس وذلك لغياب نوع الجنس فى الأسماء فى اللغات الموردفية. الأمر الذى يدعمه أيضًا غياب قواعد فى اللغة تحدد الجنس عند الموردف.

و "المعرفة" التى تمتلكها الآلهة هى التى تجعل منها قوى خارقة للطبيعة. ويمكن للآلهة اتخاذ هيئة إنسان أو حيوان (غالبًا طائر) أو نبات أو هجين نصف إنسان/نصف حيوان. ويتكاثر بعضهم مثل البشر (Smirnov, 1895 : 23 - 204) ، ويصاهرون نساء الأرض. وهناك أغانى أسطورية عن زواج مقدس بين "بورجينيياز" والفتاة الأرضية "ليتوفا" (Yakov, 1848: 59-60) . وعادة ما يبادر "بورجينيياز" بطلب هذا الزواج ، بيد أن بعض الحكايات تروى أن الفتاة نفسها هى التى تبادر طالبة الارتباط بالسماء، ويشير أكثر من مرجع إلى أن بورجينيياز إله مشترك لكل شعوب فين – أوجر (Kuusi, 1963: 144) .

ووفق تصورات الموردف يحكم العالم آلهة كبار وصغار تجسد الشمس والدفء والنار وغير ذلك من مفاهيم، وكل إله يرعى ويحكم مجالاً محدداً كالأرض أو إحدى ظواهر الطبيعة. وعلى سبيل المثال يخضع للإلهة "فيريافا" إلهة الغابات كل شىء يقع بالغابات، ويخضع للإلهة "فيديافا" إلهة الماء كل الماء والكائنات الموجودة بالماء وهلم جرا. وفوق كل إله يقف إله آخر، فالإلهة الحارسة للسنديان تخضع لـ "تومويباز" (رب السنديان عند الإرزيا) (أو "توموباز" عند الموكشا) الذى يخضع بدوره لـ "فيريافا" إلهة الغابات التى تخضع بدورها للإله الأعلى "شكاى" (عند الموكشا) أو "تشيباز" (عند الإرزيا) خالق الكون.

ووفق التصورات ما قبل المسيحية للموردف فالآلهة التى ترعى مباشرة مصالح العشيرة هم ممثلو العالم الآخر، وهم الأقرب للناس، وتلك الآلهة كثيرة العدد، تقف على رأسها الأرواح التى ترعى مباشرة البيت (kud, M., E.) أو العشيرة (yurht, E.) (Smirnov, 1895:200) من هؤلاء : كودافا إلهة المنزل (عند الموكشا والإرزيا) ويورختافا (عند الموكشا) ويورتافا (عند الإرزيا) إلهة العشيرة وبياناكودافا (عند الموكشا)

وكاشتوم (إلهة الموقد عند الإرزيا وكاردازافا (عند الموكشا) وكاربو سياركو (إلهة حظيرة الماشية عند الإرزيا) وبنيافا (إلهة الحمام عند الموكشا والإرزيا) وهلم جرا. وكان الموردف يحبون ويعبدون أيضًا أرواح البيئة المحيطة : الأرواح راعية الماء والغابات وغيرهما.

وكانت منظومة تعدد الآلهة في الميثولوجي الموردفي لا تخلو من ميل صوب التحول لأحادية الإله، تلك الظاهرة التي تتمثل في المنزلة الرفيعة التي يحتلها نشكيباز (ابن تشيباز الإله الأعلى عند الإرزيا) وشكاى (عند الموكشا). بيد أن هذا التوجه لم يكتمل وقطعت مسيرته عوامل عديدة مرتبطة بالحروب والغارات التي كان يشنها جيرانهم عليهم. وهكذا وفي مناطق مختلفة عند الموردف الإرزيا يظهر مرة تشيباز ومرة أخرى ابنه نشكيباز بوصفه الإله الأعلى، وعند الموكشا يظهر شكاى بوصفه الإله الأعلى.

وتروى الأساطير أنه بعد خلق العالم والإنسان الأول، بدأت الناس في التكاثر، وقسمهم الإله تشيباز (عند الإرزيا) إلى شعوب ومنح كل شعب لغته وديانته، وكانوا يعتبرون أن في الأرض ٧٧ ديانة لها العدد نفسه من اللغات (Melnikov, 1981 : 56) وللحفاظ على النظام في عالم البشر، يعين تشيباز حكامًا وقضاة بين الناس.

وعلى العكس يقيم "الشيطان"(٥٠) قوى جهنمية معادية للبشر، ويقدم للناس حشيشة الدينار(٥١) ويعلمهم كيف يخمرون منها البيور(البيرة)(٥٢) ، ويبدأ الناس في السكر وتنتشر بينهم المشاحنات والعداوة، ويجبر الشيطان الناس على قتل نشكيباز

---

(٥٠) تنطق الكلمة بالروسية أيضًا كما بالعربية "شيطان" وبالمعنى نفسه . (المترجمة)

(٥١) حشيشة الدينار (Hops): نبات متسلق ينمو حول ثمار شجر الصنوبر البرى ويستخدم لمنح البيرة مذاقًا وطعمًا لاذعًا مرًا . (المترجمة)

(٥٢) بيور Pure : من أقدم المشروبات التقليدية الشائعة لدى الموردف، وكانوا يتناولونها بشكل ملزم باعتبارها قربانًا في بعض المناسبات التقليدية الدينية، وكانت هذه "البيرة المقدسة" تصنع من خليط من العسل الأبيض ونوع خاص من الحشائش (حشيشة الدينار) والشعير، وتعد مثلما تعد البيرة العادية . (المترجمة)

الذى يقوم من بين الأموات ويصعد إلى السماء على غرار ما حدث مع المسيح عليه السلام (Melnikov, 1981 : 55 - 56) ومن هنا نشأت فكرتهم عن وقوع الإنسان فى الخطيئة، الأمر الذى يشترك فى كثير من ملامحه مع المعتقدات المسيحية حول موت المسيح المخلص. وتعاقب الطبيعة الناس انتقامًا منهم على ما اقترفت أياديهم، فتشرق الشمس سبع مرات أقل مما كانت، ويصبح الشتاء قارص البرد سبع مرات أكثر مما كان، وتصبح زراعة الحقول عسيرة للغاية تتطلب جهدًا شاقًا والمحاصيل سيئة وأقل وفرة مما كانت.

وكان البجع (Lokseyt, E.) عند الموردف الوسيط بين الآلهة والبشر، وعلى الأرجح أن هذا التصور وجد صدى له فى طقس يسمى "اجتماع الطيور" يؤدونه فى عيد ماصلينيتسا(٥٣)، حيث يجتمع الناس ويقلدون أصوات البجع بمصاحبة آلات موسيقية خاصة (Boyarkin, 1986: 43-44) .

وبهدف استرضاء الآلهة واستجلاب عطفهم وخيراتهم، كان الموردف يقدمون لهم القرابين، التى يُذكر الإله مَنْ ينسى من الناس بضرورة تقديمها بإنزال النكبات والكوارث عليهم، وفى ارتباط بهذا ظهرت مختلف الطقوس السحرية - الدينية والشعائر والصلوات والتعاويذ والرقيات، وتطورت هذه المنظومة على امتداد مراحل طويلة وازدادت تعقيداً، الأمر الذى استوجب ظهور بعض المختارين من الناس تدريجيًا للقيام بدور أقرب للكهنة. فظهر الحكيم(٥٤) والساحر والعراف، وكان بوسعهم - وفق تصور الموردف - معرفة إرادة الآلهة، واستجلاب عطفهم وصد غضبهم (Samorodov, 1980 : 33) .

---

(٥٣) ماصلينتسا : Maslinitsya باللغة الروسية من الجذر ماصلا Masla أى : زيت، وماصلينيتسا : عيد قديم قبل المسيحية عند الشعوب السلافية يودعون فيه الشتاء ويستقبلون الصيف، وتبقى منه الآن عادات حرق دمية فى وداع الشتاء وخبز الفطائر استقبالاً للربيع وتنظيم احتفالات يلهون فيها ويمرحون. وهناك أسبوع كامل يسمى أسبوع الزيت قبل الصيام العظيم عند مسيحيى الشعوب السلافية. المصادر: قاموس اللغة الروسية، أوجيكوف. والموسوعة السوفيتية . (المترجمة)

(٥٤) الحكيم : بالروسية Znakhar (زناخار) وتعنى الشخص الذى يقوم بعلاج الناس بطرائق وأساليب بُدائية وعادة باستخدام طقوس أقرب للسحر. والكلمة من الأصل الروسى znat بمعنى "يعرف" فالإنسان الأول كان يقف عاجزًا أمام "معرفة وعلم" الآخرين بأشياء لا قبل له بها كعلاج بعض الأمراض وغير ذلك. وفى مصر كانوا إلى زمن غير بعيد يسمون الطبيب "حكيم" . (المترجمة)

وفى البداية كانت الصلوات والتعاويذ مرتبطة ارتباطًا لا ينفصم ببعضها بعضًا ويؤدونها مجتمعة؛ حيث كان الهدف واحدًا هو : التأثير عبر أعمال سحرية محددة (وأقوال) على الأرواح والآلهة للحصول على الثروة (من المحاصيل أو الماشية) أو الصحة. وتدريجيًا أخذت أعمال السحر التى تستهدف التأثير على الآلهة تتباين وتتعدد، وحدث هذا عندما بدأ الموردف يقسمون الأرواح جميعها إلى طيبة وشريرة (Samorodov, 1980 : 34) . واتخذ السعى للتأثير على الأرواح الطيبة شكل الصلوات أو تقديم القرابين لكسب عطفهم، وعلى الأرواح الشريرة فى شكل التعاويذ لإخضاعها، وكان الموردف يعتبرون كل شىء يخلقه الشيطان أرواحًا شريرة.

وكانت الصلوات التقليدية، التى تتضمن تقديم القرابين، تقام فى أوقات محددة وتكرس لآلهة محددين. والمتوفر من نصوص الأغانى الأسطورية والأساطير والملاحم حول بناء المدن والطواحين والكنائس وغير ذلك (Maskayev, 1964 : 83 - 84) يسمح لنا باستنتاج أن الموردف فى العصور القديمة كانوا يقدمون قرابين حقيقية وليست رمزية. وكان مَنْ يقدم القرابين الخاصة بطقوس وضع أحجار البناء يُقَطِع القرابين/الحيوانات وغير ذلك من القرابين، إلى أربعة أقسام ويوزعها على الأركان الأربعة للبناء. وتحت إشراف مَنْ يقدم القرابين، كانت الفتاة/الضحية، التى تختارها موداڤا (إله الأرض عند الموكشا والإرزيا) ويقرها اجتماع أهل القرية، توضع فى قبو يحكمون إغلاقه بالقرميد (Evsevyev, 1961: 90-93) . وكان الموردف ينظرون إلى عملية انتخاب شخص للموت كقربان للآلهة باعتباره أمرًا لا مفر منه وواجبًا مشرفًا تجاه الجماعة الإنسانية.

وكان الموردف ينظرون إلى العالم السفلى باعتباره عالم الموتى، ولاحقًا اعتبروه مكانًا لأرواح الخطاة. وفى البداية كانت فكرتهم عن العالم الآخر، أو ما بعد العالم، غامضة غير واضحة، فلم يفرقوا على سبيل المثال بين الجحيم والجنة، وتعرفوا على هذه المفاهيم فى زمن متأخر فقط مع اعتناقهم للمسيحية. وآمنوا من ناحية أخرى بالآخرة كعالم لا يتجزأ يحيا فيه الأسلاف، عالم قد يكون فى السماء أو فى المملكة السفلية أو فى مكان ما هناك بعيدًا جدًا. ويحكم العالم السفلى الإله ماستورباز (عند الإرزيا) / مساتوراتيا (عند الموكشا) الإله الحارس للمملكة السفلية، وهو أيضًا راعى الموتى، وإليه كانوا يتضرعون لإرسال الطعام إلى الموتى من الأقارب.

وفى مـرحلة مـبكرة من مـراحل تطورهم كـان الموردڤ يعـتـقـدون أن لبـعض الآلهة/الحارسة علاقة قرابة وثيقة مع أسلافهم (Smirnov, 1895: 294) ، وبالتالى بوسعهم التواصل معهم، وأن فارمافا ربة الريح وسيط بين الموتى والناس. وفى العالم السفلى، ومثلما يحدث على الأرض، تنمو الغابات وتجرى الجداول والأنهر وتنتشر القرى، وهناك الماء الحى (eriv'ed عند الموكشا). والعالم السفلى تصوره الأغانى والحواديت التى تدور حول زوجة الأب وابنة الـزوج التى سقطت فى مملكة المـوتى فشربت بعض "الماء الحى" (Maskayev, 1964 : 60 - 61) .

وكان الموردڤ يؤمنون بأن الموتى فى العالم الآخر يحيون الحياة نفسها التى يعيشونها هم على الأرض، ولذا كانوا عندما يدفنون موتاهم يضعون معهم فى القبر مختلف الأدوات المنزلية وأدوات العمل والزينة وغير ذلك.

واحتلت عبادة الأسلاف فى الميثولوجى الموردڤى مكانة بالغة الأهمية اعتقاداً من الموردڤ أنهم أول مَنْ يرعى مصالح أحفادهم، ويساعدون الأحياء ويحمون عشيرتهم من كل ما قد تتعرض له من كوارث (Maskayev, 1947: 53) ، ومع تحلل المجتمع الأمومى والنظام الأبوى العشائرى شغلت الأسرة هذه المكانة وأصبحت موضع عبادة. وأحد الملامح الخاصة بعبادة الأسلاف هو الإيمان بوجود العالم الآخر وبالحياة فى العالم الآخر وبروح الميت، وبفكرة راعى الأسرة. وبدون إيمانهم بفكرة راعى الأسرة(٥٥) لم يكن من الممكن لهم امتلاك أية تصورات عن الأسلاف وقواهم (المُحبة منها والمُعاقِبة). وتبدو واضحة عبادة الأسلاف فى مجموعة من الطقوس، منها طقوس الزواج وطقوس الدفن بشكل خاص، ومع ذلك فإلى يومنا هذا تتسم علاقة الموردڤ بالموتى بالثنائية، فهم يخشون الموتى ويحاولون التخلص منهم بأقصى سرعة ممكنة (والتخلص بسرعة من الموتى وبهدف حماية أنفسهم من الموتى والموت كانوا يقومون بممارسات سحرية عديدة)

(٥٥) راعى الأسرة : ليس المقصود الأب أو كبير الأسرة أو العشيرة ، وإنما أغلب الظن أحد الأسلاف خاصة وأن عبادة الأسلاف احتلت مكانة مهمة فى منظومة التصورات والرؤى الدينية قبل المسيحية عند الموردڤ. (المترجمة)

من ناحية، ومن ناحية أخرى يبجلونهم ويقدرونهم تقديراً كبيراً، وعلى شرفهم تقام احتفالات عائلية وقبلية خاصة إحياء لذكراهم (Kalmalangon'shi, M. Kalmolangon'chi, E.) وكانت هذه الاحتفالات تحتل مكانة مهمة فى منظومة الأفكار الدينية/الميثولوجية، وكانت أسماء الأسلاف تتردد على الألسنة فى الأعياد، ويتوجه الناس إليهم متضرعين فى الصلوات العائلية والجماعية، وكانوا يدعونهم لزيارتهم فى منازلهم فى عيد الفصح(٥٦)، وكان الموردف ينظمون على شرف الأسلاف الموتى وداعًا لهم بعد عيد الفصح(٥٧). وقبل تشييع الميت إلى مثواه الأخير كانوا يحرصون على التقيد الصارم بكل المحرمات المتعلقة بالموتى (مثل تحريم السير حفاءً أو هز مهد الطفل وغير ذلك). وكانوا يعتقدون بإمكانية الحصول على المساعدة والعون من الأموات، ممن ماتوا موتًا غير طبيعى مثل الغرقى والمنتحرين وغير ذلك من أشكال الموت غير الطبيعى، وكان هذا العون يتمثل بشكل خاص فى تضرع هؤلاء الموتى للرب لإنزال المطر فى حالات القحط والجفاف أو شفاء الناس من بعض الأمراض.

ولم يكن الموردف فى الأزمنة القديمة يفعلون شيئًا من شئونهم اليومية (فى الزواج وشئون البيع والشراء) دون استشارة أسلافهم. ووفق التصورات الشعبية القديمة فإن بوسع الأسلاف الموتى إذا غضبوا لسبب ما أن ينزلوا الأذى بالأحياء بما فى ذلك

---

(٥٦) عيد الفصح : Easter يحتفل فيه المسيحيون "بقيامة المسيح" عليه السلام فى يوم أحد مُتَغَير الموعد فى التقويم الميلادى وثابت فى التقويم المصرى القبطى. تاريخيًا وقعت خلافات حادة بين المسيحيين حول موعد الفصح، وظلت الكنائس طوال قرون تبحث عن حل لتوحيد موعد الاحتفال وانتهى الأمر باتفاق الكنيسة الغربية وحدها على توحيد الموعد فى بلدانها وهو موعد يختلف عن موعد احتفال المسيحيين الشرقيين بالفصح. والفصح ترجمة عن الإنجليزية Easter لا يستخدمها المصريون. إذًا تطلق الكنيسة المصرية على هذا العيد اسم "عيد القيامة" أو "أحد القيامة". ومن الجدير بالملاحظة هنا خلط الموردف وجمعهم بين المعتقدات الدينية المسيحية (عيد الفصح) وبين العبادات الوثنية القديمة المتمثلة هنا فى عبادة الأسلاف . (المترجمة)

(٥٧) وداع بعد عيد الفصح : فى الميثولوجى الموردفى يدعو الناس أسلافهم الموتى لمشاركتهم الاحتفال فى الأعياد ومن ثم ينظمون لهم بانتهاء العيد وداعًا خاصًا حتى أطراف القرية، وسيرد الحديث عن هذا لاحقًا فى متن الكتاب . (المترجمة)

الأمراض والتعاسة وقحط المحاصيل وغير ذلك فضلاً عمّا يقومون به من أعمال طيبة، وآمنوا أنهم لو استرضوا الأموات واستضافوهم لأصبحوا طيبين ودودين، ولذا كانوا يقدمون لهم القرابين (حصان أو معزة أو عجل)، وفى البداية كانوا يقدمون القرابين لهم فى القبور، ثم فى وقت متأخر فى أفنية المنازل.

ويعتقد الموردڤ بوجود مجموعة أضداد تحكم نشأة الكون والإنسان وتنظم العديد من جوانب حياتهم اليومية وبعض أهم طقوسهم وعاداتهم. فلقد وُجِدَ العالم عندهم فى خضم تضاد الخير والشر (شكاى الإله الأعلى عند الموكشا/تشيباز الإله الأعلى عند الإرزيا ضد الشيطان (إيديميفس عند الإرزيا / شيطان عند الموكشا)، وفى خضم معركة الإله/ الشيطان يبدأ خلق العالم والإنسان على حد سواء. والحياة التى يهبها الإله الأعلى تقف ضد الموت الذى يمثله رجل عجوز نحيل أو امرأة عجوز نحيلة.

ويتضح تضاد المفرد/الزوجى بشكل لافت للنظر فى طقوس الزواج وتشييع الموتى(٥٨) بشكل خاص، وينعكس فى الحياة اليومية فى الإيمان بالأيام الموفقة والأخرى المعاكسة والأرقام السعيدة والأرقام النحس، ويبدو هذا التضاد جليًا للغاية فى أعمال السحر بما فى ذلك قراءة المستقبل.

وفى الميثولوجى الموردڤى يمكن ملاحظة التضاد القائم أيضًا بين مفاهيم "اليمين" و "اليسار" فى شكل حدود صارمة تفصل بينهما. فعلى سبيل المثال يرتبط الجانب "الأيمن" بالحياة فيما يرتبط "الأيسر" بالموت، والطريق الواقع على الجانب الأيمن يعد طريق الحظ السعيد – طريق الناس، فيما يعد الطريق الواقع على الجانب الأيسر موحشًا – ليس للبشر. وفى الرثاء تتوجه العروس(٥٩) إلى "كاردو سياركو" (الإلهة الراعية للفناء عند الإرزيا) تسألها وضع الطيبين من الناس على الجانب الأيمن

(٥٨) طقوس الزواج وتشييع الموتى : من الجدير بالذكر الإشارة إلى أن أكثر من سياق وموضع بمتن الكتاب يشير إلى تشابه يجمع بين طقوس الزواج وطقوس تشييع الموتى . (المترجمة)

(٥٩) رثاء العروس : تشير المؤلفة فى موضع لاحق إلى طقس يسمى رثاء العروس؛ حيث تقوم العروس ليلة عرسها برثاء عذريتها التى ستفقدها بالزواج، وبيت أهلها الذى ستتركه ذاهبة إلى بيت زوجها . (المترجمة)

والأشـرار على الجـانب الأيسـر. وكـان المورديف يؤمنون أن مـلاكًا يجلس على الكتف الأيمن للإنسـان وشـيطانًا يجلس على الكتـف الأيسـر، وأن النظر إلى القـمـر من الجانب الأيسر يجلب سوء الحظ فيما يجلب النظر إليه من الجانب الأيمن السعادة. وينعكس تضـاد اليمين/اليسار أيضًا فى طقوس الزواج (ففى طقوس الزواج الوثنية على سـبيل المثـال كـانت المرأة تقـف إلى يسـار الرجـل) (UPTMN, 1972 : 268) . وفى الميثولوجى يرتبط الجانب الأيمن بالبداية الذكرية للعالم فيما يرتبط الجانب الأيسر بالبداية الأنثوية للعالم. وتتضح القوة الطاغية للأصل الأنثوى للعالم فى أعمال السحر والعِرافة، وفى هيمنة الإلهات الإناث على عالم الآلهة.

وتنعكس هـذه الثنائيات بوضوح أيضًا فى الخرافات والإيمان بأمارات وإشارات معينة وفى قراءة الطالع (الطيب/الشرير والسعادة/التعاسة وغير ذلك). ومقابلة "النار بالماء" تنعكس فى خصومة تولافا (الإلهة الحارسة للنار عند الإرزيا) مع فيديافا (الإلهة الحارسة للماء عند الموكشا والإرزيا) (Harva, 1952, 184) ، وكذلك ثنائية السماء من ناحية والأرض/والمملكة السفلية من ناحية أخرى وهى فكرة مرتبطة بأن قدر الآلهة هى السماء وقدر الإنسان هو الأرض والمملكة السفلية.

وإلى يومنا هذا مازالت بعض الملامح الوثنية قائمة وبشكل خاص تلك المرتبطة بعبادة الماء والنار والشجر، وتتمثل عبادة الماء فى طقوس تظهر خاصة مثل الاستحمام فى عيد الغطاس[٦٠] وفى الخميس المقدس[٦١]، واحتفال الشباب بعيد

---

(٦٠) عيد الغطاس: Epiphany Day بالروسية Kreshynia : عيد تجلى يسوع المسيح عليه السلام/عيد الغطاس، ويحتفل به المسيحيون فى ٦ يناير من كل عام إحياء لذكرى معمودية السيد المسيح فى نهر الأردن على يد القديس يوحنا المعمدان . (المترجمة)

(٦١) الخميس المقدس : Maundy Thursday، وتسميه الكنيسة المصرية القبطية خميس العهد؛ حيث جرى فيه العشاء الربانى الذى أعطى أثناءه السيد المسيح تلاميذه العهد بالحياة الأبدية. هو يوم الخميس من الأسبوع المقدس أو أسبوع الآلام الذى يبدأ بأحد السعف. وفى الكنيسة المصرية القبطية يستخدم فيه سعف النخيل للتبرك، وتقام فى هذا الخميس طقوس القربان المقدس . (المترجمة)

"إيفـان"(٦٢) برش المـاء على بعضـهم البـعض. وتملى التـقـاليد إلى يومنا هذا تناول الناس فى عيد الغطاس "المـاء المقدس"، الذى يحتفظون به حتى العيد اللاحق، ويرشون به قبور الموتى الذين لم يقبضوا بطريقة طبيعية مستهدفين بذلك استجلاب المطر(٦٣). ومازالت قائمة أيضًا طقوس تقديس الينابيع والآبار (حيث يعتبر المـاء فى بعض هذه الينابيع والآبار مقدسًا طاهرًا ومفيدًا للصحة). والموردڤ من الموكشا والإرزيا مازالوا يعتقدون بضرورة ذهاب العروس فى اليوم الثانى للفرح إلى نبع أو بئر للتطهر والتبرك.

وطقوس إضرام النار فى الهواء الطلق(٦٤)، التى تنتشر ليس فقط فى الكريسماس ورأس السنة بل أيضًا فى الكثير من الصلوات والطقوس الجماعية، مرتبطة بعبادة النار. ومن الطقوس القديمة إضرام "النار الجديدة" التى كانوا يحتفظون بشعلتها فى المنازل حتى العام التالى، وكانت "النار الحية" تستخدم فى حماية الناس من أى شرور محتملة وفى علاج بعض الأمراض التى تصيب الناس أو المـاشية.

---

(٦٢) إيفان كوپالا: إيفان تصغير لاسم إيفانوف المقصود "إيفانوف كوپالا" و "كوپالا" بالروسية من: الاستحمام لأنهم فى هذا العيد كانوا يستحمون بطريقة طقسية خاصة. فى الأصل عيد قديم كان السلاف الشرقيون يحتفلون فيه بقدوم الصيف وأشعة الشمس الصيفية وبالخير المتوقع بعد ذوبان الجليد واخضرار الأرض، وكانوا يحتفلون بهذا العيد فى ٢٤ يونيه بالتقويم القديم – تقويم يوليوس قيصر الذى توقف العمل به فى ١٥٨٢ وبعدها بدأ التقويم الجريجورى الحالى. ومن ثم ضمت الكنيسة الروسية طقوس هذا العيد القديم إلى العيد المسيحى : مولد يوحنا المعمدان، وجعلته عيدًا واحدًا يقيمون فيه طقوسًا زراعية شعبية قديمة تستهدف التضرع ليوحنا المعمدان رجاء المحصول الوفير والصحة والخير. ومازال هذا العيد يسمى عند الروس "إيفـان كـوپالا" المرادف الروسـى ليـوحنا المعـمدان Midsummer Day . ويرتبط اسم يوحنا المعمدان فى الكنيسة المصرية بـ "البشـارة" التى جاء بها يوحنا المعمدان للسيدة العذراء مبلغًا لها بحلول الروح القدس فيها . (المترجمة)

(٦٣) الموتى الذين لم يقبضوا بطريقة طبيعية : فى الميثولوجى الموردڤى فكرة تقول: إن الموتى ممن يقبضون على نحو غير طبيعى كالمنتحرين والغرقى وغير ذلك يمتصون ماء التربة ورطوبتها وبالتالى جاءت فكرة رش المـاء على قبورهم حتى لا يمتصوا المـاء والرطوبة من التربة واسترضـاء للآلهة لتنزل المطر، وستـأتى الإشارة إلى ذلك فى متن الكتاب فى القسم الخاص بالمصطلحات الموسوعية . (المترجمة)

(٦٤) إضرام النار فى الهواء الطلق : بالروسية Kustyur من أكثر العادات الروسية الشعبية شيوعًا الذهاب للغابة وإضرام النار (للتدفئة فى الشتاء) والتجمع حول شعلات النار وشى اللحم . (المترجمة)

وكان الموردف يعبدون مجموعة من الأشجار (مثل : الزيزفون والسنديان والبتولا) ويعتبرونها "أشجار مقدسة" اعتقاداً منهم أن هذه الأشجار تمتلك قدرات مدهشة غير عادية على درء غضب الآلهة، وملكات أسطورية فى حماية الناس وزيادة الخصب على الأرض. ولبعض الأشجار دور رمزى فى طقوس الزواج وفى الحياة اليومية (مثل شجرة التفاح والبتولا والسنديان).

ومازال فلكلور الموردف (فى الأغانى والحكايات) يحتفظ بصور فيها بصمات الطوطمية القديمة، مثل صورة الأفعى راعية موقد البيت والزراعة، وصورة السمكات الثلاث التى تحمل الأرض، وصورة الدب طوطم الأسلاف. وفى طقوس الزواج والكريسماس مازال الدب والرقص الطقسى للدب يحتل مكانة مهمة. وتروى الأغانى حكايات الزواج بين الدب والإنسان، ويشار فيها إلى بلاد الدببة حيث يأخذ الدب فتاته زوجة المستقبل التى اختطفها. ومازالت شائعة للغاية حكاية الدب الطيب النبيل الذى قدم هدية لامرأة لأنها قامت بعلاجه (M.n.s., 1985 : 24) وتعكس أسطورة الصياد والبطة موقف الناس من عشيرتهم وأسلافهم. وفى الأسطورة تبدو البطة كطوطم للعشيرة التى ينتمى إليها الصياد، وتظهر فى البداية فى هيئة إنسان ومن ثم طائر يُحرم صيده، ومَنْ يقتل هذا الطائر يعد معتدياً على محرمات العشيرة ومرتكبًا لأفظع الجرائم (Maskayev, 1964:227) . وفى صورة البطة التى تجلس على بيضها يمكن اقتفاء أثر الميثولوجى القديم لمنطقة الأورال. وبمرور الزمن أفضى تطور الزراعة إلى تقليص مكانة الطوطم الشجرة والطير والحيوان والسمكة، وازدادت أهمية الخبز والحبوب.

وحتى يومنا هذا مازال بوسعنا ملاحظة آثار العبادة القديمة للأسرة/العشيرة، ويتمثل هذا بشكل خاص فى الطقوس المتعلقة بالانضمام إلى عشيرة جديدة (فعند الموكشا مازالت العروس تُمنح اسمًا جديداً عندما تصبح فى منزل عريسها)، ونرى هذه الآثار اليوم أيضًا فى تثبيت إشارة أو علامة تميز الأسرة/العشيرة بما يخصها أو ينتمى إليها، مثل وضع إشارة الأسرة/العشيرة على أول صف من صفوف أساس بناء المنزل وعلى صلبان قبورهم.

وتتجسد بوضوح شديد الرؤى الميثولوجية للموردف فى الطقوس الدينية / السحرية والصلوات الدورية والطارئة. فحتى بعد اعتناق الموردف للمسيحية وتأديتهم الطقوس الخاصة بالقديسين المسيحيين كانوا فى الوقت نفسه يمارسون الطقوس الخاصة بالآلهة والآلهة الحارسة المحلية. وعلى هذا النحو ظهرت تقريبًا فى القرنين الثامن عشر – التاسع عشر واستمرت فى التطور ثنائية دينية ذات طبيعة خاصة. ومن ملامح هذه الثنائية الدينية إضفاء الموردف لتفسيرهم الخاص بل وأسمائهم الخاصة على بعض الأحداث والشخصيات المسيحية، ومن ذلك على سبيل المثال اعتبارهم أن السيدة البتول "العذراء" هى "فيديافا" إلهة الماء وحمل الأطفال (عند الموكشا والإرزيا)، النبى إليا هو إله الرعد "أتياماشكاى" (عند الموكشا) /"بورجينيباز" (عند الإرزيا) وغير ذلك (Samorodov, 1981 : 50) .

ومثلهم مثل شعوب فين – أوجر الأخرى ارتبطت أهم أعياد الموردف وطقوسهم بأهم أحداث السنة الزراعية مثل بداية إعداد الأرض، وأول جر للماشية إلى المراعى والكلأ[٦٥]، وبداية جمع المحاصيل ونهايته وغير ذلك. وتبدأ الدورة عندهم بالانقلاب الشمسى فى الشتاء وبيوم "رأس السنة". وكان التقويم[٦٦] عندهم يتزامن مع تقويم الكنيسة المسيحية الروسية. ومن القديسين المسيحيين الذين كان الموردف يحبونهم حبًا خاصًا أولئك القديسون الذين يرعون الزراعة والصيد. من ذلك على سبيل المثال: القديس نيقولاى – صانع المعجزات/القديس الراعى للزراعة (يسميه الإرزيا ميكولا والموكشا نيكولا) والقديس فاسيلى العظيم (يسميه الإرزيا : تاوسياى أو توفون باز)

---

(٦٥) أول جر للماشية إلى المراعى : تحتفل هذه الشعوب بذوبان الجليد وبداية الربيع، وبالتالى بأول مرة تخرج فيها الماشية بعد البيات الشتوى فى الزرائب بأفنية المنازل إلى المراعى والكلأ . (المترجمة)

(٦٦) التقويم : حتى ١٤ فبراير ١٩١٨ كانت الإمبراطورية الروسية تتبنى التقويم القديم Julian Calendar الذى وضعه يوليوس قيصر عام ٤٦ قبل الميلاد. وبعد هذا التاريخ أقر الاتحاد السوفيتى العمل بالتقويم الذى وضعه البابا جريجورى ١٣ Gregorian Calendar فى عام ١٥٨٢ مصححًا به تقويم يوليوس قيصر، وهو التقويم المسيحى الذى أخذت به شعوب الأرض تدريجيًا منذ وضعه وإلى الآن. وبالتالى حتى ١٤ فبراير ١٩١٨ يكون الفرق فى التاريخ بين التقويم القديم والجديد فى أحداث الإمبراطورية الروسية : فى القرن الثامن عشر ١١ يومًا وفى القرن التاسع عشر ١٢ يومًا وفى القرن العشرين ١٣ يومًا . (المترجمة)

راعى الخنازير وفاسيلى المقدس راعى كل الماشية والقديسان فلور ولافر راعيا الخيل وغير ذلك. وعادة ما يتمثل عندهم مضمون الديانة الزراعية وجوهرها فى عبادة الآلهة الحارسة للأرض والخصوبة والنبات وفى المقام الأول بعبادة إلهات : المحاصيل (نورفافا عند الإرزيا) والحقل (باكسيافا عند الموكشا) والحبوب (صيرافا عند الموكشا) فضلاً عن عبادة الموتى من الأسلاف. وكان الكثير من طقوسهم يتسم بطبيعة التضرع لاستجلاب ما يريدون، مثل تأمين محصول غزير أو خصوبة الماشية أو الصحة أو الثروة وغير ذلك. ومن حيث الشكل كانت هذه الطقوس توليفة من أشكال الفنون المختلفة بما فى ذلك الأغانى التى تصاحبها والألعاب وقراءة المستقبل.

ومن بين الأعياد المسيحية ما زال الموردف إلى الآن يحتفلون بعيد الفصح (أوتشيجى عند الموكشا وإينيشى عند الإرزيا) وعيد العنصرة[٦٧] (تروتسيا عند الموكشا وتروفيتسيا عند الإرزيا) وعيد "إيفان كوبالا"[٦٨] (كوبلنايا عند الموكشا وفالنوما تشى عند الإرزيا) وعيد القديس نيقولاى.

وجسدت الوثنية فى الكثير من طقوسها دورية الظواهر الطبيعية : انبعاث الحياة فى الطبيعة (طقوس الربيع المرتبطة بإعداد الأرض للزراعة وبذرها بالبذور) والتفتح والازدهار (انتظار المحاصيل) ومن ثم نوم الطبيعة (طقوس الخريف والشتاء).

وعدا الطقوس الدورية كان الموردف يؤدون طقوسًا أخرى فى مناسبات مختلفة عَرضية (فى حالات الجفاف والحرائق وغير ذلك). وعلى سبيل المثال تتضمن الطقوس

(٦٧) العنصرة Pentecost ، WhitsunDay بالروسية Troitsa : عيد مسيحى، يعد أحد أهم أعياد الكنيسة الأرثوذكسية، يقام فى الأحد السابع بعد عيد الفصح (بعد مرور ٥٠ يومًا من الفصح) احتفالاً بذكرى نزول الروح القدس إلى الحواريين. وتطلق الكنيسة الأنجليكانية عليه WhitSunday (الأحد الأبيض) تيمنًا بالملابس البيضاء التى يرتدونها عند التعميد، و Pentecost عن اليونانية. ويسمى بالروسيةترويتسا – اشتقاقًا من كلمة " ثلاثى" أى : الأب – الابن – الروح القدس، ، ولا تستخدم الكنيسة المصرية هذا الاسم المترجم عن الإنجليزية وإنما تسمى هذا العيد "عيد حلول الروح القدس" فى السيدة العذراء . (المترجمة)

(٦٨) إيفان كوبالا : راجع هامش المترجمة رقم ٦٢ . (المترجمة)

المرتبطة بدورة الحصاد طقساً يسمى "الحزمة الأخيرة" أى ترك قطعة من الأرض دون حصد ما بها تكريمًا لأحد الأموات. فالموكشا عند الحصاد يبقون قطعة من الأرض لا يحصدون ما بها يسمونها "باكسيان صاكال" (أى لحية الحقل) لكى تطعم "بكسيان كازا" (أى معزة الحقل). وعند جمع الحبوب تُترك فى الصف الأخير عشرة كيزان ذرة أو سنابل قمح تشد إلى بعضها البعض فى شكل صليب قربانًا لإلهة الحقل "باكسيافا". وتبدو بوضوح فى هذه الطقوس عبادة الحبوب والخبز. وتجدر الإشارة إلى الدور المهم الطقسى/السحرى للخبز فى الأعياد والطقوس الأخرى بما فى ذلك العائلية والعامة، فضلاً عن أن الخبز الطقسى "كوبشات"(عند الموكشا) والفطائر الطقسية (عند الإرزيا) والفطائر الرقيقة الطقسية (عند الموكشا) مازالت تعد إلى يومنا هذا من الملامح الرئيسية التى لا غنى عنها فى الأفراح والمآتم.

ويتمثل الجزء الطقسى/السحرى من أعياد الموردف فى الفعاليات المسرحية والمشاهد التنكرية (بما فى ذلك التزين والتبرج) وإضرام النار فى الهواء الطلق. وكانت معظم هذه الطقوس تؤدى فى الكريسماس وعيد الفصح وعيد إيفان كوبالا. ويعود الكثير من الطقوس والممارسات الخاصة بقراءة الطالع والمرتبطة بسحر اليوم الأول (الذى غالبًا ما يكون يوم رأس السنة وأحد الفصح) إلى أصول ما قبل المسيحية. ويتضح الجوهر الوثنى لبعض الطقوس فى الممارسات المختلفة التى تستهدف حماية الناس ووقايتهم فى مواجهة الأمراض والسحرة والحسد والعين الشريرة.

تلك، فى عجالة، الملامح المميزة للتصورات التقليدية للموردف عن العالم، والخصائص الرئيسية التى ميزت تلقيهم للعالم فضلاً عن معتقداتهم الدينية.

المراجـــع

Lit.: Boyarkin N. I. Mordovskaya instrumentalnaya signalnaya muzyka // Muzyka v obryadah i trudovoi deyatelnosti finno-ugrov. Tallinn, 1986; Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 1–2. Narodnye pesni mordvy. Saransk, 1961, 1963; Yakov. O mordvah, nahodyashchihsya v Nizhegorodskom uezde Nizhegorodskoi gubernii. SPb., 1848; Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964; Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya skazka. Saransk, 1947; Melnikov P. I. Ocherki mordvy. Saransk, 1981; Mitropolsky K. Mordva. Religioznye vozzreniya, ih nravy i obychai // Tambov. eparh. ved., 1876; Mordovskie narodnye pesni (M.n.p.). M., 1957; Mordovskie narodnye skazki (M.n.s.). Saransk, 1985; Napolskikh V. V. Narody uralskoi yazykovoi semyi. M., 1991; Petrukhin V. Ya., Khelimsky E. A. Finno-ugorskaya mifologiya // Mify narodov mira. Entsikl. T. 2. M., 1994; Samorodov K. T. Mordovskaya obryadovaya poeziya. Saransk, 1980; Smirnov I. N. Mordva. Kazan, 1895; Ustno-poeticheskoe tvorchestvo mordovskogo naroda (UPTMN). T. 1. Epicheskie i liro-epicheskie pesni. Saransk, 1963; T. 7., ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; T. 7, ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni i zagovory. Saransk, 1981; T. 10. Legendy, predaniya, bylichki. Saransk, 1983; Erzian morot. Saransk, 1928; Yurtov A. Obraztsy mordovskoi narodnoi slovesnosti. Vyp. 2. Kazan, 1883; Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki. 1952; Kuusi W. Suomen kirjallisuus I. Kirjoittamaton, kirjallisuus. Helsinki, 1963; Mainof W. Les restes de la mythologie Mordvine // Journal de la Société Finno-Ougrienne. Helsingissä 1889; Mordwinische Volksdichtung. Bd. 5. Helsinki, 1977.

الميثولوچى الموردقى

المـــادة الموسـوعـيـة

A

Angel / المـلاك

(angol, M. - angel, E.)[٦٩]

الملاك فى الميثولوچى الدينى كائن خارق للطبيعة، مبعوث الإله وراعى البشر. ويُصَوَّر الملاك فى شكل طفل بأجنحة يرتدى ثيابًا بيضاء. ولقد دخلت هذه الصورة إلى ميثولوچى الموردف من الموكشا والإرزيا بعد اعتناقهم المسيحية (فى القرنين الـ١٧ – ١٨). والمهمة الرئيسية لهذا الكائن هى حماية حياة الإنسان. ووفقًا للمعتقدات الشعبية الموردفية فلكل إنسان ملاكه الذى يشبهه، ويظل الإنسان حيًا مادام يجلس الملاك على كتفه الأيمن.

ويطلب الناس من الملاك الصحة والثروة والنجاح فى أعمالهم وفى أسفارهم. وأفضى خوف الناس من فقدان الملاك إلى إيمانهم بإشارات وأمارات عديدة ومعتقدات شعبية ومحرمات فرضوها على أنفسهم. ومن المحرمات أن يبصق المرء عبر كتفه الأيمن،

---

(٦٩) Angol, M. - angel, E. سأدرج بداية : (١) المصطلح مكتوبًا بالحروف الإنجليزية : angol ثم سألحق بعد كل مصطلح حرف M أى الموكشا أو E أى الإرزيا، .angol, M أى : "أنجول" عند الموكشا .angel, E "أنجل" عند الإرزيا، وسأستخدم دائمًا حرفى M و E للإشارة إلى الموكشا أو الإرزيا أو M,E أى الموكشا والإرزيا معًا (٢) ثم سأترجم المصطلح إلى العربية إذا توافر مرادف عربى متعارف عليه، وإذا لم يتوافر فسأدرج المصطلح بالحروف العربية كما هو دون ترجمة كأن أقول: أنجل (ملاك) . (المترجمة)

أو يبصق عبر النافذة وإلا سيقع بصاقه في عين الملاك فيرحل عنه، أو يتغوط على الطريق، فالملاك لن يستطيع فى هذه الحالة عبور الطريق وسيترك صاحبه ويرحل عنه. ومن المحرمات أيضًا التبول على الطريق، فقد يسقط البول فى عين الملاك فيرحل. وكانوا يعتقدون أن من الضرورى قبل الخروج من المنزل استدعاء الملاك لمصاحبة المرء وحمايته.

وتتضح بدقة بالغة الصورة الميثولوچية للملاك فى تضاد "اليمين/اليسار". فيرتبط الجانب الأيمن من جسم الإنسان بالحياة وبشىء ما إيجابى وطيب، بينما يرتبط الجانب الأيسر بالموت وبشىء ما سلبى وروح شرير. ومن هنا توصل الناس لاستنتاجات محددة تفسيرًا لبعض الأمارات والإشارات ، من ذلك اعتقادهم أن حك المرء يده اليمنى يعنى انتظار ربح أو فائدة ما، والحركة السريعة المفاجئة لجفنى العين اليمنى تعنى قدوم السعادة، والحركة السريعة لرموش العين اليمنى تعنى معاودة اللقاء، وإذا تردد طنين بالأذن اليمنى ينبئ بورود أنباء سارة. ولا يُسمح بالرقاد على الجانب الأيمن فمعنى هذا بكاء الملاك؛ إذ لا يجد لنفسه مكانًا للرقاد. ويعتقد الموردڤ أن الجانب الأيمن يهب الحظ السعيد، والجانب الأيسر يفضى إلى سوء الحظ والفشل. وهكذا فالقيام من السرير وارتداء الحذاء ودخول المنزل يجب أن يبدأ بالقدم اليمنى، لإفساح الطريق للملاك. وكان الموردڤ يتمسكون بشدة بغسل اليد اليمنى فى الصباح ويطلقون على هذا السلوك "أنجولتسى شتاتانزا" (أى الملاك يَغسلك) بمعنى أن الملاك يباركك ويحمى خطاك وحياتك طوال اليوم. وكان الغسيل العرضى الطارئ لليد اليسرى يعد نذير شؤم وسوء حظ. وعادة ما يستخدم السحرة والمشعوذون ظهر اليد اليسرى فى تدبير أفعالهم الشريرة.

Apple-tree / شجرة التفاح

(marlyu, M. - umarina, E.)

تعد شجرة التفاح فى التقاليد الشعبية رمزًا للأنوثة والجمال والانسجام والتناسق بين السماء والأرض، وترمز فى الميثولوجى الموردڤى إلى توازن العالم ، وتنشر الشجرة فروعها فى كل الاتجاهات، وتنمو على مرج فسيح فى قلب غابة ضخمة يلفها الظلام ،

وترتفع فروعها لتغطى السماء كلها فيما تمتد جذورها لتشمل الأرض برمتها. وينمو التفاح على الشجرة بلونين : فيظهر الأحمر من حيث تشرق الشمس، والأبيض من حيث تغرب. ويعد هذا رمزًا فريدًا للنهار (الدفء والضوء) والليل (البرد والظلمة). وفى إحدى الحواديت الميثولوچية تنمو شجرة تفاح فى مكان مُحَرَّم يحرسه نِيشكِيباز(٧٠) ، وشجرة التفاح هذه لا يراها أحد ولا يستطيع أحد العثور عليها سوى النحلة الأم ملكة النحل ذهبية الرأس والأجنحة التى تجمع رحيق النحل من الشجرة. وتروى إحدى الأغانى حكاية شجرة تفاح رائعة الجمال ضخمة بلا حدود تشبه السنديان العملاق، ويقرر النبيل الطاغية متحجر القلب "باين بايار" قطع الشجرة. وبصوت إنسانى تتحدث إليه الشجرة متوسلة رحمته، وتحذره أنه إذا قطعها، ومرَّ فوق الجسر الخشبى، سيسقط وستقضى خيوله (وهو ما حدث بالفعل). وفى طقوس الزواج وأغانيه يشبهون الفتاة الشابة العروس بشجرة التفاح التى تنمو على الطريق.

وتقوم شجرة التفاح بدور المنذر والمتنبئ. وكان الموردف يعتقدون أن شجرة التفاح الذابلة قبل أوانها فى الحديقة أو التى تتفتح ثمارها للمرة الثانية فى الخريف تنذر بالكوارث أو بموت صاحب المنزل أو أحد أفراد العائلة. ومن المحرمات قطع شجرة التفاح (لأن هذا يفضى إلى الكوارث والنكبات)، ومن يدفن طفلاً يُحرم عليه أكل التفاح حتى عيد التفاح الذى يسمى "يابلتشنى سباسا" (وإلا لن يتوفر فى العالم الآخر التفاح للطفل المدفون).

المراجع :

(٧١)UPTMN. T. 2 Liricheskie pesni. Saransk 1965

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى. المجلد الثانى : أغانى الشعر الغنائى، صارنسك ١٩٦٥ .

---

(٧٠) نيشكيباز : عند الإرزيا الإله الأعلى وابن أنجى باتيا أم الآلهة . (المترجمة)

(٧١) سأترجم إلى العربية كل المراجع الواردة باللغة الروسية والإنجليزية والألمانية والفرنسية، بيد أن الكثير من المراجع وارد باللغة الموردڤية وغيرها من لغات شرق أوروبا، عندئذ سأورد المرجع باللغة نفسها . (المترجمة)

Asp/ شجر الحَور (الرجراج)[٧٢]

(poyu, M. - poy, E.) (Aspen)

شجر الحور الرجراج نوع من الأشجار يستخدمه الموردف فى أغراض الحماية والوقاية. بيد أنهم يعتبرون الحور فى الوقت نفسه شجرة ملعونة جبانة. ويشير الميثولوجى المسيحى إلى أن يهوذا – قاتل الرب ("شكايين شافيز" عند الموكشا و بازون تشافيز"عند الإرزيا) قد شنق نفسه على هذه الشجرة. ويبدو أنه لهذا السبب لا يستخدم الموردف خشب هذه الشجرة فى البناء، ويعتقدون أن الشيطان يرقص حولها، ولذا يحرمون الاختفاء تحتها فى أثناء العواصف الرعدية (وإلا يقتلك البرق). وفى الممارسات الطقسية/السحرية من الشائع استخدام خشب الحور لعمل سارية تُترك على قبر الشخص "الشرير" أو الميت "الهائم على وجهه" لسد الطريق أمامه[٧٣]، أو كانوا يُغرقون الميت الشرير أو الهائم على وجهه فى مستنقع ويضعون على السطح بعض أفرع هذه الشجرة حتى لا تظهر له ذرية. ومع ذلك فأحد أشكال العلاج الشعبى كانت جر الطفل المريض على حطام شجرة الحور أو إحدى الأشجار القريبة منها.

---

(٧٢) الحور الرجراج : شجر يتميز بشكل خاص بشدة كثافة الفروع الحاملة للأوراق حتى إن الأوراق تتحرك بسهولة شديدة من مجرد النسيم ولذا يسمى الرجراج، وتتحرك الأوراق فقط من جانب إلى آخر ولكن لا تتحرك من أعلى لأسفل أو العكس. ويوجد هذا الشجر فى شمال أفريقيا وغرب آسيا وأوروبا وكندا وأمريكا، وأنواعه مختلفة . (المترجمة)

(٧٣) لسد الطريق أمامه : كان الموردف يعتقدون فى إمكانية خروج الميت من قبره، لذا كانوا يتركون بعض الفتحات فى تابوت الميت تمتد من التابوت فيما يشبه الماسورة إلى أعلى التربة يرسلون عبرها الطعام إليه، ويمكنه عبرها مشاهدة العالم ومتابعة ما يجرى. واستخدام الحور الملعون هنا المقصود منه منع الميت الشرير من مغادرة القبر/المترجمة نقلاً عن المؤلفة فى موضع لاحق بمتن الكتاب .

B

Baths / الحمَّام

(banya, M. - E.)

الحمام[٧٤] جزء لا يتجزأ من الثقافة الميثولوجية للموردف، باعتباره فى المقام الأول مرتبطًا بـ "بانِيافَا" و "بانِياتَا"[٧٥] ، الآلهة الراعية للحمام، ولأنه مكان لأداء طقوس شعبية تدخل فيها أعمال السحر، فضلاً عن كونه أصل فكرة "الطاهر/غير الطاهر" عند الموردف. ويرى بعض الباحثين أن الحمام هو النموذج الأصلى[٧٦] للكوخ أو السقيفة. ويشهد فلكلور الموردف على استخدام الحمام كمكان دائم للإقامة، الأمر الذى يؤكده تشابه الحمام بالكوخ/السقيفة من حيث المظهر الخارجى العام للبناء والتسميات والأهمية الوظائفية لكليهما فى الطقوس العائلية والدينية. وعادة ما كان الحمام يستخدم كمكان للولادة، فوفق معتقدات الموردف تتعرض النساء وأطفالهن عند الولادة بالتحديد لسلطة الأرواح "غير الطاهرة" وللحسد والعين الحسود، ولذا كن يختبئن عند الولادة فى الحمام لحماية أنفسهن من عيون الغرباء و"القوى غير الطاهرة"، ويصطحبن معهن فأسًا وسكينًا لصد السحرة والمشعوذين. وفى هذا الصدد كان من

---

(٧٤) الحمام : هذه التسمية استعارها الموردف من الروس (المؤلفة). وللحمام فى التقاليد الشعبية الروسية دور مهم، وكان الروس وفى ظنى مازالوا فى القرى إلى الآن يستحمون بالبخار المتصاعد من الفحم أو الحطب المحترق فى غرف يبنونها خصيصًا فى فناء البيت ويغلفونها بالخشب من الداخل، وبها أوعية خاصة لحرق الحطب أو الفحم ليتصاعد منه البخار، ويبنون فوق الحمام مدخنة خاصة لتسريب العادم. وفى الحمام يستخدمون مقشة خاصة لضرب أجسادهم ضربات خفيفة فى أثناء الحمام لتنشيط الدورة الدموية مع الحرارة العالية للبخار. وهذا الحمام هو مانسميه الساونا. وفى مصر كانت هناك حمامات عامة من هذا النوع يسمونها "الحمام البلدى" . (المترجمة)

(٧٥) Banyava يلاحظ القارئ أن اسم الإلهة بانيافا مأخوذ من اسم الحمام بالروسية Banya مضافًا إليه حروف مؤنث الاسم va فى Banya/va أو مذكر الاسم tya فى Banya/tya بالموردفية. وبانيافا هى الإلهة الراعية للحمام والصحة والولادة وبانياتيا هو زوج بانيافا . (المترجمة)

(٧٦) Prototype أى النموذج الأصلى الذى تُصنع على غراره نماذج أخرى . (المترجمة)

الشائع أيضًا اعتبار أنه إنْ لم تُضرم النار فى الحمام(٧٧) ثلاث مرات بعد الولادة يمكن أن يموت الطفل، فضلاً عن ضرورة اغتسال الأم بعد الوضع ثلاث مرات فى الحمام (بهدف التطهر)، وقبل أن تغادر المرأة الحمام بعد الولادة كانت تقام الصلوات على شرف "بانيافًا" إلهة الحمام والولادة والصحة(٧٨) .

وفى الحمام الطقسى عند الإرزيا فى قرية كاردافلى فى منطقة جورويشتشى تتمثل جلية آثار التصورات الميثولوجية، ويبدو هذا واضحًا فى تقاليد الاستحمام بالبخار ثلاث مرات فى الأسبوع المقدس(٧٩) (الأربعاء - الجمعة - السبت) ويسمى الحمام الأول "كيكناى" (وفيه تضرم النار للاستحمام فى يوم الأربعاء المقدس من الأسبوع المقدس)، وفى الحمام الأول يجتهد المشاركون لخلع ملابسهم بأسرع ما يمكن ومع انطلاق كلمات "كى - كى" (التى يأتى منها اسم كيكناى) يركضون صوب الماء

(٧٧) تضرم النار فى الحمام : المقصود إحراق الحطب أو الفحم وتصاعد البخار للاستحمام . (المترجمة)

(٧٨) يلاحظ هنا ارتباط الحمام بالنظافة وبإلهة الصحة (والولادة والحمام) . (المترجمة)

(٧٩) الأسبوع المقدس Holy Week : يبدأ بأحد السعف Palm Sunday (أحد الشعانين فى الكنيسة المصرية) يوم دخول المسيح منتصرًا إلى أورشاليم، ويسمى بالأسبوع العظيم فى روما والكنائس الأرثوذكسية إحياء لذكرى الأعمال العظيمة التى قدمها المسيح عليه السلام للإنسانية، ويسمى أسبوع الآلام فى الكنيسة الشرقية والقبطية إحياء لذكرى الآلام التى عاناها المسيح عليه السلام فى الأسبوع الأخير من حياته. وتتضمن احتفالات هذا الأسبوع الاحتفال فى أوروبا الغربية بالأربعاء المقدس Holy Wednesday أو أربعاء الرماد Ash Wednesday وهو اليوم الأول من احتفالات تكرس للغفران والتوبة وعودة المسيح ثانية للعالم. وفى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية يؤخذ الرماد من سعف النخل المحترق فى أحد السعف السابق للأربعاء باعتبار أن هذا الرماد يباركهم قبل قداس الأربعاء المقدس. ويضع القديس أو البابا الرماد على جباه الكهنة مرددًا : تذكر أنك من تراب وإلى التراب تعود. ويحتفلون بآخر عشاء للمسيح يوم الخميس المقدس Holy Thursday (خميس العهد فى الكنيسة المصرية) والجمعة العظيمة GoodFriday / ويسميها أقباط مصر الجمعة الحزينة. ويعتبر المسيحيون أن صلب المسيح قد أفسد يوم الجمعة الربانى، ويكرسون هذا اليوم لطقوس الغفران والصلاة والصيام . وينتهى هذا الأسبوع بالسبت المقدس Holy Saturday ويسميه أقباط مصر سبت النور أو الفرح؛ لأن صلب المسيح مرتبط بوعد إلهى بغفران خطايا الناس بالكفارة عبر صلب المسيح. وتقام فيه صلوات الكنسية وطقوسها ومن ثم يأتى حد قيامة المسيح عليه السلام. ومن الواضح هنا جدًا خلط الموردف بين تقاليد ديانتهم الوثنية السابقة والتقاليد المسيحية . (المترجمة)

البارد ويصبونه على أجسادهم. وللحمام الثانى كانت تضرم النار فى الجمعة المقدسة حيث كان كل شخص فى أثناء استحمامه بالبخار يستدعى أرواح الموتى الذين يوفر لهم الماء والمقشات[٨٠] للاستحمام. وفى الحمام الثالث (المسمى تيتيرن - بانيا[٨١]) عندما يكون الجميع قد استحم بالبخار، كانت البنات يضرمن النار للاستحمام يوم السبت المقدس. وفى الخميس المقدس كان كل من الموكشا والإرزيا يقيمون صلوات خاصة على شرف بانيافا إلهة الحمام حيث يتضرعون إليها لتهبهم الصحة.

وبالحمام ترتبط أيضًا بعض طقوس الزواج، ففى بعض القرى كانت العروس قبل زفافها تقيم بضعة أيام فى الحمام تبكى عذريتها وتودع صديقاتها ومنزلها. وكان أهل العروس يقدمون لها العصيدة[٨٢] الطقسية فى الحمام. وكان الاستحمام الطقسى للعروس فى الحمام جزءًا من طقوس العرس عند الموكشا والإرزيا. وإلى حمامها العُذرِى الأخير فى بيت والديها كانت العروس تدخل دون غطاء للرأس وبصحبة الكثير من صديقاتها، وكن فى الحمام يقرأن طالع العريس (وعلى سبيل المثال إذا أصدر البخار أزيزًا وهسهسه فإن زوج المستقبل قوى الشخصية). وفى الكثير من قرى الموكشا يجرى فى الحمام أيضًا طقس آخر من طقوس الزواج وهو استبدال غطاء الرأس الذى

(٨٠) مقشة السونا فى حمامات البخار أو الساونا المنتشرة فى أرجاء روسيا؛ حيث يستخدم شىء أشبه بالمقشة يضرب بها على المواضع المختلفة من الجسم لإنعاش الدورة الدموية وتحصيل أكبر قدر ممكن من الفائدة الصحية من حمام البخار. وفى العادة تصنع هذه المقشات من أعواد الشجر وأفرعه ويعد ذلك مفيدًا للصحة وذا رائحة نفاذة . (المترجمة)

(٨١) تيتيرن بانيا : من مجمل السياقات التى جاء فيها ذكر لفظ "تيتير" فى متن الكتاب يلاحظ أن هذه الكلمة تعنى فتاة/عذراء وحرف النون الذى تنتهى به الكلمة هنا هو للصفة أو الجمع. ومن ناحية أخرى فكلمة بانيا الروسية الأصل كما أشارت المؤلفة تعنى "حمام" وبالتالى تصبح تيتيرن بانيا : حمام العذارى . (المترجمة)

(٨٢) العصيدة : من أوسع الأكلات الشعبية انتشارًا فى روسيا، وهى أشبه عندنا بالبليلة والأرز باللبن والمهلبية، ويأكل الروس العصيدة فى الصباح، ويقدمونها للأطفال الرضع بكثرة. ويعدونها من شتى أنواع الحبوب (القمح والشعير وغيره) ويضيفون إليها اللبن الحليب والزبد أو القشدة. ويبدو أن العصيدة - الوجبة الشعبية الأكثر انتشارًا - وجدت لنفسها مكانًا فى الميثولوجى الروسى . (المترجمة)

ترتديه الفتيات بغطاء الرأس الذى ترتديه السيدات بعد الزواج. ووفق التقاليد، بعد الزواج، كانت تضرم النار لإعداد الماء الساخن فى "حمام العروس" حيث تقوم العروس الشابة بغسل حماتها وقريباتها المقربات.

وكانت التقاليد تملى أيضًا إبقاء بعض الماء فى الحمام لـ "بانِيافَا" إلهة الحمام وأطفالها، وكانوا يعتقدون أنها تستحم وتغتسل بهذا الماء، وأنه إذا لم يُتبع هذا التقليد فبوسع الإلهة بانِيافَا إلحاق أشد الأذى بالأسرة.

وفى الحمام وبهدف التطهر والوقاية كانت تضرم النار ليغتسل مَنْ قام بحفر قبر. وفى طقوس إحياء ذكرى الموتى كانوا يحضرون العصيدة إلى الحمام ويضعونها فى أحد أركانه. وكان الحمام ومازال يستخدم لقراءة الطالع وفتح البخت حول الحب والعلاقات الجنسية، وفى الحمام كانوا يقيمون شعائر سحرية للعلاج من العجز الجنسى أو العقم أو غير ذلك باستخدام كلمات أو أمثلة أو تعاويذ أو رقيات سحرية. وكانوا يعتقدون أنه باستحمام المريض بالبخار مرات ثلاث فى الحمام من ماء مأخوذ من ينابيع ثلاثة وعمل مقشة الحمام من أفرع مأخوذة من شجرات بتولا ثلاث وبناء الحمام من أحجار مأخوذة من حمامات ثلاثة، فسيشفى المريض بلا أدنى شك.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. T. 5. Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

الأغنية الموردفية يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

الدب / Bear

(ofta, M-ovto, E)

كان الموردف يعتقدون أن الدب أحد أسلافهم – حيوان/طوطم[٨٣] . وتشير إحدى الأساطير إلى أن الدب إنسان نزلت عليه لعنة الآلهة وبالتالى له قدمان ويدان إنسانيتان. والدب فى المخيلة الشعبية هو رمز الثروة والصحة وطيبة القلب والخصوبة. ويتصور الإرزيا أن الإله الأعلى نِيشكيباز يتخذ شكل دب.

ويعكس الفلكلور الموردفى آثار العبادة القديمة للدب بوصفه من الأسلاف – حيوان/طوطم، فعند الإرزيا أغنية عن بنت تتزوج من دب وتنجب أطفالاً يشبهون إما الحيوان أو الإنسان ويملكون قوة هائلة. وفى الأغانى التى تدور حول الزواج بين البشر والدببة تُذكر أحيانًا بلاد للدببة تقع فى مكان ما بالغابة لا يرتاده البشر أبدًا يأتى إليه الدب حاملاً فتاته المخطوفة – زوجة المستقبل. وتروى إحدى حكايات الموكشا حدوتة عن دب يعيش مع امرأة تنجب له ابنًا دبًا (Ofton'tsera, M.) ينمو ليس بمرور الأيام بل بمرور الساعات. وفى الميثولوجى الموردفى يتحدث الدب بصوت إنسانى ويردد الأغانى ويطلب المساعدة من الناس وبشكل خاص من النساء يسألهن انتزاع الشظايا والشوك من راحة يده، ثم عرفانًا بالجميل يقدم لهن العسل الأبيض. وكان قتل الدب يعد جريمة كبرى يستحق مرتكبها العقاب شديد الوطأة بقتل الأم أو الأب أو الزوجة أو الأطفال. بيد أنه فى الحواديت التى ظهرت فى أزمنة متأخرة، لم يعد يُنظر إلى الدب باعتباره طوطمًا، ففى الحكايات المتأخرة يقوم ابن الدب من زوجته الإنسانة بقتله. وفى الأغانى يشار إلى الحبيب الشاب كدب غاضب. وفى بعض حواديت الموكشا يتردد أيضًا موضوع أكل الدب للبشر(رجل عجوز وسيدة عجوز).

وفى طقوس الزواج كانوا يمثلون مشاهد يشارك فيها الدب الذى كانت تلعب دوره عادة سيدة ترتدى معطفًا وغطاء رأس من فراء مقلوب للدببة، ومن بين هذه الطقوس

(٨٣) الدب الحيوان الطوطم : راجع هامش المترجمة رقم ٣٥ . (المترجمة)

خروج هذه السيدة نفسها لترحب بالعروسين فى منزلهما الجديد. ويرمز الدب فى هذه الطقوس إلى الذرية المستقبلية للعروسين وإلى ثروتهما. وفى أثناء طقوس الزواج كان العروسان يجلسان على فراء بدن الدب أو فراء رأسه. وكانوا يضعون للعروس فراء الدب على مدخل بيت زوجها لتمشى عليه بعد إتمام طقوس الزواج فى الكنيسة، ويغطون سرير العروسين أيضًا بمعطف من فراء الدب. وفى أعياد الميلاد[٨٤] كان الناس يرتدون فراء الدب تشبهًا بالدب اعتقاداً منهم أن ذلك يجلب الخصوبة.

وكانوا يعتقدون أن للدب قدرات على حماية الناس وصد الخطر عنهم، ولذا كانت الخاطبة فى العرس عند الإرزيا ترتدى فراء الدب وتضرب بمقشة الحمام[٨٥] كل الداخلين إلى المنزل لطرد الأرواح الشريرة. وفى المعتقدات الشعبية يؤمن الناس أن الأرواح الشريرة والسحرة يخشون الدب، وبالتالى، ولكى لا تنفذ الأرواح الشريرة إلى حظيرة الماشية وتطيح بهم، كان الموردف يحتفظون فى هذه الأماكن فى الأزمنة القديمة بجمجمة دب. ومَنْ لا يملك جمجمة دب كان يحضر إلى البيت وحظيرة الماشية دبًا حقيقيًا، عندما يظهر فى القرية الرعاة الكفيفون بائعو الدببة الحية.

وكان دهن الدب يستخدم لعلاج أمراض الرئة والبرد، ويستخدمون المرق المصنوع من دهن الدب لعلاج الحمى. وكانوا يُعلقون الدهن مجففًا فى البيت لاستخدامه فى الحماية.

المراجع :

(1) Maskayev A. I.Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964;

(2) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5 Mordavskaya svadba. Saransk, 1966.

(١) الأغنية الملحمية الشعبية الموردقية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٢) العرس الموردقى، يفسيفييف م. أى.صارنسك ١٩٦٦ .

---

(٨٤) ChristmasTide أعياد الميلاد من عشية الميلاد إلى ما بعد عيد رأس السنة . (المترجمة)

(٨٥) مقشة الحمام : كانت تصنع من أفرع شجر البتولا المقدس ولذا تستخدم فى طرد الأرواح الشريرة . (المترجمة)

Besom/sauna whisk / مقشة (الساونا)

(tyalme, M - tenst, E)

تؤدى المقشة فى التقاليد الشعبية للموردف وظيفة الحماية، وهى وسيلة سحرية لرد السحر على الساحر وصد العين الشريرة الحسود. وترتبط المقشة أيضًا بفكرة "الطاهر / النجس" أو الروح الطيب / الروح الشرير. ولأغراض الحماية كانت المقشة التى تستخدم فى الكنس توضع مقلوبة فى ركن بالقرب من عتبة الباب، وبعد خروج الشرير كانوا يكنسون الأرض التى وطأتها قدماه (لمحو آثاره) ويقرأون التعاويذ من خلفه مرددين: "فليسقط كل هذا فوق رأسك".

وترتبط المقشة بالعديد من المحرمات والمحظورات، من ذلك على سبيل المثال : لا يجب المشى فوق مقشة قديمة (وإلا يستنزفك المرض) ولا يجب استخدامها فى ضرب الأطفال (وإلا توقفوا عن النمو) أو الماشية (وإلا ستمتلئ بالديدان). وعند الانتقال إلى مسكن جديد يجب بالضرورة أن تأخذ معك مقشتك القديمة لتؤمن لنفسك اصطحاب كودَافا إلهة المنزل ويُورخْتَافا إلهة العشيرة إلى مسكنك الجديد. وإذا أردت إنزال الأذى والتعاسة بشخص يكفى أن تضع خلسة المقشة على عتبة بابه أو فى زريبة ماشيته. وحتى يومنا هذا مازالوا يخزنون المقشات التى يصنعونها من أفرع شجر البتولا والسنديان فى الفترة ما بين عيد العنصرة حتى عيد النبى إليا[٨٦] . والمقشات التى تصنع فى اليوم الثانى بعد عيد العنصرة تعد هى الأكثر سحرية والأكثر تبشيراً بالنجاح فيما يستخدمونها فيه من أعمال، وكانوا بعد صناعة المقشات الجديدة يلقون بالقديمة فى القمامة أو يطوحون بها باليد اليسرى عند تقاطع طريق.

---

(٨٦) العنصرة (انظر هامش المترجمة رقم ٦٧). عيد النبى إليا: من الأنبياء/القديسين المسيحيين الذين لهم حظوة خاصة عند الموردف بعد انتقالهم للمسيحية، ويحتفلون بعيده فى ٢ أغسطس كل عام. وأشارت المؤلفة فى موضع سابق إلى أن الموردف من الموكشا والإرزيا يعتبرون أن النبى إليا هو إله الرعد الوثنى عندهم . (المترجمة)

وكانوا يستخدمون المقشة فى أعمال سحرية علاجية، فكان المعالجون الشعبيون والسحرة يضعون المقشة على الموضع المصاب ويضربون المريض بها ضربات خفيفة مرددين التعاويذ والأدعية. وكانوا فى العادة إذا مرض شخص يعالجونه بالاستحمام بالبخار وباستخدام المقشة لمرات لا تزيد عن ثلاثة، ويجعلون المريض يخطو فوق المقشة وهم يرشونه بالماء، ثم عليه أن يرقد مرات ثلاث فوق حجر الحمام(٨٧) (وهكذا يتم إحراق المرض وإبعاد الأذى). وبعد الحمام العادى(٨٨)، كانوا فى العادة يتركون المقشة للإلهة الراعية للحمام بانِيافًا، حتى تستحم هى وأبناؤها أيضًا بالبخار. واعتاد الناس فى بعض القرى فى أثناء البَرد إلقاء مقشة من النافذة أو البـاب اتقاء للأضرار التى قد يلحقها بهم.

والإصابة بنوبة قىء كانت شاهدًا ودليلاً للساحر على فقدانه للقدرة على السحر، وفى هذه الحالة عليه مباشرة البحث عن مقشة للتقيؤ عليها لنقل سحره إلى مَنْ يريد من الناس. وفى اللحظات الأخيرة قبل الموت كان السحرة أحيانًا يستخدمون المقشة لنقل قدرتهم على السحر لآخرين، ومَنْ يتنـاول هذه المقشة بيده يصبح ساحرًا. وحتى لا يتكرر الموت فى المنزل، وبعد إخراج الميت، كان لابد من إلقاء المقشة مع القمامة خارج المنزل فيما يسمونه" شوكشا بريا"(مكان القمامة). وكانوا أيضًا يضعون المقشة تحت رأس الميت ويفرشون قاع التابوت بأوراق شجر البتولا التى تصنع منها المقشات.

وفى طقوس الزواج عند الإرزيا هناك طقس خاص يحتِّم الذهاب إلى منزل العريس لأخذ مقشة من هناك. وحتى يومنا هذا مازالت بعض قرى الإرزيا تنظم احتفالاً للعروسين بعد انتهاء إجراءات العرس فى الكنيسة يتضمن وجود دب ممسكًا بمقشة، وبعد دخول

---

(٨٧) حجر الحمام : شىء أشبه بالدكة كان فى البداية من الحجر ثم من الخشب يوضع فى الحمام للجلوس أو الرقاد عليه ويعد أكثر الأماكن فى الحمام سخونة، وهنا المقصود أن المريض إذا جلس على هذا الحجر الساخن ستحترق أمراضه . (المترجمة)

(٨٨) الحمام العادى : تمييزًا للاستحمام الدورى العادى عن الحمام الذى يعد لأغراض أخرى سحرية أو طقسية أو فى مناسبات خاصة كالزواج أو الولادة . (المترجمة)

جمهور المشاركين فى العرس منزل العريس، كان الدب (امرأة ترتدى فراء الدب / المترجمة) يربت على ظهرى العروسين ومن ثم باقى المشاركين بهدف حمايتهم وحماية ذريتهم وضمان خصوبتهم. وفى الكريسماس كانوا يغسلون المقشات بالبخار ويقدمون ماء هذا الغسيل للحيوانات المنزلية للشرب، وكانت البنات تغنى وتلوح بأيديهن ممسكة مقشات من أفرع شجرة البتولا.

المراجع :

Devyatkina T. P. Mokshanskie svadebnye obryady i pesni. Saransk, 1992.

أغانى العرس عند الموكشا – ديفياتكنا ت. صارنسك ١٩٩٢ .

Birch-tree / شجرة البتولا[٨٩]

(kelu, M-kiley, E)

كانت شجرة البتولا معبوداً تقليدياً للموردف وتجسيداً للخصوبة والأنوثة والأصل الأنثوى للعالم. ووفقًا لإحدى أساطير الإرزيا فقد نمت هذه الشجرة فى البداية فوق قبر "كيلى" الجميلة الشجاعة، التى صارعت بدو السهول. وتكريمًا وتخليداً لها أطلقوا اسمها على هذه الشجرة التى كانت إلى ذلك الحين مجهولة الهوية والاسم. ويبدو دور البتولا واضحًا فى الثقافة الموردفية فى الشعر والأغانى ذات الطابع الأسطورى التى

(٨٩) شجرة البتولا : بالروسية Beryouza وبالموردفية " كيلى" نوع من الأشجار يظهر فى نصف الكرة الشمالى وحتى أقصى نقطة جنوبًا لانتشاره فى أمريكا الجنوبية، وأنواعها كثيرة جداً. وتتميز البتولا بأزهارها الذكرية والأنثوية التى تتخذ شكل عناقيد كثيفة. ويستخدم خشب الشجرة فى صناعة الخشب الحبيبى ورقائق الخشب وقشره وفى صناعة الأثاث والأرضيات، ويستخرج منها بعض أنواع الزيت، وتعد من أشجار الزينة لجمال مظهرها وقامتها وثمارها الكثيفة. وكان سكان أمريكا الأصليون يستخدمون خشب البتولا لصناعة الزوارق الخفيفة، فيما كان قدماء السكان فى المناطق التى تظهر فيها البتولا يستخدمون ثمارها طعامًا لهم. والبتولا منتشرة بوفرة شديدة فى أرجاء جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق بما فى ذلك روسيا وموردفا . (المترجمة)

تجسد المفاهيم الفلسفية للموردف حول أصل العالم وتكوينه. وإلى صورة الشجرة المقدسة "كيلى" تعود التصورات الأولى حول "شجرة العالم" التى تعد قاسماً مشتركاً فى شعر العديد من شعوب فين - أوجر. وفى ميثولوجى الموكشا تجسد البتولا العلاقات المتبادلة بين العوالم الثلاثة : إذ تمتد جذور الشجرة إلى العالم السفلى (المرتبط فى المعتقدات الشعبية بعالم الأموات - عالم الأسلاف)، ويقع تاج الشجرة فى عالم الآلهة الميثولوچيين ، فيما يمتد الساق ليبلغ عالم الأرض وليوحد بين عالم الآلهة وعالم الأسلاف. وترتفع هامة البتولا موحية بالعظمة والعراقة وتحلق حولها الأجسام السماوية وتتلألأ على أفرعها النجوم.

وفى بداية القرن التاسع عشر اكتشف علماء الميثولوجى" كيلو باز" (إله "كيلى") عند الإرزيا. وإحياء لذكراه كانوا ينظمون طقوساً سحرية وصلوات يتضرعون فى أثنائها سائليه خصوبة الخيل والماشية. والصلاة الثانية تكريماً له يقيمونها فى عيد إحياء ذكرى القديس بيتر[٩٠] (ويقدمون الخرفان قرابين له، وإذا وقع الاحتفال فى سنة كبيسة يقدمون الفحل الأبيض له). وكانت البتولا تُكرم مثل "شكاى" إله الشمس، وكانت بسبب خصوبتها الشجرة المفضلة لأنجى باتيا أم الآلهة.

وفى فلكلور الأعراس يشار إلى البتولا كرمز لجمال العروس وأنوثتها ورشاقتها. وتنعكس الملامح البديعة للبتولا أيضاً فى بعض المراثى والأغانى التى تدور حولها والتى تروى قصة البتولا التى نمت على قبر الفتاة المقتولة، والصياد العابر الذى مر بالقرب منها فقطعها ليصنع منها قيثارته ويغنى بها أغنيته عن مصير الفتاة فتصل إلى الناس كافة بما فى ذلك والدا الفتاة. وفى هذه الحكاية الأسطورية نجد شفرة منظومة كاملة من الرموز بما فى ذلك الرباط الرمزى مع العالم الآخر الذى يتمثل فى عادة غرس شجرة بتولا على قبر الميت.

---

(٩٠) عيد القديس بيتر : احتفال مسيحى يقام إحياء لذكرى القديس بيتر فى ١٢ يوليه من كل عام. ويشار فى بعض المصادر إلى أنه واحد من الحواريين الـ١٢ وأنه توفى حوالى عام ٦٧ بعد الميلاد. وجدير بالتنوية هنا أن الموردف بعد انتقالهم للمسيحية أخذوا يجمعون بين أعيادهم الوثنية والأعياد المسيحية فيحتفلون بعيد القديس إليا المسيحى وفى اليوم نفسه يحتفلون بعيد أو صلوات الإله كيلوباز الوثنى وهلم جرا. وتحتفل الكنيسة المصرية بالقديسين كل على حدة فى احتفال يسمى نياحة (أى موت/استشهاد) القديس . (المترجمة)

وفي العادات الشعبية يستخدمون البتولا (براعم الشجرة وأفرعها التي تصنع منها المقشات) للتخلص من الأرواح والقوى الشريرة. وإحدى الطرائق القديمة للعلاج عبر السحر يتمثل في الدخول إلى الجوف الكثيف للشجرة المقدسة والتضرع سائليها الشفاء راجين الصحة، وكانوا يسحبون المرضى من الأولاد لجرهم فوق جذع مفلوق لشجرة البتولا أو بين شجرتي بتولا قريبتين من بعضهما البعض. وكانت الفتيات الساعيات وراء الجمال يغتسلن بعصير أوراق شجرة البتولا. وتمثل البتولا نوعًا من الحماية المؤكدة من الأرواح الشريرة وقوى الشر، وكانوا في هذا الصدد يضربون على ظهور جمهور المشاركين في الأعراس عند دخولهم منزل العريس ضربًا خفيفًا بمقشات مصنوعة من أفرع البتولا (والآن تؤدي دور الدب الذي يقوم بهذه المهمة امرأة ترتدي فراء الدب وتمسك بمقشات من أفرع شجر البتولا). وفي العادات الشعبية كانوا في الأعراس يزينون شجرة البتولا لتحمي العروسين وتضمن خصوبتهما. ولحماية أنفسهم من بورجينيباز (إله الرعد) ومن الأرواح الشريرة كانوا في عيد العنصرة يغرزون أفرع شجرة البتولا خلف أطر النوافذ. وكانت الفتيات تستخدم حطبًا من خشب شجر البتولا في قراءة الغيب. وكان قطع شجرة البتولا في الحلم يعني وفاة الزوجة أو الابنة. ووفق المعتقدات الشعبية عند الإرزيا يؤدي اقتلاع شجرة بتولا صغيرة من الغابة (وبشكل خاص حيث تتكاثر بيوت العناكب) وغرسها في زريبة الماشية إلى ازدياد خصوبة للماشية.

المراجع :

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889, 2. Pamyatniki morodovskogo narodnogo muzykalnogo iskusstva. T. 2. Saransk. 1984.

(١) ما تبقى من آثار الموردف. صحيفة جمعية فين – أوجر. ماينوف و. هلسنكي ١٨٨٩ .

(٢) ذاكرة فن الموسيقى الشعبية الموردفية، صارنسك ١٩٨٤

Birth / الولادة – الميلاد

(shachema, M-chachoma, E)

الولادة (المولد – الميلاد) فى التقاليد الشعبية عند الموردڤ حدث مصحوب بمجموعة من الطقوس السحرية المختلفة، وإلى يومنا هذا مازالت طقوس الحمل وولادة الطفل والأيام الأولى من حياته تحمل فى طياتها التصورات الميثولوجية القديمة عن الولادة والمولود والأم. ويبدو هذا واضحًا على سبيل المثال فى الكثير من طقوس الحماية والأدعية والتعاويذ والرقيات وغير ذلك من السلوكيات الخاصة التى يلتزمون بها مستهدفين حماية الأم والمولود. وحتى الآن ما زال بوسعنا فى الفلكلور، وبشكل خاص بعض الأغانى المرتبطة بالبطل الأسطورى "تيوشتيا"، أن نجد آثار التصورات القديمة عن مولد الطفل المعجزة[٩١]. ولم يكونوا ينظرون إلى الطفل المعجزة قط باعتباره فقط ثمرة علاقة جنسية، بل كان الموردڤ من الموكشا والإرزيا يعتقدون بتدخل القوى الطيبة وأحيانًا الشريرة فى مولد هذا الطفل. وفى أغنية الموكشا "فاسالجيا" على سبيل المثال يتضرع الوالدان للآلهة من أجل مستقبل سعيد لابنتهم الوحيدة، ونتيجة لصلواتهم وتضرعهم للآلهة تصبح الابنة زوجة لبورجينيياز إله الرعد ابن شكابافاز الإله الأعلى.

ومن أجل أن تحمل المرأة كانوا يقيمون طقوسًا مختلفة، من ذلك على سبيل المثال : كانت العرافة تصنع دمية من العجين وتذهب فى منتصف الليل مع المرأة العاقر إلى ضفة النهر. وهناك تحل المرأة غطاء شعرها وتخلع حزامها وصليبها وترقد على الأرض[٩٢]،

(٩١) تشير المؤلفة فى غير موضع إلى ما يطلق عليه الموردڤ الطفل المعجزة، أى الطفل الذى تصاحب ولادته أشياء أو ظواهر غير عادية أو هكذا يتخيلونها. وهو طفل أيضًا صاحب معجزات. ومن السياقات التى يرد فيها الحديث عن هؤلاء الأطفال يبدو أيضًا أن النظرة إليهم كانت كالنظرة إلى السحرة، ولذا فهذا الطفل مثله مثل السحرة محبوب ومكروه على حد سواء. حتى إن الموردڤ كما تشير المؤلفة كانوا يعتقدون بتدخل كل من القوى الطيبة والشريرة فى مولد هذا الطفل . (المترجمة)

(٩٢) المقصود هنا هو أن تتحرر المرأة من كل ما من شأنه عرقلة تأثير السحر (وبشكل خاص الصليب بالطبع) الذى يستهدف علاجها من العقم . (المترجمة)

وفى هذه الأثناء تلقى العرافة الدمية فى الهواء وتتمتم وتنفخ وتردد : "خذ هذا لك وأعطنا ما عندك. نحن نطلب ما عندك ونعطيك ما عندنا".

وكل ما يتعلق عند الموكشا والإرزيا بمعتقدات الفأل الطيب وسلوكياته ومشاعره أو نذر النحس فى الفترة السابقة على الولادة له أساس ميثولوجى قائم على مبدأ "التشابه يستحضر التشابه وكل ما قد يتمخض عنه من نتائج". وفى هذا الصدد فُرضت على المرأة الحامل محظورات ومحرمات مختلفة، فمحظور النظر إلى حريق (وإلا فقد يولد الطفل بوجه محترق) ولا إلى الميت أو الأعرج (حتى لا يموت الطفل أو يولد أعرج)، ولم يكن مسموحًا لها بزيارة المقابر أو ضرب الخنزير (وإلا سيولد الطفل مغطى بشعر كثيف)، ولا يجب أن تخطى فوق نبوت أو رمح أو سهم الرمح (وإلا لن يرقد الطفل فى رحمها فى الوضع الصحيح)، ومن المحرمات أيضًا أكل لحم الأرنب (وإلا تصبح شفاه الطفل كشفاه الأرنب) وهلم جرا. وكانت الإساءة إلى الحامل أو إزعاجها تعد ذنبًا لا يغتفر لأن الموردف كانوا يعتقدون أن كودافا ربة المنزل ترعى الطفل فى رحم أمه فى أثناء فترة الحمل. ومن غير المقبول أيضًا رفض الحامل للمفيد من أنواع الطعام وإلا فسينعكس هذا على نمو الرضيع ويفضى إلى افتقار الطفل طوال حياته لهذا النوع من الطعام، وقد يؤدى هذا أحيانًا إلى الخوف من الحامل والنظر إليها باعتبارها كائنًا "خطرًا".

واعتمادًا على أمارات الفأل المختلفة المرتبطة بمبدأ التشابه، كانوا يجتهدون لمعرفة جنس الجنين فى رحم أمه : فإذا كانت بطن الحامل دائرية الشكل - فستلد أنثى وإذا كانت بارزة ذات رأس مستدق فستلد ذكرًا، وإذا تصادف ورأت المرأة الحامل زرًا فالمولود أنثى، وإذا كان الطفل الأخير فى الأسرة ذا خصلة معقودة من الشعر على قفاه فالمولود القادم أنثى. وكان الموكشا يعتقدون أن المرأة الحامل إذا تصادف ومدت يدها مظهرة راحة اليد فستلد أنثى، وإذا أظهرت ظهر اليد فستلد ذكرًا. وفى حفلات العرس كان الإرزيا فى اليوم الثانى يطيحون بقطعة من الخبز فى الهواء بهدف معرفة جنس المولود القادم ، فإذا سقطت قطعة الخبز مظهرة "وش الرغيف" فالمولود القادم ذكر، وإذا سقطت مظهرة "ظهر الرغيف" فالمولود القادم أنثى.

ووفق مبدأ التشابه كان على المرأة فى أثناء الوضع التخلص من كل الأربطة أو الأحزمة لتتحرر من كل ما من شأنه إعاقة الولادة. وكان الموردف يؤمنون، مثلهم فى ذلك مثل كل الشعوب، بالقوة السحرية للأنشوطة أو العقدة ودورها الحاسم فى حل الأزمات الحرجة. ولهذا السبب كانوا، بهدف تخفيف وطأة مشكلات الولادة، يحررون جميع العقد بالمنزل، والعقد فى ملابس المرأة التى تضع مولودها. والمرأة التى تلد للمرة الأولى أو تصاحب الولادة مصاعب كانوا يحررون شعرها ويدورون حولها بالشمعة التى استخدمت فى حفل عرسها ويطلقون أعيرة نارية ويفتحون أبواب الكنيسة لقرع أجراسها، ويتضرع الإرزيا للإلهة أنجى باتيا قائلين: " يا راعية المرأة فى الولادة وحارسة صحة الأم والطفل...".

وتشير الأدبيات المتوفرة إلى أن الموكشا والإرزيا حرصوا كل الحرص على إخفاء اقتراب موعد الولادة وعملية الولادة نفسها التى عادة ما كانت تجرى فى الحمام أو زريبة الماشية أو خلف الفرن لإخفائها عن العيون. وعند الإرزيا لم يكونوا يعلنون موعد الولادة ولا حتى لأم المرأة، الأمر الذى يفسره إيمانهم بأن هذا يضمن للأم نتائج سعيدة، فضلاً عن إيمانهم بأن المرأة والطفل فى هذه الفترة معرضين للحسد والأذى. ولذا كانوا فى أثناء الوضع يغلقون المنافذ والنوافذ والمداخن فى كل مكان حتى لا يدخل السحرة والمشعوذون فى أثناء الولادة ويلحقون الضرر بالطفل الوليد، وكانوا يضعون الخبز فى شكل دائرة حول المرأة فى أثناء الوضع لوقايتها من الحسد.

وبعد الولادة كانوا يعطون الزوج مشروب الشيح مضافًا إليه الملح والفلفل الحار مرددين فى أثناء ذلك : "كما لاقت زوجتك المحن، لاقها أنت أيضاً".

وكانت القابلة (أيدن بابا عند الموكشا) تساعد المرأة عند الوضع وتحمى المولود من العين الحسود. ومن أعمال القابلة فى أثناء الوضع : وبهدف تأمين مستقبل سعيد للطفلة الوليدة كانت تلفها فى ثياب ذكر (يطلقون على هذا الطقس "سحر الحب"). وعندما كانت تغسل الطفل الذكر بعد ولادته كانت تلقى بعملات معدنية فى ماء الغسيل لتأمين السعادة له والتمنيات بالصحة والثروة فى المستقبل، وتضع القابلة أيضًا الملح وأوراق شجر السنديان فى الماء لينمو قويًا صحيحًا طويل العمر. أما المولودة الأنثى

فكانت تضع لها فى الماء أوراق شجر البتولا لتنمو جميلة. وللهدف نفسه كانت تغطى الطفلة المولودة بثياب خضراء أو زرقاء اللون (لون الخضرة ولون السماء) وتردد فى هذه الأثناء : "كما ينمو العشب على الأرض، ومثل جمال الخضرة، ترعرعى أنت وانهضى. ومثل صفاء السماء ونورها، لتكن حياتك طاهرة ومنيرة" . وإذا تعثرت أو تأخرت الولادة كانت القابلة تقدم للأم مشروب "الكفاس"(٩٣) أو "البراجا"(٩٤). ومن العادات الأخرى المرتبطة بالولادة أنهم كانوا يطمرون المشيمة والحبل السرى بعد غسلهما، الأمر المرتبط باعتقادهم باحتمال قيام العاقر من النساء بسرقة المشيمة والحبل السرى فى أثناء الولادة لإلحاق الأذى بالأم والمولود. ولضمان إنجاب ذكر آخر كانوا يطمرون المشيمة والحبل السرى تحت "الركن المقدس" بالمنزل، ولضمان إنجاب أنثى كانوا يطمرونهما فى حقل غريب، وإذا رغبت المرأة عن الإنجاب لفترة ثلاثة أعوام أو أربعة أو خمسة كانوا يطمرونهما فى اليوم الثالث أو الرابع أو الخامس... وإذا ما كانت المرأة عازفة تمامًا عن الإنجاب كانوا يضعونها فى خُف رث وباستخدام عصا من شجر الحور (الملعون/المترجمة) يطمرونها فى مستنقع. وكانوا أيضًا يعتقدون أن المرأة إذا أكلت برعمًا واحداً من أول البراعم التى يطرحها جذر نبات الـ "كيَّاد" (يطلقون على هذا النبات اسم "اليد" لأن براعمه خمسة بعدد أصابع اليد) فإنها لن تنجب لمدة عام واحد وإذا أكلت اثنين لن تنجب عامين وهلم جرا.

---

(٩٣) الكفاس: مشروب شعبى روسى يشرب على نطاق واسع مثل العرقسوس أو التمر عندنا ويصنع من الخبز الأسود المنقوع، مضافًا إليه السكر والخميرة . (المترجمة)

(٩٤) البراجا Braga: ويسمى أيضًا Pure مشروب مُسْكِر يصنع بنقع العنب وتقطيره (وأحيانًا باستخدام الخميرة أو السكر - أو فواكه أخرى مثل التين والبلح وأحيانًا من العسل الأبيض)، انتشر على نطاق واسع إعداده فى المنازل فى أرجاء روسيا. وللحد من ظاهرة السكر، وأيضًا لمنع انتشار الأمراض الخطيرة التى كان يؤدى إليها سوء إعداد هذه المشروبات فى المنازل، فضلاً عن حماية الصناعة الرسمية لهذه المشروبات، فرضت السلطات الروسية حظراً على صناعة هذه المشروبات فى المنازل ووضعت قوانين لهذا الغرض وطاردت مَنْ كانوا يعدونها، الأمر الذى قلص من هذه الظاهرة لكنه لم يقض عليها تمامًا، فمازالت منتشرة بين الروس وبشكل خاص فى الريف الروسى البعيد عن أعين السلطات من ناحية والذى تتوفر فيه الفواكه الرخيصة من ناحية أخرى . (المترجمة)

ومن أعمال السحر المرتبطة بالولادة والمولود كان الموردڤ يقومون بالآتى : يضفرون الحبل السرى مع شعر الأم حتى يرتبط الطفل بأمه ويرعاها، وحتى تصبح الطفلة فى المستقبل ماهرة فى فنون التطريز والحياكة كانوا يقطعون جزءًا من الحبل السرى ويربطونه فى عجلة النسيج أو النول. وكانوا يراقبون ويستنتجون الآتى : أنه إذا بقى الضرس الأول للطفل حتى أكمل سن نضوجه الأولى، فلن يهجر الطفل أبدًا أبويه.

وإذا ولد الطفل قبل أوانه (باعتبار أنه لهذا السبب سيولد عليلاً، واتقاء للمشكلات الصحية المستقبلية التى قد تصادفه) كانوا يلفونه فى قماط ويضعونه مرات ثلاثة على جاروف ثم يدخلونه فى فرن دافئ، وعلى الأم فى هذه اللحظة أن تسأل : ماذا تخبزون؟ وردًا على سؤالها يقولون : نخبز ليطيل الله عمره. وكانوا أحيانًا للغرض نفسه يقومون بعد الولادة مباشرة بتمثيل عملية الولادة، حيث ترقد الأم ثانية فى المكان نفسه الذى وضعت فيه طفلها، ويضعون المولود فى بطن ردائها (كأنها لم تضع مولودها بعد)، ثم تأتى القابلة وتتناوله كأنها تُخرجه للمرة الأولى من بطن أمه.

وكان من المحتم إجراء طقوس التطهر المرتبطة بالاغتسال فى الحمام، لأن الموردڤ كانوا يعتقدون كما سبقت الإشارة أن الأم والطفل بعد الولادة يقعون تحت رحمة "الأرواح الشريرة". ولم يكن من قبيل الصدفة أن تغتسل الأم بعد الوضع ثلاث مرات على الأقل، ومع ذلك كانوا يعتبرونها وطوال أربعين يومًا بعد الولادة "غير طاهرة"، وكانوا لا يسمحون لها فى هذه الفترة بالذهاب إلى الكنيسة أو المقابر أو زيارة منزل مات أحد أفراده وهلم جرا. وبعد الولادة كانوا يعلقون فى أحد أضلاع السقف رباط لخُفٍّ من الليف، اعتقاداً منهم أنه لو تعفن الرباط بسرعة أو انقطع فمعنى ذلك توقع الموت.

وقبل دخول الأب والضيوف إلى الحمام الذى وضعت فيه المرأة طفلها كانت القابلة تأخذ الطفل لتضعه فى مكان بالقرب من الفرن لتقدمه بذلك للإلهة الراعية للعشيرة يُورخْتَافا.

وفى اليوم الأول بعد مولد الطفل كانوا يؤدون طقسًا يسمى عند الموكشا "كشى أوزوندوما" أى "صلاة الخبز" (وهو طقس من ضروب السحر يكرس للخبز)، يدعون إليه

كل الأقارب والمقربين. وفى أثناء هذا الطقس كانت القابلة تردد الصلوات ضارعة للآلهة الراعية راجية السعادة والصحة للمولود. ولم يكونوا يسمحون قط بدخول أى شخص إلى الأم مباشرة بعد الولادة إلى أن تتمكن بنفسها من إعداد عصيدة ثخينة وفطائر البلينى(٩٥). ووفق العادات المتعارف عليها كانوا بعد خروج المولود إلى النور يرشون أطر النوافذ بالرماد ويرسمون الصليب عليها، ويدورون حول المولود ممسكين مقشات من أعواد شجر البتولا ويسألون الشجرة المقدسة (البتولا البيضاء) حماية المولود من الطالع والحسود. على هذا النحو كانوا يحمون الرضيع طوال ٦٠ يومًا. ووفق أساطير الإرزيا كان مصير المولود الجديد بيد "نيشكيند تييتر" الابنة الكبرى للإلهة أنجى باتيا أم الآلهة ومعها الإله تشيباز (إله الشمس عند الإرزيا) (انظر شكاى أيضًا).

ومنذ اللحظة الأولى لولادة الطفل كانوا يتطلعون لمعرفة ما يخبئه له المستقبل. ومن المتعارف عليه بين الموردف اعتبار الطفل سعيد المستقبل هو المولود ذو الرأس الكبير أو الشعر الطويل أو ذو الشامة أو ذو العلامة المميزة أو الطبيعة الخاصة التى تميز ولادته (كأن يخرج الطفل من بطن أمه فى كيس، وكانوا فى هذه الحالة يجففون الكيس ويحتفظون به لاستخدامه لاحقًا فى أغراض يعتبرونها مهمة للغاية)، أو الطفل الذى يخرج من بطن أمه بأقدامه وليس برأسه وتلتصق بجسده بعض مِزق المشيمة، أو الطفلة التى تشبه أباها، أو الطفل الذى يشبه أمه. وكانوا يقررون ماهية شخصية الطفل من لون شعره : فالأصهب مفعم بالحيوية وأسود الشعر مع خصلة فاتحة اللون ساحر وكذلك الأطفال التى تولد بسنة واحدة أو بضع أسنان. وكانوا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بعد الولادة مباشرة بمعرفة حيوية الطفل التى يشهد عليها الكعب الكبير للقدم والآذان الكبيرة وقدرة الطفل على رفع رأسه وهو معلق من قدميه بين يدى القابلة. وكانوا يعتبرون طفل الثمانية أشهر لن يتمتع بالحيوية الكافية إذا لم يصرخ بعد الولادة مباشرة،

(٩٥) من أشهر الأكلات الروسية الأكثر شيوعًا، فطائر رقيقة للغاية تسمى "بلينى"، توضع كميات كبيرة منها فوق بعضها البعض تفصل بين الواحدة والأخرى مسحة خفيفة من الزبد، وتؤكل مع الجبن أو الكافيار أو السمك أو الخضار المسلوق أو القشدة أو المربى أو غير ذلك . (المترجمة)

وإذا كانت أركان العينين خالية من التعبير أو إذا تأخر التئام الصرة أو إذا بدا لهم أن الإبط أشبه بحفرة عميقة... وغير ذلك.

وعند الإرزيا عادات خاصة فى هذا الصدد. فقد كانوا يضعون المولود فى اليوم الثالث بعد الولادة فى مهد هزاز يعلقونه فى السقف بمنتصف الحجرة ويغطونه عادة بالقماش نفسه الذى كان يغطى عربة عرس أمه. وكانوا فى هذا اليوم يعدون الفطائر ويعلقون أرجوحة الطفل ويرسمون عليها الصليب مرات ثلاثة مستخدمين فى ذلك سكينًا أو منجلاً، ويضعون فطيرة ومقصًا تحت وسادة الطفل. وكانت الجدة تهز مهد الطفل مرددة : "أهز مهدك من ناحية قدميك، لتنمو قدماك أقوى، وأهزه من ناحية الرأس، لتصبح أذكى"، ثم تقف الجدة ملصقة ظهرها بمهد المولود وتواصل هز المهد بمؤخرتها وتأخذ فى الحديث عن المولود متمنية له أن ينام أكثر وألا يبكى. وحتى يرزقهم الله بمولود ذكر كانوا يضعون فى مهد المولود الجديد أشياء تخص الطفل الذكر.

وفى العام الأول من حياة المولود كانوا يعتنون عناية بالغة بحمايته من الأرواح والقوى الشريرة وبشكل خاص من السحرة الذين بوسعهم، فى اعتقاد الموردف، استبدال الطفل بآخر. وكانوا أحيانًا بهدف الحماية يكشطون بالسكين عملة نقدية قديمة فى المكان الذى ولد فيه الطفل. وكان الموردف يعتقدون أيضًا أن نشر أقمطة الطفل فى العام الأول يمثل خطرًا إذ، يمكن أن يعبث بها السحرة والمشعوذون (مما يؤدى إلى مرض الطفل أو استعصاء النوم عليه). وكانوا يرددون التعاويذ ويعدون الرقيات لطرد السحرة والمشعوذين والأرواح الشريرة التى قد تتسرب إلى المولود.

وإذا كان المولود كثير البكاء كانوا يحملونه إلى عتبة باب المنزل عند غروب الشمس وينحنون سائلين الآلهة أن تهب المولود نومًا جميلاً طوال اليوم وفى الليل. ولوقف بكاء المولود كان الناس يغسلونه بندى الصباح الباكر، ولحمايته من الأمراض الجلدية كانوا يلقون بالماء الذى استحم فيه فى مكان نظيف.

ولتأمين صحة موفورة للمولود كانوا يمارسون عادات معينة ويفرضون محظورات محددة. فكانوا يحملون المولود إلى الشارع تحت أول مطر ربيعى مصحوب بالرعد حتى

لا يمرض فى المستقبل، وكانوا يغسلونه يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس (فى مطلع الربيع) فى الماء الربيعى المتخلف عن ذوبان الثلوج. وكانوا يحظرون هز المهد الخالى للمولود وإلا لن يرزقهم الله بأطفال ثانية، أو لن ينام المولود نومًا هادئًا. ولا يجب وضع المولود أمام المرآة وإلا فسيشعر بالخوف، ولكى ينمو المولود نموًا طبيعيًا لا يجب قص شعر البطن حتى بلوغه عامه الأول، ولا يجب التنابذ بالألفاظ فى أثناء الرضاعة (وإلا فسيلحق هذا الضرر بالمولود)، وكانوا يضعون نبات القراص[٩٦] خلف بطن الجرة لوقاية المولود من العين الحسود، ويعلقون قفلاً على رقبة الطفل الكبير إذا مرض حتى لا ينتقل مرضه للأطفال الآخرين. ولعلاج كبار الأطفال من المرض كانوا يجرونهم على شجرة مفلوقة أو بين شجرتين قريبتين من بعضهما بعضًا (السنديان والبتولا للطفل الولد والحور الرجراج للطفلة البنت)، وإذا تأخر الطفل فى تعلم المشى كانوا يضعونه على عتبة الباب تحت طست خشبى وتردد الحكيمة (الساحرة/المترجمة) : "ها أنا أطحن العجز، ها أنا أطحن هذا النذل الشرير، ها أنا أطلق... (اسم الطفل - كالقول ها أنا أطلق محمداً) ليمشى، ها أنا أمنح ساقيه القوة" وكأنها بذلك "تطحن" عجز الطفل عن المشى. ومن المحظورات استعارة مهد طفل من عائلة يموت أطفالها. وفى العائلات التى لا يعيش لها أطفال، ودرء لهذا الشر، كانوا يناولون المولود ومعه قطعة من الخبز عبر النافذة لمتسول أو لأول عابر، ثم تخرج الأم لعتبة المنزل لتشترى الطفل منه، معتقدين أن هذا الطقس يربك القوى الشريرة ويسلبها القدرة على الإضرار بالمولود. وللغرض نفسه كانت القابلة أحيانًا تلف الطفل فى الخرق القذرة التى تستخدم لسد فتحة التهوية فى الحمام ثم تسلمه عبر النافذة لسيدة أخرى، وهو طقس يطلقون عليه "سرقة الأطفال" من فيديافا الإلهة الراعية للماء. وإذا تأخر الطفل فى تعلم الكلام كانوا يصطحبونه للكنيسة ليسمع أول قرع لجرس الكنيسة فى أثناء تأدية الصلوات الصباحية لعيد الفصح. وبهدف علاج المولود كانت الأم تدخل فى منتصف الليل بصحبة الحكيمة

---

(٩٦) المقصود إما waterlily أو netlle وهما من أنواع النباتات المائية خشنة الملمس ذات أوراق عريضة مفلطحة وزهور تشبه الكوب شكلاً ، وتطفو الأوراق والزهور فوق سطح الماء، تسمى بالعربية القراص . (المترجمة)

إلى الحمام وتعد وجبة الصَلْيَانْكا[٩٧]، ثم يخرجان معًا تاركين باب المنزل مفتوحًا. وبعدها تخلع الأم ثيابها وتمشى عارية على الأربع زاحفة نحو الحمام ومؤخرتها عكس الاتجاه الذى تسير فيه، وتخطو فوق طاسة، ومن ثم تدخل الحمام وتبدأ فى الأكل مقلدة الطريقة التى يأكل بها الكلاب. وفى هذه الأثناء تدعو الحكيمة كل الأرواح الأسطورية الحارسة إلى الطرابيزة[٩٨] على الوليمة وتتضرع إليهم سائلة عونهم فى علاج الطفل.

وكان محظورًا على الأم أن تلعن مولودها، فقد يفضى هذا إلى موته، أو لنموه متهتهًا فى الكلام، أو لتحوله إلى ضحية فى أيدى الأرواح الشريرة. وعدا هذا كان الموردف يعتبرون أن الأطفال الذين تلعنهم أمهاتهم لا يعمرون فى الأرض، ولتخويف الأطفال غير المطيعين كانوا يذكرون أسماء كائنات خرافية (كقولنا للطفل : أم أربعة وأربعين أو العفريت سياكلك/المترجمة). وعند الإرزيا على سبيل المثال كان هذا الكائن هو روتسك – بيتسك الذى يهيم على وجهه فى الليل ويخيف الأطفال، وعند الموكشا بابو وأيضًا الذئب والدب.

المراجع :

(1) Belyaeva N. F. Rodilnye obryady mordavy-mokshi Atyuryevskogo raiona Mordovskoi ASSR (Knoets XIX-XX nachalo vv.). 2. Etnokulturneye protsessy v Mordovii. Saransk, 1982. s. 51-63; 3. Kuzebai Gerd, Etnographica. Helsinki, 1993. 4. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy (mokshi I erzi). Saransk, 1994

(٩٧) الصَلْيَانْكا Solyanka: وجبة روسية شعبية شائعة جدًا إلى الآن . (المترجمة)

(٩٨) الطرابيزة : هناك كثير جدًا من الألفاظ الروسية المشتركة مع العربية مثل كلمة طرابيزة وصندوق وبندق وشيطان وكنبة .. إلخ وتكتب بالروسية وتُقرأ مثل العربية طرابيزة – صندوق شيطان... بالضبط كالعربية. والطرابيزة تعنى الأكل أيضًا . (المترجمة)

(١) طقوس الولادة عند الموردڤ الموكشا – بمنطقة أتوريبيفسكى بموردڤا نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بيليليفا، ن. ف. صارنسك ١٨٩٢ .

(٢) العمليات الإثنية – الثقافية فى موردڤا، بيليليفا، ن. ف. صارنسك ١٩٨٢ .

(٣) الإثنوجرافى، كويزباى جرد. هلسنكى ١٩٩٣ .

(٤) الإشارات والأمـارات الشعبيـة للموردڤ (الموكشـا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

Bread / الخبز[٩٩]

(kshi, M, E)

للخبز فى التقاليد الشعبية الموردڤية مغزى دينى سحرى بالغ الأهمية. وهو أحد الأطعمة الطقسية الأكثر شيوعًا، ورمز الشمس والصحة. وكان إعداد الخبز واجبًا مقدسًا للنساء، أما تقطيعه فكان من واجبات الرجل. وقبل إعداد الخبز كانوا يرسمون

(٩٩) كان ومازال للخبز فى حياة الروس معانى ودلالات عميقة عديدة تضرب بجذورها فى تاريخهم وصعوبات حياتهم ووضعهم الجغرافى ، الذى فرض عليهم حياة شاقة وجهودًا مضنية للتغلب على صعوبات الطبيعة. وكان ومازال الخبز عندهم يعنى الحياة نفسها ويعنى الوفرة والرزق، وهم حتى الآن يُحرمون إلقاء الخبز فى أكياس القمامة، وما يتبقى منهم من الخبز إما يجففونه ويستخدمونه لاحقًا فى الشوربة أو غير ذلك، أو يجففونه ويطحنونه ؛ ليجعلوه أشبه بحبات الرمل (البقسماط) ليستخدم فى تحمير اللحوم، أو أنهم يطعمون به الحيوانات فى الأماكن العامة. وإذا انتفت كل هذه الإمكانيات، فهم يجمعون بقايا الخبز فى كيس خاص يحكمون إغلاقه ويضعونه بالقرب من أماكن القمامة لمن يريد. ومن تسول له نفسه إلقاء الخبز فى القمامة عليه توقع دروس فى الأدب، وفى أقل تقدير ينظرون إلى ذلك باعتباره حرامًا ويرددون : "حرام ده نعمة ربنا". وفى لغتهم اليومية (تمامًا كما نفعل نحن) يقولون : كُل عيش وانقطع عيشه ولقى لنفسه عيش كويس (أى وظيفة). وفى السابق كانوا يطلقون على أشياء عديدة لها أهمية خاصة فى حياتهم لفظ "الخبز" أو "العيش" من ذلك على سبيل المثال أن "الحياة" نفسها كانوا فى السابق يسمونها "العيش" تمامًا كما يفعل المصريون. وحتى الآن تقوم العديد من شعوب شرق أوروبا بما فى ذلك روسيا باستقبال الضيوف بالخبز، بما فى ذلك كبار الضيوف الرسميين للدولة. وكان العيش ومازال أحد أهم مكونات مائدة الطعام، وهم يعدونه بعشرات الأشكال، ومن الحبوب المختلفة، ولا أحسب أن بيتًا فى الريف الروسى يخلو الآن من قرن لخبز العيش . (المترجمة)

الصليب على الدقيق ومن ثم على الأرغفة. ومازال الموردف إلى وقتنا هذا يمارسون عادة الاحتفاظ بالخبز دائمًا فى "الركن الأحمر"(١٠٠) من الطاولة، الأمر الذى يرمز إلى الثراء وحسن الضيافة. وكانوا يعتبرون من الأمور الحتمية وضع الخبز على الطاولة قبل القيام بطقوس العُرس، وكانوا يأخذون معهم الخبز عند ذهابهم للخطبة. ويستخدمون الخبز كوسيلة سحرية لضمان خصوبة العروسين الشابين ومباركة عرسهم (وكانوا يلاقون العروسين عند خروجهم من الكنيسة فيباركونهم ممسكين الخبز فى أيديهم). وعند حصول العروس على اسمها الجديد(١٠١) فى منزل زوجها كانوا يضعون الخبز فوق رأسها، وكانوا لهذا الغرض يخبزون خبزًا خاصًا طقسيًا يتخذ شكل الدائرة (يسمى عند الموكشا كابشا) مع مراعاة القيام بمختلف الأعراف السحرية للحماية. وعند الشوكشا من الموردف كانوا يلكزون العروس بالخبز فى أضلعها لتصبح ولودًا.

وقبل السفر الطويل كانوا يضعون الخبز على الطاولة (للتفاؤل به خيرًا) ويتزودون به فى أثناء الرحلة من قبيل الحماية. وعند بناء منزل جديد - وبعد إرساء الصف الثالث من الطوب أو الألواح الخشبية من البناء - وكذلك عند الدخول إلى مسكن جديد، كانوا يفرشون طاولة فى الفناء عليها الخبز والملح اعتقادًا منهم أن كودافا (إلهة المنزل) ستساعد على هذا النحو أصحاب المنزل على الثراء وتفرض عليهم حمايتها.

وفى طقوس الدفن وإحياء ذكرى الموتى كانوا يضعون الخبز على الطاولة ويأخذونه إلى المقابر. وبهدف طرد الأرواح الشريرة والحماية منها كانوا قبل عيد الفصح يدورون حول المنزل مرات ثلاثة ممسكين الخبز والملح والأيقونات. ولوقف البَرَد كانوا يلقون بجاروف(١٠٢) الخبز إلى الشارع.

---

(١٠٠) الركن الأحمر/الركن المقدس : تتردد هذه العبارة كثيرًا فى متن الكتاب، وفقط من السياق الذى ترد فيه يفهم أن الركن الأحمر هو الركن المواجه لباب البيت حيث الموقد من ناحية، وهو من ناحية أخرى ركن المائدة حيث يضعون الخبز . (المترجمة)

(١٠١) من المتعارف عليه فى أوروبا حصول المرأة (لو أرادت) على اسم عائلة زوجها، وتنتشر العادة نفسها فى أرجاء روسيا . (المترجمة)

(١٠٢) جاروف الخبز المقصود الذراع الخشبى الذى يستخدم لتقليب الخبز فى الفرن وربما كنس الفرن أيضًا. (المترجمة)

وعند تناول الخبز كانت تراعى فروض ومحرمات عديدة ومختلفة كانت لها عندهم مغزى سحرى. ففى المساء يحظر قطع رغيف الخبز الكامل إلى نصفين، وإلا فسيفضى هذا إلى بكاء صيرافا إلهة الحبوب، ومن المحرمات أن تأكل ما تبقى من الخبز الذى تركه غريب (وإلا تسلبه قواه وتستحوذ أنت عليها)، لا يجب ترك ما تبقى منك من الخبز على الطاولة أو دفعه بيدك بعيداً عنك (وإلا ستفقد قواك)، وكانوا يحرمون جمع أو أكل قطع الخبز وبقاياه (وإلا يؤدى هذا إلى إفقارك) أو رفع ما وقع من الخبز على الأرض فى أثناء الأكل (فهو من نصيب الموتى).

ومن المعتقدات الشعبية حول الخبز تحريم إعطاء الخبز لأحد من خارج المنزل بعد غروب الشمس (وإلا ستفتقر أنت إلى الخبز إلى الأبد)، وإذا زرت أحداً وقطعة خبز فى يدك فستأكل الخنازير محصولك وستلتهم الفئران الكرنب[١٠٢]، وإذا عدت إلى المنزل من الحقل ومعك ما تبقى من الخبز فسيختنق الدجاج فى منزلك، وإذا تناولت قطعتين من الخبز مباشرة ينذر هذا بالموت لأحد الأقارب أو جوع أحد من الأهل.

وكانوا يحرمون على الزوج أكل الكثير من الخبز فى أثناء حمل زوجته (وإلا قد تلد طفلاً أحدب) وإذا سقط الخبز من على الطاولة إلى الأرض فى وقت متأخر من الليل فهذا ينذر بورود أخبار سيئة أو برعب قادم، وإذا حدث هذا فى منتصف النهار فمعناه أن قريبًا من الأموات يطالبكم بأن تتذكروه، وإذا تناولت امرأة قطعتين من الخبز مباشرة معناه أنها ستتزوج مرتين.

---

(١٠٢) الكرنب والبطاطس أكثر الخضروات شيوعًا واستخدامًا على مدار العام فى روسيا، وفى مواسم حصاد الكرنب والبطاطس يقوم الروس بتخزينها لفصل الشتاء بأشكال مختلفة مثل تخليل الكرنب وطمر البطاطس وغيرها فى الأرض. ومازالت هذه العادات قائمة في الريف الروسي ؛ حيث تضم المنازل الريفية طابقًا صغيراً تحت أرضى أشبه بصندوق خشبى ضخم بلا قاع يهبطون إليه بواسطة سلم خشبى صغير، ويتصل هذا الصندوق مباشرة بالأرض لطمر الفاكهة والخضروات واللحوم. ومازال شائعًا إلى يومنا هذا إرسال شوال بطاطس وبعض مخزون الكرنب من الريف إلى المدينة كهدية أو كمساعدة من الأهل لأبنائهم الذين يدرسون فى العاصمة أو المدن الكبرى. واختفاء المتوفر من الكرنب فى المنزل لأى سبب كأن تأكله الفئران يعد فى الريف أقرب إلى الكارثة بصفته طعامًا رئيسيًا مهمًا . (المترجمة)

وكانوا يستخدمون الخبز فى قراءة الطالع. فالخبز الذى يضعونه على رأس العروس فى الكنيسة بعد طقوس العرس وعند حصولها على اسمها الجديد فى منزل زوجها كانوا يلقون به خلف زريبة المنزل ويلاحظون كيفية سقوطه على الأرض وعلى هذا النحو يقررون ما إذا كان الطفل القادم ولدًا أم بنتًا. وعند الموردف من الموكشا فى أثناء العرس، كان العروسان يلقيان أرغفة الخبز فى الهواء إلى أعلى، ومن يصل رغيفه فى الهواء أعلى من الآخر هو الذى سيتسيد فى المنزل. وعند بناء منزل كانوا يعلقون الخبز على عوارض البناء بحبال، ثم يقطعون الحبل، فإذا وقع الرغيف على جانبه، ينذر هذا بسوء الطالع.

وكان للخبز دور مهم فى الطب الشعبى. فكانوا يلفون خبز الجاودار بعد مضغه فى قماش (على نحو يتخذ به شكل البزازة) ويعطونه للطفل الوليد بعد ٣ – ٤ أسابيع من الولادة ليقيه من الفتق. ولوقف بكاء الطفل فى الليل، كانوا يحملون الخبز والملح ويدورون حول الطفل مرات ثلاثة ثم يلقون بالخبز والملح إلى الشارع. وكانوا يعالجون خشونة الشعر وغلظته عند الأطفال بخبز الجاودار الطازج، ولعلاج أمراض مختلفة كانوا يقفون عند تقاطع طرق(١٠٤) ومعهم خبز البروشينجاس (نوع من الخبز يصنعونه مما تخلف من العجين) (معتقدين أيضًا أن هذا الطقس هو نوع من طلب غفران الآلهة ومساعدتها لهم)، ولعلاج الطفل الذى لا يتحكم فى عملية تبوله كانوا يعطونه الفيتراسكا (نوع أخر من الخبز يصنعونه أيضًا مما تبقى من العجين). وفى الأغانى الميثولوجية تأخذ "فاسالجيا" الزوجة الأرضية لإله الرعد "أتيامشكاى" (انظر أتيامشكاى) خبز الفيتراسكا إليه فى السماء، الأمر الذى يرمز إلى العلاقات الوطيدة بين الناس والآلهة.

(١٠٤) تقاطع الطرق : يتردد كثيرًا فى الطقوس الشعبية السحرية الحديث عن تقاطع الطرق وعن الرقم ٣، ويبدو أن تقاطع الطرق والرقم ٣ ينطويان على معانى ودلالات سحرية وميثولوجية مهمة عند الموردف . (المترجمة)

الصقر / Buzzard

(panzey, E)

فى التصورات الشعبية للموردف لعن الله الصقر. ووفق الأساطير التى تدور حوله، فبعد أن خلق الله الأرض أمر جميع الطيور بحفر كل طائر لبئر ليغتسل بمائه. ونفّذت كل الطيور الأمر، فى حين تغيب الصقر. وعندما طار عائداً قرر استخدام الدهاء والحيلة لتبرير غيابه وعدم إذعانه لمشيئة الرب، فاقترح على الغراب أن يذهب ليستحم ويقف نظيفًا بين يدى الله. ولطخ الصقر نفسه بالتراب وطار إلى الله قبل وصول الغراب إليه وقال له : إنه أيضًا حفر لنفسه بئرًا مشيراً إلى بئر الغراب. وعقابًا له على الخديعة لعن الله الصقر وحرمه من شرب الماء من الأنهر والبحيرات والآبار. ومنذ ذلك الحين ليس بوسع الصقر التغلب على عطشه إلا بمياه الأمطار والندى. وعندما يندر سقوط المطر يأخذ الصقر فى البكاء متضرعًا إلى الله متوسلاً بضع قطرات من الماء.

وعلى أساس هذه الأسطورة ظهرت أمثال وأقوال مأثورة. فحول من يحب من الناس استغلال عمل الآخرين يقول الموردف الموكشا : "مثل الصقر لطخ رأسه بالطين وقال : حفرت بئرًا".

المراجع :

UPTMN. T. 10. Legendry, predaniya, bylichki. Saransk, 1983

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى. أساطير وحكايات الماضى ووقائعه، صارنسك ١٩٨٣ .

C

الشمعة / Candle

(shtatol, M, E)

الشمعة فى المعتقدات الشعبية للموردف موضوع للعبادة ينطوى على مغزى ميثولوجى خاص. وكان الموردف تقريبًا حتى عشرينيات القرن العشرين ينظرون إلى الشمعة باعتبارها رمزًا لامتداد الحياة والعشيرة والخصوبة.

ولدى كل جماعة (أسرة أو عشيرة تتكون مما يتراوح ما بين ١٠ - ٢٠ بيتًا) مكانان (ولاحقًا مكان واحد) خاصان لإعداد الشموع (ويبلغ طول الشمعة نصف متر ووزنها كيلو جرام). ووفقًا للعادات كانوا يلفون الشمعة عند منتصفها بمنشفة بيضاء اللون. وأورد يفسيفييف م. إى. فى مشاهداته أن أصل معتقدات الموردف حول الشمعة من حيث الزمان والمكان غير معروف. وكان الموردف يحرصون على الحفاظ على مقاس الشمعة وذلك بإضافة قطع من الشمع إليها بعد استخدامها (بعد الصلاة التى تمتد ما بين ٢٠ - ٣٠ دقيقة). وفى السابق كانت الشموع الأكثر استخدامًا هى ما يسمونه "كيريميت شتاتول" (عند الموكشا) أى "شمعة كيريميت"(شمعة الصلاة). وعند الإرزيا "أتيان شتاتول" (شمعة الأسلاف) التى كانوا يشعلونها فى اليوم الأول من عيد الفصح. وللفتيات الشابات حديثات الزواج كانوا يهدونهم الشموع ملفوفة بمنديل أبيض.

وفى كل منزل كانوا يحتفظون بالشموع طوال العام فى قفة خاصة بها يصنعونها من لحاء شجر الدردار، ويُخرجونها فقط فى أثناء الصلاة. وكانوا يضيئون الشموع المقدسة مرة واحدة فى السنة فى يوم يكرسونه لأداء طقوس تعبّد سحرية خاصة، وعدا ذلك كان محظورًا النظر إلى الشموع المقدسة أو لمسها. وكانوا يعتقدون أن تعكير هدوء الشمعة وسكينتها فى غير الأوقات المحددة لذلك قد يفضى إلى إثارة غضبها ليس فقط من المتسبب فى ذلك وإنما من كل العشيرة.

وكانوا يصلون للشمعة فى اليوم الثانى من عيد العنصرة أو فى الأحد الأول بعد عيد الفصح فى المنزل حيث يُحتفظ بالشمعة. وعند الصلاة كانت السيدة فى المنزل تضىء شمعة واحدة وتضعها على الرف حيث أيقونات الآلهة، وتضع واحدة أخرى أمام الفتحة القائمة فى منتصف المكان الذى يحتفظون فيه ببراميل "البراجا"(١٠٥) . وقبل الصلاة كانوا يركعون مرات ثلاثة أمام الشمعة، ونيابة عن العشيرة كانت امرأة عجوز تتوجه إلى الشموع بالدعاء بأن تهبهم الطعام والصحة والمحاصيل الوفيرة وخصوبة الماشية وحماية المنزل من الحرائق وغير ذلك من البلايا، وكانت تردد : ها نحن نكرس عيداً للاحتفال بالشمعة. وبعد انتهاء الصلاة كان المشاركون فيها يركعون مرة ثانية أمام الشموع ويقبلونها. ويبدو أنه بهدف التطهر وتأمين حماية الآلهة لهم كانوا يحرقون بلهيب الشمعة شعر الرأس عند الجبهة (للرجل) والصدغين (للمرأة). وبهدف الصدقة والإحسان وطلباً للرحمة كانوا يقدمون للسيدة القائمة بصلاة الشموع النقود وقطعاً من قماش القنب. ومع كل صدقة تتسلمها كانت تدور بالشمعة عدة مرات، وتركع للشموع نيابة عن كل مشارك فى الصلاة طالبة له السَعادة والخير.

وبعد الصلاة كانوا يطفئون الشموع بصب البراجا عليها، ثم يجلسون للأكل حول الطاولة المعدة خصيصاً لهذا الاحتفال. وبعد انتهاء الاحتفال، قبل غروب الشمس، كانوا يذهبون بالشموع إلى المنزل الذى حل دوره ليحظى بشرف تنظيم الصلوات القادمة للشموع.

وفى بعض القرى لم يكن يشارك فى طقوس التعبد هذه إلا النساء. ولنقل الشموع إلى المنزل الذى حل دوره للاحتفاظ بها لحين إقامة الصلوات القادمة كانوا يذهبون معتلين نوعاً خاصاً من الهياكل المصنوعة من عصيان من الخشب يحاكون فى تشكيلها الخيل ويزينونها لهذا الغرض. وكانوا يلقون بالعصى، التى يستخدمونها لدعوة الناس لطقوس عبادة الشمع (بالطرق بها على الأبواب)، فى النهر أو البركة، ومن ثم يراقبونها،

---

(١٠٥) Braga البراجا: مشروب، راجع هامش الترجمة رقم ٩٤ . (المترجمة)

والعصا التى ترقد فى القاع نذير شؤم وعلامة على قدوم أحداث غير سارة والعصا التى تطفو على السطح تبشر بالخير.

وكانوا يستخدمون شموع الكنيسة فى طقوس العرس والدفن. وكان ما تبقى من شموع الطقوس التى أُشعلت فى المقابر (وبذلك تكون قد فقدت قواها السحرية والمقدسة) يُستخدم فى علاج آلام الأسنان. وبهدف الحماية فى المساء والليل عشية عيد الفصح كانوا يدورون حول المنزل ومعهم الشموع والخبز والأيقونات.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. 5, Saransk, 1966.

يفسيفييف المرجع السابق، صارنسك ١٩٦٦ .

Cemetery / الجبانة / المدافن

(kalmolanga, M-kalmokucha,M)

(kalmomar, M-kalmolango, E)

(kalma, M, kalmo, E تعنى قبر، و langa, M- lango, E تعنى العالى أو الأعلى، والمكان، وتعنى أيضًا لوث/لطخ/دنس/شوه/ أفسد mar, M-E تعنى كومة / ركام).

كان الموردف فى قديم الزمان يطلقون على المكان الذى يدفنون فيه موتاهم : الخراب (الدمار/المسخ/الوصمة). والجبانة فى الوثنية الموردفية كانت مشتركة بين سكان منطقة كبيرة، وكانت تقع فى أماكن يصعب الوصول إليها داخل أجمة فى قلب الغابات، وكان الوصول إليها يتطلب السير ما بين ٧٠ إلى ١٠٠ فرست[١٠٦] .

(١٠٦) الفِرسْت: معيار روسى قديم لقياس الأطوال. والفرست الواحدة تقابل ١٠٦٠ مترًا . (المترجمة)

وفقط فى القرن الثامن عشر أخذوا فى تشييد الجبــانات فى أماكن مـرتفعة، وكانت كل عشيرة تملك مكانًا خاصًا بها فى الجبانة.

وحافظ الموردف على تصوراتهم القديمة عن الإلهة الحارسة للجبانة "كالمـازورافا" (kalmazorava) (azop تعنى صـاحب أو صـاحـبـة المنزل و ava تعنى سـيدة أو أم) وزوجها الإله الحـارس للجبانة "كالمـازوراتيا" (kalmazoratya) (atya تعنى الشيخ)، وكانوا يعتقدون أنهما موجودان فى مكان ما بالقرب من بوابة الجبانة.

وتعد الجبانة عند الموردف مكانًا مقدسًا ارتبطت به مجموعة محظورات ومحرمات (مثل حظر حش الأعشاب والحشائش فى الجبانة وجمع الحبوب وغير ذلك)، ومن الجرائم التى لا تغتفر فيما يتعلق بالجبانة قطع الأشجار بها أو دفن مَنْ مات من السُكر أو مَنْ انتحر فى الجبانة (وكانوا عادة يدفنونهم فى قرية بعيدة عن الجبانة لاعتقادهم أنه بحلول الظلام يخرج هؤلاء من قبورهم ويزعقون فيبثون الرعب فى قلوب الناس ويتسببون فى مشكلات كثيرة أخرى).

وكان الموردف يخرجون للصلاة فى الجبانة فى فترات الجفاف أو عند المرض الذى تسببه كما كانوا يعتقدون عداوة بعض الأموات لهم. وكانوا فى بداية الصلاة يطلبون العفو عنهم ومن ثم يتضرعون للإلهة كالمازورافا طالبين العون، ويطلبون الشىء نفسه من أول مدفون فى الجبانة(١٠٧) ويطلقون عليه اسمًا خاصًا. وكانوا أحيانًا يتركون الطفل المريض وحيدًا فى الجبانة طوال الليل لتهبه آلهة الجبانة الشفاء.

(١٠٧) كان الموردف يعتقدون أن أول مدفون فى الجبانة هو أيضًا حارس الجبانة وأحيانًا كانوا يقدمون له الطعام ويصلون له . (المترجمة)

وكان السحرة والمشعوذون يستخدمون تراباً من الجبانة ليصيبوا الناس بالأمراض والكآبة والحسرة.

وفى الكريسماس وعيد الفصح كانت الفتيات والنساء صغيرات السن يذهبن إلى الجبانة لقراءة الطالع حول المحاصيل والطقس والحياة الأسرية (انظر: قراءة الطالع).

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; T. 7, ch. 2. 2.Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979; 3. Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى - النواح والعديد عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى - النواح عند الموكشا، صارنسك ١٩٧٩ .

(٣) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

الكريسماس / Christmas

(Roshtuva, M-Roshtova, E)

الكريسماس أحد أهم الأعياد المسيحية، ويحتفل فيه المسيحيون بمولد عيسى المسيح عليه السلام (فى السابع من شهر يناير كل عام[١٠٨]).

أصبح الكريسماس أحد أعياد الموردڤ بعد اعتناقهم المسيحية، ولكنهم يحتفلون به جنبًا إلى جنب مع تأدية الكثير من الطقوس الوثنية القديمة. وبحلول الكريسماس كانت الشابات من النساء تعد بيرة العسل الأبيض وتسمى "بيور"، ولم يكن يُسمح للرجال المسنين بإعدادها. وبعكس بعض الأقليات العرقية الموردڤية لا يضيف الإرزيا فى منطقة نيجنى نوفجورود حشيشة الدينار[١٠٩] إلى هذا النوع من البيرة عند إعدادها اعتقاداً منهم أن الإلهة أنجى باتيا تكره هذا النبات لأن الشيطان هو الذى جاء به إلى الناس. واستعداداً لأداء مختلف الطقوس وأعمال السحر للاحتفال بالكريسماس كانوا على سبيل المثال يعدون خنزيراً خصيصاً لهذا الغرض، يطعمونه طعاماً مكثفًا فى فترة تتراوح ما بين أسبوعين أو ثلاثة، ثم يطلقونه فى المنزل طوال أيام ثلاثة ليعيش تحت الفرن، وفى هذه الأثناء يعلقون منشفة على رقبته تتدلى منها بضعة أعواد من المقشة بعد غسلها بالبخار،

---

(١٠٨) تحتفل الكنيسة الغربية بمولد المسيح عليه السلام فى ٢٥ ديسمبر قبل حلول رأس السنة الميلادية، ولا نعرف لماذا استقر فى عُرف المصريين إقامة الاحتفال الرسمى برأس السنة الميلادية مع الكنيسة الغربية بينما ينتمى أقباط مصر إلى الكنيسة الشرقية، ويحتفلون بمولد المسيح عليه السلام وفق تأريخ الكنيسة الشرقية طبعًا. وينتمى الروس إلى الكنيسة الأرثوذكسية التى تحتفل بمولد المسيح عليه السلام عشية السابع من شهر يناير، مثلما يحتفل أقباط مصر. ويحتفل الروس بهذا الحدث مرتين : الأولى عشية ٧ يناير والثانية ١٣ ، يناير ويسمون الاحتفال الثانى "السنة الجديدة القديمة" (Stary novy god) أى السنة الجديدة وفق التقويم القديم الذى بدلته روسيا إلى التقويم الجديد الجريجورى فى ١٩١٨ وأصبح الفرق بين التقويم الجديد والقديم هو الفرق بين ٢٥ ديسمبر و ٧ يناير. ويهنئ الروس بعضهم فى هذا العيد قائلين : بُعث المسيح، ويردون التحية قائلين : حقًا بُعث . (المترجمة)

(١٠٩) حشيشة الدينار (Hop) / نبات متسلق ينمو حول ثمار شجر الصنوبر البرى ويستخدم لمنح البيرة مذاقًا وطعمًا لاذعًا مرًا، انظر هامش المترجمة رقم ٥١ . (المترجمة)

ويضعون فى الركن الأمامى للمنزل وعاء به ماء ليشرب، هو الماء نفسه الذى غسلوا فيه المقشة. وكانوا ينحرون الخنزير والمنشفة على رقبته تتدلى منها أعواد المقشة، ثم يدعون دمه يسيل على حجر "كاردو سياركو" (الإلهة الحارسة لحظيرة الماشية)، وفى المكان نفسه كانوا يشوون جلده باستخدام كِسَر من أعواد شجر البتولا بعد إضرام النار بها من الشمعة المقدسة (انظر : الشمعة). وفى فناء المنزل كانوا يقيمون الصلوات للإلهة الحارسة للعشيرة "يُورخْتَافَا" ولابن الإله "نِيشكِيباز" ويدعونهما لمشاركتهم الاحتفال متضرعين إليهما لحماية البيت من الأرواح الشريرة وأشرار الناس، ويقدمون لهما الشكر والامتنان لأعمالهما الحسنة الطيبة. وبعد انتهاء الاحتفال كانوا يحرقون المنشفة، وتأخذ ربة المنزل أعواد المقشة الغارقة فى دماء الخنزير لكى توقظ بمساعدتها أطفالها فى الصباح بوخزهم، اعتقاداً من الموردڤ أن لهذا الطقس تأثيراً سحرياً أقرب إلى التضرع للإلهة الحارسة أنجى باتيا وسؤالها الصحة والعافية للأطفال.

وعند الإرزيا من منطقة نيجنى نوفجورود كانوا قبل الكريسماس يفرشون الأرض بالقش، ويضعون فى الركن الأمامى للمنزل مقشة مقلوبة من أعواد شجر البتولا وأمامها شمعة غير مضاءة. ووفق التقاليد كان الموردڤ بالقرى كلها يسلقون رأس خنزير فى هذا العيد، ويضعون فى وعاء التقديم تحت الرأس حزمة من الخيوط الحمراء والبرتقالية اللون على شكل لحية (يسمونها "اللحية الذهبية") وفى فم الخنزير يضعون غصناً بأوراقه (بعد غسله بالبخار) وبيضة ملونة.

وعشية الكريسماس كانوا يتجولون بالقرية مرددين أغانى الكريسماس المرحة، وكانت البنات يخرجن بمقشات من أعواد شجر البتولا المغسولة بالبخار المزينة بالمناديل والمناشف، ويخرج الأولاد حاملين العصى والأجراس والصُنّج وحتى أبواب الأفران يطرقون بها على بعضها البعض فى أثناء الرقص والأغانى واللهو. وكان الشباب ينظمون ألعاب الكريسماس بأحد المنازل. وفى بعض المناطق كانوا فى الكريسماس يصنعون دمية من القش ومن ثم يحرقونها. وأحياناً كان الأولاد والبنات يلقون على بعضهم البعض حزم القش المشتعلة بالنيران. وفى الكريسماس كان الموردڤ يبدون عناية بالغة

بالملابس التى يرتدونها. فكان الرجال والشباب يلبسون شوبا[١١٠] من جلد الخرفان المقلوب ويلبسون على وجوههم أقنعة من فراء الدب، أو من قبيل التنكر يضعون رماد على وجوههم ويمرون على المنازل ليخيفوا الناس مازحين معهم. وأحياناً كانوا يعدون هياكل خشبية ضخمة تتخذ شكل الخيل يجلس بداخل كل منها سبعة أولاد. ومن الجدير بالذكر هنا أن الأديان القديمة عند الموردڤ تميزت بعبادة الخيل الأمر الذى بقيت آثاره أيضاً فى طقوس الأعراس وفى الكريسماس وغيره من أعيادهم.

وفى الكريسماس كانوا يقرأون الطالع للكشف عن أسرار حياتهم التى يخبئها المستقبل لهم (وفى هذا الصدد كانوا فى الصباح إذا وجدوا فى الفطيرة التى وضعوها على إطار النافذة فى الليل ثقوباً ووخزات يتوقعون موت صاحب الفطيرة فى غضون عام)، وللكشف عن أسرار الزواج (إذا مدت الفتاة يدها فى مدخنة الحمام التى يغمرها الدخان فلامست شيئاً ذا وبر أو شعر خشن فمعنى ذلك أنها سترزق بزوج ثرى). وحول ما قد ينبئ به العام القادم كانوا يقرأون الطالع لمعرفة ما إذا كانوا سيرزقون بمحصول هزيل أو وافر كثير. وأحد أشكال قراءة الطالع حول المحصول هو وضع حزم من نبات الجاودار والحنطة يثبتونها على عامود فى الشارع ويتركونها فى الليل. وفى الصباح كانوا يعرفون ما إذا كان المحصول سيكون هزيلاً أو وافراً بوفرة الندى أو قلته الذى يلفه الثلج الذى خلفه الليل على حزم الجاودار والحنطة. وفى الكريسماس كانوا يخرجون ويدورون بالقرية يسترقون السمع لأحاديث الناس تحت نوافذ منازلهم، ومن نوع الأحاديث (طيبة أو سيئة) التى تدور كانوا يحددون ما ينتظرهم فى المستقبل (خيراً كان أو شراً).

---

(١١٠) شوبا (shuba) : فى روسيا حيث البرد العنيف والثلوج، وحيث وفرة الحيوانات بمختلف أشكالها فى الغابات الضخمة شاسعة الاتساع يصنعون مختلف أشكال المعاطف من فراء مختلف أشكال الحيوانات. ومن الأنواع المنتشرة جداً من المعاطف تلك المصنوعة من فراء الدب والخرفان والماعز والأرانب، وهى الأكثر انتشاراً؛ لأنها الأرخص ثمناً بسبب وفرة هذا النوع من الحيوانات أكثر من غيره. وهناك أنواع من الفراء باهظة الثمن لندرة الحيوانات التى يستخدمون فراءها لهذا الغرض مثل فراء ثعلب الماء وغير ذلك. وهذه المعاطف تصنع إما أن يكون الفراء هو الظاهر للعين أو يكون الجلد الخلفى المدبوغ هو الظاهر. ويطلق الروس على أنواع المعاطف التى يكون الفراء فيها هو الظاهر اسم "شوبا" وغطاء الرأس الذى يصنع من الفراء يسمى "شبكا" (Shabka) والمؤلفة تشير هنا إلى جلد الخرفان المقلوب أى أن الظاهر هو الجلد المدبوغ وليس الفراء . (المترجمة)

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7. ch. 3. Kalendarno-obryadovaya poeziya I zagovory. Saransk, 1981; 2. Imaikina V. L. Obryadovy calendar zimnego sezona mordvyll 3. Uchen. Zap. Mord. Gos. Univ. Yazyk I literature. Vyp. 64, Saransk, 1968.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى - النثر والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

(٢) طقوس موسم الشتاء عند الموردف، إيمايكينا، ف. ل.

(٣) مبحث فى "اللغة والأدب"، جامعة موردقا الحكومية، صارنسك ١٩٦٨ .

Christmas house / بيت الرقص - بيت الكريسماس

(kshtiman' kud, M-kishtiman' kudo, E)

(kshtims, M. kishtims, E تعنى يرقص. kud, M kudo, E منزل. بيت الرقص)

(ولاحقًا أخذ الموردف يطلقون عليه : Roshtuvan' kud, M. و Roshtovan' kudo, E أى بيت الميلاد(١١١)) .

بيت الرقص حيث كان الموردف يقيمون الاحتفالات بالأرواح الحارسة للحيوانات المنزلية. وليس لبيت الرقص علاقة أيًا كانت بمولد المسيح عليه السلام. وأكثر من هذا تتضمن الكثير من الأغانى التى يؤدونها فى هذا العيد سخريات لاذعة بل وسامة ضد رجال الدين المسيحى، الأمر الذى يعد رد فعل طبيعيًا لمعركة الكنيسة ضد الطقوس

(١١١) بيت الرقص/بيت الكريسماس - الميلاد تشير المؤلفة هنا إلى أن الموردف كانوا يسمون هذا المكان بيت الرقص ومن ثم بيت الكريسماس (Christmas House) ، وهى تعود وتؤكد ألا علاقة لهذا بالكريسماس عيد مولد المسيح عليه السلام. ولا يمكن فهم هذا التناقض فى ظنى إلا ارتباطًا بجمع الموردف بين الأعياد المسيحية والوثنية، أو إطلاقهم على أعيادهم الوثنية أسماء مسيحية وإدخالهم تعديلات تتفق مع عاداتهم الوثنية كما أشارت المؤلفة نفسها فى مقدمة الكتاب . (المترجمة)

الموردقية الوثنية القديمة. وفى السابق كان هذا العيد أحد أهم الأعياد الزراعية السنوية احتفالاً بالخصوبة والوفرة، ومدرسة عريقة وفريدة من نوعها، تمتد جذورها إلى الماضى البعيد؛ لاستيعاب الشباب للتقاليد الروحية القديمة. ويبدأ العيد عشية الانقلاب الشمسى الشتائى. ووفق الاعتقاد الشعبى، كلما زاد عدد المجتمعين للاحتفال ببيت الرقص اقتربت أمانيهم الطيبة من التحقق. وفى هذا الصدد كان الناس الذين يقدمون منازلهم للاحتفال يعتبرون هذا السلوك من جانبهم أمرًا مشرفًا وفأل خير. وكان الموردف يضفون مغزى سحريًا على ملابس هذا العيد، حتى إن دخول بيت الرقص بملابس غير مرتبة وبلا عناية يعد نذير شؤم.

وعند دخول بيت الرقص كان كبار السن من الرجال والنساء يلقون فى الأركان سرًا وبعيدًا عن الأنظار ما تضمه قبضات أياديهم من حبوب. وكان العيد يبدأ بغناء جماعى عن الأمانى الطيبة والحلم بمستقبل جميل، ويوجهون أغانيهم للإلهة الحارسة سائليها المحصول الغزير وزيادة أفراد الأسرة بكثرة الأطفال وخصوبة الماشية. ويصاحب الغناء أو يسبقه وجبات طقسية جماعية لكبار السن من الرجال والنساء. وكان لحم الخنزير هو الطبق الطقسى الذى لا يفارق هذه الاحتفالات، وكانوا يقدمون رأس الخنزير مسلوقة. وعلى شرف الخنزير كانوا يرقصون رقصًا طقسيًا خاصًا مصحوبًا بلحن يطلقون عليه "توفا"(أى : الخنزير) يُعزف على أقدم الآلات الموسيقية وتسمى عند الموكشا والإرزيا : فام (مزمار القرية) ونيودى (المزمار الثنائى الأنبوبة) والجرزا (نوع من الأنواع القديمة للكمان). وترتبط صورة(١١٢) الخنزير عندهم بالحيوانات الطقسية وتجسد خصوبة الأرض والحيوانات المنزلية.

وعلى طاولة العشاء فى بيت الرقص كان الشباب يفسرون الألغاز المرتبطة بخصوبة الأرض. وبعد تناول الوجبات الطقسية والغناء حول المائدة يبدأ الرقص الشعبى الذى يشارك فيه الشباب، وهو تقليد طقسى مُلزم يرفعون فى أثنائه أذرعهم عاليًا ثانين الذراع

(١١٢) صورة image ليس المقصود هنا صورة شخصية أو فنية وإنما المقصود الفكرة والتصورات الخاصة المرتبطة بشىء أو يجسدها لدى الناس شىء ما كنوع ما من الحيوان أو النبات أو أى من الظواهر الطبيعية . (المترجمة)

عند المرفق (رمز التوجه إلى الشمس). وكانت لعبة / رقصة الدب تنطوى على أهمية خاصة فى هذا الاحتفال وتصاحبها ألحان وأنغام موسيقية خاصة على الفام والنيودى والجرزا. ومازالت هذه العادات قائمة إلى يومنا هذا لكنها فقدت علاقتها بهذا العيد، حتى إنه فى محافظة صاراتوف منذ مطلع القرن الماضى كانت رقصة الدب تُصاحَب بترديد أغانى جنسية. وتشهد حقيقة وجود هذه الأغانى حتى الآن على ضفاف أنهار الموكشا والإنصار على أن الموردف كانوا يرددونها فى حفلات بيت الرقص.

وكان الرقص ليلاً فى أثناء هذه الاحتفالات جزءًا مهمًا من طقوس الاحتفال بالعيد، بل كان ذروة هذا الاحتفال. وكانوا فى هذا الاحتفال ينظمون أيضًا ألعابًا خاصة تتضمن عناصر لها مضمون جنسى: مثل لعبة "طرد الخنزيرات الصغيرات" وفيها يرتدى أحد الشباب معطفًا طويلاً ويقلد خنزيرة تضع أطفالها، ويلعب الصبية أدوار الخنزيرات الصغيرات، فيما يجرى الشباب وراءهم لطردهم إلى الشارع بالسياط، وهناك أيضًا لعبة "سلخ الشاة" ويحاول فيها الشباب خلع سروال الضحية وقميصها التى تقلد الشاة، ولعبة "خلية النحل" وكان أحدهم – الضحية – يقف فى الركن ويأخذ الآخرون فى إلقاء القش المشتعل عليه، ولعبة "وضع نعل للفرس" حيث كان الأولاد والبنات يجلسون على الدكة، ويختفى أحدهم تحتها، ثم يتسلل محاولاً تمزيق أربطة أحذيتهم الليفية وغير ذلك. وفى بيت الرقص كانت البنات تقرأ الطالع.

وفى كل مكان بقرى الموكشا استمرت عادات استئجار منزل للاحتفال ببيت الرقص حتى خمسينيات القرن العشرين، ومازالت مستمرة إلى وقتنا هذا فى بعض الأماكن. وإلى يومنا هذا مازالوا يحتفلون بهذا العيد فى شكل مبادرات فردية ريفية ينظمون فى أثنائها التمثيليات وفقرات الفنون الشعبية الأخرى.

المراجع :

Pamyatniki mordovskogo narodnogo muzykalnogo iskusstva. T. I. Saransk, 1981.

ذاكرة فن الموسيقى الشعبية الموردفية، صارنسك ١٩٨٤ .

Clothes/adornments and footwear / الملابس والزينة والأحذية(١١٣)

(Shchapt/karyapt, M-orshavt/karsevt, E)

للملابس وأشياء الزينة والأحذية دور سحرى خاص فى الثقافة الشعبية للموردف فضلاً عن كونها تجسد العلاقة الخاصة بين الإنسان والطبيعة، ففى الأغانى الشعبية على سبيل المثال يشبهون القميص الشعبى بالخشخاش وبتلات الخشخاش بشجر القيقب(١١٤) وأوراق القيقب.

وفى ملابس الموردف بجميع أنواعها يطغى اللون الأبيض على أرضية قماش الكتان الشعبى الواسع الانتشار (يرتبط الكتان ارتباطًا وثيقًا بحياة الأسرة وبالطقوس الأسرية). أما الألوان الأوسع انتشارًا فى أعمال التزيين والتطريز على الكتان فهى : الأحمر والأحمر القانى والبنى والأزرق والبرتقالى والأخضر والأسود. ولكل لون مغزى خاص ويرمز لشىء خاص. ولهذا السبب كان لعملية انتقاء مجاميع الألوان وتركيبها وضمها فى وحدة واحدة أهمية بالغة. ويرمز اللون الأسود إلى الخصوبة والأرض (كانت الخطوط الرئيسية للقميص تطرز بالخيط الأسود)، أما الأحمر فيرمز إلى الشمس والدفء والحماية. وفى التصورات الفلكلورية عن الألوان يرتبط اللون الأبيض بوصف ثياب "فيديافا" الإلهة الأسطورية الحارسة للماء و "فيريافا" إلهة الغابات (عند الموكشا والإرزيا) ونيشكيباز الإله الأعلى (عند الإرزيا) وغيرهم.

ووفق العادات الموردفية عند الإرزيا فى منطقة نيجنى نوفجورود تطرز أنجى باتيا أم الآلهة (بالخيوط الملونة بالأزرق بلون السماء والأحمر بلون الشمس والأصفر بلون

(١١٣) Footwear ليس المقصود الحذاء بالمعنى العصرى للكلمة وإنما النعل والخف الذى يصنع صناعة يدوية بدائية ويسميه الموردف "لبطى" ولكنى لم أعرف كيفية جمع كل هذا فى كلمة واحدة سوى "الحذاء" . (المترجمة)

(١١٤) الخشخاش (أبو النوم) (Poppy) نبات يحمل عادة أزهار حمراء رائعة ونسغًا لبنيًا وله صفة المخدر، والقيقب Maple شجر يستخدم لأغراض التظليل والتزيين، وأيضًا يستخدم خشبه فى الأغراض المختلفة فضلاً عن استخراج بعض أنواع السكر منه . (المترجمة)

القمر والقرمزى بلون بزوغ الفجر) لابنها نيشكيياز حواف القميص وأكتافه. ويرتدى تيوشتيا البطل الأسطورى أيضًا القميص الأبيض المطرز بأشكال ملونة عديدة.

وتعكس الأشكال والوحدات المختلفة المتنوعة من التطريز على الملابس العديد من التصورات والرؤى الشعبية الموردفية، فيظهر فيها الإنسان صيادًا مقدامًا قاهرًا فاتحًا، وفى الوقت نفسه يُظهر التطريز علاقته الوثيقة بالطبيعة التى قد تبدو مثلاً فى الرسم الذى يصور الإنسان/الطائر والإنسان/الشجرة وغير ذلك. وليس من قبيل الصدفة أن بعض الرسومات التى تُطرز على القمصان كانت تتخذ شكل أرجل الحمام وكفوف الذئب والأرنب وغير ذلك وتسمّى به أيضًا.

وارتبطت بالملابس والزينة معتقدات مختلفة. فإذا ارتديت أى قطعة من الملابس مقلوبة على ظهرها ينذر هذا بالشر وسوء الحال (فسينقلب يومك رأسًا على عقب ويسوده الاضطراب)، وفى طقوس الزواج عند الموكشا فى بعض المناطق كانوا يُبَخرون القمصان طلبًا للحماية.

وكان الحزام، لأن من الممكن جعله دائرة، يعد وسيلة حماية، وبالتالى فخلع الحزام فى أثناء قراءة الطالع يرمز إلى الاتصال بالأرواح الشريرة ويعنى حرية القيام بأعمال السحر، وهو رمز الطريق – الذى يجتازه المرء عبر عراقيل سحرية (فى أثناء الولادة) (المقصود : الطريق المبهم السحرى الذى يجتازه الجنين من رحم أمه إلى العالم الخارجى/المترجمة) وعند اصطحاب الماشية للرعى للمرة الأولى[١١٥] كان من المعتاد وضع حزام عند مدخل المنزل (لضمان عودة الماشية إلى المنزل)، وكانوا يقودون الماشية الجديدة من حيث اشتروها إلى المنزل مستخدمين الحزام رمزًا لانتقال ملكيتها إلى صاحبها الجديد وإلى الحظيرة الجديدة.

وكانوا يرصعون الحزام ببعض الأشياء التى تستخدم فى زينة العرس مثل: العملات النقدية الفضية والصدف والمحار والأجراس الصغيرة المتدلية من خيوط حمراء. وكان الموردف يعتقدون أن الأجراس برنينها تقيهم شر السحرة والمشعوذين.

وملابس النساء والبنات وزينتهم تحمل فى طياتها رموزًا عميقة المغزى. وهنا يجب فى المقام الأول ملاحظة الأهمية الخاصة للأشياء الآتية : القطع المعدنية مستديرة الشكل

(١١٥) بعد عودة الماشية من المراعى مع انتهاء الصيف : راجع هامش المترجمة ٦٥ . (المترجمة)

التى تشبه النقود أو حراشف السمك الكبير (وكانوا يصنعون هذه القطع للزينة من المعادن المختلفة التى تجسد الضوء والخير مثل: النحاس والفضة والذهب)، والأساور والأقراط ودبابيس الزينة.

وكان للبريق الخارجي لهذه الأشياء تأثير قوى. ولما كانت المعادن فى حد ذاتها عند الموردف رمزًا للأصل الذكرى للعالم ومنها يصنعون الأسلحة والدروع وغير ذلك مما يخص الرجال، وباستخدام المعادن لتزيين الملابس والأحذية، أصبحت الأخيرة تجسد فى الوقت نفسه الأنوثة والرجولة. وكانوا يضعون فى مصاف الآلهة – من حيث المظهر الخارجى– النساء والبنات وهن يرفلن فى ثيابهن الجميلة بحليهن وزينتهن (ولقد ارتبط بريق الذهب والفضة والنحاس وتألقها بوصف ثياب الآلهة الحارسة). وفى الفلكلور ارتبطت المعادن أيضًا بالشمس والنار والقمر والنجوم، الأمر الذى أحاط المعادن بجو من الخصوصية والتفرد والتميز.

وحول الملابس والزينة فرضت المحرمات والمحظورات. ففيما يتعلق بغطاء الرأس: لا يجب تدوير الشبكا[١١٦] أو منديل الرأس على كف اليد (ستؤلك رأسك)، ولا يجب وضعهما على الطاولة (ينذر هذا بنشوب الخلافات والخناقات وسوء الحظ)، ولا يجب ارتداء شبكا أو منديل ليس لك (ستصاب بصداع الرأس). وكان الموردف يستخدمون غطاء الرأس فى أعمال التنجيم وقراءة الطالع فيما يتعلق بالحب (حيث تضع الحبيبة شبكا المحبوب على رأسها وتسلبه بذلك عقله فلا يعود يفكر إلا فيها).

وباختلاف شكل غطاء الرأس كانوا يميزون بين الفتيات والمتزوجات. فالفتيات فى العادة ترتدين غطاء رأس مزينًا بأكاليل من الزهور المصنوعة من قطع من الخشب أو النحاس، ويتخذ هذا الغطاء شكل أنبوب يدخلون الشعر فى تجويفه الداخلى، ويزينون ظاهره بأشكال حلزونية من البرونز. أما الضفائر فكانوا يغطونها بمنديل تتدلى منه حلى برونزية (أشياء لا تفارق الفتيات والسيدات الموردف ويعرفن بها).

---

(١١٦) الشبكا غطاء للرأس من الفراء، راجع هامش المترجمة رقم ١١٠ . (المترجمة)

ومن بين العلامات المميزة للمتزوجات من النساء "البنجا" أو "البانجو" (غطاء رأس عالٍ على شكل ثمرة لحم الغابة)[١١٧]، أما الفتيات فيضعن عصابة على جباههن مزينة بتطريزات وشرائط من القصب وشراشيب الأقمشة. ويربطن شعورهن بمشط من الخشب أو العظم نجد ذكره فى الحواديت الميثولوجية (حيث يستخدمه تشيباز إله الشمس فى تمشيط شعره).

وكانت للأحذية وظيفة طقسية سحرية، وبشكل خاص تلك المصنوعة من لحاء الشجر وكانوا يسمونها "لَبْتى". فقد كانوا يعلقونها على سارية سياج البيت لحمايته من الأرواح الشريرة والسحرة. ولضمان خطوبة موفقة سعيدة كانوا يلقون بحذاء قديم من اللحاء خلف الباشكودا[١١٨] عند خروجه من المنزل. وكانوا أيضًا يضعون المشيمة فى حذاء (انظر : الولادة)، وكانوا يدفنون موتاهم وهم منتعلين الأحذية.

المراجع :

(1) Tallgren A. M. Les provinces culturelles finnoises de la lage recent de fer dans la Russie du nord. Eurasia. Septentrionalis antigwa. III. S. 3-24. Helsinki, 1928;

(2) Devyatkina T. P. Mokshanskie svadebnye obryady I pesni. Saransk, 1992;

(3) Balashov V. A., Luzgin A. S. , Prokina T. P. Odezhda// Mordva. Istoriko - kulturnye ocherki. Saransk, 1995

(١) المناطق الحضارية لشعوب فين – أوجر فى أواخر العصر الحديدى، فى شمال روسيا وأوروبا وآسيا. تالجران أ. م. هلسنكى ١٩٩٢ .

(٢) طقوس وأغانى الزواج عند الموكشا. ديفياتكينا ت. ب. صارنسك، روسيا، ١٩٩٢ .

(٣) ملابس الموردف، قضايا ثقافية تاريخية. بالاشوف، لوجين، بروكيينا. صارنسك ١٩٩٥ .

---

(١١٧) لحم الغابة انظر هامش المترجمة رقم ٢٦ . (المترجمة)

(١١٨) الباشكودا Bashkuda الشخص الذى يقوم بتنظيم كل ما يتعلق بالزواج أو الخطوبة مع والدى العروس، وكان أول من يسمح له بدخول منزل العروس بعد الزواج . (المترجمة)

التابوت / Coffin

(lazks, M -kandolaz, E)

(laz اللوح و kandom يحمل)

التابوت دخل حديثًا نسبيًا إلى طقوس الدفن الموردفية، ويرتبط بالكثير من الطقوس السحرية والمعتقدات. ووفق المواد والأدبيات التى ترجع إلى عام ١٧٨٣ كان الموردف إلى ذلك الحين يدفنون موتاهم بلا تابوت، ويكتفون فقط بلفهم بلحاء شجر البتولا. وبمرور الوقت انتقلوا إلى عادة إعداد التابوت من شجرة كاملة يفلقونها إلى نصفين ويستخدمون النصف تابوتًا والنصف الآخر غطاء له. وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبح الموردف فى كل مكان يضعون موتاهم فى توابيت مستطيلة تتخذ شكل الصندوق. ومن العادات الشعبية بمنطقة بتروف بمقاطعة صارنسك كان أول من يبدأ فى صناعة التابوت يهدونه منشفة. وكانوا يتركون رقائق الخشب وسحاجاته التى تتبقى بعد إعداد التابوت فى النفايات بالقرب من الجبانة، ويطلق الإرزيا فى محافظة سمارا على هذا المكان اسم "شتشيبكا لاننجو" (مكان الرقائق الخشبية) ويعتبرونه خطرًا على صحة الناس (انظر : المرض).

وكانوا يطهرون التابوت بالبخار قبل وضع الميت فيه، ومن ثم يفرشون القاع بأوراق شجر البتولا وأفرعه. وبعد وضع الميت فى التابوت كانت واحدة من كبار السن من النساء تقف عند الرأس وتخربش بأظافرها عملة نقدية نحاسية وتسأل الميت العفو عمَّن غسَّلوه وألبسوه ثيابه(١١٩) وتطلب لهم حماية محصولهم وماشيتهم وعقولهم وشعورهم وآذانهم وعيونهم وأسنانهم وألسنتهم وأفواههم وقلوبهم وأياديهم وأرجلهم. وكانوا

(١١٩) عند المسيحيين الروس يضعون الميت فى التابوت فى كامل ملابسه وأفضلها، ويعدون حفل توديع له فى المنزل وهو مسجى فى التابوت المفتوح الغطاء، يدورون حوله ويقبلونه، ومن ثم يجتمعون حول مائدة عليها وليمة من المأكولات (بما فى ذلك الأطعمة الجنائزية الطقسية وبشكل خاص أنواع معينة من الخبز) والمشروبات الروحية ويأخذون فى ذكر مناقبه وأخلاقه وذكرياتهم الجميلة عنه، ثم يغلقون التابوت ويذهبون به إلى المقابر لدفنه. ويحدث أحيانًا أن تقص الأم أو الزوجة أو الابنة خصلة من شعر الميت لتحتفظ بها . (المترجمة)

يضعون فى التابوت أظافر الميت بعد قصها قبل دفنه (انظر : الروح)، (تشير المؤلفة فى موضع آخر إلى اعتقادهم بأن الميت يستخدم بقايا الأظافر هذه لحفر طريق له خارج القبر أو لتسلق القبة السماوية الملساء/المترجمة) وعملات نقدية ليشترى بها ما يحلو له فى العالم الآخر.

وعلى جوانب التابوت كانوا يرسمون باستخدام سكين أو فحم نوافذ بمستوى عينى الميت (اثنتان من جانب واثنتان من الجانب الآخر) لإضاءة القبر للميت ليتمكن من "العمل". وفى بعض مناطق الموكشا بمقاطعة بنز كانوا يرسمون بالإضافة للنوافذ بابًا حتى يتمكن الميت من خلاله النظر إلى الخارج أو الخروج، وأحيانًا كان الموردف يضعون نافذة زجاجية فى إطار. وكل هذه الأفكار تعود إلى اعتقادهم أن التابوت سيكون فى العالم الآخر منزل الميت.

ووفق العادات كان على أحد أقرباء الميت العديد والنواح فى أثناء إعداد التابوت له، وبعد إخراج التابوت من المنزل كانت سيدة من كبار السن تدعو كل الموتى، المشاركين وفق اعتقادهم فى الجنازة، للخروج مع الجميع من المنزل. وعند الخروج من منزل الميت كانوا يلمسون إطارات بوابة المنزل لدرء حدوث موت جديد.

وكانوا يعتقدون أن المنتحر يعيش ما يفترضون أنه تبقى من حياته فى التابوت ثم يموت موتته الطبيعية.

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianski prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; 2. T. 7, 2 Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979; 3. 3. Zelenin D. K. Vozzreniya na zalozhnyh pokoinkov u drugih narodov//Ocherki russkoi mifologii. Izbr. Tr. M., 1995

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى – العديد والنواح عند الإرزيا. صارنسك ١٩٧٢ .

(٢) المرجع نفسه – العديد عند الموكشا. صارنسك ١٩٧٩ ،

(٣) رؤى وتصورات حول دفن الموتى عند الشعوب الأخرى / قضايا الميثولوجى الروسى. تأليف زيلينين د. ك. موسكو ١٩٩٥ .

Cuckoo / الوقواق

(kuku, M- kuko, E)

يعد الوقواق وفق المعتقدات الشعبية للموردف الطائر الأعلى. وفى الفلكلور الطقسى (فى الأغانى الجماعية للكريسماس وأغانى الاحتفال بقدوم الربيع[١٢٠]) نجد مختلف الروايات عن الأصل الميثولوجي للوقواق. فتروى إحدى الحواديت أن الوقواق خرج من بيضة "إنى نارمون" (الطائر العظيم عند الإرزيا) أو من بيضة "بوكش فيد نارمون" (الطائر المائى الضخم عند الإرزيا) الذى بنى عشه فى حقل واسع مستخدمًا شَعر البنات. وضع هذا الطائر ثلاث بيضات فقست طيورًا ثلاثة صغيرة : العندليب والوقواق والقُبَّرَة[١٢١] (وعادة ما يخرج الوقواق من البيضة الأولى أو الثانية). وتشير حواديت أخرى إلى أن أصل الوقواق يأتى من ذَكَر الطَّيْهوج الأسود[١٢٢] (أو طائر مجهول الهوية) الذى بنى عشه على أول غصن فى أول أيكة على أول شجرة قابلها فى أول غابة، ويضع الطائر هناك ثلاث بيضات تفقس طيورًا ثلاثة : الوقواق والعندليب والعصفور[١٢٣]. ويصيح الوقواق من فوق أول برعم من أول فرع فى أول غُصين من أول شجرة. ويرتبط صياح الوقواق فى الصباح فى أذهان الموردف بأوان

---

(١٢٠) فى روسيا منذ زمن بعيد وحتى الآن لا تزال تقام احتفالات شعبية بقدوم الربيع. ومما تبقى من مظاهر الاحتفالات القديمة ما يسمونه "فيسنيانكى" (Vesnyanky) وهى ضرب من الأغانى الملحمية الجماعية القديمة المصحوبة بأداء طقوس وشعائر خاصة، والتى تنطوى على معانى سحرية، وتستهدف إيقاظ الربيع من بعد سبات الطبيعة فى شتاء روسيا القارص الطويل . (المترجمة)

(١٢١) القبرة Skylark : طائر محبوب يتميز بعذوبة أغانيه فى أثناء طيرانه. يوجد بشكل رئيسى فى أوروبا وآسيا ولكنه يهاجر فى الشتاء من الشمال إلى أفريقيا وجنوب آسيا، يبنى عشه عادة فى حقل مفتوح بين أغصان الأشجار . (المترجمة)

(١٢٢) ذكرالطَّيْهوج الأسود Heath cock : طائر من الطيور الطريدة (التى تُصطاد للحمها) من فصيلة الدجاج، ممتلئ وريان البدن يكسو الريش أرجله . (المترجمة)

(١٢٣) العصفور Birdie طائر صغير الحجم يسمى أيضًا الفرفور . (المترجمة)

بداية يوم العمل، ويتخذ الوقواق عند الموردف هيئة أسطورية، وفى احتفالات الربيع الجماعية كانوا يضعون فى أقدام الوقواق الأرقط حذاء أحمر عاليًا ويطلون منقاره باللون الذهبى ويضعون على عرفه قطعة قماش من الحرير.

وفى الميثولوجى الموردفى كان مقدرًا للوقواق أن يصبح طائرًا منزليًا. ففى البداية وعد الوقواق الإلهة أنجى باتيا (أم الآلهة) بطاعة رغبتها فى أن يضع البيض يوميًا، ومن ثم رفض، ولهذا السبب طُرد من مملكة الإنسان إلى الغابات. ولم تسمح أنجى باتيا للوقواق بالعودة إلى عشه وقضت عليه أن يضع بيضه فى عشش الطيور الأخرى. وكعلامة لعدم تنفيذه لوعده الذى قطعه للآلهة، حولت أنجى باتيا الوقواق وبيضه إلى أرقط. وحتى الآن يصيح الوقواق فى الغابات صياحًا شاكيًا باكيًا مفتقدًا صحبة الإنسان وأماكن عيشه.

فالوقواق وفق المعتقدات الشعبية طفل لم يقدر له أن يولد، وترتبط به مجموعة من المحرمات والمحظورات مثل تحريم قتله (فمعنى هذا أنك تقتل طفلاً)، ومثل اعتقادهم بتحول الطفل الذى مات دون تعميد إلى وقواق. وفى الفلكلور تتخذ "فيريافا" إلهة الغابات مظهر الوقواق، وعلى صياح الوقواق يقرأون الطالع حول امتداد أعمارهم، ويوجهون فى هذه الأثناء أسئلة للوقواق قائلين : "يا وقوق يا وقوق، كم سنة سأعيش؟"، وكانت البنات أحيانًا تسأله : "كم تبقى من الوقت ليحين موعد زواجى؟".

وهناك العديد من مختلف الأمارات والإشارات والمعتقدات المرتبطة بأول صياح للوقواق. فإذا أتاك أول صياح للوقواق فى الربيع عن يمينك فستصبح ثريًا حتى الصياح التالى فى الربيع، وإذا أتاك الصياح عن يسارك ينذر هذا بالجوع. وإذا جاءك الصياح من الشرق فهو علامة طيبة ومن الغرب علامة عن شر مضمر. وإذا صاح الوقواق فى الخريف، فسيحل ربيع طويل دافىء، وإذا تردد صياح الوقواق فى الشرق فسيكون المحصول وفيرًا وفى الجنوب فسيرزقك الرب بذرية من الأولاد الذكور وفى الغرب فستموت فتاة شابة. وإذا تكرر صياح الوقواق أكثر من المعتاد فلا يبشر هذا بالخير أو بيوم مُشمس مضىء جميل. وإذا صاح الوقواق من فوق شجرة جافة فمعناه البرد. وفى مواسم

الحصاد كان صياح الوقواق ينطوى على معانى ودلالات سحرية، فمن يسمعه فى أثناء الحصاد عليه مباشرة التوجه برأسه إلى الناحية الآتى منها الصياح (معتقدين أن هذا يقيهم التهاب الحلق حتى موعد الحصاد التالى). وينتهى موسم صياح الوقواق مع عيد القديس بيتر (فى ١٢ يوليه)، وإذا تردد صياحه بعد هذا اليوم ينذر هذا بالسوء.

المراجع :

UPTMN. T. 7, ch. 3 Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى - الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارانسك، ١٩٨١ .

D

الموت / Death

(kuloma, M-E)

الموت – النهاية الطبيعية لكل حى – فى التصورات الشعبية للموردف هو لحظة خروج الإنسان من عالم الأحياء إلى العالم الآخر ("تونا شى" بلغة الموكشا)، هو الضد لمفهوم الحياة. والموت وحياة الإنسان بعد الموت من الأفكار المُمَيزة للتصورات الوثنية للموردف، وقد كانوا فى هذا الصدد يعتقدون أن الموت والملاك لا يفارقان الإنسان الحى.

وعلى الرغم من أن ميقات موت الإنسان وملابساته ليس مقدراً معرفتها، فقد تطلع الناس مؤرقين لمعرفة موعد موتهم بمساعدة مختلف الأمارات والإشارات ذات الدلالة وبقراءة الطالع، وكانوا يقرأون الطالع فيما يتعلق بموعد الموت بشكل خاص قبل الكريسماس ورأس السنة مستخدمين فى ذلك قطعة خبز أو خصلة شعر يضعونها على إطار النافذة (ولمن طارت قطعة خبزه أو خصلة شعره توقع الموت) وغير ذلك. وكانوا يفسرون بعض الظواهر كعلامة على اقتراب الموت : إذا طار أى طائر كان عبر النافذة إلى المنزل، أو صاح غراب أسود فوق عريشة المنزل، أو انزلقت العصيدة من حافة الطبق، أو سقط خاتم الخطوبة فى أثناء طقوس الزواج وهلم جرا. وكانوا ينتظرون الموت إذا خرجت الطيور أو الحيوانات المنزلية عن مألوف سلوكها، من ذلك على سبيل المثال : إذا طارت دجاجة إلى المدخنة أو صاحت، وإذا استمر عواء الكلاب طويلاً، وإذا كان أنف الكلب بارداً، وإذا لوت القطة قدميها وذيلها فى اتجاه مدخل البيت، وإذا أثمرت للمرة الثانية بعض أشجار الفاكهة (التفاح والكرز). وارتبط أنين ("كوفتسيما" عند الموكشا) كودازورافا الإلهة الحارسة للبيت (انظر : كودافا) أيضاً الموت.

وبعض الأحلام كانوا يفسرونها بالموت مثل : سقوط الأسنان (الأمامية يعنى موت طفل، وإذا سقطت مصحوبة بالدماء يعنى موت أحد الأقرباء المقربين) وفى الأحلام ينذر باقتراب الموت رؤية: حفر قبو وبناء بيت وغرس ثمار البطاطس ورؤية الأرنب البرى الأبيض والثور والبرق وذبح الديك ورؤية الهلال.

ووفق التصورات والرؤى الشعبية يمكن إبعاد شبح الموت عبر مختلف أشكال السحر والحيلة، من ذلك على سبيل المثال: ذبح ديك صَيَّاح ونزع حلقه وحرقه ونثر الرماد فى الحقل. وبعد أى حلم ينذر بالموت كان الناس يحشرون البنصر بين مصرعى النافذة مرددين : "اذهب عنى". وفى الحواديت السحرية يخدع الإنسان الموت ويطيل بذلك عمره.

ويقول الشهود والثقاة: إن بعض الناس فى السابق وبشكل خاص المتقدمين فى السن والمرضى كانوا بالفعل يشعرون باقتراب أجلهم، وكانوا يستعدون لذلك بشراء قماش التابوت، أو يرقدون بلا حراك فى انتظار الموت أو يعترفون بخطاياهم وما إلى ذلك، بل إن البعض أحيانًا كان يرى أحد الأموات قادمًا إليه، عادة ما تكون الأم أو أحد الأقرباء المقربين، يناديه للذهاب معه، وكانوا قبل موتهم يودعون الأهل. ولتسهيل خروج الروح من الجسد كان الأهل يرشون المكان بالماء ويشعلون شمعة ويقفون حول المحتضر فى صمت.

ويرسم الفلكلور للموت صوراً متنوعة ويجسده فى ظواهر مختلفة : مثل تصور الموت امرأة أو رجلاً عجوزاً متجهم الوجه فى ثياب بيضاء ينتزع الروح بأصابعه من الفم. وفى حالات أخرى لا تقدم مواد الفلكلور صورة محددة للموت فهو فقط قبيح مرعب أسود مسلح بسيف ملتوٍ يمزق به أعصاب الأرجل وباقى أعضاء الجسد. وفى العديد والنواح عند الإرزيا يأتى الموت فى صورة ثلاثة أشعة (خضراء وسوداء وبيضاء) تنتزع القوة من الأيدى والأرجل، أو يُنزل الإله الموت من السماء على حبال مهد هزاز ومعه ثلاثة ملائكة ينتزع الأول الذاكرة والثانى قوة الأرجل والثالث يأخذ الروح ويلفها فى منديل أبيض ويضعها فى مهد نحاسى ويغطيها بمنشفة حريرية ويحملها إلى ضفة النهر لغسلها، ومن ثم يبعث بها إلى الإله "نشكى" الذى يقرر فى أى مكان مستقرها الأخير. وعدا ذلك، ووفق معتقدات الموردف، يمكن لروح الميت – لو أن الإنسان كان فى حياته على الأرض صالحًا – أن تذهب إلى الجنة بالتضرع للآلهة مستخدمين خصلة من شعره.

وكانوا يعتبرون أن الصالحين من الناس يموتون ميتة سهلة، فيما يموت الخطاة، وبشكل خاص السحرة والمشعوذون، موتًا عسيرًا. وفى التصورات الشعبية أيضًا أن السحرة والمشعوذين لا يقبضون إلا بعد أن ينقلوا قدراتهم على السحر إلى شخص ما. ولتخفيف وطأة الموت كان الموردف يمارسون بعض الطقوس ذات الطابع السحرى، من ذلك فك كل مغلق كحل الشعر وفك الأزرار والدبابيس والأحزمة وغير ذلك، وفتح النوافذ والأبواب ورفع أية عوارض أو عوائق على الأرض من شأنها منع الروح من المرور، ويلتزمون الصمت حتى لا يخيفون الروح فى أثناء مرورها. وكانوا أيضًا يعتقدون أن نجمًا يسقط من السماء أو يخفت ضوؤه فى لحظة الموت. وكان الإرزيا يمسحون شفاه المحتضر بالعسل الأبيض معتقدين أنه فى هذه اللحظة يعانى من مرارة بالحلق. ومن المهم، كما كانوا يعتقدون، تغطية وجه المحتضر بمنديل فى الوقت المناسب، لأن مَنْ يلقى عليه المحتضر آخر نظرة سيموت فى العام نفسه. وعدا ذلك كانت التقاليد تملى مباشرة بعد الموت قطع رأس دجاجة وإلقاءها فى الشارع مرددين: " إليكَ هذه الدجاجة فى الحياة الآخرة". وبعد موت أحد أفراد الأسرة كانوا بهدف حماية أنفسهم ودرء الموت عنهم يمارسون طقوس الحماية المختلفة (انظر : الميت/المتوفى).

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; T. 7, ch. 2. 2.Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979; 3. Harva U. Die relgiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى - العديد والنواح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى - العديد عند الموكشا صارنسك ١٩٧٩ .

(٣) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

الميت / Deceased

(Iovazha, M-kulytsya, E)

فى العادات الشعبية تقام على شرف الميت طقوس سحرية تجسد الطبيعة الميثولوجية الخاصة لرؤى الموردف حول العلاقة بين الأحياء والأموات، بين هذا العالم والعالم الآخر. والميت يعد فى نظرهم وسيطًا بين الإله والناس. وعند الإرزيا "ماستورباز" هو الإله الحارس للموتى (انظر : ماستورباز).

ويهدف حماية أنفسهم وصد شبح الموت عنهم مازال الموردف إلى يومنا هذا بعد الموت مباشرة يغلقون عينى الميت، ويغطون بقطع قماش المرايا وكل الأشياء التى لها خاصية الانعكاس فى المنزل (التليفزيون والصور المثبتة تحت غطاء زجاجى وغير ذلك). وفى التصورات الشعبية يرى الميت بعد خروج الروح كل شىء حوله، لأن الروح فى اعتقادهم لا ترحل مباشرة إلى العالم الآخر. بيد أن الميت لا يجب أن يرى انعكاسًا له شخصيًا؛ إذ إن هذا يخيفه ويمكن بالتالى أن يعود لزيارة المنزل، تلك الظاهرة التى يسمونها عند الموكشا "آرامس ساشنديكس" (العودة للمنزل). وكانوا يتصورون أيضًا أن الميت يعود للمنزل فى الليل عبر ماسورة المدخنة متخذًا شكل الحية النارية، أو يطرق على النافذة متوسلاً فتح الباب له. وكانوا، فيما يتردد من حكايات، يرون الميت عادة كما كان فى هيئة إنسان حى. وكانت زيارة الموتى للأحياء تستنزفهم، فلا يكفون عن البكاء انتظارًا لزيارة موتاهم ويصابون بالإحباط والوحشة والاضطرابات العصبية. ولهذا السبب كانوا يودعون الأموات وداعًا لائقًا حتى المقابر ويتوسلون إليهم ألا يعودوا لزيارة المنازل. وكان الإرزيا على سبيل المثال يصنعون صلبانًا ثلاثة من أفرع شجرة الغبيراء[١٢٤] ويضعونها على جانبى الباب لمنع الميت، كما كانوا يعتقدون، من الدخول إلى المنزل.

(١٢٤) الغبيراء Rowan tree : وتسمى فى إنجلترا رماد الجبل، وأغلب الظن أن المقصود هو نوع من الشجر ينبت نوعًا من التوت اليابس الواحدة منه بحجم الزبيبة وينتشر بكثرة فى روسيا ويصنعون منه أنواعًا مختلفة من العصائر والجيلى والمشروبات . (المترجمة)

وتختلف كلية الطقوس المتعلقة بالغُسل وإلباس الميت ثياب الدفن والنواح والعديد ومن ثم الدفن باختلاف أسباب الموت، فهناك : (١) الموت الطبيعي الناتج عن الشيخوخة أو المرض وله طقوسه الخاصة (٢) الموت نتيجة حادث أو انتحار أو الإفراط في تعاطي الكحول، وكانوا يعتبرون هذا موتًا غير طبيعي وله أيضًا طقوسه الخاصة (٣) الموت بسبب العمر، ولكل عمر أيضًا طقوسه الخاصة (٤) الجنس، وتختلف طقوسه بين الرجل والمرأة. وتساعد كل هذه الطقوس في اعتقادهم على انتقال الروح إلى العالم الآخر وتحمي الأحياء من الاتصال بالميت ومن الموت.

وكانوا عادة يغسلون رأس الميت بالبيض حيث من غير اللائق الوقوف بين يدي "فيريباز" (الإله الأعلى عند الموكشا) برأس تنبعث منها رائحة الصابون، وكانوا يكشطون كل قطعة من ملابس الميت بسكين لفتح ثغرات بها لخروج الروح. ومن الطقوس الخاصة بإلباس الميت ثياب الدفن: حك عملةٍ نحاسية بسكين، ولف قطعة من القماش حول حزامه ليستخدمها في العالم الآخر، وتحذير الميت من إعطاء ثيابه لأحد لأن الكثيرين من الموتى في العالم الآخر بلا ثياب. وكانوا في هذه الأثناء يصلون لِنشكيباز (الإله الأعلى عند الإرزيا) لكي ينتقي للميت مكانًا طيبًا في العالم الآخر. ويعتقدون أنه إذا جاءت المرأة لغسيل الميت متأخرة عن موعدها أو قامت بعملها بغير عناية، فسيبعث إليها الميت بمرض يسمونه "كولن صاف" (أي المرض المرسَل من الميت)، وسيصيبها المرض وتصبح عاقرًا أو سيصاب أبناؤها بمرض مميت أو غير ذلك. وبعد إلباس الميت ثيابه كان كل الحضور، كما تملي العادات، يركعون أمامه حتى تلامس جباههم الأرض. ويعلقون على الحائط قطعة من ملابسه ويتركونها طوال ستة أسابيع بعد موته.

ولا تسمح التقاليد بدخول منزل الميت دون شيء ما مساعدة منك في هذا الظرف. وكانوا يطلبون من الميت إعطاء جزءٍ من طعامه، بعكس ملابسه، لمن سبقه إلى الموت، ويصلون ويطلبون وساطة "ماستورباز"[١٢٥] (راعي الموتى) وفارمافا (إلهة الريح) في هذا

(١٢٥) ماستورباز : الإله الحارس للملكة السفلية عند الإرزيا ويسمى أيضًا ستاكاباز . (المترجمة)

الأمر. وفى بعض القرى كانوا يعرضون على الإلهة "فارمافا" كل ما يعدونه من طعام للميت، وأحيانًا كانوا يقدمون للميت حصانًا ليستعين به على المشى فى العالم الآخر حتى لا يمشى حافى القدمين، وكانوا يعتقدون أن الحصان سرعان ما سيموت هو الآخر. وخرق أى من الطقوس المتعارف عليها أو عدم مراعاتها يفضى إلى نتائج وخيمة: فقد يغضب الميت ولا يشعر بالراحة فى العالم الآخر بسبب خرق الطقوس المتبعة فينزل غضبه على المُتسبب فى هذا أو يأخذ أحد أفراد أسرته معه.

وعند الإرزيا كانت طقوس دفن البنت تشابه طقوس العرس مع اختلافات طفيفة فى تتابع الطقوس. ففى الموت وفى الفرح كان كل شخص يُحضر معه وعاء من العصيدة ومن الفطائر وشمعة، ثم يقومون بالصلاة ومن ثم يضعون كل أوعية العصيدة فى الفرن. وكانت الكاهنة أو إحدى القريبات المقربات تبدأ بالنواح والعديد (دون بكاء). وكانوا يعلقون كل ملابس الفتاة على الحائط (تمامًا مثلما يفعلون فى العرس). وكانت فقط الشابات يقمن بحمل المتوفاة على محفة من الخيش وإخراجها من المنزل، وكن يحملن ملابسها ويفرشنها فى التابوت، وبعد الطقوس الجنائزية كانوا يعلقونها على صليب.

وفى حضرة الميت لم يكن مسموحًا فى المنزل خلع الملابس أو الأحذية، حتى إنهم كانوا ينامون بملابسهم. وطوال الوقت مادام الميت بالمنزل لم يكن مسموحًا إشعال الفرن (لاعتقادهم بأن روحه قد تحترق من النار). وعند الموكشا والإرزيا بمنطقة جاراديتش بمحافظة طامبوف كانت النساء يخرجن فى منتصف الليل إلى الشارع ويطلبن من الأسلاف أن يتقبلوا الميت بينهم.

وكان الموردف يعتقدون أن الميت يعيش فى العالم الآخر الحياة نفسها التى عاشها على الأرض، ولذلك كانوا يضعون إلى جواره الإبر وأدوات الزينة وخصلات الشعر وفضلات الأظافر المتبقية منه (لأن الميت يحتاج الأظافر ليتسلق القبة السماوية الملساء، أو ليصنع سلمًا لتتمكن الروح بواسطته من الصعود إلى السماء) والنقود ليشترى بها ما يشاء فى العالم الآخر وغير ذلك. وكانوا يعتقدون أنه إذا لم يرتد الموردفى الميت الحذاء الموردفى التقليدى من اللحاء فلن تقبله عشيرته فى العالم الآخر.

وكانوا مع الميت يتصرفون على نحو يتناقض مع سلوكهم العادى فى الحياة، من ذلك على سبيل المثال : كانوا يُلبسون الميت حذاءه بادئين ذلك بالقدم اليسرى، وفى الكنيسة فى أثناء الطقوس الجنائزية كانوا يحملون الميت ويدورون به حول الكنيسة بعكس حركة عقارب الساعة.

وكانوا يعتقدون أنه إذا ارتسمت علامات الرضا على وجه الميت وهو فى المنزل أو عند إخراجه من المنزل فهذا خير، وإذا كان باكيًا (أو سالت دموعه مباشرة بعد موته) يعنى هذا أنه لم يمت موتًا طبيعيًا. وإذا انفرجت جفون الميت قليلاً كانوا يتوقعون تكرار الموت فى المنزل. وهناك مجموعة محرمات ومحظورات مرتبطة بالميت، من ذلك منع البكاء عليه، وكان من قبيل الخطيئة تصادف يوم الدفن، بعكس يوم الموت، مع عيد الفصح، وكانوا يمنعون النظر إلى جثمان الميت عبر النافذة، أو عبور الشارع قبل عبور جثمانه. وعلى العكس كانوا يعتبرون من قبيل الأمارات المبشرة بالخير مصادفة الالتقاء على الطريق بموكب ميت آخر. وكانوا يؤمنون أن الإنسان لو مات فى يوم عيد (عيد ميلاد المسيح أو عيد الفصح) فستذهب روحه للجنة.

وقبل إخراج الميت من المنزل وبعده كانوا يؤدون طقوس الحماية المختلفة: فكانوا يرسمون دائرة حول الميت مستخدمين سكينًا، ويمررون السكين فوق الأرجل والصدر والرقبة لـ "قطع" رأس الموت. والسكين الذى يرشقونه فى المكان الذى رقد فيه الميت قبل إخراجه من المنزل كانوا ينزعونه من مكانه بعد عودتهم من الجبانة، وكان صاحب المنزل بعد أن يرسم بهذا السكين صليبًا على الباب يلقيه بكل ما أوتى من قوة ليرشقه فى السقف، فإذا قفز السكين جانبًا وابتعد عن السقف فعلى عائلته انتظار مصيبة جديدة. ولأغراض الحماية كانوا يضعون فأسًا (أو قطعًا صغيرة من الفحم) تحت السرير الذى رقد عليه الميت أو فوقه لعرقلة الطريق أمام دخول الموت إليهم، وبالقرب من الباب يضعون سكينًا للتغلب على خوفهم من الميت. وبعد إخراج الميت كانوا يرشون المنزل بالماء وينثرون الرماد على المكان الذى رقد فيه ويغسلون بالصابون الطاولة والدكة والنوافذ والأرضية ويزيحون ماء الغسيل فى اتجاه باب الخروج من المنزل. وطوال ستة أسابيع بعد الموت كانوا يحرمون استخدام المقشة للتنظيف لاعتقادهم أن

أرواح الموتى من الأسلاف (الذين شاركوا فى الطقوس الجنائزية) مازالت تحوم فى المنزل، وللسبب نفسه كانوا يمنعون هز مهد الطفل حتى لا يعترض طريق أرواح الأسلاف الموتى.

ومن الإشارات والأمارات التى كانوا يؤمنون بها: أن الطقس الجيد فى يوم الدفن يعنى أن الميت قام فى الحياة الدنيا بالكثير من الأعمال الطيبة، وإذا لم يلتقط الطير الحبوب من على قبر الميت معناه أن الميت لم يكن شريفًا. ولتسهيل حمل الميت (الذى عادة ما يكون ثقيلاً بسبب الشياطين التى تتنازع للاستحواذ على روحه) كانوا يضعون على جانبى التابوت أعواداً من خشب البتولا (المقدس/المترجمة) ويدورون حول التابوت ثلاث مرات، حاملين الخبز والأيقونات.

وتكريماً للمرأة المتوفاة كانوا يتركون حزامًا صغيراً من الأرض المزروعة بالقنب(١٢٦) دون حصاد، وحزامًا صغيراً من الشعير دون حصاد تكريماً للرجل المتوفى. وعند قبر الرجل كانوا يحفرون صورته على شجرة صنوبر أو سنديان، وصورة المرأة على شجرة بتولا. ويعتقدون أن المتوفى من الإفراط فى شرب الكحول يتسبب فى جفاف التربة بامتصاص الرطوبة من الأرض، ولذا كان من الشائع رفض دفن الميت من السكر فى أماكن الدفن المعتادة. ولهذا السبب أيضًا كانوا إذا دُفن المتوفى من السكر فى الجبانة العامة أو فناء الكنيسة، يحفرون قبره فى المساء وينتزعونه ويوخزون الجثة بجذع من شجر الحور الرجراج (الملعون/المترجمة) حتى لا تطفو على السطح ثم يلقون بها فى البرك. وفى ارتباط بهذه المعتقدات كانوا أيضًا فى مواسم الجفاف يرشون الماء على قبور الموتى المدفونين فى الغابة الذين قبضوا بسبب الإفراط فى السكر.

وطوال فترة وجود الميت بالمنزل كانت رؤية الأحلام تنطوى على مغزى خاص جداً. فقد كانوا يعتقدون أن الميت يُعبر عن طريق أحلام الآخرين عن مزاجه ورغباته ومشاعره.

(١٢٦) القنب Hemp : نبات موطنه الأصلى أسيا، يستخدم لحاؤه فى صناعة الحبال والأقمشة المتينة وهو نبات مخدر أيضاً ويستخدم فى صناعة بعض الأدوية المخدرة . (المترجمة)

والحلم بشخص ميت مع اقتراب الصباح فى الشتاء معناه سقوط الثلوج، وفى الصيف معناه هطول الأمطار.

ومن عاداتهم أيضًا الإمساك بيد الميت اعتقادًا منهم أنه بهذا السلوك سيحميهم الميت من الكوارث وسيتمنى لهم أطيب الأمانى.

المراجع :

(1) Harva U. Die relgiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972.

(١) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى - العديد والنواح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

Deceased's deputy / ممثل الميت

(vasta, Mtarka, E) (Ezem ozy-Tarka ozy, E) (Vastozay, Vastozava, M) تعنى : مكان. و ozams, M-E يجلس و ezem, M-E مقعد (أقرب إلى الدكة الطويلة/المترجمة) و ava امرأة/أم) .

ممثل الميت هو الشخص الذى يلعب دور الميت فى ذكراه فى طقس يزخر بضروب السحر، وكان الموردف فى العادة يختارون لهذا الغرض شخصًا من بين الأقارب ومن عمر الميت نفسه والأكثر شبهًا به. وأحيانًا كان الميت نفسه يختار قبل وفاته هذا الشخص.

وكان هذا الشخص يرتدى ثياب الميت ويجلس فى المكان الذى اعتاد الميت الجلوس فيه. ويأخذ أفراد الأسرة فى الاهتمام به ورعايته كما كانوا يفعلون مع الميت،

ويتوجهون إليه بالحديث بصيغة الاحترام، ويحضر ممثل الميت حفلات العرس والتعميد في الأسرة ممثلاً للمتوفى.

وفي محافظة صاراتوف في اليوم الثالث والتاسع بعد الوفاة كانت تتوافد النساء لتبكي كل بدورها بين يدي ممثل الميت الذي كان يتخذ لنفسه مقعداً في أبعد ركن على الطاولة. وفي هذه الطقوس كان ممثل الميت يقدم النصائح للمجتمعين أمامه إحياءً لذكرى الميت حول سبل الحياة، وكان يتضرع إلى "كودافا" الإلهة الحارسة للبيت لمباركة أسرة الميت والدعاء لها بكل ما هو طيب ومنحها محصولاً وفيراً وماشية كثيرة. وكان هذا الاحتفال يستمر من الصباح حتى المساء بمشاركة الجميع ويأخذ ممثل الميت في رواية حكايات عن الحياة الآخرة وعن المرح واللهو هناك مع الموتى من الأهل والأقارب.

وكانوا أحيانًا يستعيضون عن ممثل الميت ببذلته. وفي قرية أوركينو بمقاطعة صاراتوف كانوا يلفون بعض ملابس الميت في شكل دمية يضعونها في الركن الأمامي للمنزل في أثناء إحياء ذكراه، ويمر الناس أمامها وينحنون لها، ويقدمون لها الأطعمة الطقسية التي يعدونها لهذه المناسبة. ويتركون الدمية في المنزل عند ذهابهم للجبانة، وبعد إحياء الذكرى كانوا يعطون هذه الملابس للمتسولين.

وكانوا يودعون ممثل الميت في المساء أو مع شروق الشمس. وفي بعض القرى كانوا يعطون ممثل الميت حصانًا ليذهب به إلى الجبانة، وفي قرى أخرى يقدمون له لهذا الغرض عربة، وكانوا أحيانًا يحملونه حتى القبر على أياديهم ويُجلسونه هناك على وسادة، وبين قدميه يضعون الأكل ويدعون إلى الطرابيزة كل الموتى السابقين. وكانوا أحيانًا يودعون ممثل الميت فقط حتى بوابة المنزل، ويشعلون حين وداعه "ناراً جديدة" ليقفز فوقها كل مشارك قفزة تقليدية خاصة لها مغزى محدد. وكان من الضروري تنظيم وداع ختامي لممثل الميت يقوم به أحد منظمي طقوس الوداع من الأقارب. والفكرة وراء هذا الطقس هي دعوة ممثل الميت إلى الذهاب إلى العالم الآخر، وعدم إزعاج الأحياء وتقبل طلب غفرانهم وحمايتهم.

المراجع :

(1) Harva U. Die relgiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. UPTMN. T. 7, ch. 2. Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979.

(١) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى – المجلد السابع الجزء الثانى – العديد والنواح عند الموكشا صارنسك ١٩٧٩ .

Deity-patroness of the apiary and bee-hives

نيشكيفا الإلهة الحارسة للمنحل وخلية النحل[١٢٧]

(Neshkeava,M-E)

(neshke خلية النحل و ava امرأة/أم)

كان الموردف يعتقدون أن لكل منحل إلهًا خاصًا به يحيا فى أحد أكبر خلايا المنحل. وعند الإرزيا يعد "نِيشكيباز"، ابن الإله، أيضًا راعيًا لأسر النحل. وعند جمع العسل كان الإرزيا يضعون أمام كل خلية نحل كوبًا صغيرًا من مشروب عسل النحل[١٢٨] يقدمونه للإله الحارس للمنحل. وهناك أسطورة تروى حكاية شاب لم يؤمن بوجود إله النحل وحاول جمع العسل من الخلية متجاهلاً الطقوس الخاصة بذلك، فإذا بالخلية تنزف دمًا، وبالنحل يطير مبتعدًا عنها.

(١٢٧) كانت تربية النحل وصناعة العسل ولا تزال واحدة من أهم مقومات الاقتصاد فى الريف الموردفى، وكان العسل ومازال من أهم مصادر غذائهم، ولهذا السبب جعلوا له فى الوثنية إلهًا . (المترجمة)

(١٢٨) مشروب عسل النحل: مشروب مُسكر يصنع من تخمير العسل وإضافة الماء إليه . (المترجمة)

وتكريماً لنيشكيفا كانوا ينظمون الأعياد الكبيرة والصلوات ويقدمون لها القرابين، عادة من العسل الأبيض ومشروب العسل الأبيض وغير ذلك من الأطعمة والمشروبات يضعونها على عتبة الكوخ أو البيت، ويتضرعون للإلهة سائليها زيادة النحل ووفرة العسل. وفي منطقة جاراديتش بمحافظة نيجني نوفجورود كان الموكشا ينظمون احتفالاً خاصاً على شرف نيشكيفا في عيد النبي إليا[١٢٩]، ويدعون إليه نيشكيفا وكل الآلهة ذات العلاقة بالغابات وما فيها. ومن القرابين في هذا اليوم كانوا يقدمون أوزة بيضاء. وكانوا يركعون مصلين للآلهة سائليهم زيادة خلايا النحل وحمايته من السحرة والأشرار ومن التلف. وبعد الطرابيزة[١٣٠] والوجبات الطقسية كانوا يصلون مرة ثانية، وتقوم صاحبة المنزل بلمس العصيدة الطقسية للعيد سائلة نيشكيفا الحماية وخصوبة النحل. وبعد الوجبات الطقسية كان الأكبر سناً في الأسرة يُفَرِغ مغرفة من مشروب العسل في أقرب جدول ماء هبة "لفيريافا" إلهة الغابات و" موكوريافا" إلهة الجنوع[١٣١].

وفي منطقة ناروفتشات في محافظة بنز كانوا يحتفلون بعيد المنحل قبل أسبوعين من عيد باكروف[١٣٢] . وفي عيد المنحل كانوا يصلون لنيشكيفا لترفع عنهم المرض إذا كان هذا المرض، كما كانوا يعتقدون، مرتبطاً بالمنحل والنحل أو بمشروب العسل الأبيض. وفي هذه الحالات كانوا أيضاً يصلون مباشرة في المنحل. وكانوا يعتقدون أن النحل لن يقرص الطيب من الناس (فستنهاه عن ذلك نيشكيفا). وأنه لا يجب أن يدوس المرء على عتبة منزل صاحب منحل، أو يدخل إليه عاري الرأس أو الوجه، لأن هذا يفضي إلى موت النحل. ولم يكن مسموحاً تقديم العسل في شكل عون أو قرض في يوم الصلاة - وإلا فسيختفي العسل وسيهلك النحل والمناحل.

---

(١٢٩) عيد النبي إليا: من القديسيين المسيحيين، يحتفلون في موردفا بعيده في ٨/٢ . (المترجمة)

(١٣٠) الطرابيزة: هي الطرابيزة والأكل انظر هامش المترجمة رقم ٩٨ . (المترجمة)

(١٣١) إلهة الجنوع: Female Deity of the Stump أصل الشجر بعد قطع جنوعه . (المترجمة)

(١٣٢) باكروف Pakrov بالروسية لفظ مشتق من كلمة حجاب أو ستار أو غطاء؛ لأنهم في هذا العيد يقومون بتغطية العذراء مريم بخمار أو حجاب. وهذا العيد يوافق ١٤ أكتوبر . (المترجمة)

المراجع :

(1) Harva U. Die relgiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. UPTMN. T. 7, ch. 3.Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981

(١) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد السابع الجزء الثالث – الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

Deity patroness of the barn

آفين أفا الإلهة الحارسة لمخزن الغلال

(Avin Ava, M-E) (avin مخزن المحاصيل و ava امرأة/أم)

كان الموردف يعتقدون أن كل مخزن للمحاصيل له إلهة ترعاه تحيا فى الحفرة التى تستخدم لتدفئة المخزن، وهى المكان الذى يقدمون فيه القرابين لها أيضاً، أو عند أحد العوارض الخشبية فى المخزن. وعلى شرف آفين أفا كانوا فى اليوم نفسه من كل عام ينظمون أوزكس (صلاة – عيد) (انظر : آفين أوزكس)، ويؤكد الديك الأحمر الذى يقدمونه قرباناً لها على العلاقة الوثيقة لذلك بالنار[١٣٣]. ومن تقاليد هذا الاحتفال أن يتجول الناس فى الحقول ويلقون فى الهواء بالكؤوس الفارغة للبيرة، تعبيراً عن رغباتهم فى أن تنمو سنابل الزرع أكثر وأكثر فى هذا العام والأعوام اللاحقة. ويمكن لآفين أفا إنزال العقاب على مَنْ يهينها أو يهين الناس. وتشير الأساطير فى هذا الصدد إلى أن آفين أفا قد خنقت فى مخزن الغلال امرأة لم تنفذ ما طلبه منها أبواها. وفى أثناء المرض كان الإرزيا يذهبون فى منتصف الليل إلى مخزن الغلال ويتوجهون إلى آفين أفا بالدعاء طالبين منها الشفاء.

---

(١٣٣) الديك الأحمر والنار : لعل المقصود الخوف من التهام النار لمخزن الغلال، وبالتالى يضحون بالديك الأحمر بلون النار . (المترجمة)

المراجع :

(1) Smirnov I. N. Mordva. Kazan, 1895; 2. Shakhmatov A. A. Morddovsky etnografichesky sbornik. SPB., 1910

(١) المورداف. قازان، سميرنوف أ. ن. ١٨٩٥ .

(٢) الأنثروبولوجى الوصفى للموردف، قضايا الإثنوجرافى الموردفى، شاخماتوف أ. أ. ١٩١٠ .

Deity patroness of baths

بانيافَا/بانيازورافا الإلهة الحارسة الحَمَّام والصحة والولادة

(Banyava, M-E- Banyazorava)[١٣٤]

(banya+azor صاحبة/ المنزل أو المضيفة/ و ava امرأة/أم)

يعتقد الموردف أنها تعيش تحت رف بالحمام مع أبنائها. وعادة لا تظهر الإلهة ولكنها تتجلى أحيانًا (الأمر الذى قد يعنى خيراً أو شرًا) فى الحمام فى شكل امرأة شابة صغيرة الحجم عارية جالسة على رف تمشط شعرها النورانى الطويل. ولهذه الإلهة زوج هو بانياتا (Banyatya ، عند الموكشا والإرزيا atya تعنى زوجًا أو رجلاً مسنًا) وهو أيضًا من حيث المظهر شاب قصير القامة. وعدا الخير الذى قد تقدمه هذه الإلهة بوسعها إنزال الشر إذا غضبت، فهى لا تحب مَنْ يأتى إلى الحمام متأخرًا فى الليل بعد أن يكونوا قد أضرموا النار فى الحمام قبله بضع مرات للآخرين. وفى هذه الحالة تقوم بتخويف القادم بإصدار أصوات خبط ورقع، وبزيادة البخار فى الحمام وبإغلاق مدخنة البخار. ومن التقاليد المعروفة عند الاحتفال بها إقامة الصلاة قبل الشروع فى إضرام

(١٣٤) بانيافا – بانيازورافا : اسم هذه الإلهة عند الموكشا والإرزيا واسم زوجها بانياتا، باستثناء النهايات المختلفة للمؤنث والمذكر، من كلمة حمَّام بالروسية "بانيا" Banya . (المترجمة)

النار لتدفئة الماء، وعند الدخول إلى الحمام يجب رسم الصليب لحماية نفسك من غضب الإلهة وحتى لا يضع أبناؤها العراقيل أمام استكمالك لحمامك. وكانوا يعتقدون أن إلهة الحمام تستحم بعد الجميع ولهذا السبب كانوا يتركون لها الماء والصابون والمقشة لتغتسل. وعكس ذلك يمكنها إثارة الفوضى ويعثرة الأشياء الموجودة فى الحمام وتسميم الهواء فى الحمام بالدخان الكثيف الذى يبعثه احتراق الفحم.

وكانوا يعتبرون أنها تساعد المرأة عند الولادة(١٣٥)، ولهذا كانوا بعد الولادة يعدون عصيدة خاصة بهذه المناسبة تكريمًا لها، ولإرضائها كانوا يأتون لها من الجنازة بالعصيدة ومن الأعياد بالبلينى(١٣٦) ويضعون كل هذا فى ركن الحمام.

وقبل الحمام الطقسى للعروس فى الحمام، كانت العروس تتوجه لهذه الإلهة متوسلة إليها أن تلطخها بالدخان وتغطيها بالرماد والبخار كعلامة على ما ستدفنه، على ما ستتركه، على عذريتها وبيت أهلها. وعند الموكشا فى اليوم الثانى من العرس كانت العروس تقدم لها أضحيات من النقود وقطعًا من قماش القنب والخبز والملح وتضع كل هذا على الرف فى الحمام.

وكانت هذه الإلهة تشارك فى قراءة الطالع (حول عيد الميلاد ورأس السنة) : ففى منتصف الليل كانت البنات تذهب إلى الحمام ويمددن أياديهن فى ماسورة المدخنة: فإذا لامست الإلهة أيديهن بيديها فى قفاز(١٣٧) فسيكون العريس غنيًا وبدون قفاز سيكون فقيراً.

وإلى يومنا هذا مازالوا فى بعض الأماكن يشكرون بانيافًا/بانيازورافا؛ لأنها تساعدهم على الاستحمام، ويسألونها الصحة.

---

(١٣٥) الشائع كان استخدام الحمام كمكان للولادة، انظر : حمام . (المترجمة)

(١٣٦) البلينى انظر هامش المترجمة ٩٥ . (المترجمة)

(١٣٧) قفاز : المقصود قفاز بلا أصابع . (المترجمة)

Deity-patroness of all bees

ميشافا/ ميكشافا ملكة النحل والإلهة الحارسة لكل النحل

(Meshava, M - Mekshava, E)

(mesh, M- meksh, E النحلة و ava امرأة/أم – المقصود الملكة الأم للنحل)

ميشافا (عند الموكشا) ميشكافا (عند الإرزيا) هى رمز الجمال والتدبير والحنكة والحكمة. وليس من قبيل الصدفة أن يُشَبِّهوا الخاطبة فى الفرح بميشافا/ميكشافا ويقارنوا العروس بملكة النحل الذهبية الأجنحة. ولا شك أن هذا التشبيه وتلك المقارنة وثيقا الصلة بالميثولوجى الموردفى. وفى أساطير الموردف لا تسمح ميشافا/ميكشافا للنحل بلسع الناس، ونادرًا جدًا ما تعاقب هى الناس، وإذا عاقبت تعاقب فقط من لديه "روح" خبيثة ويقوم بالكثير من الأفعال الشريرة. وفى الفلكلور يصورون الرُحَل والخاطبات بأسراب النحل.

ويتصور الإرزيا أن أنجى باتيا أم الآلهة جميعًا عندهم هى راعية ونصير ميشافا / ميكشافا، وأنها تحبها لكدها وخصوبتها، وأن ميشافا/ميكشافا وافقت على أوامر أنجى باتيا بالإنجاب اليومى للذرية الأمر الذى جعل أنجى باتيا تحيطها برعايتها وتغدق عليها من نعمها. وأمرت أنجى باتيا الناس بصنع الشمع المقدس فقط من شمع النحل (انظر : الشمعة) وبإعداد البيور(١٣٨) فقط من عسل النحل.

وميشافا/ميكشافا، مثلها مثل فيليافا، هى أيضًا الإلهة الحارسة للقرية، وهى تحمى الناس من الأرواح الشريرة. وكان الموردف يعتقدون أنه لو اختفت ميشافا/ميكشافا فستختفى معها القرية. وهناك العديد من الوصفات والمحرمات المتعلقة بحماية الإنسان والمرتبطة بميشافا/ميكشافا. من ذلك على سبيل المثال تحريم الدخول إلى منزل صاحب المنحل برأس عارٍ (وإلا سيختفى النحل وتختفى ميشافا/ميكشافا)، وكانوا يمنعون إقراض العسل من أول حصة يجمعونها أو فى يوم الصلوات المكرسة للإلهة الحارسة للنحل.

(١٣٨) البيور : مشروب انظر هوامش المترجمة رقم ٥٢ – ٩٤ . (المترجمة)

وإجمالاً فإن ميشافا/ميكشافا هى رمز راسخ مغرق فى القدم يحمل فى طياته معانى مطلقة عريضة – فهى الكون وهى الثروة وهى الخصوبة، بل إن النحل كان عند الموردڤ الوسيط بين السماء والأرض.

Deity-patroness of the cattle-shed

الإلهة الحارسة لزريبة الماشية

(Kardazava, M-E. Kaldazava, M. kardazon' kirdi, M. kardaz Syarko, E. kardaz Syarkhka, M.)

(kardaz, M-E حُوش / زريبة و ava, M-E امـرأة / أم و kirdi, M-E يمـلك / يحتفظ و syarka,E و syarkhka, M بيض القمل)

فى الميثولوچى الموردڤى يتخذ الإله الحارس لزريبة الماشية هيئة ذكر أو أنثى ، ويظهر أحيانًا الناس. وفى بعض قرى الموكشا بمنطقة تيمنيكوف والإرزيا فى صبابيفو بمنطقة كوتشكورو بموردڤا تعد إلهة الحظيرة هى نفسها يُورخْتَافَا (إلهه العشيرة)[١٣٩] وفى قرية بولشوى بيرميوف بمقاطعة بنز يسمى الإرزيا هذه الإلهة "جيجر بريا جوى" (أى : أفعى العشب).

وهذه الإلهة جامحة الهوى متقلبة المزاج، فإذا لم تعجبها الحيوانات المنزلية (وبشكل خاص بسبب ألوانها) تقوم بتعذيبها، فتمتطى البقرة أو الحصان أو الخروف طوال الليل، وهى أيضًا فى أهوائها مغرمة بالعبث بشعر عنق الفرس وطيه وثنيه وتضفيره. وكانوا يعتقدون أنه لو حدث وضفرت شعر عنق الحصان لا يجب حل هذه الضفيرة، وإلا ستغضب الإلهة وتقتل الحيوان. وكان الموردڤ يعتقدون أنها تعيش فى منتصف الزريبة تحت حجر فوق حفرة يستخدمونها عندما ينحرون حيوانًا/قربانًا فيتركون دمه يسيل فيها.

(١٣٩) أحسب أن القارئ قد لاحظ أن كل شىء فى حياة الموردڤ يكاد يكون له إله، وأن بعض المهام الإلهية تتداخل، فتكون ربة العشيرة يورختافا هى راعية الزريبة أو إسطبل الماشية، وتتكرر هذه الظاهرة . (المترجمة)

وكان الموردف يصلون لهذه الإلهة، ويعتبرون من المحتم أداء هذه الصلوات مع انتهاء أعمال الحقل بعد عيد الغطاس. وقبل أداء الطقوس والصلوات كانوا يغطون أرض الحظيرة بالقش ويضعون الطعام عليه. ومن ثم تتوجه صاحبة المنزل إلى أحد أركان الزريبة وتخاطب الإلهة متوسلة تكاثر الماشية وحمايتها من الأمراض والكوارث ومساعدتها على التغلب على مصاعب الشتاء والحياة حتى قدوم الربيع. ثم يأخذون من كل وجبة قسطًا ويضعون كل هذا على رغيف من الحنطة ويقدمونه على لوح خشبى للإلهة. وبعد هذه الطقوس ينقلون الأطعمة الطقسية إلى البيت ويبدأون فى تناولها. وفى العادة كانت تشارك فى هذه الصلوات النساء والأطفال فقط.

وفى قرية صابايفا بمقاطعة كارسون كان الناس يستعدون لأداء الصلاة بالحظيرة بخبز أربعة أرغفة طقسية وشى خنزير (يجعلون دمه يسيل فى الحفرة التى تعيش فيها الإلهة تحت حجر بوسط الزريبة). وكانوا يقيمون الصلوات فى وسط الزريبة متجهين برؤوسهم نحو الشرق.

وإلى جانب الطقوس والصلوات الدورية الخاصة، كان الموردف يصلون لها فى حالات جائحة الماشية. وفى منطقة تيمنيكوف عادة ما كانوا يقيمون صلوات ليلية للإلهة يورختافا، وكانوا لهذا الغرض يخبزون فطيرة يضعون فوقها أربعين شمعة ويعدون البوظا[١٤٠] (البيرة). وكانوا فى هذه الصلوات يتضرعون للإلهة يُورخْتَافَا ألا تعذب الماشية وأن تساعدهم على الشفاء من الأمراض.

وفى حالة نفوق الماشية من جراء الحسد أو أعمال السحر، كانوا يأتون من الغابة بشجرة غبيراء[١٤١] ويغرسونها فى الركن الأيمن للزريبة معتقدين أن هذا الطقس يرضى الإلهة الحارسة للزريبة. واعتاد الموردف أيضًا التجول على ظهر الخيول فى اليوم

---

(١٤٠) البوظا Boza (تنطق وتكتب بالروسية البوظا) وفى العامية المصرية نجد اللفظ نفسه بالمعنى نفسه – أى مشروب مُسكر أظنه يُعد إعدادًا بدائيًا . (المترجمة)

(١٤١) Rowan Tree شجرة تسمى رماد الجبل أو غُبَيْراء الحابلين راجع هامش المترجمة رقم ١٢٤ . (المترجمة)

الأول والثانى من عيد الغطاس حتى لا تدغدغهم إلهة الزريبة (الأمر الذى يصابون على إثره، كما كانوا يعتقدون، بالهزال).

المراجع :

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T.5 Mordovskya svadba. Saransk, 1966. 2. UPTMN. T. 7, ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981

(١) العرس الموردقى، يفسيفيف، م. أى، صارنسك ١٩٦٦ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد السابع الجزء الثالث - الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

Deity-patroness of the field

الإلهة الحارسة للحقل

(Paksyava, M. و Paksya syarko, E. و Paksya Patyay, E) (paksya, M-E الحقل و ava, M-E امرأة/أم و syarko, E بيضة القملة و patya, E الأخت الكبرى أو العمة أو الخالة) .

عند الإرزيا تقوم نوروفافا الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة بمهام الإلهة الحارسة للحقل. ويصور النثر الطقسى الشعبى هذه الإلهة فى صورة كروان أو سيدة ذات شعر طويل متدل.

وترتبط عبادة هذه الإلهة ارتباطًا وثيقًا بتقديم القرابين لها قبل جمع المحاصيل وبعده. وتكريمًا لها كانت تقاليد الموكشا تملى عليهم ترك خط غير محصود من الغلال يسمونه "باكسيان ساكال" أى "ذقن الحقل". وفى نهاية الحصاد، وبهدف الحصول على محاصيل وفيرة فى الموسم القادم وأيضًا استرضاء للإلهة واستعطافًا لرضائها، كانوا يتركون لها فى المكان الذى سبق ووضعوا فيه أكوام القش بعض القش، ويتركون لها فى الخط

الأخير بالحقل بعض سنابل الجاودار دون حصاد. وكانوا يعتقدون أن إلهة الحقل لا تسمح بإحضار الحجارة من الحقل إلى المنزل وإلا سيمتنع الدجاج عن وضع البيض، ولا تسمح أيضاً باستعادة ما يقدم للآخرين من غلال وإلا فسيهلك الدجاج.

ويعتقدون أيضاً أن إلهة الحقل تصدر أصواتاً فى منتصف الليل فى أثناء موسم تفتح الجاودار، وكان الناس يتابعون هذه الأصوات باهتمام شديد ويسترقون السمع إليها، فإذا كانت الأصوات أكثر شبهاً بالصفير، فمعنى هذا أن المحصول سيكون غزيراً، وإذا كانت الأصوات أشبه بالنواح فمعنى هذا أن المحصول سيكون فقيراً هزيلاً. وكانوا يتصورون بالتالى ضرورة التزام الصمت فى هذه الأوقات وإلا فستُغضب الإلهة، والأفضل أن تجلس بالبيت مغلق النوافذ لأن الإلهة تحب الهدوء والسكينة.

المراجع :

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952;

(2) UPTMN. T. 7, ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

(١) التصورات الدينية للموردڤ، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى المجلد ٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

Deity of Fire

تولافا ربة النار

(Tolava, M - E.) (النار و ava امرأة/أم)

كان المورديف يتصورون تولافا بدون وجه محدد، امرأة حريرية الشعر ترتدى ثيابًا زرقاء اللون (منديل وقرط وبيديها عصا). أما فى الشعر الشفاهى الشعبى فتتبدى تولافا ككائن محدد يخاف من فيديافا إلهة الماء.

وتروى إحدى الأساطير التى تدور حول مولد طفل أن تولافا دعت فيديافا وزوجها لزيارتها، وقدمت لهما البراجا[١٤٢] من العسل الأبيض، ونشب بينهما خلاف (وأخذت كل منهما تمتدح نفسها وتسب الأخرى). وهكذا أخذت تولافا تئز وتهسهس وتلتهب وتتوهج فيما أخذت فيديافا تنثر الماء. وخافت تولافا واختفت خلف حجر، فأمرتها فيديافا ألا تحرق الفقراء، وألا تُبكى المعوزين. وعندما رحلت فيديافا، أخذت تولافا تغنى وترقص.

وهناك رقيات وتعاويذ وأدعية خاصة يتوجهون بها إلى تولافا لتشفيهم من الحروق. وكانوا يعالجون بعض الأمراض الجلدية (مثل الجرب والفطريات) مباشرة أمام النار الحية للفرن أو النار التى يضرمونها فى الحمام لتدفئة الماء. وكانوا يؤمنون أن إلهة النار يمكنها مساعدتهم على "غَلْى المرض".

المراجع :

UPTMN. T. 7., ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى المجلد٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

---

(١٤٢) Braga أو Pure مشروب، انظر هوامش الترجمة رقمى ٥٢ و ٩٤ . (المترجمة)

Deity-patroness of Grain

صيرافا الإلهة الحارسة للحبوب

(Serava,M.) (sera الحبوب و ava امرأة/أم)

عند الإرزيا تقوم نوروفافا الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة بمهام صيرافا الإلهة الحارسة للحبوب عند الموكشا. وتُصَوَر صيرافا فى شكل طائر القبرة أو أرنب برى. وتحكى الأساطير أنها جميلة مرصعة ثيابها بالفضة والذهب، وتضع على رأسها تاجًا من النحاس، وهى تغنى وتمرح وتبكى مثل الإنسان، وأن لديها أطفالاً.

وتكريمًا لها كانوا ينظمون طقوسًا وأعمالاً سحرية، ويمتنعون عن القيام بالمحرمات ويسعون لاسترضائها لحمايتهم. ففى اليوم الأول من موسم بذر البذور للزراعة، وبهدف زيادة خصوبة الأرض، كانوا ينثرون على الأرض مع البذور بيضًا مسلوقًا، ووفق التقاليد كان طفل ذكر يقوم ببذر أول حفنة بذور. وفى هذا اليوم كانوا يحظرون إعطاء أو إقراض أى شىء من المنزل، أو العودة للمنزل لاستحضار أى شىء كان. وحتى تحصل على محصول غزير لا تضرم نارًا منذ عيد الفصح وحتى ميعاد بذر البذور. وكانوا يعتقدون أن مَنْ يمسك كيس الحبوب بين أسنانه فى أثناء بذرها فى الأرض سيتضور جوعًا، وكانوا إذا رأوا بداية البَرد تقوم كبار السن من السيدات بإلقاء طاسة أو مكنسة فرن على عتبة البيت حتى لا يُهلك البَرد سنابل الزرع. ورؤية سنابل مضفرة ينبئ بالشر. وكانوا يعتقدون أن صيرافا ستبكى إذا قطع أحدهم فى المساء رغيف خبز كاملاً إلى نصفين.

وكان الإرزيا ينظمون صلوات خاصة تكريمًا للإلهة الحارسة للمحاصيل عندهم "نوروفافا"، وإلى مكان تقديم القرابين كانوا يأتون بحجرين كبيرين يحفرون تحتهما حفرة، وتحت أحد الحجرين يجعلون دماء الحيوان القربان تسيل، وتحت الآخر يضعون عظامه ويقيمون الصلوات التى يتضرعون فى أثنائها للإلهة لتمنحهم محصولاً وفيرًا من الحبوب ولتحمى حقولهم من أولئك الذين يُضَفرون العُقَد على السنابل (ويسلبون على هذا النحو قوة الغلال) ولتقيهم البَرد والرياح العاتية.

المراجع :

UPTMN. T. 7., ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

الإبداع الشفاهي الشعرى للشعب الموردقى المجلد٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

Deity-patroness of grass

نارافا الإلهة الحارسة للعشب[١٤٣]

(Narava, M-E)

(nar عشب منخفض ينتشر على الأرض ليفترشها، وينمو فى الأماكن التى تطؤها الأقدام بكثرة – فى الشوارع وعلى جانبى الطرق[١٤٤]، و ava امرأة/أم)

نارافا الغذاء القريب من البيت للطيور والحيوانات المنزلية (الخنازير والعجول). وكانوا يقدمون لنارافا القرابين ويقيمون لها الصلوات عند مرض الدجاج أو الخنازير أو سقوط الأطفال فى رواسب العشب.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(١٤٣) يشار إلى العشب بالروسية بعبارة موسيقية هى : ترافا مورافا (Trava-Myrava) والكلمتان بمعنى العشب أو الحشيش . (المترجمة)

(١٤٤) المقصود بالعامية المصرية الحَشِيشْ . (المترجمة)

Deity-patroness of Harvest and Farming

نوروفافا الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة

(Norovava, E) (Norov الخبز أو الغلال و ava امرأة/ أم)

نوروفافا هى الابنة الثانية لأنجى باتيا أم الآلهة وأم ماستورباز (انظر ماستورباز). وتروى الأساطير أن شكاى الإله الأعلى عند الموكشا يعتبرها الأكثر إجلالاً ووقاراً بين الآلهة أجمعين. ولهذه المكانة الرفيعة وللخدمات الكثيرة التى قدمتها لشكاى، منحها حق توزيع الخبز اليومى على الناس. (انظر شكاى). وفى الفلكلور يصورونها ككائن متجسد، جميل، يرتدى أروع الثياب المرصعة بالفضة.

ويساعد نوروفافا إله المحاصيل والزراعة زوجها نوروفاتيا (أو نوروف باز) (عند الإرزيا) (atya تعنى زوجًا أو رجلاً مسنًا و paz تعنى الإله). وكان الموردڤ يعتقدون أن لكل حقل إلهًا خاصًا به يعيش مباشرة فى الحقل أو على تخومه. وكانوا يقيمون الصلوات على تخوم الحقل بهدف الحفاظ على ما يسمونه "سبارينا" (النمو السريع للمحصول والأرباح والمنافع) فى حقلهم، ومنع هذا الخير من الوصول إلى الحقول الأخرى. وكانوا يعتقدون أنه إذا لم يقيموا الصلوات لنوروفافا بوسعها إنزال اللعنة عليهم وعلى محاصيلهم. وفى "بازون سيميمات" (مأدبة الآلهة) واحدة من أغانى الإرزيا تكشف نوروفافا عن جموحها فلا تقبل دعوة نيشكيباز على مأدبة الآلهة، لأنه على الناس الذهاب لزرع الأرض وبذر البذور وعليها لقاؤهم ومباركتهم.

المراجع :

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889,2. UPTMN .T. 1. Epicheskie I liro-epicheskie pesni. Saransk, 1963

(١) ما تبقى من آثار الموردڤ. ماينوف و. صحيفة جمعية فين – أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى المجلد ١ – الأغانى الملحمية والغنائية – الملحمية، صارنسك ١٩٦٣ .

Deity-patroness of the Home

كودافا الإلهة الحارسة للبيت والأسرة

(Kudava, M-E. Kudazorava, M-E) (kud بيت و azor تنى صاحبة البيت و ava امرأة/أم)

كل بيت يملك إلهته الحارسة "كودافا". وفى تصورات الموكشا والإرزيا كودافا شابة متوسطة القامة ذات شعر طويل برّاق. ولديها أطفال وزوج اسمه كوداتيا (كوداتيا Kudatya ، kud تعنى بيتًا و atya تعنى زوجًا) يعيشون جميعًا فى قبو تحت الأرض. وكانوا فى السابق يرونها كثيرًا (تشرب وتأكل وهى جالسة على الطاولة وتتحدث إلى نفسها)، تبدو وكأنها صاحبة المنزل. وعادة ما كانت تظهر فى الملابس الوطنية الشعبية مهندمة مرتبة.

وعدا أعمالها الطيبة، بوسعها إيذاء الناس. وينعكس خوف الناس من إغضابها فى الانتشار واسع النطاق فى الحياة اليومية لتحريم حل الشعر الذى ضفرته هى (وإلا سيموت الشخص). ويشير الثقاة أن البعض يشعر وكأن كودافا تضفر له شعره بيدين باردتين.

ووفقًا للتقاليد كانوا بمناسبة الانتقال إلى بيت جديد يعدون لكودافا "أود كودون" (براجا(١٤٥) البيت الجديد) ويخبزون البلينى(١٤٦) والخبز. وفى حالة عدم الالتزام بهذه العادات تظل كودافا بلا طعام أو شراب، وتظل تلوم أصحاب المنزل حتى يتعفن منزلهم. وعادة ما كانوا يدعون كودافا لاصطحابهم عند الانتقال إلى منزل جديد، وعكس هذا فستذهب بنفسها إليهم وتجلب معها سوء الحظ لهم.

وكانوا يودعون كودافا الجديدة (فى كل منزل جديد وقبل الانتقال إليه تكون هناك كودافا الخاصة بهذا المنزل، وعند انتقال آخرين إلى أى منزل جديد يصطحبون معهم كودافا الخاصة بمنزلهم هم – المقصود أنهم يودعون كودافا التى كانت بالمنزل قبل الانتقال إليه).

---

(١٤٥) البراجا: مشروب، راجع هوامش المترجمة رقم ٥٢ – ٩٤ . (المترجمة)

(١٤٦) البلينى: فطائر من الأكلات الشعبية الروسية، راجع هامش المترجمة رقم ٩٥ . (المترجمة)

وإذا تُركت الاثنتان تبدأ المشاحنات وسوء الحظ والمآسى، لأن الاثنتين لا يمكنهما العيش معًا. وكانوا يعتقدون أن الموت أو الكوارث ستحل بهم لو أن كودافا أخذت تأن أو تعول. ورؤية كودافا كان أمرًا فى تصوراتهم لا يجلب الخير. وفى حالة ما إذا أخذت تسوء أحوال الماشية المنزلية (بشكل خاص الخيل والبقر)، كانوا يربطون هذا أحيانًا بالعلاقات غير الودية بين كودافا وأصحاب المنزل، أو أن كودافا لا يعجبها لون هذا الحيوان أو ذاك.

Deity-patroness of Hops

كومليافا/كوموليافا الإلهة الحارسة للنباتات البرية وحشيشة الدينار، وربة البيور(١٤٧)

(Komlyava, M. Komolyava, E) (Komlya, M-E) حشيشة الدينار(١٤٨) و ava امرأة/أم)

كومليافا (عند الموكشا) كوموليافا (عند الإرزيا) هى رمز القوة غير المقيدة للطبيعة، القوة التى لا تقهر، هى التدفق الأبدى للطاقة، هى المرح والأغانى واللهو والحب الشهوانى، هى الإرادة والصراع. ويُقرنها الموردف بالريح العاتية التى تقلب كل شىء رأسًا على عقب. إنها القوة الهائلة الضروس. وعند الموردف مجموعة أغانى لا تعد ولا تحصى حولها، وكثيرًا ما تُمَجِدها أغانى الأفراح الموردفية التى يشار فيها بقوة إلى حشيشة الدينار. بيد أن أنجى باتيام أم الآلهة لا تحب حشيشة الدينار لأنها نمت من فرع صغير أتى به الشيطان إلى الناس.

وجوهر الأعمال المختلفة التى تتناول هذه الإلهة هو تلك المعركة الفريدة بين الفكرتين المتضادتين عن نشأة الكون والعالم. المعركة الفريدة بين الجموح (الذى تجسده

(١٤٧) Pure البيور راجع هامش المترجمة رقمى ٥٢ و ٩٤ . (المترجمة)

(١٤٨) حشيشة الدينار (Hops) نبات خشن الساق تتخذ أوراقه شكل القلب ولها فصوص (من ٣-٧ فصوص). ولهذا النبات زهور خضراء مؤنثة تتخذ شكل المخروط مستدق الطرف، وزهور أخرى مذكرة. وينبت المؤنث والمذكر من الزهور كل على شجيرات منفصلة. راجع هامش المترجمة رقم ٥١ . (المترجمة)

هذه الإلهة) والنظام – الزراعة (الذى تمثله نوروفافا إلهة المحاصيل والزراعة) . وترمز هذه المعركة إلى كفاح البشرية تطلعًا إلى التوازن والتناسق. والحبوب وحشيشة الدينار فى الميثولوجى الموردقى يعكسان تناوب مواسم السنة (تتبدل حالة أبطال الأساطير والحكايات من حالة إلى أخرى ويحل مع هذا التناوب تباعًا الربيع والصيف والخريف والشتاء). وفى نصوص الأغانى التى تدور حول هذه الإلهة عادة ما يشار إلى المكان الذى تُغرس فيه حشيشة الدينار : مكان مظلم رطب، إنه الأرض (البدايات الأنثوية للعالم)(١٤٩)، ومن ثم يشار إلى ارتقاع حشيشة الدينار إلى أعلى لتلتف حول ساق وأفرع شجرة وتصل إلى تاجها. فى حين أن للكوز الأصفر لحشيشة الدينار لونًا إلهًا – لون الشمس (البدايات الذكرية للعالم)(١٥٠). وفى الأغانى التى تعود لفترات أبعد فى التاريخ تظهر حشيشة الدينار على شكل امرأة وشكل أم، وتتخذ أيضًا شكل الإلهة الحارسة للغابات. وكان قدماء الموردف يتصورون أن الكهنة والقادة يقومون بدور الوسطاء بين الطرفين المتقابلين للكون والعالم. وعادة ما كان الموردف يتصورون أن ثياب كومليافا/كوموليافا (غطاء الرأس والرداء) ذهبية – فضية على شاكلة ثياب الأبطال الأسطوريين.

---

(١٤٩) البدايات الأنثوية للعالم (الأصل الأنثوى للعالم) تجمع حشيشة الدينار بين زهور أنثوية وأخرى ذكرية على شجيرات منفصلة. ويشير النص هنا إلى أن المكان الذى تنبت فيه حشيشة الدينار (المظلم الرطب) هو الأرض. والأرض بالروسية اسم علم مؤنث (الأصل الأنثوى للعالم)، فى حين يرتفع الكوز الذهبى لحشيشة الدينار عاليًا متخذًا لون الشمس (الأصل الذكرى للعالم)، . ويجدر هنا التذكير بارتباط حشيشة الدينار بالشيطان الذى أتى بها للناس وبالتالى كراهية أم الآلهة لهذا النبات . (المترجمة)

(١٥٠) البدايات الذكرية للعالم (الأصل الذكرى للعالم) فيما تغرس حشيشة الدينار فى الأرض (الأنثى) تأكيدًا على البدايات الأنثوية للعالم، يؤكد الكوز الأصفر لحشيشة الدينار ذو اللون الإلهى لون الشمس (الذكر) على البداية الذكرية للعالم. تجسد هذه الصورة الفكرة القائلة: إن الشىء الواحد يحتوى على الشىء ونقيضه، وتشير إلى المعركة بين القوى المنفلتة للطبيعة من ناحية وتطلع الإنسان للاستقرار والتوازن والتغلب على جموح الطبيعة من ناحية أخرى – المعركة بين الذكر والأنثى، فكرة الوحدة والصراع التى تجسدها الصورة الميثولوجية لهذا النبات المأخوذة عن حقيقة أن هذا النبات يجمع بين زهور أنثوية وأخرى ذكرية تنمو كلها على شجيرات منفصلة . (المترجمة)

Deity-patroness of the kindred and family

يُورخْتَافَا/ يورتافا الإلهة الحارسة للعشيرة والاقتصاد المنزلى

(بما فى ذلك كل الأبنية الملحقة بالمنزل)

(Yurkhtava, M و Yurtava, E) (yur, M-E الجذر/الأساس و yurkht, M الفناء/المكان)

يورختافا (عند الموكشا) يورتافا (عند الإرزيا)، وفق المعتقدات الدينية أرسلها نِيشكِيباز إله الإرزيا إلى الأرض للحفاظ على العشيرة يورتافا (عند الإرزيا) والأسرة وما تملك فى كل بيت. وعند الموكشا يُورخْتَافَا هى ابنة ماستورون كيردى إله الأرض كلها.

وكانوا يعتقدون أن يُورخْتَافَا/يورتافا تعيش فى ركن البيت خلف الفرن أو تحته، وأن لها زوجًا هو يورختاتيا عند الموكشا و يورتاتيا عند الإرزيا. ويُورخْتَافَا تقود الإلهات الحارسات لشؤون المنزل : كودافا الإلهة الحارسة للمنزل وكاردازافا الإلهة الحارسة للفناء وحظيرة الماشية. وفى أزمنة لاحقة، كانت يورختافا فى بعض القرى تتطابق مع كودافا الإلهة الحارسة للبيت والأسرة. ويبدو أنه لهذا السبب كان مظهر يورختافا يتشابه أحيانًا مع كودافا فى النصوص الميثولوجية.

وكان الموردف قبل أسبوع من انتقالهم للسكن فى بيت جديد يقيمون "أوزكس" (طقوس/صلوات/عيد) تكريمًا ليورختافا. فكان أصحاب المنزل يعدون وجبات طقسية خاصة بهذا الحدث ويضعونها أمام ثقب يصل إلى أسفل الفرن، ويقيمون الصلوات داعين يورختافا للقدوم من المنزل القديم إلى الجديد. أما الصلوات التقليدية الدورية الخاصة بيورختافا فكانوا يقيمونها فى الخريف بعد انتهاء أعمال الحقل. وكانوا يذبحون ديكًا أو نعجة سوداء كقربان ويثبتونه فى القبو تحت الأرض، ويطبخون العصيدة والبراجا الطقسية. وفى أثناء الالتفاف حول الطرابيزة للعشاء يأكلون رأس النعجة وأرجلها ويرددون فى هذه الأثناء الصلوات التى يسألون فيها يورختافا الصحة وحماية خصوبة الماشية من الأشرار وغير الطيبين من الناس. وفى بعض القرى وعند انتهاء الصلوات كانت صاحبة المنزل تتناول من كل طبق بعض ما فيه وتصب كل هذا

على وِشْ رغيف الخبز وتقدمه للإله شكاى (الإله الأعلى). ومن ثم تأتى صاحبة المنزل مع اثنين أو ثلاثة من أفراد الأسرة بطعام جديد من المخزن يذهبون به إلى القبو تحت الأرض، وهناك يثبتون شمعة فوق المصطبة ويفرشون الأكل ويرددون الصلوات ويتركون بعد ذلك القبو وتجلس الأسرة حول المائدة لتناول طعامها. وكانوا يعتقدون أنه فى حال كرهت يورختافا الماشية فيمكنها قتلها، ولهذا كانوا عندما يشترون حيوانًا جديدًا يطلبون منها تَقبُّله وعدم إيذائه، وكانوا يجرون البقرة التى يشترونها إلى عتبة الباب على شوبا (معطف من الفراء/المترجمة) يفترشون بها الأرض معتقدين أن هذا الطقس يفضى إلى خصوبة البقرة وقبول يورختافا لها.

وإذا تكرر المرض بين أفراد الأسرة أو بين الماشية، كانوا ينظمون صلوات ليلية تكريمًا ليورختافا يطلقون عليها "فين أوزكس"(عند الموكشا والإرزيا)، وكانوا يعتقدون أن رؤية يورختافا لا تجلب خيرًا.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966.

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، صارنسك ١٩٦٦ .

Deity-patroness of the meadow

لوجافا الإلهة الحارسة للمروج

(Lugava, M-E) (lug مرج و ava امرأة/أم)

ولدى لوجافا زوجها لوجاتايا (Lugataya atya, M-E) تعنى رجلاً متقدمًا فى العمر). وكان الموردف يقيمون الصلوات ويقدمون القرابين للوجافا فى أول مرة يأخذون فيها الماشية للمراعى (المقصود بعد البيات الشتوى فى الزرائب، مع تباشير الطقس الجيد/المترجمة)، ويستوقفون الخيل فى المروج ويتضرعون إلى لوجافا لحمايتهم من

الأمراض ومن السرقات. وفى أثناء إعداد الدريس لفصل الشتاء، كان كل مُزارع يلقى قطعًا من الخبز كقربان للوجافا، ويسألونها الرأفة بهم والرضا عنهم وحمايتهم فى أثناء عملهم من كل شرير غير طيب أيًا كان. وإذا لم يقيموا الصلاة قبل الحصاد، أو إذا وقع شخص فى المرج فأخذ يلعن، كانوا طلبًا للغفران يخبزون البلينى(١٥١) ويأتون إلى المرج بالخبز والملح ويسألون لوجافا أن تغفر لهم وتسامحهم، ويصلون لتمنحهم الصحة. وتروى الحكايات والحواديت المُسجلة فى مقاطعة كراسناسلابود بمحافظة بنز أن بنتًا ولدت طفلاً وتركته للوجافا لتقوم بتربيته، فيكبر الطفل ويصبح مساعدًا للإلهة.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

Deity-patroness of the pussy-willow

فيرمافا الإلهة الحارسة للصفصاف والصحة والنمو السريع والقوة الحيوية والخصوبة

(Vermava, M-E) (الصفصاف و ava امرأة/أم)

من تقاليد الموردف إقامة الشباب لصلوات خاصة لفيرمافا عشية عيد فيرما (عند الموكشا) /إيربا (عند الإرزيا) (يوافق عيد فيرما أحد الصفصاف(١٥٢)).

---

(١٥١) البلينى : فطائر رقيقة، انظر هامش المترجم رقم ٩٥ . (المترجمة)

(١٥٢) أحد الصفصاف : الصفصاف بالروسية هو Verba وأحد الصفصاف : Verbnoi Voskressinia ، وتشير النسخة الإنجليزية للكتاب إلى Palm Sunday أى أحد السعف (العيد المسيحى احتفالاً بدخول المسيح عليه السلام إلى أورشاليم). والمرجح أن المقصود بالفعل هو أحد السعف. ولفظ فيرما بالموردفية يعنى الصفصاف ومنه فيرمافا إلهة الصفصاف. وبالتالى فهم يحتفلون عشية عيد الصفصاف (أحد السعف) بإلهة الصفصاف فيرمافا. وقد كان الموردف يعتقدون بقدسية الصفصاف ويقيمون له =

ويطلقون على هذه الصلوات عند الموكشا "فيربان صلمات"(تعنى حرفيًا : حبات العجين المسلوق[١٥٣] الصفصافية). وعشية العيد كانت البنات تعد الوجبات الطقسية (الزلابية والعصيدة والبلمينى[١٥٤] بالسمك). وفى منتصف الليل يفرشون المائدة ويضيئون الشموع أمام الأيقونات. وكانت عجوز يدعونها مسبقًا لهذه المهمة تردد أغنية "بازمورو" (Pazmoro واللفظ عند الإرزيا paz تعنى الإله و moro تعنى أغنية أى "أغنية الإله") سائلة فيرمافا أن تهب الصحة للبنات وتقيهن شر السمعة السيئة، وتمنح الناس محصولاً وفيرًا وتهب الماشية الخصوبة. وكانت دعوة الضيوف للاحتفال بهذا العيد تقتصر على المتزوجين، ومع ذلك فبعد العشاء كانت مجموعة من البنات والصبية تشق طريقها بين الضيوف وتضرب كلا منهم ضربة خفيفة واحدة بفرع صفصاف حتى لا تحجب فيرمافا عنهم الصحة والمحصول الوفير.

وقبل الفجر كان الشباب بأفرع الصفصاف فى أيديهم يمرون على البيوت التى تشارك فى الأمسية، ويضربون النائمين منهم بأفرع الصفصاف وهم يؤدون الأغانى الطقسية للصفصاف راجين الصحة والمحصول الوفير، ثم يضربون الماشية فى الزريبة بأفرع الصفصاف ويرددون التعاويذ سائلين فيرمافا أن تهب كل بقرة عجلين كل شتاء وتكون حلوبًا ، ويشتد عود الخيل وتصبح أرجلها قوية لتعمل أكثر.

وكان الموردف يتصورن أن أعواد الصفصاف تجسد قوة سحرية تنتقل إلى الآخرين عبر الضربة الخفيفة. وبعد الانتقال إلى المسيحية أصبحت أعواد الصفصاف تحتل موقع قداسة فى الكنيسة. والصفصاف المقدس المُستخدم فى أحد الصفصاف

= الاحتفالات والأعياد والطقوس الخاصة ويجعلون له إلهة. وانتقلت التصورات نفسها إليهم بعد دخولهم المسيحية، وكانوا يعتبرون أن أفرع الصفصاف تُطهر البشر من الخطايا، ومازال القساوسة فى الكنيسة الشرقية إلى الآن يضربون الناس ضربة خفيفة بأفرع الصفصاف فى أحد السعف ومن الواضح هنا أن الموردف كانوا بالفعل يجمعون بين أعيادهم الوثنية والأعياد المسيحية . (المترجمة)

(١٥٣) Dumpling حبات من العجين المسلوق تعد فى عيد أحد الصفصاف وبالتالى "الصفصافية"، حلوى روسية مثل الزلابية المصرية . (المترجمة)

(١٥٤) البلمينى Pelmene : فطائر تصنع من دوائر صغيرة من العجين محشوة بلحم أو سمك أو كرنب أو جبن أو غيره. من أكثر الأكلات الشعبية الروسية انتشاراً . (المترجمة)

يحتفظون به فى الركن الأحمر[١٥٥] بالبيت بالقرب من الأيقونات حتى قدوم العيد اللاحق، معتقدين أن هذه الأفرع تقيهم مختلف الكوارث العشوائية للطبيعة مثل: البرق والبَرد والأعاصير.

ومن بين تقاليد الموردف فيما يتعلق بالصفصاف استخدام أفرع الصفصاف المقدسة لجر الماشية فى أول يوم لإطلاقها فى المراعى (بهدف ضمان حماية الماشية وخصوبتها). وكانوا أيضًا يستخدمون أفرع الصفصاف فى أغراض الشفاء من الأمراض (يضربون بها الطفل المريض ثلاث ضربات خفيفة، وكذلك يفعلون مع العجل وفحل الحصان)، وكانوا يضعون تحت الوسادة أفرع الصفصاف للطفل بطىء النمو، يضعون أسفل شجرة الصفصاف الخيوط التى يربطون بها الثُؤلول (الدمِّل/المترجمة) (فإذا تعفنت الخيوط تحت الشجرة جف الثؤلول).

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. M., 1966.

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

Deity-patroness of some definite place on Earth

موداڤا الإلهة الحارسة لمكان محدد على الأرض أو فى العالم الآخر

(Modava, M-E) (Moda الأرض و ava امرأة/أم)

موداڤا هى الإلهة الحارسة لمكان محدد على الأرض أو فى العالم الآخر، وهى مساعدة ماستوراڤا (إلهة كل الأرض). ومهام موداڤا محدودة مقتصرة على أشياء بعينها. وتُذكر موداڤا فى الرثاء والندب، وأحيانًا نادرة فى التعاويذ السحرية.

---

(١٥٥) الركن الأحمر: راجع هامش المترجمة رقم ١٠٠ . (المترجمة)

وفى الفلكلور تنتشر الحكايات التى تشير إلى أنه عند بناء مدينة أو كنيسة كانوا يقدمون لها القرابين. ويقسمون ما يقدمه الناس من قرابين كالأشياء (مثل الخيوط أو قطع الحرير) أو الحيوانات (الحصان أو البقرة أو الدجاجة أو غير ذلك من الحيوانات) إلى أربعة أقسام ويضعونها فى الأركان الأربعة للمبنى قربانًا لموردقا حارسة هذا المكان المحدد. وعدا ذلك كان اجتماع لشيوخ القرية يختار فتاة، من المفترض أن موداقا قد طالبت بها، يضعونها خلف حائط أو فى قبو ويَسدون عليها المكان بالقرميد.

المراجع :

Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1966.

الأغنية الملحمية الشعبية الموردقية، ماسكاييف أ. أى، صارنسك ١٩٦٦ .

Deity-patroness of the stove

الإلهة الحارسة لفرن المنزل

(Pyanakudava, M Pyatnagodava,M)

(Kastomava, E Ushtoman kirdi, E)

(Pyanakud, M و Kashtom, E الفرن ، و kud, M منزل و ava, M-E امرأة / أم و Ushtoms, M-E يُسَخّن، و kirdi, M-E يُمسك)

بيانا كودافا – بياتنا جودافا (عند الموكشا) كاستومافا – أوشتومان تيردى (عند الإرزيا) هذه الإلهة غير مرئية والمكان الذى تعيش فيه غير محدد، مكان ما فى الفرن. وفى إشارة لاسترضائها واستجلاب عطفها كان الإرزيا فى الأعياد يلقون بأول قطعة من طعامهم في الفرن. وفى عيد الفصح كانوا يصبون على سطح الفرن المشروب/القربان، وعلى الفحم المُتقد فى الفرن كانوا يلقون قطعًا من الخبز واللحم، وفى أثناء احتراقهما كانت صاحبة المنزل تردد آيات الشكر لهذه الإلهة. وتكريمًا لها كانوا يضعون الهدايا/الأضاحى فى الركن الأيسر على سطح الفرن حيث درجة الحرارة أعلى من أى مكان آخر بالفرن.

وكانت النساء العاقرات من الموردف يلجأن إليها طلبًا للمساعدة، ويتوسلن عطفها فى حالة المرض الذى أصابهم (فى اعتقادهن) وهن يقمن بمهامهن اليومية أمام الفرن، أو فى أثناء إعدادهن للحطب للفرن المُشتعل أو إحضارهن للماء أو إعدادهن لوجبات طقوس تذكر الموتى. وكان الموردف يلجأون إليها أيضًا إذا سقط طفل وأصيب. وكانوا يعتبرون أنه إذا سقط طفل، بأى طريقة كانت، واصطدم فى أثناء سقوطه بالإلهة، فإنها ستمرض بكل تأكيد. وفى مثل هذه الحالات كانت الساحرة تقوم ببعض أعمال السحر: فى حزمة تضم الهدايا/الأضاحى (حشيشة الدينار والحنطة والشعير والعملات المعدنية) تنزل الساحرة إلى القبو، وتقف فى الركن الأمامى منه، وتلوح بالحزمة ثلاث مرات حول رأس الطفل وتردد التعاويذ والصلوات لإلهة المنزل ومن ثم لإلهة الفرن.

وفى أغانى العرس ذات الطابع الميثولوجى، التى كانت تؤديها الطاهيات فى أثناء خَبز الأنواع المختلفة من الخبز والفطائر الطقسية، كان الموردف يناشدونها ويستحضرون روحها؛ لكى يصبح ما يخبزونه جيداً لذيذاً هشًا أصفر اللون مع احمرار خفيف، وكان هذا ينطوى على أهمية بالغة لإنجاز الطقوس اللاحقة بنجاح.

وكانوا يصطحبون العروس الشابة القادمة للمرة الأولى إلى بيت زوجها مباشرة إلى الفرن ليقدموها إلى إلهة الفرن لتتعرف عليها.

المراجع :

(1) Harva U. Die regiosen Vorstellungen der Mordwinin. Helsinki, 1952.

(2) UPTMN. T. 6. ch. 2.Mokshanskaya svadebnaya poeziya. Saransk, 1975.

(١) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى المجلد ٦ الجزء ٢- شعر الأفراح عند الموكشا، صارنسك ١٩٧٥ .

Deity-patroness of the village

فيليافا الإلهة الحارسة للقرية

(Velyava, M-E - Vely القرية و ava امرأة/أم)

وفق بعض المعطيات المتوفرة تُشبه فيليافا الإلهة الحارسة للعشيرة يورختافا. بيد أنه لم تتوفر شهادات أخرى عن مظهر فيليافا، فضلاً عن أن مكان وجودها غامض غير محدد (هى فى مكان ما بالقرية). وفيليافا لصيقة الصلة بالموتى من الذين شيدوا القرية. وكانوا يكرمونها تكريمًا خاصًا أطلقوا عليه اسم"فيلين أوزكس"(أى صلوات القرية)، وكانوا يقدمون لها الأضاحى (نعجة ناعمة الصوف أو ثور). وفى الصلوات التى يكرسونها لها كانوا يسألونها الصحة والدفاع عن القرية فى مواجهة الأوبئة وأشرار الناس والنار. وفى الصلوات الأخرى (انظر آفان بوزا وبابان كاشا(١٥٦-١٥٧)) كانوا يذكرونها، ويعتقدون أنهم إذا أغضبوها لأى سبب فبوسعها الانتقام. ولفيليافا زوج اسمه فيلين أتسيوناى (أتسيوناى تعنى الكبير). وتروى إحدى الأغانى الميثولوجية أن أهالى القرية كانوا يبحثون عن زوجها، أما الزوج فكان مرتديًا ثيابًا من الخيش متوجهًا نحو منحدر بوادٍ كبير، يرسل لعناته على القرية حتى لا يظهر لها محصول ولا تضع ماشيتها مواليد.

المراجع :

UPTMN. T. 7. ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى المجلد ٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ .

---

(١٥٦) آفان بوزا وبابان كاشا : هذه العبارات باللغة الموردقية، وأحسب أن المقصود، استنتاجًا من تشابه • الموردقية بالروسية "ربة البوظا وعيد عصيدة العجوز" لأن آفا بالموردقية هى السيدة/الأم/الربة وبوظا هى البوظا، وبابان هى بابا بالروسية أى سيدة عجوز وكاشا هى العصيدة بالروسية . (المترجمة)

(١٥٧) كاشا/العصيدة انظر هامش المترجمة رقم ٨٢ . (المترجمة)

Deity-holder of water on the whole Earth

الإلهة الحارسة لكل الماء على الأرض وللمطر، راعية جميع النباتات المائية والسمك .

ولها بضعة أسماء : (Veden kirdi, M-E) (Ved الماء و kirdi يُمسك) و (Vedyazorava, M) (azor, M-E المضيف أو المضيفة و ava, M-E امرأة / أم) و (Ved'mastorava, M-E) (mastor الأرض)

هى ابنة ماستورون كيردى إله الأرض كلها. تعيش بعيداً (فى إينيفيدسا عند الإرزيا و أتسيفيدسا عند الموكشا) فى المياه العظيمة (البحر – المحيط). وفى الأغانى الملحمية هى كائن بشرى.

وتروى إحدى أساطير الإرزيا فى منطقة نيجورود أن إلهة الحقول باكسيا باتيا (الابنة الثالثة لأم الآلهة أنجى باتيا) أنجبت فيدماستورباز زوج هذه الإلهة ومساعدها فى السيطرة على البحار والأنهر والبحيرات والينابيع والآبار. وفى أساطير الموكشا تظهر هذه الإلهة كزوج لشكاى إله الشمس والزمن. وفى خيال الإرزيا تتبدى هذه الإلهة فى شكل سيدة ممتلئة القوام ترتدى ثياباً فضية تنتهى بذيل سمك الشَّبُّوط[١٥٨]، وهى تعرف لغة الأسماك (وأكثر وأفضل ما تعرف هى لغة سمك الروش[١٥٩] الأبيض)، وتعرف جميع مسالك الطرق تحت الأرض. وهى تعلن عن قدومها لكل الفيديافات العديدات برنين جَرسِها الذى يسمعه، كما كانوا يعتقدون، كل الناس على الأرض.

وإذا هطل المطر يردد الموكشا: "Veden kirdi sera putnyay" (أى : قطرات من مَنِى الإلهة تتساقط). ولهذا السبب كانت الشابات يخرجن فى أثناء المطر إلى الشارع لكى يساعدهن الإلهة، كما كانوا يعتقدون، على الحمل بسرعة وعلى الولادة اليسيرة.

---

(١٥٨) الشَّبُّوط : سمك نهرى أصفر اللون له صفات مشتركة مع السمك الذهبى . (المترجمة)

(١٥٩) الروش : سمك نهرى صغير الحجم له صفات مشتركة مع الشبوط . (المترجمة)

ولم يكن الناس يتوجهون إليها بالكثرة نفسها التى يتوجهون بها إلى فيديافا الإلهة الحارسة للماء، ولكن إذا لم تتمكن فيديافا من مساعدتهم للتخلص من أمراض العيون، عندئذ كانوا كثيراً ما يتوجهون إليها. وللغرض نفسه كانوا يذهبون إلى ينبوع مياه ويرددون التعاويذ ويغترفون المياه ويغسلون بها عيونهم. ولاسترضائها واستعطافها كانوا يختارون مكانًا قريبًا من الماء (نبع، ترعة، بحيرة..) ويفترشونه كمائدة للأكل، وقبل الاقتراب من الوجبة الطقسية كانوا يصلّون سائليها مساعدتهم قائلين لها: إنهم يبعثون جزءًا من هذه الوجبات إليها فى البحر عبر نهر الفولجا حيث تنتظرهم هى هناك تغنى وتمرح.

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7, ch. 3 Kalendarno-obryadovye pesn i zagovory. Saransk, 1981.

(2) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى المجلد ٧ الجزء ٣- الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارانسك، ١٩٨١ .

(٢) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و - صحيفة جمعية الفين - أوجر. هلسنكى ١٨٨٩ .

Deity of bast and logs

إله اللحاء وجذوع الشجر

(keren' shochkon' paz, E) (ker لحاء/ليف و shochko زند الخشب و paz الإله)

و (Atyavton ker'ze, E) (atya رجل مُسن)

"كيرين – شوتشكون باز" و "أتياتون كيرزى" (عند الإرزيا) لا يحدد الفلكلور وجوداً مستقلاً لهذا الإله. وعادة ما كان الموردف يتوجهون إليه بعد التوجه إلى كودافا الإلهة الحارسة للبيت والأسرة ويورتافا الإلهة الحارسة للعشيرة والاقتصاد المنزلى (عند الإرزيا) فى أثناء بناء منزل جديد. وكانوا يضعون فى كل ركن من الأركان الأربعة للبناء الجديد، بعد إرساء أساس المبنى، حجراً. وفى الركن الأحمر كانوا يضعون على أول صف من أساسات المنزل الجديد (جذوع الشجر) بعض الحنطة أو الشعير والملح وقطعة شمع وفحماً ويلفون كل هذا فى منديل (اعتقاداً منهم أن هذا يقيهم شر السحرة والنار)، ومن ثم يقيمون الصلاة تكريماً ليورتافا ولهذا الإله (سائلين الصحة وخصوبة الماشية). وتكريماً لهما، وبعد انتهاء أعمال الحقل كانوا يذبحون ديكًا (ويتركون دمه يسيل تحت الحجر المخصص للقرابين فى فناء البيت) ويقيمون الصلاة راجين العيش فى وفرة. وكان الإرزيا من الموردف يتوجهون إلى هذا الإله فى أغانى العرس والتعاويذ.

المراجع :

UPTMN. T. 7, ch. 3 Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى المجلد ٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

Deity of Fire/تولباز إله النار[١٦٠]

(Tolpaz, E)

تولباز إله النار عند الإرزيا تصوره الأساطير مرتديًا قميصًا وسروالاً أحمرا اللون، يرقص ويلهو فى غياب الريح. وتولباز قوى يأتى بالمنـافع للنـاس، ولكنْ بوسعه إيذاؤهم لو تملكه الغضب. وباستثناء الماء لا يخشى تولباز شيئًا. ويقال فى الصلوات التى يقيمونها له إنه وُلِدَ من المياه الجارية.

وكان الموردف يقدمون له الديك الأحمر كأضحية.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

Deity of frost, old man-frost

رب الصقيع/ صقيع العجوز[١٦١]

Kel'me, M-E و زوج – رجل مُـسن atya, M-E) (Kel'me atya, M) (Atyapaz, E)

برد – صقيع و paz, E إله)

كيل مى أتياى (عند الموكشا) أتيا باز (عند الإرزيا) فى خيال الموردف يمكن لرب الصقيع أن يكون قاسيًا وطيب القلب فى آن. يعيش فى منزل جليدى، ومكانه المفضل خلف المدخنة. وفى الحواديت يسعى للقيام بأعمال طيبة للناس فى مقابل الشر الذى اقترفه فى حقهم (حين جَمَّدَ محاصيلهم).

---

(١٦٠) تولباز: إله النار عند الإرزيا. يلاحظ أن الإلهة تولافا هى إلهة النار أيضًا عند الموكشا والإرزيا . (المترجمة)

(١٦١) صقيع العجوز: مثلما يقال فى مصر "برد العجوزة" . (المترجمة)

ويقيم الموردف طقوس تَعَبُّد له يوم الخميس السابق لعيد الفصح، ولجذبه إلى جانبهم كان الموردف يقدمون له كيسيل(١٦٢) ويضعونه على حافة النافذة (فى كل بيت) راجين الإله ألا يسمح بموت الزرع أو الإنسان من الصقيع.

المراجع :

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889. 2. UPTMN.T. 3, ch. 1 Mokshanskie skazki. Saransk 1966.

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين - أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى المجلد ٣ الجزء ١ - حواديت الموكشا، صارنسك ١٩٦٦ .

إله الأثقال / Deity of heaviness

(Stakapaz, Kezheypaz, E) (Staka ثقيل و kezhey شرير)

ستاكاباز أو كيجيباز (عند الإرزيا) الوظيفة الرئيسية لهذا الإله هى حمل الأثقال والإمساك بها على نحو يمنع سقوطها بما فى ذلك حمل الأثقال الأرضية، وبالتالى منح الناس سهولة العيش وطيبها دون اضطرار لحمل الأثقال. وكان الناس يصلون له فى الغالب إبان أوبئة الأمراض المعدية (انظر ستاكا أوزكس).

ووفق التقاليد وقبل بذر الحبوب الأولى فى الحقل كانوا تكريمًا لإله الأثقال يقيمون الصلوات. وكانوا ينتخبون من بينهم مَنْ يقوم بهذه الطقوس لمدة سبعة أعوام ويسمونه

(١٦٢) كيسيل : عَصير يُعده الروس من مختلف أنواع الفاكهة المجففة أو الطازجة المعصورة، ويضيفون إليه قليلاً من النشا ليصبح ما بين العصير والعصيدة من حيث سيولته، وهو من المشروبات غير الكحولية الشعبية المنتشرة على نطاق واسع . (المترجمة)

ستاكا آتيا. وكان يواصل عمله لمدة ثانية لو أنه فى الفترة الأولى لتنفيذه مهام عمله لم تحدث أوبئة وكان المحصول وفيراً. وكان ستاكا آتيا يقرأ صلواته راجياً الرب أن يهبهم المحصول الوفير ويرفع عنهم الأثقال (الأعباء) وكل ما هو سيئ شرير ويبعث الفرج والراحة إلى الأرض. وكان الناس فى بعض المناطق يقدمون له القرابين فيذبحون دجاجة سوداء أو ثوراً أبيض، فيما تختفى فى مناطق أخرى تقاليد تقديم القرابين له.

المراجع :

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(2) UPTMN. T. 7, ch. 3 Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى المجلد ٧ الجزء ٣ - الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارانسك، ١٩٨١ .

Deity-patroness of pigs / توفونباز رب الخنازير

(Tuvon' paz, E) (Tuvo الخنزير و paz الرب)

ارتبط هذا الرب فى الثقافة الشعبية التقليدية بالخنزير، الحيوان الطقسى الذى يرمز إلى خصوبة الأرض والحيوانات المنزلية. وكان الموردف الإرزيا تكريماً له عادة ما يقيمون فى اليوم الأول من العام الجديد صلوات خاصة ينظمون فى أثنائها الطقوس المختلفة والوصفات السحرية (كانوا ينثرون القش على أرض الزريبة، وفى المنزل كانوا يقدمون طعاماً خاصاً للخنزير الذى اختاروه كأضحية، ويحتفظون به فى المنزل لفترة معينة، وغير ذلك من طقوس). وفى الصلوات كانوا يتوجهون إلى توفونباز يسألونه حماية الخنازير من الذئاب والكوارث، وأن يهبهم الخصوبة. وفى فناء المنزل كان

صاحب البيت وأبناؤه يدورون حول الحَجَر الطقسى وحول حظيرة الماشية وزريبة الخنازير ممسكين رأس خنزير. وكان طفل يتقدم والده ممسكًا ذيل الخنزير بين أسنانه وينثر الحبوب فى كل مكان. وبعد الطرابيزة(١٦٣) المنزلية كانت صاحبة المنزل تدفن آذان الخنزير وأطرافه فى الركن الأمامى للمنزل ويضعون الرأس تحت عتبة الباب.

وكان الموكشا أيضًا فى رأس السنة والكريسماس يضعون على المائدة رأس وأرجل خنزير مسلوقة الأمر الذى يرمز إلى الخصوبة والوفرة. وفى أثناء عيد بيت الكريسماس (انظر كيشتيمان كود) كانوا ينظمون للخنزير أمسية مرح طقسية يمارسون فى أثنائها ألعاب لهو ومرح ورقص مثل: رقصة توفا (انظر الخنزير) ولعبة "مطاردة الخنزيرات الصغيرات".

المراجع :

Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

قضايا موردفية، ميلنيكوف ب. إى صارنسك ١٩٨١ .

(١٦٣) الطرابيزة : الطرابيزة بالروسية هى الطرابيزة بالعربية نطقًا وكتابة، بيد أن الروس يقصدون بالطرابيزة مائدة الطعام والطعام نفسه فيقولون : بعد الطرابيزة أى بعد الأكل. راجع هامش المترجمة ٩٨ . (المترجمة)

Deity patron of the scared place where magical ceremonies were performed.

كيريميت باز الإله الحارس للمكان المقدس، مكان الصلوات

(Keremet' paz, E) (Keremet اسم علم و paz إله)

فى منطقة بوجولين (بولكا سابقًا) كان الناس يقدمون له الأضاحى يوم الأحد السابق على عيد العنصرة، كانوا يتجمعون فى أحد مروج الغابة للصلاة، وبالقرب من أحد الينابيع يشوون الثور/الضحية وأربعة من الماعز، ثم يبدأ عجوز منهم فى ترديد الصلوات. وفى أثناء الصلوات كانوا يتضرعون إلى كيريميت سائليه مباركة عقولهم وصحتهم ومحاصيلهم وحبوبهم وأن يصد عنهم الموت وعن ماشيتهم الجائحة، وأن يحمى القرية من القوى والأرواح الشريرة وغير الطاهرة ومن الرياح ومن الحر وغير ذلك، ويأخذون فى تعظيم قدرات كيريميت وتمجيدها. ومثله مثل باقى الآلهة كان كيريميت قادرًا على تقديم الخير وعلى البطش بالناس على حد سواء. وهو يطير ويمشى على الأرض، وبوسعه بعث الجنون فى عقول الناس وحرمانهم من قوة أرجلهم.

المراجع :

UPTMN. T. 7, ch. 4 Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى المجلد ٧ الجزء ٣ – الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

Deity patron of water on the whole Earth

فيدماستورياز إله كل المـاء على وجه الأرض

(Ved'mastorpaz, E) (Ved المـاء و mastor الأرض و paz إله)

كانوا تكريماً له يقيمون صلوات عيد خاصة (عادة ما تكون فى ١٥ سبتمبر أو فى الجمعة التالية له). وكانوا يقدمون له أضحية، فيلقون فى المـاء برأس أوزة اقتلعت للتو، والرأس يجب اقتـلاعـه وليس ذبحـه بأى حـال من الأحـوال، أمـا باقى الأوزة فكـانت الأسرة تأكلها.

المراجع :

Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889.

مـا تبـقى من آثار الموردف. مـاينـوف و. صـحـيـفـة جـمـعـيـة فـين – أجـور. هلسنكى ١٨٨٩ .

Deity patron of the whole Earth

ماستورون كيردى الإله الحارس/ حامل الأرض كلها

(Mastoron' Kirdi, M - E) (Mastor, M - E الأرض وطـــرف / حـافة / تخم[١٦٤]

و Kirdi, M - E يَحْمَل)

ماستورون كيردى الذى سواه شكاى (الإله الأعلى) وهو أيضًا مساعدُهُ. ماستورون كيردى الأبدى الشباب، المصارع بلا هوادة ضد الشر، سيد الأرض كلها وحاكمها. وتشير بعض المصادر إلى أن زوج ماستورون كيردى هى ماستورافا (انظر ماستورافا)، وفى أخرى يشار إلى آزورافا ربة الخصب والحياة. ولدى ماستورون كيردى أبناء كُثُر من البنات بما فى ذلك: الإلهة الحارسة للحمام والإلهة الحارسة للغابات والإلهة الحارسة للماء والإلهة الحارسة للعشيرة والإلهة الحارسة للمنزل وغيرهن. وكان الناس أحيانًا يطلقون على هذا الإله اسم: كاناى أو كيدى أو سُلطان. وعند الإرزيا كانوا يذكرونه فى التعاويذ التى يعدونها علاجًا للأمراض.

المراجع :

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889.
(2) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين – أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .
(٢) التصورات الدينية للموردف، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(١٦٤) طرف/تخم – أطراف/تخوم: من الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن الروس كانوا سابقًا، أغلب الظن قبل الترسيم النهائى لحدود روسيا، يطلقون على الأراضى المجاورة لروسيا لفظ الطرف/التخم، فيُسَمون أى أراض مجاورة من أى اتجاه كان : "عند التخوم" كأن نسمى ليبيا أو السودان عند التخوم. (ولفظ عند بالروسية تُنطق "أو" كحرف الـ u بالإنجليزية وطرف/تخم تنطق كراى krai ، وعبارة "عند التخوم" تصبح أوكراى u krai) . وجرى العمل بهذا العُرف لأن أراضى كثيرة مجاورة لروسيا لم تكن قد تشكلت كدول وبلدان بعد. وبتشكل دول عديدة حول روسيا انتهى العمل بهذا العُرف. بيد أنه من الطريف أن بلدًا مثل أوكرانيا ظلت على اسمها القديم مع إضافة نهايات المؤنث Ukrai/na ويبدو أن الإشارة هنا هى إلى مكان وجود الإله: على تخوم الأرض . (المترجمة)

فارماباز رب الرياح والهواء / Deity of wind and air

(Varmapaz, E) (Varma, M-E الرياح و paz, E إله)

فارماباز هو ابن فيريافا إلهة الغابات، ومنذ ظهوره الأول على الأرض فتح فارماباز بأنفاسه طريقًا غير معروف، طريقًا لا يعرف لها أحد سبيلاً إلى الآن. وكان مولده مرهونًا بنظرة واحدة يلقيها تشيباز (إله الشمس عند الإرزيا).

المراجع :

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889.

ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين – أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

Deity-patroness of water, marriage and childbirth

فيديافا الإلهة الحارسة للماء والزواج والولادة

(Vedyava, M-E) (Ved مياه و ava امرأة/أم)

وفق المعتقدات الدينية – الميثولوجية للموردف لكل نهر وبحيرة وينبوع فيديافا خاصة به. وهناك أسطورة حول أصل فيديافا تقول إنه عندما قررت الشياطين إقامة عرش لهم فى السماء، أرسل الرب أحد ملائكته للتخلص منهم، ففشل. بيد أن ميخائيل الملاك الرئيسى نجح فى هذه المهمة وطردهم : بطرف سيفه الذى ثبت عليه صليبًا أزاحهم عن السماء، وسقطت إحدى هذه الأرواح فى الماء فتحولت إلى فيديافا، بينما سقطت الأرواح الشريرة الأخرى على أرض جافة فظلت على ما هى عليه : شيطان.

وصور خيال الموكشا والإرزيا فيديافا فى شكل امرأة شابة فارعة الطول، شعرها أشقر طويل يصل إلى ركبتيها. وفيديافا ثنائية الشخصية، فهى تتمتع بملامح شخصية

إيجابية وأخرى سلبية. ولديها زوج - فيدياتا(عند الموكشا والإرزيا) (atya بمعنى رجل مسن/زوج)، ذو ذقن طويل فضي، مهامه محدودة. ولم يكن من الممكن بشكل عام مشاهدتهما معًا. وتظهر فيديافا عارية أمام الناس فى الليل أو فى وقت متأخر من المساء، وعلى نحو أندر كانت تظهر ممسكة دلوًا أو ترتدى القميص الشعبى الموردفى الذى يسمى "بانار" عند الموكشا : وفى العادة تظهر فيديافا وهى تلعب فى المياه وتنثرها وترشها هنا وهناك أو تُمشط شعرها.

وكان الموردف يعتقدون أن فيديافا تعيش مع فيدياتا فى الماء، فى أماكن عميقة حيث يَجُرون الناس الذين قُدر لهم الغرق، وتبدو فيديافا غاضبة فى هذه الأثناء. وإذا قُدِرَ لأحدٍ النجاة فمن الضرورى أن يقدم آيات الشكر لفيديافا، وأن يسجد لها ويقدم لها القرابين فيلقى فى الماء بالنقود والحنطة والشعير وغير ذلك. وبعد ذلك كانوا يعتبرون من المحتم الوقوف عند تقاطع طرق مع الحكيمة/الساحرة طلبًا للعفو والمغفرة. وإذا كان من قدِّر له النجاة امرأة تنتظر مولودًا، فقد يفضى تجاهلها لهذه الطقوس إلى موت طفلها فى أثناء الولادة أو أن يصبح المولود فى مستقبل أيامه أبكم.

ويوسع فيديافا أن تصيب المرء بأمراض الماء (يسميها الإرزيا نارفووت) بعد استحمامه فى النهر. ولذا كانوا يقيمون لها الصلوات ويقدمون لها الهدايا المختلفة لاسترضائها واستعطافها (قطع من قماش القنب والمناديل) ويذبحون لها دجاجة كأضحية. وكان المريض يخرج فى الصباح الباكر مع الحكيمة/الساحرة إلى الينبوع طالبًا عفو فيديافا عنه، ثم تأخذ الحكيمة/الساحرة فى ترديد التعاويذ بضراعة وتوسل لإخراج المرض منه، ومنحه الصحة، ومن ثم يلقيان فى الماء بربطة تضم الملح والخبز والحنطة والشعير، ويعودان أدراجهما دون أن يلتفتا برأسيهما للخلف.

وبهدف أن تعتاد الفتاة النهر والينبوع وتتعرف على فيديافا، كانوا يصطحبون العروس فى اليوم الثانى للعرس إلى الماء ويقيمون هناك الصلاة تكريمًا لفيديافا. ووفق التقاليد كان على العروس أن تلقى فى النهر خاتمًا يلقى المسنون فى الماء

الكعك والفطائر المحلاة. فضلاً عن أن العروسين كانا يصليان لها ويركعان سائلين أن تهبهما الأطفال، ومن ثم يذهبان سراً بعيداً عن أعين الناس حتى أقربائهما إلى النهر ويلقيان فى الماء أضاحى لفيديافا كالخبز والملح واللحم البقرى والقنب. ومن ثم كانا يأكلان بعض الطعام وهما جالسان يحتضن كل منهما الآخر على ضفة النهر يناجيان فيديافا.

وكان الموردڤ يقيمون الصلاة لفيديافا فى اليوم الثامن من أعياد الفصح (ويلقون فى الماء بالبيض وبحزم مشتعلة من القش). وكان الشباب الذين يرغبون فى الزواج فى العام الجارى والنساء ممن يردن أن يمنحهن الرب الذرية يغطسون فى الماء. وكان الموردڤ يفترضون أن الأمطار تعتمد على فيديافا أيضاً، ولذا عندما يغيب المطر طويلاً كانوا يقيمون لها صلوات خاصة. فكان الأهالى يذهبون إلى ينبوع و "يوقظون" فيديافا ويسألونها المطر، ويأخذون فى رش بعضهم بعضًا بالماء. ويدعون فيديافا لتتناول معهم ما جلبوه من طعام، وأحيانًا كانوا يرسلون لها بيضة عبر مياه الينبوع.

وكانوا يتوجهون إلى فيديافا بالتعاويذ والأدعية (ليحب الزوج زوجته والزوجة زوجها، والشاب الفتاة والفتاة الشاب)، ويتوقفون أمام سيل متدفق من ماء النهر ويسألونها الصحة (مقدمين لها الدجاجة/الضحية) ويأخذون فى ترديد الأغانى/الأدعية (أوزنومات عند الإرزيا) متوسلين إليها ألا تغضب من الناس.

وفى الفلكلور نرى فيديافا راعية للأسماك ومعلمة للإنسان، تنصحه بهجرة صيد السمك والاشتغال بالزراعة. وفى الأغانى ذات الطابع الميثولوجى نجد فيديافا ولديها ميول أكل لحوم البشر، ماكرة تطلب إنسانًا أو أشياءه كأضحية. وكفدية لحياة بطل الحدوتة كانت تطلب ابنته أو ابنه. وعدا ذلك كانت فيديافا تطلب أضحيات من الناس عند بناء طاحونة الماء (وكان الناس يلاحظون أن بنات شابات يمتن فى مكان البناء، وعندئذ كانوا يستأجرون غواصًا يبحر فى الماء ليدير مفاوضات مع فيديافا).

المراجع :

(1) Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

(2) UPTMN. T. 7., ch. 4. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981, T. 10. Legendy, bylichki, Saransk 1983.

(١) قضايا موردقية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٧، الجزء ٣ - الأغانى والتعاويذ الطقسية، صارنسك ١٩٨١ المجلد ١٠ - أساطير الماضى وحكاياته ووقائعه.

Deity-patroness of the whole Earth

ماستورافا الإلهة الحارسة مالكة الأرض كلها بتخومها وأطرافها.

(Mastorava, M-E) (Mastor أرض ava امرأة/أم)

ماستورافا فى الميثولوجى الموردقى ما قبل المجتمع الأبوى متعددة المهام والأعمال، مبهمة غير متبلورة الطبيعة، لكنها مع ذلك إنسانية. تحمل ماستورافا الأرض وأثقالها، وتملك قوى الخصوبة التى تنتج كل ما هو ضرورى للناس، كل ما هو حى وغير حى. ماستورافا غير مرئية، تمشى على وجه الأرض وتحتها. أحيانًا يعتبرونها تجسيدًا للبدايات الذكرية للعالم. وهى زوجة ماستورون كيردى. وتراها الأغانى الميثولوجية غير جميلة سوداء الوجه ذات أنف طويل وشفتين غليظتين.

وكان الموردف يقيمون لها الصلوات، ويقدمون لها أضحية فى شكل دجاجة سوداء، وفى الصلوات التى يؤدونها قبل بذر البذور فى الأرض كانوا يتضرعون إليها سائليها وفرة المحصول والصحة، وفى الخريف كانوا يشكرونها على المحصول الوفير. وعدا ذلك كانوا يتضرعون إليها لتخليصهم من الأمراض التى أصابتهم من الأرض ومن أمراض البرد، ودرء المصائب عنهم وغير ذلك. وكان الموردف يعتقدون أن ماستورافا بوسعها

إنزال الأمراض بالإنسان. وفى هذه الحالة كانوا يخرجون إلى تقاطع طرق (وهو الطقس الذى يسميه الموكشا كى راشكا ويسميه الإرزيا كى راشكوف)، وهناك تتلو الساحرة التعاويذ تسأل فيها ماستورافا العفــو عن المريض وإخراج المرض منه، وكان الناس فى هذه الأثناء يقبلون الأرض ثلاث مرات، ثم تلقى الساحرة بيدها عبر الكتف الأيسر حزمة تضم الحنطة والشعير وحشيشة الدينار، ثم يعود الجمع إلى دياره دون أن يلتفت إلى الخلف.

وربما تطلب ماستورافا الطاعة الكاملة، وقد تعاقب الإنسان وتحرمه حتى الحياة. وإبان تحويل الموردڤ قسراً إلى المسيحية تبدلت العلاقة بين ماستورافا والناس، وأُعيد تفسير العديد من الأساطير بما فى ذلك الأساطير حول نشأة العالم وحول الطوفان العظيم والسمكات الثلاث العملاقة التى تحمل الأرض وغير ذلك. فتصب ماستورافا وغيرها من الآلهة الوثنيين فى المقابل جام غضبهم على الناس الذين قابلوا معروفهم بالخيانة. وتنفيذاً لطلب ماستورافا يقوم نِيشكِيباز إله الإرزيا بتبليغ الناس الرسالة عبر طيور الرحمة التى يبعثها إلى الأرض: إن الآلهة ستُغرق الأرض أو تحرقها، وستهلك وتبيد الناس العاقين وتُسكن الأرض بشعوب جديدة. وتطلب ماستورافا من الآلهة إنزال جام غضبهم على المرتدين، وفى الوقت نفسه تبكى ماستورافا الناس والنعمة التى عاشوا فى ظلها والتى حُرِموا منها الآن، لأنه فى ظل الإيمان الجديد الذى تحولوا إليه أصبحت الأرض فقيرة لا تعطى محاصيل وافرة ولا تهب خصوبة الماشية.

المراجع :

(1) Harva U. Die relgiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(2) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1966.

(3) Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

(١) التصورات الدينية للموردڤ، هارفا يو. هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الأغنية الشعبية الملحمية الموردڤية ماسكايف أ. إى. صارنسك ١٩٩٦ .

(٣) قضايا موردڤية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

فارماڤا الإلهة الحارسة للرياح / Deity-patroness of Win

(Varmava, M-E) (Varma الرياح و ava امرأة/أم)

كانت مخيلة الموردڤ تُهيئ لهم أن فارماڤا قد وُهِبَتْ قوى مدمرة أو على العكس قوى بناءة، وهى ليست لها أزرع ولا أرجل ولا أجنحة، هى لا تتحدث، بيد أن صَفِيرها حين تطلقه يسمعه الجميع من على مسافات بعيدة.

وتقول الأساطير إن فارماڤا هى أخت نوروڤاڤا الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة (عند الإرزيا) وأخت فيرياڤا الإلهة الحارسة للغابات (عند الموكشا والإرزيا). وتنام فارماڤا عادة عندما تهدأ الطبيعة، وتستيقظ إذا انطلقت من عقالها وساء الطقس. ولدى الموردڤ تصورات مختلفة عن مكان إقامتها: فهى إما فى السماء، أو فى البراميل الأربعة القائمة فى الأركان الأربعة للأرض، أو خلف البحار. وتُمسك فارماڤا بالرياح فى مِغْلق تحكم إغلاقه بالمتاريس وتطلقها من وقت إلى آخر. ولفارماڤا بضعة أبناء يعيشون فى البراميل، وما عليها إلا أن تلقى نظرة عليهم حتى ينطلق الأبناء/الرياح من معاقلهم خارجين من البراميل. وكان الموردڤ يعتقدون أنه عندما تستدعى فارماڤا أبناءها ينطلق الريح مصحوبًا بصفير، وعندما يلعب أبناؤها تهب الرياح العاصفة، وعندما تغطيهم فارماڤا تهدأ السماء وتتراجع الرياح والعواصف والأعاصير. وتخبرنا إحدى الأساطير عن رجال، بينما يحشون الدريس فى إحدى المروج، التقوا بأبناء فارماڤا وهم فى هيئة كائنات باردة، وأن هؤلاء الرجال أجلسوهم على عربة(١٦٥) وأرادوا اصطحابهم إلى القرية، بيد أن الريح نهضت وارتفعت عاليًا وأخذت تدوى وتعصف وتقذف وتقتلع كل شىء فى طريقها حتى استعصى على الرجال مواصلة السير.

وكان الموردڤ يصلون لفارماڤا فى أعياد كثيرة ويقدمون لها الأضحيات المختلفة فى المناسبات المختلفة، وعدا هذا كانوا يكرسون لها صلوات خاصة يتضرعون فيها إليها ألا تطلق الريح على مزروعاتهم التى آن حصادها، ويقدمون لها دجاجة رقطاء

---

(١٦٥) عربة: هى مسطح خشبى تجره عجلات يستخدمونه فى مختلف أغراض الجر على الجليد، بما فى ذلك جر الأطفال . (المترجمة)

كأضحية. وبهدف استعطافها كانوا يتوجهون إليها عادة راكعين ورافعين أذرعهم لأعلى، يعدونها أن يواصلوا عبادتها وإجلالها لو جعلت الريح تهدأ. وكان المزارعون أيضًا يصلون لها، وكذا فى أثناء الحرائق (حيث يسعى الناس لإخماد الريح بأن يلقوا فى وجه الريح بيضة أو تفاحة قُطِفت فى عيد تجلى المسيح).

وكانوا يؤمنون أن فارمافا يمكنها إنزال المرض بهم، ولأن السحرة كانوا أحيانًا يطلقون قواهم الشريرة[١٦٦] إلى الريح، لذا فمَنْ يقف فى الاتجاه الذى تنطلق إليه الريح يمكن أن تصيبه هذه القوى الشريرة. ولهذا السبب أيضًا يربط الموردف بعض الأمراض الجلدية والعصبية وغيرها (مثل أمراض العيون والدم والجدرى) بما يسمونه "فارمان ساف سياردياماستا" (عند الموكشا) (أى الأمراض التى تسببها الريح). وفى حالة الإصابة بهذه القوى الشريرة كانوا يقودون المريض إلى تقاطع طرق طلبًا للمغفرة من فارمافا (وهو الطقس الذى يسميه الموكشا "براشينجاس").

وكان خيالهم يصور لهم أن قوة سحرية تنتقل إلى الغَسيل الذى تُطيح به الرياح (وبشكل خاص الزوابع التى يسميها الموكشا "شارى دافول")، ويمكن لهذا الغسيل إنزال المرض بالناس – تلك الظاهرة التى يسميها الموكشا "شارى أو ترانى برياكس آرامس" (والمعنى الحرفى لذلك: الإصابة بالحمى والقشعريرة أو الدوخة ودوران الرأس). ولذا كان الناس يمزقون هذا الغَسيل أو يدفنونه. وكان الموردف يعتبرون أن الزوابع والأعاصير هى لعبة السحرة، ولصدها كانوا يلقون بسكين فى قلبها، معتقدين أنهم بذلك يذبحون السحرة، و (عند الموكشا) كانوا يرددون مرات ثلاث هذه التعويذة: "تسور تسور تسيمبركاس سيافونزوت" (أى : حابس حابس ليطح بك وباء سيبيريا[١٦٧]).

---

(١٦٦) هناك إشارة فى مصطلح الساحر تشير إلى أنه عندما يفتقر الساحر إلى مَنْ يوجه إليه سحره، فإنه يطلق قواه الشريرة إلى الريح تخلصًا منها، لأن هذه القوى الشريرة قد تصيبه بالمرض إن لم يتخلص منها . (المترجمة)

(١٦٧) سيبيريا : منطقة شاسعة الأرجاء (من حيث المساحة أكبر بلاد العالم بعد روسيا التى تعد أكبر بلاد العالم مساحة وتليها سيبيريا ثم كندا)، تضم سيبيريا الأجزاء الآسيوية من روسيا وشمال كازاخستان، تحدها من الغرب سلسلة جبال الأورال ومن الشمال محيط الباسيفيك ومن الجنوب الصين ومنغوليا وتلال شمال وسط كازاخستان. تبلغ درجة الحرارة فى يناير – ٥١٪ (وقد تصل أحيانًا إلى –٧٠٪). =

وكانوا إذا انطلقت الريح على نحو غير متوقع إلى النافذة يعتبرون هذا نذير لورود أنباء سريعة غير سارة (عادة ما تكون الموت). ويعتبرون أيضًا أن الريح الشديدة - تنبئ بتبدل الطقس: وإذا كانت هذه الريح دافئة في عيد تجلي المسيح(١٦٨) يتوقعون صيفًا دافئًا(١٦٩)، وإذا هبت رياح شديدة يتوقعون صيفًا ملؤه الرياح التي ستظل تهب طوال الصيف من الاتجاه نفسه، وإذا هبت الرياح في عيد يفداكيا(١٧٠) يتوقعون خريفًا باردًا.

= ومن الطريف أن أصل كلمة سيبيريا تأتي من لفظ تتاري هو سيبر أي : الأرض النائمة . تعد سيبيريا كنزًا، فهي من أثرى مناطق العالم بالموارد الطبيعية بما في ذلك احتياطات ضخمة من النفط والغاز والثروات المعدنية، والغابات الشاسعة بمخزون ضخم من الأخشاب والثروة الحيوانية الهائلة. وفي التاريخ الروسي والمخيلة الروسية اشتهرت سيبيريا كمكان معزول قارس البرودة ومنفى بكل معنى الكلمة. وكانت سيبيريا بالفعل منفى لمساجين الجريمة والرأي، حيث نفى القيصر الروسي عددًا كبيرًا من مشاهير الكتّاب الروس إلى هناك. ولم تكن السلطات الروسية في حاجة إلى سجون أو حراسة خاصة هناك؛ إذ كان من المستحيل هروب أحد خاصة إذا أضفنا إلى طبيعة المكان الافتقار آنذاك إلى طرق ومواصلات تربط سيبيريا بالمناطق الحية في روسيا. وكان الروس وأحسب أنهم مازالوا يقولون في إشارة لعزلة مكان وابتعاده عن الحياة: راح في سيبيريا، كما نردد نحن: راح في طوكر. وكان المنفيون هناك يعيشون حياة طبيعية كاملة ويزرعون ويحصدون و يمارسون كل الحرف ويقيمون اقتصادًا كاملاً، ويتجولون ويتزوجون من بعضهم البعض وينجبون، أو يصطحبون معهم أسرهم. حتى إن بعض مساجين الجريمة كان يرفض العودة لدياره بعد انقضاء فترة حكمه. ولقد طرأت تطورات عديدة على المنطقة، وشقت فيها طرق المواصلات وشُيدت البنى التحتية الحيوية، وأقامت السلطات صناعات ثقيلة على أساس الموارد الطبيعية، ومع ذلك تظل سيبيريا المعاصرة من أثرى مناطق العالم البكر بالموارد والثروات الطبيعية، وتظل أيضًا في مخيلة الروس إلى حد بعيد هي سيبيريا المكان المعزول قارس البرودة، المنفى/المترجمة .

(١٦٨) عيد تجلي المسيح لثلاثة من حوارييه، تحتفل به الكنيسة الغربية في الثاني من أغسطس كل عام . (المترجمة)

(١٦٩) في روسيا ليس غريبًا ألا يكون الصيف دافئًا، بل أحيانًا أقرب إلى الشتاء في بلادنا، حتى إن الناس هناك يرتدون في الصيف الملابس التي نرتديها في خريف بلادنا بالإضافة إلى الشمسية، ويضعون في حقائبهم بعض الملابس الصيفية، فإذا ظهرت الشمس يبدلون ثيابهم، وقد يتوقفون للسباحة في أقرب بحيرة، حيث البحيرات الصناعية في بلادهم في كل مكان . (المترجمة)

(١٧٠) عيد يفداكيا : Eudokia's Day يوم ١٤ مارس من كل عام . (المترجمة)

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.UPTMN T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983.

(١) التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ١٠ - أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

Deity-patroness of Woods

فيريافا الإلهة الحارسة للغابات

Veryava, M-E) Ver الغابة و ava امرأة/أم)

فيريافا عند الإرزيا هى الابنة الرابعة لأم الآلهة أنجى باتيا، وفى تصورات الموردف أن كل غابة تملك فيريافا خاصة بها. وفيريافا نادرًا ما تظهر للناس، وإذا حدث فهى فى العادة تظهر فى الثانية عشرة ظهرًا أو قبل غروب الشمس. وتختلف التصورات بشأن مظهرها؛ ففى الغابة فيريافا سيدة طويلة القامة (يصل طولها طول الشجرة)، وفى الحقل إذا مشت تنكمش قامتها الطويلة هذه فلا يكاد طولها يبلغ طول الجُذامَة[١٧١]، ذات شعر داكن اللون طويل يتدلى تحت الخصر، وهى نحيلة بثديين كبيرين متدليين حتى ركبتيها أو معلقين على ظهرها يتأرجحان. ويتصورونها أحيانًا منبطحة على وجهها ملقية يديها على واحدة من ضفتى النهر ورجليها على الضفة الأخرى، وأحيانًا نراها برجل واحدة لكنها لا تعرج. وكان الموردف يتصورون أن الإلهات الحارسات للغابات (الفيريافات)[١٧٢]

(١٧١) الجُذامَة Stubble : ما يتبقى بعد الحصاد من سيقان المزروعات التى تعطى حبوب مثل الحنطة والشعير، وتترك فى شكل نتوء صغير يرتفع إلى أعلى . (المترجمة)

(١٧٢) الفيريافات : جمع فيريافا، هناك إشارة سابقة إلى أن لكل غابة إلهة حارسة والمقصود هنا زيادة عدد هذه الفيريافات . (المترجمة)

تزددن عدداً على الدوام بعدد الملعونين من الأطفال والمنتحرين من الناس. وتقول بعض الحواديت الميثولوجية إن جلد فيريافا مغطى بحرافيش سمك (تشبه حرافيش سمك الحَفْش)(١٧٣)، وأن لها عينًا واحدة أعلى رأسها، وفمها مثل فم الإنسان ولكن أسنانها ضخمة كأسنان الجَرَّافة(١٧٤)، ويمكنها أن تتحول إلى أرنب برى. وكانت أحيانًا تظهر فى قميص أبيض أو فى الثياب الوطنية الموردفية (عند الموكشا أو الإرزيا).

وفى الأساطير كاد الشيطان يقتل ابن فيريافا. وفيريافا قوية بوسعها إسقاط بضع أشجار بهبة ريح واحدة. وإذا جلست فيريافا فى عربة(١٧٥) لا يتحرك الحصان من مكانه قيد أنمله بسبب ثقلها. وتمشى فيريافا فى الغابة محدثة ضوضاء وتقهقه كالعواصف، حتى تتساقط أوراق الشجر، وتصرخ وتُصَفِّر حتى تنحنى الأشجار لها. ويؤمن الموردف أن رؤيتها علامة تنذر بسوء. وفى الغابة يعيش فيرياتا (زوجها). وفى الصلوات التى يؤديها الموردف عادة تكريمًا لها، يرفعون أزرعهم فوق رؤسهم ثلاثين مرة (تكريمًا لأخواتها الفيريافات الـ ٣٠).

ويعتبر الموردف أن فيريافا طيبة القلب تحافظ على النظام فى الغابات، فإذا ضل أحدهم طريقه فى الغابة تساعده على الخروج وتضعه على الطريق الصحيح، ولكنها تظل فى هذه اللحظة مختفية غير مرئية. وهى بوسعها فى الوقت نفسه تضليل الإنسان فى الغابة، وفى هذه الحالة يجب تأدية الصلاة لها حتى تعين المرء على الخروج من الغابة. ويسأل الناس فيريافا أن ترشدهم فى الغابة إلى أماكن وجود توت الأرض ولحم الغابة(١٧٦). ويتضرع الناس سائليها الصحة (إذا مرض الإنسان فى الغابة) أو

---

(١٧٣) الحَفْش Sturgeon: ضرب من الأسماك الضخمة أو الحوت الأبيض منه يستخرجون الكافيار. (المترجمة)

(١٧٤) الجَرَّافة: Harrow شوكة معدنية كبيرة تستخدم فى الحقول لجز الحشائش. (المترجمة)

(١٧٥) عربة: انظر هامش المترجمة رقم ١٦٥. (المترجمة)

(١٧٦) فى الأوقات التى يتوفر فيها بكثرة توت الأرض ولحم الغابة يخرج الروس إلى الغابات ومعهم سلال لجمعها. وتحولت مع الزمن هذه العادات إلى رحلات مرحة تقوم بها الأسر مع الأبناء والصغار منهم بشكل خاص. والطريف فى الأمر أن لحم الغابة وتوت الأرض ينموان عادة نموًا عشوائيًا مختفيين =

طالبين منها أن تجد لهم الماشية (أو الناس) التى ضلت طريقها. وعادة ما تستجيب فيريافا لهذا النوع من التوسلات فتساعد أصحابها.

ويعتقد الموردف أن فيريافا تحمى الحيوانات من الصيادين، وأنها مولعة فى الوقت نفسه بشدة بالحكايات والحواديت، وأنها تستغرق تمامًا فى سماع الحواديت والحكايات حتى إنها تنسى حماية مملكتها وحماية الحيوانات والطيور، بل إنها تسقط فى نوم عميق فى أثناء استماعها للحواديت. ونقطة الضعف هذه يستغلها الصيادون. وهكذا كان أحد الصيادين يروى لها حكايات بالقرب من النار[١٧٧] ويقوم الآخرون بمطاردة الحيوانات وصيدها.

وعدا أعمالها الطيبة يمكن لفيريافا إظهار الشر: فهى إما تهدهد سرير طفل حتى ينام، أو تنزل المرض بالناس. وقد تسأل فيريافا الناس إذا التقت بهم: "كوت إليٍّ نوت" (كوت : ينغز، ونوت: يقدم الثدى لامتصاص الحليب[١٧٨] ، وإليٍّ : تعنى هذا أم ذاك كقولنا : تختار هذا الشيء أو ذاك. " كوت إليٍّ نوت" تعنى حرفيًا : تختار النغز أم امتصاص حليب الثدى؟). وإذا أجاب الإنسان عن سؤالها بـ "كوت"، تنغزه فيريافا حتى الموت. وفى تصورات الموردف يمكن لفيريافا أن تتحول إلى نار، عندئذ يجب على المرء الابتعاد ماضيًا إلى الخلف جاعلاً وجهه فى الاتجاه الذى يتردد فيه صدى ضحكاتها أو حيث تظهر هى نفسها، وهكذا ستمضى فيريافا تتتبع مواطئ الأقدام ولكنها لن تُمسك بأحد. وفيريافا تخاف القطط والكلاب والكرابيج. ويمكن للإنسان أن يحمى نفسه منها باستخدام الدخان الصاعد من احتراق لحاء شجر البتولا.

= حول جذوع الأشجار وتلفهما أو تغطيهما الفروع والأوراق فيأخذ الناس فى البحث عنها. وتوت الأرض هو نوع من الفواكه صغيرة الحجم (أقرب إلى الزبيب كبير الحجم) دائرية الشكل أشبه بحبة الكرز من حيث الشكل والتوت المصرى من حيث الطعم واللون، لكنها جافة جفافًا ليس كليًا كالزبيب . (المترجمة)

(١٧٧) المقصود هنا تلك النار التى يضرمونها فى الغابة للتدفئة وليس النار بالمعنى العام للكلمة . (المترجمة)

(١٧٨) كوت إليٍّ نوت : يمكن ترجمة هذه العبارة على النحو الآتى: أدغدغك أم أمص الحليب من ثديك ؟ . (المترجمة)

وتصور الحواديت فيريافا فى صور ميثولوجية متحولة(١٧٩)، وينتصر عليها بطل يفوقها دهاء، فيحشر يديها فى شق جذامة (جدعة) الشجرة ويطلب منها يد ابنتها. ووفق الثقاة والعارفين فإن فيريافا فى الوقت الحاضر تظهر نادراً وتخشى الناس.

المراجع :

(1) UPTMN T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983.

(2) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1947.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ١٠ - أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

(٢) الحدوتة الشعبية الموردقية، ماسكايف أ. إى. صارنسك ١٩٤٧ .

Deuce/الشيطان(١٨٠)

(Shaytan-Shishma-Idemevs, E) (Shyaytan, M)

شييطان (عند الموكشا) شيطان (عند الإرزيا) الشيطان فى الميثولوجى الموردقى كاره وعدو لكل ما هو طيب خيِّر. الشيطان نقيض شكابافاز الإله الأعلى عند الموكشا (انظر شكاى)، وهو الذى سوى الأرواح الشريرة. وللشيطان فى تصورات المورذف من الموكشا والإرزيا أصول مختلفة. وفى الحواديت الميثولوجية للإرزيا فى محافظة صامارا ولد الشيطان من بصقة تشيباز (رب الشمس عند الإرزيا) المتكدر، ومن طرقة

(١٧٩) متحولة: Transformed / Transformation المقصود أنها تتحول وتتبدل من حالة أو طبيعة إلى أخرى، أو تتحول إلى مسخ . (المترجمة)

(١٨٠) الشيطان: Deuce تقرأ بالروسية كما بالعربية . (المترجمة)

وجهها بصولجانه. وافق الشيطان على مساعدة تشيباز فى خلق العالم من الرمال التى أحضرها الشيطان، المتحول إلى بطة، من أعماق البحر. بيد أن الشيطان لم ينفذ بدقة تعليمات تشيباز بسبب غروره وكبريائه، فلعنه تشيباز وبعث به إلى جهنم تحت أعماق البحر ليبقى هناك ويتعذب إلى الأبد.

وفى تصورات الموردڤ فى محافظتى صيمبيرسك وبنز، اقترح الشيطان على تشيباز التنحى ليرتاح ويقوم هو، الشاب القوى، بإدارة العالم الذى خلقاه معًا. فلعنه تشيباز وطرده إلى لجة جهنم. وهكذا ظل الشيطان، الغاضب من تشيباز، إلى الأبد عدوًا نقيضًا لكل ما هو طيب خيِّر. وفى رواية الموكشا أن شكابافاز (الإله الأعلى) خلق الشيطان ليكون قبل أى شىء مساعدًا له، ولكن الشيطان تصرف ضد إرادة خالقه ولهذا طُرد من المقام الأعلى إلى الأرض ليصبح مكان إقامته حيث الطواحين القديمة والحدادين والمستنقعات وتقاطع الطرق وغير ذلك.

والشيطان صورة ميثولوجية مغرقة فى القدم، كان الناس يتصورونه فى هيئة عُقاب أو بومة أو حلوف أو حجر أو خفاش، ثم مؤخرًا الشيطان حاكم مملكة الموتى. وصورته فى أذهان الناس مرتبطة باللون الأسود أو الأحمر الداكن، اللذين يشيران إلى طبيعته الشيطانية المنفلتة. وفى أساطير الموردڤ من التيويرخان[181] وبعض تجمعات الإرزيا فى محافظتى نيجنى جورود وصيمبيرسك شارك الشيطان فى خلق الإنسان مع تشيباز (انظر الإنسان/لومان). وفى تصورات الموردڤ أن الشيطان بدافع من حقده وخبثه لم يدخر جهدًا لإفساد كل ما خلقه الرب الأعلى. وفى غياب الرب الأعلى يتقدم الشيطان إلى بوابة الجنة وبعد خِداعه للكلب يتسلل إلى هناك ويغطى كل جسد الإنسان ببصاقه باستثناء نهايات أصابع الأيدى والأرجل، وأصبح جلد الإنسان بعد ذلك خشنًا صلبًا. ولم يتمكن شكابافاز من إزالة بصقة الشيطان من على جلد الإنسان فاضطر إلى قلب جلد الإنسان ليصبح ظاهره ناعمًا وباطنه خشنًا صلبًا.

---

(١٨١) التيويرخان: راجع هامش الترجمة رقم ١٩ . (المترجمة)

والشيطان يُعرض الناس على الدوام لمتاعب وآلام ما، ويقودهم للخطيئة، ويضلل طريق السكارى، ويُخيف الناس عندما يخرج للقائهم (وهو مغطى بالشعر يرتفع على جانبى رأسه قرنان ومن مؤخرته يبرز ذيل) فى الأماكن المقفرة المهجورة للحدادين أو حيث ترقد جثث القتلى من الناس. وكان الموردف يؤمنون أن الغيوم والرياح والعواصف والصقيع القارس من أفعال الشيطان. ومن المألوف أيضًا الاعتقاد بأن الزوابع والأعاصير هى لعبة تعكس مزاج الشيطان وطبيعته. والشيطان يسوى الأرواح الشريرة التى تنزل الأمراض بالناس والماشية، وتملأ الأرض بالدود والجراد وتشيع الطقس السيئ وتعلم الناس التصرفات الشريرة وغير ذلك، وهكذا فكل ما هو سيئ هو من عمل الشيطان.

وكانوا يعتقدون أيضًا أنه لو ألقى الصياد شباكه للمرة الأولى دون أن يصلى، فسيظهر الشيطان على الشط فى شكل إنسان وسوف ينتظر، فإذا ألقيت إليه بضع أسماك فسوف يرحل، وإلا سيصفق بقوة بكفيه وسيصفر ويخيف الأسماك فتبتعد عن الصياد.

وفى الحواديت يسكن الشيطان روح الإنسان ويعبث بها، الأمر الذى يفضى إلى مرض الإنسان مرض يستعصى على الشفاء حتى يخرج الشيطان من هذه الروح.

ويملك الشيطان القوة نفسها التى تتمتع بها أم الآلهة أنجى باتيا (انظر أنجى باتيا)، وهو يقاوم دومًا أعمالها بينما تقود هى معركة أبدية لا هوادة فيها مع البدايات(١٨٢) الشريرة. وتشير الحواديت الميثولوجية إلى أن أنجى باتيا والشيطان قد أضرما النار باستخدام حجرين من الصوَّان وجداهما على الأرض، بيد أن أنجى باتيا أخذت زنادًا من تشيباز والدها وصوان من نيشكيباز ابنها. وبالتالى فمن النار المُضرمة - تمامًا كما يتكاثر الناس والحيوانات والنباتات - تتكاثر مع مرور الأيام ليس فقط الأرواح الطيبة وإنما أيضًا الشريرة على حد سواء، لأن كلاً من أنجى باتيا والشيطان أضرما النار .

---

(١٨٢) البدايات الشريرة (الأصل الشرير للكون والعالم) : مثل القول بالبدايات الذكرية والأنثوية والطيبة والشريرة للعالم . (المترجمة)

وللشيطان ١٣ ابنـة (١٢ حمى وجُـدَرِى واحد)، أما عدد أبنـائه فغير معروف، ولا تترك بناته الناس يعيشون حياة هادئة.

وتخبرنا الأساطير أن الشيطان أجبر الإنسان على زراعة حشيشة الدينار، وعلمه كيفية إعداد البيرة والنبيذ وتخمير المشروبات، الأمر الذى أفضى إلى انتشار السُكر بين الناس. أما من خدعهم وأغراهم الشيطان فقد قتلوا نيشكيباز إله الإرزيا.

ويسعى الشيطان فى الأرض ليسيطر على روح الإنسان، ومن المألوف اعتبار أن السحرة يبيعون أرواحهم للشيطان الذى يساعدهم فى أعمال السحر. ويؤمن الموردڤ أن المنتحرين يركبهم الشيطان. وفى المواد الفلكلورية، الآتية من الميثولوجى الموردڤى، كان الشيطان مولعًا، وهو مختبئ فى جوف شجرة متخذًا هيئة أفعى، بمحاكاة بورجينيباز (إله الرعد عند الإرزيا) محاكاة ساخرة الأمر الذى جعل الإله يقتله. وإذا تمكن أحدهم من قتل الشيطان، فإن دم الشيطان يشتعل نارًا ويحترق معه المكان الذى اختبأ فيه. وفى هذا الصدد كان محظورًا فى أثناء الرعد التفوه باسم الشيطان (وفى كناية كانوا يقولون: "تونات، نونات"(أى هؤلاء، الآخرون) لأنهم يخشون أن يصعقهم الرعد).

وتزداد خطورة الشيطان فى أوقات معينة من اليوم (من منتصف الليل وحتى أول صياح للديك، وفى منتصف اليوم تمامًا) وفى هذه الأوقات كان الناس يتجنبون الخروج إلى الطريق.

ولحماية البيت من الشيطان، كانوا عشية عيد الفصح يدورون ثلاث مرات حول البيت ممسكين بالشمع والخبز، وفى عيد الغطاس كانوا يرسمون بالفحم الصليب على الأبواب والنوافذ، وفى عيد الغطاس أيضًا كان التزلج على الجليد يعنى كسر أرجل الشيطان، وإضرام النار ليلاً يعنى تشييط أرجله.

وحتى الآن يستخدم اسم الشيطان فى التعاويذ وقراءة الطالع وصب اللعنات، وإذا انغرست إبرة فى إصبع يرددون: "شيطان صـديك بيزولت" (عند الموكشا) (أى : فلتنغرسى فى قلب الشيطان).

المراجع :

(1) Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

(2) UPTMN T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983.

(١) قضايا موردقية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٢) الأغنية الشعبية الملحمية الموردقية. ماسكايييف. أ. إى صارنسك ١٩٦٤ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ١٠ - أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

Dream الحلم/ المنام

(On, M-E)

الحلم/المنام فى التصورات الشعبية هو انعكاس خيالى للماضى والحاضر والمستقبل، وحلقة الوصل بين العالمين: العالم الأرضى والعالم الآخر. وكان الموردف يعتقدون أن الروح فى أثناء الحلم/المنام تهيم فى أرجاء الدنيا وأن الرب، فى هذه الأثناء، يكشف للإنسان حياته. ويضفى الموردف على تفسير الأحلام أهمية بالغة، الأمر المرتبط ، فيما يبدو، بميولهم الاستثنائية للخرافات والوساوس. وفى الكثير من القرى كان هناك "صادى لومات" (عند الموكشا) (الثقاة العالمون ببواطن الأمور) - مفسرو الأحلام العارفون بكل شىء يجرى فى هذا العالم والعالم الآخر. وكان الموردف يساوونهم بالسحرة والمشعوذين، ومن الأسطورة تتبع تصورات الموردف عن القدرات المتعددة لمفسرى الأحلام الذين كان الناس يضعونهم فى منزلة وسط بين المقدس والمُدَنس.

وحتى الآن يقسم الموردف الأحلام إلى ثلاثة: أحلام تتحقق وأخرى تتحقق جزئياً وثالثة فارغة لا قيمة أو معنى لها. وكانت مصداقية الأحلام عندهم تعتمد على اليوم الذى جرت فيه من أيام الأسبوع. ففى عشية أيام الإثنين والخميس والجمعة عادة

ما كانوا يصدقون أحلامهم، أما الأحلام عشية يوم الأحد فتتحقق حتى ساعات ما قبل موعد الغداء. والحلم قبل الأعياد الدينية الرئيسية وعشية ١٤ يناير (رأس السنة وفق التقويم القديم) فقد يتحقق فى أى وقت من العام.

ويضفى الموردف عند تفسير الأحلام وفك ألغازها أهمية بالغة على الأسماء، التى تحمل وفق تصوراتهم دلالات رمزية محددة (ففى الثقافة الشعبية يرتبط مصير الإنسان باسمه، ويتطابق الاسم على نحو ميثولوجى مع حامله). وحتى يومنا هذا ترتهن صحة الإنسان عند الموردف بما يراه فى منامه. وإجمالاً فإن فك ألغاز الحلم تفضى بشكل رئيسى إلى: خير أو شر (المرض الموت الزواج الأخبار الضيوف الطريق الفقر الثراء).

وكثيراً ما يتردد تفسير الأحلام فى الأغانى الشعبية، يبدو، بهدف إدخال المستمع فى الأجواء الميثولوجية للزمن والحيز الذى تجرى فيه أحداث الأغنية. يرى شاب حلمًا (متحقق وفق تقسيمهم للأحلام) قبل تَبَدُل يطرأ على حياته – مثلاً قبل انضمامه للجيش – يرى فتاة تستعد للزواج. يتوجه البطل إلى أمه وإلى كنته وإلى أخته يحكى لهن ما رآه فى الحلم. وفى الأغانى عادة ما ينذر الحلم (المتحقق) بالموت أو العرس أو فرض تحريم على تصرفات محددة يكون لها آثار مميتة على البطل.

وبهدف حماية النفس من البلايا التى ينبئ بها المنام، كان الموكشا والإرزيا يلجئون إلى التعاويذ والرقيات والأدعية أو إلى أعمال السحر التى تضمن حمايتهم: كانوا يحشرون البنصر بين ضلفتى النافذة ويرددون باستغراق تام : "ليذهب هذا الحلم خلف الليل". والآن ولهذا الغرض نفسه، يجتهد الناس ألا يرووا أحلامهم. فلا يتحقق فى هذه الحالة المنام.

المراجع :

Devyatkina T. P. Tainy snov, Saransk 1995.

الأحلام الغامضة، صارنسك ١٩٩٥ .

Duck / البطة ياكسيارجا

(yaksyargo, E و yaksyarga, M)

البطة ياكسيارجا/الطائر/الطوطم، وترتبط فى الأساطير بالماء والأرض والمملكة السفلية (فهى تغوص فى الأعماق لتجلب الطمى من التربة – انظر شكاى) والهواء والسماء. والصورة الملحمية الأسطورية لياكسيارجا التى ترقد على البيض فى عشها صورة لا تقتصر على الموردف وإنما نجدها لدى عموم شعوب فين – أوجر.

وتتميز ياكسيارجا بجمال غير عادى، ويكتظ وصفها بالرموز الميثولوجية: أرجل مطلية بالذهب، وجناحان مزدانان بما يشبه العملات النقدية البراقة المزخرفة تنتهى أطرافها بالذهب الخالص، والريش أشبه بالعملات البراقة المتلألئة، وعلى الظهر بصمات ملكية وعلامات ربانية، والرأس من الفضة الخالصة، والمنقار والقدمان من النحاس، ويتخذ الجناحان شكل الأهلة. وتشع ياكسيارجا بألوان وبريق غير عادى، إنها مخلوق سامٍ. وترتبط ياكسيارجا بالأسرة الإنسانية (فهى فى الأصل امرأة مسحورة)، ويعتبرونها أحيانًا طائر فيريباز (الإله الأعلى عند الإرزيا) أو طائر إلهة الغابات فيريافا.

ويتصورونها أحيانًا إنسانًا (فتاة) متخذًا شكل طائر، أو طائرًا يحرمون صيده، وقاتلها، الذى يطيح بمحرمات عشيرته، يعد مرتكبًا لجريمة مهلكة. وياكسيارجا فى الأساطير هى ابنة الزوج أو الطفلة المتبناه غير المحبوبة التى تظل تلعنها زوج أبيها، ولهذا ولحين تتزوج ياكسيارجا عليها أن تتخفى فى مظهر طائر. وفى مجموعة الأغانى التى تدور حول ياكسيارجا والصياد نجد انعكاسًا لعلاقة الناس بطواطم عشائرهم.

وقتل ياكسيارجا يجرمونه ويعاقبون المتهمين (أخلاقيًا وجسديًا). وفى إحدى الأغانى الأسطورية يستجيب الصياد الشاب لتوسل ياكسيارجا إليه ألا يقتلها بل يتزوجها، فيفعل، وفى أغانى أخرى لا يستجيب الصياد الشاب رب الأسرة لطلب ياكسيارجا فيقتلها رغم تحذيرها له أنه لو قتلها فستموت معها كل أسرته وسيحرم هو من المحاصيل، لأنها "ليست ياكسيارجا وإنما هى مبعوثة فيريباز الإله الأعلى عند الإرزيا".

وفى الأساطير ياكسييارجا هى فى المقام الأول واهبة الحياة ثم بعد ذلك هى طائر. ولذا فعندما يقتل الصياد مثل هذه الياكسييارجا يذهله الأنين الصادر عنها وكم الدم الذى تنزفه والريش الذى يتناثر فى كل مكان.

المراجع :

(1) Epicheskie I liro-epicheskie pesni. Saransk 1963.

(2) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1966.

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد الأول، الجزء الأول شعر الأفراح عند الموكشا، صارنسك ١٩٧٥ .

(٢) الأغنية الشعبية الملحمية الموردفية، ماسكايف أ. إى. صارنسك ١٩٦٤ .

E

Egg / آل – البيضة

(Al, M-E)

آل هي البيضة، الحاملة، وفق التصورات الشعبية، بدايات الحياة، المالكة لقدرات سحرية على الإخصاب والحماية. والبيض أحد المكونات التي لا غنى عنها للوجبات الطقسية للصلوات. وفي العادات يتناول الموردف أول بيضة تضعها الدجاجة بقفاز[١٨٣] ويدحرجونها في مَنْخُل. وكانوا أيضًا يزنون البيضات الأولى للدجاجة ويضعون كل واحدة في قطعة قماش يعقدونها على شكل عقدة، ثم يعلقون هذه العقد جميعًا على عصا، ويثبتون العصا أفقيًا من منتصفها على نصل سكين، ومن ثم يأخذون في مشاهدة ما قد يحدث ويستنتجون بناء على ذلك استنتاجات ذات دلالات خاصة: إذا لاحظوا أن البيضة الأولى أثقل – يبدأون بذر البذور الربيعية في الدورة الزراعية الأولى، وإذا كانت البيضة الثانية هي الأثقل يبذرون البذور في الدورة الثانية أو الثالثة إذا كانت البيضة الثالثة هي الأثقل. وفي أثناء بذر الحبوب كانوا يلقون في الأخدود الأول من الأرض بيضًا مسلوقًا حتى تصبح الحبة بكبر البيضة. وفي اليوم الأول الذي يطلقون فيه الماشية إلى المراعي بعد انتهاء الشتاء، كانوا يقدمون للراعي بيضة حتى ترعى وتتكاثر الماشية وتعود سالمة إلى البيت. وللأغراض والأعمال السحرية المختلفة استعطافًا واسترضاء للآلهة كانوا يستخدمون البيض الملون.

وفي عيد الربة أنجي باتيا أم الآلهة (يسمونه سيميك) كانوا يلونون البيض الذي يضعه الدجاج في هذا اليوم بقشر البصل ويسمونه "البيض الذهبي"، ويحتفظون به لاستخدامه في حالة الحرائق فيلقونه في قلب النار معتقدين أن هذا الطقس يضعف توهج اللهب ويبدل اتجاه الريح، وكانوا يضعونه في الغابة تحت الشجر حيث تقام المناحل حتى

(١٨٣) القفاز Mitten الذي يكسو الأصابع الأربعة معًا والإبهام منفردًا . (المترجمة)

تزداد تجمعات النحل فيها . وكانوا يقطعون البيض ويطعمون به صغار الكتاكيت، وهم يرددون الصلوات متضرعين لأنجى باتيا حتى تضع الكتاكيت عندما يشتد عودها بيضًا كثيرًا. وكانت النساء ممن لا ينجبن أو يموت أطفالهن صغارًا تأكل "البيض الذهبى". وفى أوقات جائحة الماشية أو مرضها (بشكل خاص النعاج) كانوا ينثرون البيض المفروم فى الزريبة، أما قشر البيض ومعه قشر البصل فكانوا يغلونه ويطهرون الماشية بالدخان المتصاعد منه. وفى طقس خاص كانوا يستخدمون البيض لعلاج أمراض مثل الحمى. وبالماء الذى كانوا عشية الكريسماس يغسلون بدخانه المقشات (التى يصنعونها من أفرع البتولا والذى كانوا يضعون فيه بضع بيضات) بهذا الماء كانوا يغسلون مهد الطفل، ويرشون به أيضًا النساء فى أثناء الولادة. وفى الكريسماس كانوا يناولون الأطفال، الذين يرتلون ترانيم الكريسماس، البيض عبر النافذة، ويضعون بيضة مسلوقة فى الفحم برأس الخنزير المسلوق.

ومن العادات المألوفة وضع البيض الملون للآلهة فى عيد الفصح على أطر النوافذ وخلف الأيقونات بهدف حماية كل فرد من أفراد العائلة. وكانوا يراقبون حالة هذا البيض: فإذا تعفنت البيضة قبل حلول عيد الفصح اللاحق فإن شخصًا سيمرض أو يموت. وكانوا أيضًا يستخدمون البيض الملون لعيد الفصح والبيض المستخدم فى بيلى أوزكاس (انظر بيلى أوزكاس) فى إخماد الحرائق.

وبهدف الحماية كانوا يلضمون قشر البيض بعد أن تفقس الكتاكيت على عود من الخشب يعلقونه بالبيت. ولم يكن مسموحًا أن يتناول المرء البيض من شخص آخر إذا فصل بينهما ممر؛ إذ كانوا يعتبرون أن هذا يؤدى إلى فقدان الدجاج، ولم يكونوا يضعون تحت الدجاجة أول بيضة تضعها (لأنهم يعتبرون هذه البيضة فارغة)، ولم يكونوا يسمحون بكسر البيض بطرقه على الطاولة، فهذا نذير شر. ووفق التقاليد كانوا أحيانًا (فى إشارة للتمنيات بصحة جيدة) يكسرون البيض على جبين طفل.

وكرمز للأسرة حديثة التكون، فى العرس عند الإرزيا، كان الضيوف يقدمون للعروسين البيض. ويضعونه أمامهم فى اليوم الثانى من العرس الشعبى التقليدى.

وبالمعنى نفسه كانوا يضعون على الشريحة العليا (الـ١٢) من تورتة العرس التقليدية الرئيسية (التى يسمونها "لوفن كشى") بيض دجاج، ويرمز هذا الطقس فى هذه المناسبة إلى الأرجاء الأربعة للكون. وكان الموردف يستخدمون البيض فى مناسبات إحياء ذكرى الموتى وفى طقوس الدفن (يُحضرونه إلى منزل الميت وفى الجبانة) كرمز لاستئناف الحياة والبعث الجديد.

وكانوا يستخدمون البيض الفاسد والفارغ فى أعمال السحر والشعوذة (فكانوا يلقون به فى الزريبة وتحت سقيفة البيت لإلحاق الأذى بصاحبة المنزل أو أحد أفراده أو الماشية).

المراجع :

(1) Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

(2) Shakhmatov A. A. Morddovsky etnograficheskу sbornik. SPB., 1910.

(١) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٢) الأنثروبولوجى الوصفى للموردف، قضايا الإثنوجرافى الموردفى، شاخماتوف أ. أ. ١٩١٠ .

Earth / الأرض

(Moda, M-E)

الأرض فى التصورات الشعبية هى القوة الولود الرئيسية، مستقر الحى والميت، ولذا كانت فى نظر الموردف موضع إجلال وحذر. وتشير بعض الأساطير إلى أن الأرض مستديرة فيما تشير أخرى إلى أنها رباعية الزوايا ينتصب فى كل ركن من أركانها برميل حيث مقام فارمافا إلهة الرياح. ومن الواضح أن فكرة الأركان الأربعة لأديم الأرض مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالاتجاهات الأربعة للكون: الغرب والشرق والجنوب والشمال.

وتشير الأساطير إلى أنه فى مركز الأرض نمت شجرة بتولا فريدة. وشكلت فروعاً ثلاثة لتاج الشجرة، فيما تسللت فروع ثلاثة أخرى تحت الأرض لتصبح جذورها. ووجد طائر كبير (مبعوث الإله) شجرة البتولا الفريدة هذه فبنى فوق تاجها عشه، ووضع الطائر ثلاث بيضات رقد عليها فأخرجت ثلاث أخوات/ربات : نوروفافا (الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة) وفارمافا (الإلهة الحارسة للرياح) وفيريافا (الإلهة الحارسة للغابات).

ووفق بعض المواد الميثولوجية خلق شكاى (الإله الأعلى) الأرض من غرين البحر، فيما تشير مواد أخرى إلى أن تشيباز (إله الشمس) خلق الأرض بمساعدة الشيطان. يغطس الرب (شكاى أو تشيباز) السابح فى محيط عظيم متخذاً هيئة بطة إلى أعماق الماء (فى الأصل كان الماء يغطى كل شىء)، يأتى الرب ببعض الأرض فى منقاره، ويبصقها فتتسع وتتسع رقعتها وتنمو وتنمو لتصبح الأرض كلها.

وللأرض بدايات ثلاث ولجج ثلاث تسبح على أطرافها سمكات ثلاث تحمل أثقالاً ثلاثة : السمكة الكبرى النورانية فى الشرق، والوسطى فى المركز (الجنوب)، والصغرى فى الغرب (الغروب). وكان الموردف يعتبرون أن على أديم الأرض أماكن مُرضية مواتية، وأخرى غير مواتية (متعفنة) الأخيرة تؤثر سلباً على العشيرة والأسرة والحيوانات المنزلية والمحاصيل. وفى الأماكن المتعفنة كان الناس، بناء على نصيحة السحرة، يقيمون الصلوات ويقدمون الأضاحى للآلهة (الخنزير والدجاج) أو يهجرونها إلى أراضى أخرى.

وفى العرس كانوا يمتنعون عن نقل صندوق(١٨٤) العروس إلى بيت عريسها إذا كان سقف البيت من طين الأرض أو علق بعض الطين عليه (إذ ينذر هذا بحياة تعيسة لأنهم على هذا النحو سيعيشون بين أرضين : الأرض الواقعة تحتهم والأخرى التى فوقهم "السقف"). ويرمز ذكر الأرض فى رثاء العروس(١٨٥) إلى الموت والتعاسة. ورؤية الأرض فى المنام لا تبشر أيضاً بخير. وكانوا يستخدمون طين الأرض فى أعمال السحر

(١٨٤) صندوق sondowk : من الكلمات الروسية المشتركة مع العربية وتقرأ بالروسية تماماً كالعربية. والمقصود بصندوق العروس كل ما تحمله من ملابس وغيره وهى منتقلة إلى بيت عريسها . (المترجمة)

(١٨٥) سبق وأشارت المؤلفة فى المتن إلى طقس يسمى رثاء العروس، حيث تقوم العروس برثاء عذريتها وبيت أهلها الذى تركته . (المترجمة)

مثل: إنزال الأذى أو المرض أو اللعنات بالآخرين، فكانوا يرفعون بعض آثار أقدام الإنسان ويدفنوها فى الأرض، معتقدين أن هذا الطقس السحرى خطير للغاية حتى إنه يفضى إلى موت الشخص المعنى. وكانوا للأغراض نفسها يستخدمون التراب الذى يأتون به من الجبانة.

وكان الموردف يعتقدون أن الإنسان الذى يتعثر ويقع كثيراً وهو يمشى قد ارتكب فى حياته شروراً عديدة ولهذا: "موداس أف كيردى إيسونزا" (عند الموكشا) (أى: أن الأرض لن تسنده). والمعروف فى التقاليد المسيحية أن جسد الميت يودعونه الأرض.

وحتى وقتنا هذا يعتبر الموردف أن الأرض لا تقبل ضم ثرى الساحر طوال أعوام ثلاثة بعد وفاته، وطوال هذه الفترة تظل روحه تهيم فى الكون فى حزن ووحشة لا تعرف الراحة والطمأنينة. ويعد العمل فى الأرض فى "يوم الأرواح" (يوم الإثنين التالى لعيد العنصرة) بمثابة خطيئة كبرى.

وللأرض كانوا يقيمون الصلوات (فى أى وقت) ويقدمون أضاحى خاصة (عادة دجاجة سوداء)، سائلين الأرض أشكال الخير المختلفة (الصحة والمحاصيل الوافرة). وإذا عثر شخص ووقع على الأرض كان فى العادة يبصق على المكان الذى سقط فيه مرات ثلاث مردداً : "إيتازا - بوتازا توكافس" (عند الموكشا) (أى : فلتتمحى أيتها الكدمة عن أديم الأرض).

المراجع :

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952.

(2) UPYMN T. 1. Epicheskie I liro-epicheskie pesni. Saransk, 1963.

(3) T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983.

(١) التصورات الدينية للموردف، هارفا. يو ، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد الأول، الجزء الأول - الأغانى الملحمية والغنائية - الملحمية، صارنسك ١٩٦٣ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ١٠ - أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

بابايجا (أمنا الغولة) / Enchantress (Old woman)

(Yaga-baba, M-E)

بابايجا[١٨٦] الساحرة الشمطاء، وهى صورة شائعة لدى الكثير من الشعوب، وشائعة للغاية فى حواديت الإرزيا السحرية الخيالية القائمة على الميثولوجى الموردقى. ولقد ظهرت هذه الصورة عند الإرزيا فى أزمنة متأخرة، ومن المحتمل أن يكون هذا نتيجة التفاعل مع الميثولوجى الروسى.

وتُصَوَّر بابايجا بشعة المظهر : أسنان ضخمة (أو بلا أسنان) وأطراف طويلة، مشوهة كالمسخ، أثداء ضخمة بلا حدود وخطى ثقيلة. اقترابها من مكان تصاحبه ضوضاء وضجيج وأصوات عالية صاخبة (تصرخ مرددة: "كولدور – كالدور كلتسك" (عند الموكشا والإرزيا) على نحو يُذَكِر بالأصوات التى تصدرها عربة محطمة تتحرك على نتوءات الأرض وحفرها وطرقها الوعرة. حصانها مستطيل كالطست، زمامه مصران قطة، كرباجها مرزبة. ولها عشرات البنات زوجتهن من فتيان أشداء صاحبت ولادتهم معجزات.

تعيش بابايجا بعيداً عن الناس، فى منتصف غابة، فى حطام كوخ مقفر فعلت فيه العواصف ما فعلت، فى الحواديت الروسية تحمله أرجل دجاجة يكاد لا يقف ثابتًا عليها، بينما عند الموردف ينتصب الكوخ بقوة وكأنه راسخ فى التربة لا يهتز هنا أو هناك. وعادة ما نجد بابايجا فى الركن الأمامى من الكوخ ترقد على سريرها أو تجلس فوق الفرن وتلقى بأرجلها خلفه، رأسها فى الركن الأمامى من الكوخ، ترفع ثدييها على عمود خشبى. "قامتها بطول البيت، رأسها بحجم الزريبة، تضع رجلاً على الفرن وأخرى أمامه". إذا التقيت بها خاطبها قائلاً : "يا جدتى" وألْقِ عليها التحية مردداً "سيوك" (عند الإرزيا تعنى: إجلالاً أو انحناءة إجلال) وإلا فستمزقك وتبلعك. وبابايجا تجبر أسيراتها على العمل فى خدمتها.

---

(١٨٦) بابايجا: أمنا الغولة برجاء مراجعة هامش الترجمة رقم ٢٥ . (المترجمة)

وتقول بعض الحواديت إن بابايجا تخرج من كوخها فى حالات نادرة، وبشكل رئيسى عندما تطارد ضحاياها، فيما تشير حواديت أخرى أنها تدخل كوخها فى الليل فقط، بينما تقضى النهار فى الغابة، وأن ابن عُرس هو المقيم الدائم فى كوخها. ويقال إن الشجرة التى تنتصب أمام كوخها تقف حجر عثرة أمام من يطاردها، فهى تضرب من يجرى أمامها وتسد عليه الطريق.

وتُصور الحواديت بابايجا ككائن شرير آكل لحوم البشر، وعادة ما تبدو غبية. إذ تقوم الطفلة/الضحية من جوار بابايجا وتضع إلى جوارها زندًا من خشب الحور الرجراج، فتأكله بابايجا معتقدة أنه الطفلة. وفى حدوتة أخرى تريد بابايجا وضع طفلة وطفل على جاروف الفرن وتدخلهما الفرن، تحمرهما وتأكلهما. بيد أن الطفلين يظهران ذكاء أكبر منها، فيضعونها هى فى الفرن.

ولجسد بابايجا وأشيائها خصائص سحرية، وقدرة على إحداث المعجزات التى تظل تواصل تأثيرها حتى بعد موتها؛ من ذلك على سبيل المثال: أن دهون جسدها تمتلك القدرة (إذا تذوقها الإنسان) على تحويل الإنسان إلى جدى أو خروف، وأشياءها تحول الإنسان أيضًا إلى جدى أو بقرة أو ثور أو أى حيوانات أخرى. بيد أن بوسع الإنسان العودة إلى حالته الطبيعية فقط وفق شروط معينة (من ذلك على سبيل المثال أن يحتفظ عند ذبح بقرة بقرونها لهذا الهدف).

وليست بابايجا شخصية سيئة وآكلة لحوم البشر دائمًا. وتصورها بعض الأساطير والحواديت فى دور المساعد الحامى للناس والناصح الطيب أيضًا، فهى تساعد من قُدر له الموت من الشباب، وتساعد اليتامى. ونراها فى واحدة من الحكايات تقدم لطفل كرة الخيط السحرية والفتلة التى ترشده إلى السبيل لحل اللغز أو الأزمة، وتشير له إلى الطريق الصحيح - لا الهدف، وتقابل الخير بالخير. وفى هذا النوع من الحواديت تُصَوَر بابايجا أقل بشاعة من حيث المظهر، فهى عجوز هرمة هزيلة ناتئة العظام، لها بيت فى الغابة، لطيفة ودود فى حديثها.

وفى يومنا هـذا يُستخـدم اسـم بابايجا لسـب النسـاء الشـريرات المتقدمات فى السن وإيذائهن بمقارنتهن ببابايجا.

المراجع :

Mordovskaya narodnaya skazka. Saransk, 1974.

الحدوتة الشعبية الموردڤية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٧٤ .

Eastertide[١٨٧]/ أعياد الفصح

(Ochizhi, M ، otzyu كبير و shi يوم) (Inechi, E) (ine ضخم/عظيم و chi يوم)

أوتشيجى (عند الموكشا) إينيتشى (عند الإرزيا) أعياد الفصح، أعياد مسيحية (بين ٤ أبريل و ٨ مايو) يحتفل بها المسيحيون سنويًا لتَذَكر المعاناة البطولية المجيدة للمسيح وملحمة صعوده من بين الأموات. بدأ الموردڤ يحتفلون به تقريبًا منذ القرن الثامن عشر، جنبًا إلى جنب مع الاحتفال بالأعياد والمناسبات والطقوس الوثنية.

ويشخص الموردڤ الفصح فى صورة درامية محددة لرجل يندفع نحو الناس على صهوة جواد أبيض. وفى أيامنا هذه - أصبح الفصح عيداً زراعيًا للموردڤ[١٨٨] يكرسونه للاحتفال ببداية العمل فى الحقول، الأمر الذى تشهد عليه فحوى الصلوات

---

(١٨٧) Eastertide: أعياد الفصح وتبدأ من أحد السبعين Septuagesima (الأحد التاسع قبل عيد الفصح، تبدأ منه سبعون يومًا تنتهى السبت السابق مباشرة على عيد الفصح) وحتى أحد بعث المسيح عليه السلام مروراً بالاحتفال بالعشاء الأخير للمسيح وبآلام المسيح وصلبه ودفنه ومن ثم بعثه عليه السلام. وتحتفل بهذه الأعياد الكنائس فى أوروبا الغربية ولا تحتفل بها كنيسة الأقباط المصريين . (المترجمة)

(١٨٨) من الواضح أن الموردڤ بعد تحويلهم قسراً إلى المسيحية فى القرن الـ ١٨، جمعوا بين الأعياد المسيحية والوثنية معًا، وتتكرر هذه الظاهرة فى متن الكتاب فى أكثر من موضع ومناسبة دينية . (المترجمة)

القديمة التى كانوا يقيمونها فى هذا اليوم نفسه فى أثناء الوثنية (داعين الآلهة أن تهب الخصوبة لكل ما يحيط بهم، أن يزرع الرجال وأن تحصد النساء وتهب المزارع الصحة). فى أثناء الأسبوع المقدس (أو أسبوع الآلام)[١٨٩] كانوا ينظمون احتفالاً خاصًا بصاحبة البيت أو العروسين.

وكانت الاستعدادات للعيد تبدأ قبل أسبوع من موعده. ووفق العادات كانوا ينظفون البيت ويغسلون كل شىء ويضرمون النار فى الحمام لتدفئة الماء للاستحمام (تُكرر بعض القرى هذا الطقس ثلاث مرات، ففى الأربعاء العظيم يقام حمام عام، وفى الجمعة المقدسة يقام حمام للأسلاف وفى السبت المقدس حمام البنات، أما يوم الخميس المقدس[١٩٠] فكانوا يعتبرونه يوم التطهر. وفى هذا اليوم كانوا يستحمون فى الأنهر والجداول (وكان الموردف يعتقدون أيضًا أن الماء فى الربيع يمتلك خاصية العلاج من الأمراض الخارجية). وبعد حمام البنات كانوا يخبزون البلينى[١٩١] ويعدون البيور[١٩٢] ويلونون البيض بقشر البصل، ويدعون الأسلاف للاحتفال معهم، ويفتحون أبواب المنازل، وعلى الدكة الأمامية بالبيت كانوا يبسطون فراشًا، ويضعون على الطاولة البلينى والمربى ورأس خنزير. ويردد (الأطفال) فى صياح: "أتشيجى ساى فتالجا سوفاى كوتسيمالجا، أوزاى أمبرياتى، كونداى توفون برياتى" (سيأتى الفصح من خلف المنزل، وسيرقى السلم، وسيجلس فى الركن الأحمر، وسيأكل رأس الخنزير). وأحد الطقوس التى لا غنى عنها فى الفصح كان الدوران ثلاث مرات حول المنزل ليلاً ممسكين الشمع والخبز والأيقونات (وهى طقوس تستهدف الحماية من الحرائق والأرواح الشريرة).

---

(١٨٩) أسبوع الآلام: انظر هامش المترجمة رقم ٧٩ . (المترجمة)

(١٩٠) الأربعاء والخميس والجمعة والسبت المقدسة من أيام أسبوع آلام المسيح عليه السلام – آخر عشاء قبل الصلب – الصلب – الدفن – القيامة. راجع هوامش ٧٩ – ٦١ . (المترجمة)

(١٩١) البلينى: من الأكلات الشعبية راجع هامش المترجمة رقم ٩٥ . (المترجمة)

(١٩٢) البيور: من المشروبات الشعبية راجع هامش المترجمة رقمى ٥٢ و ٩٤ . (المترجمة)

وعشية الفصح لم يكونوا يخرجون إلى الشوارع (لأن الموتى والشياطين وحدهم يخرجون إلى الشوارع فى هذا الوقت كما كانوا يعتقدون) ولم يكونوا فى هذا الوقت يطلبون من الرب أن يهبهم الصحة (لأن اليهود فى هذا الوقت يركعون مصلين للغفران عن خطاياهم بحق المسيح). وكانوا عشية الفصح ينتبهون مصغين لما قد يحدث من الظواهر الطبيعية وغيرها: فإذا ساد الهدوء ولم تنبح الكلاب فهذا عام الخير، وإذا نبح كلب فى الليل من اتجاه ما، فستشتعل هناك الحرائق(١٩٣)، وإذا عوت الكلاب فى منتصف الليل فستنتشر الحرائق فى النصف الأول من العام، وبعد منتصف الليل فستنتشر الحرائق فى النصف الثانى من العام. والليل الذى يضيئه القمر فى الفصح ينبئ بعام فقير المحاصيل، أما الرعد فى اليوم الأول من عيد الفصح فيعنى أن العام سيكون موفور المحاصيل، والمطر يعنى سوء العاقبة مع المحاصيل. وكانوا يؤمنون أن الخيل "يتحدث" عشية عيد الفصح، وكانوا يذهبون إلى الجبانة لقراءة الطالع، فإذا سمعوا ضوضاء فسيكون هذا عام الحرائق. والحلم عشية عيد الفصح يعد حلماً نبوياً.

وفى بعض القرى كانوا فى اليوم الأول للفصح يقيمون الصلوات فى البيت، حيث يحتفظون بالشمعة الطقسية للأسلاف ويضيئونها فى هذا اليوم (انظر شمعة). وإلى جوار الشمعة كانوا يضعون "أتيان شبكا" (عند الموكشا والإرزيا) (أى : شبكة الأسلاف)(١٩٤) لجمع القطع النقدية المعدنية والبيض. وكان الموردڤ يصلون فى البداية لعيد الفصح، ومن ثم للأسلاف (يشكرونهم لحضورهم ومشاركتهم فى الاحتفال بالعيد، ويسألونهم المحصول الوفير والبركة)، ويأخذون فى عَدِّ الأصناف المختلفة لوجبات العيد (والتى كان من الحتمى أن تتضمن العصيدة الطقسية). وكانوا يطلبون من الأسلاف

---

(١٩٣) يلاحظ القارئ الخوف الشديد من الحرائق وتكرار الحديث عن طقوس وصلوات تكرس لدرء الحرائق وصلوات تُقام لإلهة الرياح لتهدئة الرياح وصد العواصف، ومن المؤكد أن هذه الظاهرة مرتبطة بالكثافة البالغة للغابات فى روسيا، فإذا اشتعل حريق يهدد بكارثة وطنية من احتراق الغابات بما فيها من ثروات من الخشب والحيوانات والنباتات ومناحل وغير ذلك من فوائد للإنسان وبشكل خاص البدائى. (المترجمة)

(١٩٤) شبكا: راجع شبكا فى هامش المترجمة رقم ١١٠ . (المترجمة)

حمايتهم من كل أنواع الشر ومنحهم المحاصيل الوفيرة وخصوبة الماشية. وكانوا يدورون حول المنزل ممسكين بشمعة الأسلاف. ومن عادتهم أنهم كانوا يغطون شمعة الفتاة حديثة الزواج فى عيد الفصح بمناديل بيضاء.

وكانوا قبل غروب الشمس فى عيد الفصح يودعون الموتى عادة حتى أسوار القرية أو البيادر المجاورة، ويفرشون لهم الأسرة هناك ويقدمون لهم الشبكا بما جمعوا فيها من نقود وبيض ومع كل هذا شمعة الأسلاف. ويطعمونهم للمرة الأخيرة، ويخربشون العملات النقدية بسكين (معتقدين أن الأسلاف فى العالم الآخر سيحتاجون لدفع ثمن نقل هذه الأشياء أو لدفع ثمن المبيت فى مكان ما على الطريق)، ومن ثم يسألونهم التوجه إلى مكانهم. ومن خلفهم كانوا يطلقون الأعيرة النارية من بنادقهم لتنظيف المكان من الشياطين، لأن الشياطين كانوا يخافون، وفق معتقدات الموردف - الضوضاء التى تحدثها البنادق عند إطلاق الأعيرة النارية منها. ثم يزحلقون إلى الجبانة بيضة للأطفال الموتى ليلعبوا بها فى العالم الآخر.

ويتكون إفطار عيد الفصح عادة من البلينى الشعبية المصنوعة من الحنطة، والفطائر والبيض الملون. وكانوا يضعون البيض الملون عند الأيقونات (طلبًا للصحة لأنفسهم) وعلى أطر النوافذ (رحمة للموتى). وكانوا يمرون على البيوت لجمع البيض (يقوم بذلك فى الفجر الشباب وفى أثناء النهار الأطفال).

وكانوا ينتبهون ويستخلصون النتائج: فإذا كان الولد أول من يتقدم لرسم الصليب، فسيكون العام خيرًا على صاحبته، وإذا كانت البنت أول من يتقدم، فلن يكون العام موفقًا كما ينبغى. وإذا حدث وكانت البنت هى مَنْ تقدم، كانوا يطلبون من البنت الجلوس على بيض الدجاج حتى يفقس أكبر عدد من البيض. وكانوا فى العادة يقدمون لأول شحاذ يقابلونه فى عيد الفصح البلينى معتقدين أن هذا السلوك تكريمًا للسيد المسيح شخصيًا. وكانوا ينسبون إلى البيض الملون المقدس قدرات سحرية (انظر "آل البيضة").

وفى يوم الفصح كانوا يفرضون على أنفسهم أشكال التحريم المختلفة: يحرمون العمل (خطيئة)، ويمتنعون عن الشروع فى عمل شىء ويتجنبون قص الشعر، والبكاء على الميت الذى يدفن فى هذا اليوم، على العكس يجب الإحساس بالفرح لأن هذا الميت سيكون مصيره الجنة، ويحرمون على المرأة المشى حافية القدمين (لأن هذا يعرقل دخول الموتى للبيت)، ويحرمون أيضًا الذهاب إلى الجبانة لزيارة الموتى (لأن الموتى يذهبون أنفسهم إلى البيت فى هذا الوقت). ويحرمون إلقاء أى شىء من النافذة منذ بداية عيد الفصح وحتى عيد صعود السيد المسيح عليه السلام إلى السماء - فقد يصطدم هذا الشىء بالرب وسيعاقبك على هذا، وللحصول على محصول وفير يجب تجنب إضرام نار منذ عيد الفصح وحتى انتهاء موسم بذر البذور.

وفى أيام عيد الفصح كانوا فى كل مكان يقيمون الألعاب المختلفة باستخدام البيض الملون، ويمارسون التزلج على المسطحات الخشبية ويزورون المقربين من الأهل. وعند الإرزيا فى قرية كاردافلى يسمون اليوم الثانى من عيد الفصح "كوتشيمليان ياكافتام تشى" (أى : يوم دعوة الناس على شوربة الخنزير). وبعد الطرابيزة (الطعام/المترجمة) كانوا يقيمون الصلاة.

وعند انتهاء الفصح كانوا يعدون الوجبات ويصلون ويدعون الفصح للجلوس معهم على المائدة ومشاركتهم طعامهم. وكانت طقوس توديع الفصح تختلف باختلاف الأماكن. ففى قرية كاردافلى كانوا على الطرابيزة يمارسون طقوسًا محددة: كانوا يأخذون بعض الطعام من كل طبق ويتوجهون إلى باب البيت ويطلبون من الفصح الخروج من المنزل. وكانت كل القرية تودع الفصح (حتى أسوار القرية). وفى بعض القرى كانوا يلقون ببيضة خلف الفصح المغادر ويطلقون الأعيرة النارية ويلعبون ويمرحون ويغنون. وكانوا يطعمون الخيل خبز الحنطة الذى يعدونه خصيصًا لهذه المناسبة ويأكلون منه طوال أسبوع الفصح.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966.

العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، صارنسك، ١٩٦٦ .

F

Fire/Flame / النار/ الشعلة

(TOL, M-E)

النار/الشعلة رمز مزدوج الطبيعة: فهى من ناحية صورة للهيب المرعب المدمر للموت، ومن ناحية أخرى صورة للضوء والنور والدفء، فضلاً عن كونها النار التى تطهر الناس من الأمراض المختلفة. والنار "الحية" تستخدم لحماية الناس والحيوانات من الأرواح الشريرة والأمراض. ومن عادات الموردف عند توديع الموتى أنهم كانوا يشعلون النار التى يسميها الموكشا فى هذه المناسبة "أود تول" (أى النار الجديدة) التى كان يقفز فوقها كل المشاركين فى دفن الميت، وكانوا ينفضون المناشف التى استخدموها فى طقوس الدفن فوق النار. وفى يوم رأس السنة (بالتقويم القديم)[١٩٥] كانوا يقفزون فوق النار. وكانوا فى الأفراح يدورون حول حوض العجين قبل البدء فى العجن، وحول تورتة الفرح وهم يمسكون بالمشاعل، ويستهدف هذا الطقس منع الدوشمان (الروح الشرير) من إفساد العجين والتورتة، وكانوا يلوحون بثياب العروس فوق النار، وفى بعض المناطق كانوا يلوحون فوق النار ببيرة العرس قبل تقديمها.

وكانوا يضفون طابعًا سحريًا على النار التى يستخدمونها فى أثناء الصلوات التى يؤدونها فى شهر يوليه عند ظهور القمر الجديد، ويعتبرون – على سبيل المثال – أن هذه النار تمنح الصحة للخيل. وقربانًا للنار كانوا يشوون معزة، وكانوا أيضًا يجرون الحصان ليقف فوق حفرة تصدر عنها نار حامية يضرمونها بحك عارضتين خشبيتين رباعيتى الجوانب ببعضهما بعضًا. وكانوا يعتبرون أن هذه النار مقدسة، وظلوا لعهود طويلة يعبدونها حتى بعد دخول المسيحية.

وعندما يحددون موعد الصلاة العامة على شرف إضرام النار الجديدة، كانوا يوصون كل أصحاب البيوت بإخماد النار القديمة ببيوتهم، وأخذ شعلات من النار الجديدة من

(١٩٥) التقويم القديم : راجع هامش ٦٦ . (المترجمة)

مكان إقامة الصلوات، وعادة ما كانوا يحرصون على استمرار هذه الشعلات فى الاشتعال طوال العام. ولوحظت عادات مشابهة لعبادة النار القديمة فى طقوس لقاء العروسين فى منزل العريس بعد الزواج، وبشكل خاص فى طقس إلقاء طاسة بها فحم مشتعل تحت قدميهما، معتقدين أن هذا يحميهما من أية أضرار أو أذى.

وفى عهود لاحقة تحول رمز النار المقدسة ليصبح "أتيان شتاتول" (عند الموكشا) (أى: شمعة الأسلاف) التى كانوا يضيئونها "للتطهير" بإحراق شعر الجبين عند الرجل وشعر الصدغ عند المرأة.

ولابد أن تنتمى إلى التصورات الميثولوجية القديمة للموردف صورة الأفعى النارية التى تتجسد فيها روح الميت، والتى تتسلل إلى البيت عبر أنبوب المدخنة وتقيم علاقة جنسية مع الزوجة السابقة للميت.

وكانوا يخمدون النار العاصفة بقراءة تعاويذ خاصة وباستخدام بيض عيد الفصح (انظر "آل" "البيضة") وأيقونة "الأجمة المشتعلة". والنار التى تشتعل بسبب البرق والرعد يخمدونها باستخدام حليب بقرة سوداء. والأصوات التى تصدرها النار فى أثناء اشتعالها كانت تبعث فى نفس الموردف اعتقاداً بأنها لغة النار التى يفهمها من الناس، فى تصورهم، مَنْ يملك مواهب خاصة، والذين لهم سلطة على النار وبوسعهم إخمادها بقوة الكلمات التى يرددونها.

وكان هناك محرمات مختلفة مرتبطة بالنار: لا يسمح للمرأة الحامل بالنظر إلى النار (وإلا تظهر البثور على وجهها، أو تلد طفلاً بوجه محترق أو بجلد أحمر)، وكانوا يحرمون الغسيل يوم الجمعة قبل عيد الفصح حتى لا يغضبون النار وإلا ستشتعل الحرائق، ويحرمون إضرام النار منذ عيد الفصح وحتى موسم بذر البذور وإلا سيكون المحصول هزيلاً، وغير ذلك من محرمات.

وكانوا يستخدمون كلمة النار فى التعاويذ السحرية حول الحب. ويعتقدون أن رؤية النار فى المنام تفضى إلى المشاحنات وإلى الفاقة.

المراجع :

(1) Mozharovsky A. Istoriya obrazovaniya prihoda sela Selishch Sergachskogo uezda Nizhegorodskoi eparhii// Nizhegorod. Eparh. Ved., 1890 no. 20.

(2) Evsevyev M. E. Izbr. Tr.T. 5 Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966.

(3) UPTMN : Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981.

(١) تاريخ نشأة أبرشية قرية سيليشى سيرجاتشس/أبرشية نيجنى نوفجورود/ نيجنى نوفجورود، المجلد ٢٠، ١٨٩٠ .

(٢) الأغنية الموردقية، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٧، الجزء ٣ - الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

قراءة الطالع / Fortune-telling

(gadayamo, orozheyamo, E و gadadondama, M)

قراءة الطالع طقس يُقدمون عليه لمعرفة ما يخبئه المستقبل بالاستعانة بقوة غيبية أسطورية، وتتردد "قراءة الطالع" فى الأغانى وفى مصادر القرن الثامن عشر وفى طقوس الدفن وإحياء ذكرى الموتى وفى طقوس الأفراح العشائرية، وتتردد أيضًا فى الصلوات الوثنية. وقراءة الطالع ممارسة فردية بشكل رئيسى ونادرًا ما تحدث على نحو جماعى. ويمارس قراءة المستقبل البنات أكثر من غيرهن، وبشكل أقل السيدات، وسُجلت أيضًا ممارسات قراءة الطالع على نحو جماعى بين الصبية والرجال (عادة ما كانت تدور حول المحاصيل).

وانتشرت قراءة الطالع: (١) فى المناسبات الخاصة (٢) وكانت أيضًا من العادات اليومية (٣) وأحيانًا عند الحاجة لذلك. وبعد انتقالهم إلى المسيحية انتقلت قراءة

الطالع فى المناسبات الخاصة (نفسها التى كانوا يمارسونها فى أثناء الصلوات الوثنية) إلى: الأعياد المسيحية الرئيسية (رأس السنة وفق التقويم القديم والكريسماس وعيد الغطاس وعلى نحو أندر فى عيد القديس بيتر (١٢ يوليه) وإلى: المناسبات العائلية (فى الأفراح - إحياء ذكرى الموتى - الولادة - الانتقال إلى بيت جديد). وكان الموردڤ يصدقون ما يأتى به قراءة الطالع فى هذه المناسبات ويعتبرونه يحدد مصائر الناس، وأنه بمراعاة : استخدام أدوات خاصة واختيار المكان الصحيح والزمان الصحيح بوسعهم عبر استدعاء أرواح الموتى من الأجداد وبمساعدة الأرواح الشريرة إقامة قناة تواصل خاصة وعلاقة مع العالم الآخر وتلقى "إشارات" من هناك عن مصائرهم[(١٩٦)]. وفى ارتباط بهذه المعتقدات والممارسات، ولأن الوساطة مع الغيب لا غنى عنها لمعرفة المستقبل، كان الوعى الشعبى يعتبر قراءة الطالع فى المناسبات الخاصة طقساً مرعباً يزيح الستار عن أسرار محددة عن مصائرهم يلفها الغموض ويطويها الغيب، وأن تقريب عالم الغيب لعالم الناس يحمل فى طياته خطر دمار نظام الكون والاتساق الأرضى. ولم يكن من قبيل الصدفة ممارستهم فى هذه الأثناء لطقوس وقاية وحماية : فكانوا يرسمون دائرة حول المكان الذى يقرأون فيه الطالع (معتقدين أنها تقيهم شر الأرواح الشريرة)، ويجلسون داخل الدائرة ثم يشرعون فى قراءة الطالع. وحتى لا تخنق الأرواح الشريرة القائم على قراءة الطالع، كانت كل خطوة تتم بسرعة (فقد كانوا يحرمون الاتصال الطويل بعالم الغيب)، وللسبب نفسه كانوا يحطمون المرآة المستخدمة فى قراءة الطالع مباشرة إذا عكست صورة الشخص موضوع الطالع. ولكنهم على الرغم من هذا لم يكونوا يعتبرون أن قراءة الطالع فى المناسبات الخاصة خطيئة، وإنما سلوك شعبى تقليدى.

وعند قراءة الطالع فى المناسبات الخاصة بهدف البحث عن تواصل مع قوى العالم الآخر كانوا يؤدون طقوساً ذات طبيعة سحرية: مثل إطلاق الشعر وخلع الحزام

(١٩٦) قناة اتصال خاصة بين عالمنا والعالم الآخر: يلاحظ القارئ أن هذا نفسه ما يفعله بعض المصريين حين "يستحضرون الأرواح" فى طقوس مليئة بضروب مختلفة من السحر . (المترجمة)

والتخلص من أشياء الزينة (وبعد دخولهم فى المسيحية كانوا يخلعون الصليب الداخلى؛ لتنطلق الأرواح الشريرة). وكانوا يمارسون قراءة الطالع فى صمت، ويذهبون سراً إلى المكان المحدد لذلك حتى لا يراهم أحد، لأن لقاء أى إنسان على الطريق إلى مكان قراءة الطالع دون أن يكون هذا متفقًا عليه مسبقًا تحمل معها نذر سوء الحظ. (وكانوا أحيانًا فى حالات قراءة الطالع بشكل عرضى، يستخدمون الغريب العابر لمعرفة اسم زوج المستقبل). وكانوا كقاعدة يختارون لقراءة الطالع مكانًا مظلمًا "غير طاهر" (كالحمام أو الزريبة)، مكان يَحُده شىء ما (بوابة - بئر - تقاطع طريق، وتقاطع الطريق بشكل خاص ينطوى على رموز عميقة الدلالة). وكانوا يعتبرون أن الوقت المبشر بحظ أوفق فى قراءة الطالع هو الليل (قبل منتصفه) ومنتصف الليل، وفى أحيان نادرة قبل شروق الشمس (عادة فى الصيف). وأكثر أوقات السنة قراءة للطالع هو الكريسماس. وحول موضوعات قراءة الطالع انتشرت أكثر من غيرها موضوعات الزواج والحياة والموت والثراء والفاقة والمحاصيل - غزيرة أم هزيلة. وكانوا يستخدمون أساليب كثيرة ومتنوعة لقراءة الطالع من ذلك على سبيل المثال: استخدام الرماد (فمن يتناثر الرماد لديه ويذره الهواء، فهو بالتأكيد سيموت بحلول الصباح)، وباستخدام الرصاص والقصدير المُذاب (فإذا تخثر وتشكلت منه دائرة - فمعنى هذا توقع زواج، وإذا اتخذ شكل صليب - فمعنى هذا توقع الموت)، وباستخدام الخبز (الفطائر وكِسر الخبز أو لبه: فمن تصبح لديه الفطيرة وقد امتلأت بالثقوب والوخزات - سيموت فى أثناء العام)، وباستخدام الشعر (فمن تختفى خصلة شعره من على إطار النافذة - سيموت) والمرآة (لرؤية زوج المستقبل)، وغير ذلك.

وعند قراءة الطالع حول الزواج كانوا يسعون أيضًا لمعرفة الوضع المادى لزوج المستقبل (تحشر الفتاة يدها فى أنبوب المدخنة فإذا لامست شيئًا مشعرًا خشنًا فسيكون زوجها ثريًا). وكانوا يستخدمون أيضًا لون الشعر لقراءة الطالع (فإذا انتزعت فتاة معصوبة العينين من معزة فى الزريبة خصلة صوف وتصادف أنها بيضاء اللون، فسيكون زوجها أشقر الشعر، وإذا كانت سوداء اللون فسيكون داكن الشعر).

وحول مكان الإقامة عند الزواج كانوا يقرأون الطالع: بالطرق على الباب (باستخدام الملعقة للطرق) ومن: نباح الكلب (من الاتجاه الذى يأتى منه النباح، فى هذا الاتجاه ستذهب الفتاة للزواج) ومن: القمامة التى يلقونها خصيصًا لهذا الغرض من مدخل البيت، وكانوا يحددون بقراءة الطالع عدد أطفال المستقبل، فكانوا يجرون قرمة خشب من بين أكوام الحطب، ويحصون ما بها من عقد (وبعدد العقد سيكون عدد الأطفال). ولغرض قراءة الطالع كانوا يستحضرون روح ميت من الأقارب (يعلقون فى الهواء بحضور روح الميت كتابًا مربوطًا بشريط، ويوجهون الأسئلة لروح الميت، إذا اهتز الكتاب فمعنى هذا أن الإجابة عن السؤال إيجابية - نعم).

وارتبطت بعض سبل قراءة الطالع بإلقاء الأشياء من فوق الرأس (وعبر المقشة التى يلقونها من فوق الرأس بعد أن يطهروها بالبخار فى الحمام كانوا يتنبئون بمكان الإقامة بعد الزواج). وحول السعادة كانوا يقرأون الطالع بالآثار التى يجدونها على جذع شجرة يتركونه فى ثلج الشارع (فإذا مر شخص فوق هذا الجذع وترك آثار أقدامه على الثلج فلن تتوفر السعادة المرجوة والعكس صحيح).

ولقراءة الطالع حول المحاصيل كانوا يستخدمون سبلاً عديدة: من ذلك استخدامهم لعيدان النبات (يرقد الصبية والرجال على أكوام من عيدان النبات ويتناولون عودًا بأفواههم - وبعدد الحبوب فى العود، سيكون عدد الحبوب لكل فرد من أفراد الأسرة). ويستخدمون أيضًا قطرات الندى المُثلج (تضع النساء خارج المنزل طوال الليل حزمًا من الخبز من أنواع الحبوب المختلفة، والخبز الذى تتساقط عليه قطرات الندى المثلج أكثر من غيره هو الذى ستنمو محاصيل الحبوب المصنوع منها أكثر من غيرها)، ويستخدمون أيضًا فى قراءة الطالع الصوت الذى يبلغ آذانهم من بعيد (كانوا يرقدون داخل دائرة يرسمونها بفرع شجرة بتولا أو بجاروف أو مكنسة لحمايتهم من الأرواح الشريرة، ويسترقون السمع: فإذا بلغهم صرير عربة مثقلة بالحمولة - سيكون المحصول غزيرًا)، ويستخدمون أيضًا البيض (انظر الـ "بيضة"). وكانوا يتنبئون بأحوال الطقس باستخدام الحَمَام الذى يطلقونه فى عيد الغطاس (فمن الاتجاه الذى يطير إليه سيأتى المطر)، وغير ذلك.

وكانت السبل الأكثر انتشاراً لقراءة الطالع هى"كولختسونتسدوما" (عند الموكشا) (استرقاق السمع للأصوات) : فنباح الكلاب والضوضاء الآتية من ناحية الجبانة يفسرونها بالحرائق، وطرق الفأس أو البلطة - الموت، وصرير العربة - طريق، والغناء - عرس ومرح، والبكاء - سوء حظ. وعدا هذا كثيراً ما كانوا يسترقون السمع تحت نوافذ المنازل المجاورة أو أحيانًا داخل هذه المنازل لكن دون الاشتراك فى الحديث، بل الاستماع فقط للآخرين. وكانوا يفسرون ما يسمعونه وفقًا للهدف المحدد لقراءة الطالع (فإذا تطرق الحديث إلى أخبار سعيدة - فمعنى هذا التفاؤل خيراً - والعكس معناه سوء الطالع).

ومن التقاليد الشعبية قراءة الطالع لتفسير المنام، ولضمان منام رائع كانت الفتيات يضعن تحت الوسادة أشياء لها خاصية سحرية (مفتاح - قفل - مرآة - مشط). وحتى ترى فارس أحلامها وزوج المستقبل، كانت البنت تغلق الجُب وتضع المفتاح تحت رأسها. وللهدف نفسه كن ينثرن الشوفان فى عبهن أو يضعن قفلاً تحت رءوسهن، ويرددن: "كاتك فاسيازى - بالازى أونتس شوفورى" (عند الموكشا) (أى: فليظهر لى زوج المستقبل).

واشتهرت بين الموردف قراءة الطالع فى أثناء العرس، وارتبط بعض هذا بمشاعر التفاؤل والتشاؤم من الحياة الجديدة التى تنتظر العروس مع زوجها، فكن فى الحمام يقرأن الطالع لمعرفة شخصية الزوج، فإذا ارتفع أزيز البخار فوق الأحجار - فزوج قوى الشخصية ساخن المشاعر والسلوك، وإذا انخفض - فزوج ضعيف الشخصية هادئ الطبع. وحول الزوج عند الإرزيا كن يقرأن الطالع باستخدام الفطائر التى تختلف عن بعضها البعض بالحشو الداخلى والتى يضعونها يوم العرس أمام العروس، (إذا تناولت العروس فطيرة محشوة بحشيشة الدينار - سيكون الزوج سكيراً[١٩٧]،

(١٩٧) الزوج السكير: كان وما زال فى روسيا أخشى ما تخشاه أى فتاة حول زوجها هو السُكر؛ إذ يتعاطى الروس المشروبات الكحولية بسبب البرد القارس، ويتحول الأمر فى أحيان كثيرة - بشكل خاص بين الرجال - إلى عادات سمر مصحوبة بسكر بيِّن ومن ثم إلى إدمان شديد للخمور على نحو يدمر الصحة ومعها العائلة. ولذا يتكرر هنا الحديث عن خوف النساء من الزوج السكير . (المترجمة)

وإذا تناولت فطيرة التف حولها من قبيل الصدفة بعض خيوط صوفية - فزوج ثرى، وفطيرة بالملح - حياة حزينة. وفى الكنيسة كانوا ينتبهون إلى الشموع، فمن تحترق شمعته أسرع من غيره - فعمره أقصر من الآخرين. وبعد العرس كانوا يقرأون الطالع حول الطفل القادم (كانوا يقطعون رأس الرغيف(١٩٨) المستخدم فى طقوس العرس ويقذفون به فى الهواء: فإذا سقط على الجهة المقطوع منها (أى يختفى اللُب ويظهر ظهر الخبز/المترجمة) فسيكون الطفل الأول بنتًا). وكانوا أيضًا يتعرفون على شخصيات العروسين عبر الظواهر الطبيعية: مثل الرعد والريح (ففى يوم الزواج تعنى الرياح الشديدة شخصيات قوية، ويعنى الرعد شخصيات انفعالية غاضبة).

وحتى يومنا هذا يمارس الموردف العديد من أشكال قراءة الطالع فى مناسبات مختلفة مثل الدفن (انظر كولوما) ومولد الطفل (انظر شاتشيما)، وعند الانتقال لمسكن جديد من قبيل التبرك. ويقرأون الطالع أيضًا فى أثناء القيام بأعمال الحياة اليومية (من ذلك على سبيل المثال: فى أثناء زراعة الكرنب، كانت البنات أحيانًا يزرعن خصيصًا ثلاث كرنبات ويطلقن على كل واحدة اسمًا لذكر، والكرنبة التى تنمو أفضل وأسرع وأقوى - تتنبأ البنت أن اسم زوجها سيكون الاسم الذى أطلقته على هذه الكرنبة). وعلى الطريق عند الذهاب لجمع توت الأرض(١٩٩) كانوا يقذفون فى الهواء بوعاء، فإذا سقط على الأرض مقلوبًا، فلن يجمعوا ما يكفى من توت الأرض، والعكس معناه التوفيق فى جمع التوت. وكانوا يقرأون الطالع على نحو عرضى (فإذا جلس شخص بين شخصين لهما الاسم نفسه، فستتحقق أمانيه).

---

(١٩٨) رأس الخبز: فى روسيا لا يعدون الخبز فى شكل دوائر كما نفعل وإنما مستطيلات مدببة الأطراف كالخبز الفينو لدينا ولكن بأحجام مختلفة بما فى ذلك أن يبلغ حجم الرغيف كيلو جرام، أو خمسة أو عشرة كيلوجرامات فى الأفراح والمناسبات المختلفة . (المترجمة)

(١٩٩) توت الأرض: انظر هامش المترجمة رقم (١٧٦) .

المراجع :

(1) Shakhmatov A. A. Morddovsky etnografichesky sbornik. SPB., 1910.

(2) Devyatkina T. P.2. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994.

(١) الأنثروبولوچى الوصفى للموردف، قضايا الإثنوجـرافى المـورداقى، شاخماتوف أ. أ. ١٩١٠ .

(٢) الأمـارات والإشـارات الشـعبيـة للموردف (الموكشـا والإرزيـا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

Funeral repast, remembrance party

حفلة التأبين/إحياء ذكرى الميت(٢٠٠)

(pominkat, M-E)

احتفال يقام على شرف الميت بهدف تذكره وتكريمه، وتكريم الأجداد الموتى. ويعكس التأبين بكل طقوسه إيمان الموردف بالآخرة، و بالتالى باحتياج الموتى فى العالم الآخر لأشيائهم الأرضية، ويعكس أيضًا العلاقة الميثولوجية بين الموتى والأحياء. ووفق العادات الوثنية، يقيم الموردف التأبين ست مرات متتالية أيام السبت، ومع دخول المسيحية

(٢٠٠) حفلة التأبين/إحياء ذكرى الموتى : Pominka بالروسية تعنى التأبين وتذكر الميت، وتعنى أيضًا الأطعمة التى تقدم بهذه المناسبة؛ إذ يعد المسيحيون الروس أطعمة جنائزية فى احتفال مهيب عند تأبين الميت أو احتفالاً بذكراه. فقبل دفن الميت يضعونه فى التابوت فى أبهى ثيابه وزينته فى غرفة بالمنزل، ويدورون حوله لتوديعه، وفى غرفة مجاورة يعدون وليمة من وجبات طقسية خاصة بهذه المناسبة بما فى ذلك المشروبات الكحولية، ويقفون حول المائدة يرفعون الكؤوس ويشربون على شرفه معددين مناقبه ذاكرين لقطات طيبة من شريط علاقاتهم به. ومن ثم ينقلونه إلى المدافن. وعندنا فى مصر يخبز الناس نوعًا خاصًا من الخبز يقدمونه للفقراء عند زيارة الميت، ويطبخون فى المنازل لإطعام الأقرباء ممَّنْ شاركوا فى الجنازة، بيد أن هذا لا يدخل عندنا فى باب الطقوس الدينية المُلزِمة كما يحدث فى روسيا وإنما للقادرين على هذا وحسب . (المترجمة)

أصبحوا يقيمون التأبين وفق عادات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (اليوم الثالث والسادس والأربعين). ومع ذلك ففي العديد من المناطق التى يعيش فيها الموردف (الموكشا والإرزيا) مازالت الوثنية قائمة ومؤثرة بكل طقوسها وهكذا جنبًا إلى جنب مع الطقوس المسيحية التقليدية لتَذَكُّر الموتى يقيمون طقوسهم الوثنية؛ ففى منطقة طامبوف على سبيل المثال يقيمون التأبين فى اليوم الخامس، وفى منطقة صاراتوف ليس مسموحًا النوم قبل الاحتفال بالميت، وإلى يومنا هذا فى مناطق عديدة يضعون على أطر النوافذ فى اليوم الثالث طعامًا للميت.

ويوم الأربعين هو أهم احتفالات التأبين ويسميه الإرزيا "كولين بورا" (وقت الميت). وكانوا يعتبرون أن روح الميت تظل بالبيت طوال أربعين يومًا، تأكل وتشرب بين الأهل والأقارب، وفقط بعد انتهاء هذه الفترة ترحل إلى العالم الآخر. وفى الرثاء يقال إن ملاكًا من ملائكة الرب يأتى ويأخذ روح الإنسان إلى السماء حيث يُحدد مكانه. وحتى الأربعين كانوا يتمسكون بمجموعة من المحرمات: ممنوع كنس الأرض حتى لا تصطدم بأرجل الميت، ممنوع تغطية مهد الطفل بأى شىء كان، حتى لا يصطدم الغطاء بالمتوفى عند هز المهد. وفى منطقة جاراديش يتمسكون بعادة استمرار وضع كوب الميت وملعقته على الطاولة، وبمكانه فارغًا حول المائدة حتى الأربعين. وطقوس يوم الأربعين تظل نفسها طقوس الأيام السابقة عليه، مع إضافة إنهاء هذا اليوم بتوديع الميت إلى مستقره الأخير. وفى هذا الصدد كانوا يقيمون الطقوس المختلفة التى تتميز بخصوصيات شديدة المحلية لدى كل من الموكشا والإرزيا.

وكان الموكشا من منطقة طامبوف يذهبون إلى الغابة عشية هذا اليوم على ظهر حصان الميت ويقطعون الشجرة التى يقف أمامها الحصان، ويجرونها للبيت وينزعون عنها الجذل ليجعلوا منه مقعدًا "فاستوزاما موكر"، يجلس عليه ممثل الميت (انظر ممثل الميت، وانظر أيضًا فاستوزاى) فى التأبين. وفى محافظة صاراتوف كانوا يذهبون قبل هذا اليوم على ظهور الخيل إلى الجبانة لدعوة الميت والأجداد إلى البيت، وكانوا يعدون للميت فراشًا يجلس عليه ممثل الميت. وأحيانًا كانوا قبل التأبين يضرمون النار فى

الحمام ويدعون الميت وكذلك الأجداد الموتى (بأن يخربشوا على عملة نقدية ويدعوا كل جد باسمه) للاستحمام. وتستهدف هذه الطقوس غسل الموت (صده/المترجمة)، واسترضاء الأسلاف، والتوسل إليهم أن يلقوا الميت بالود والحب.

ومن العادات المتعلقة بهذا الحدث أنهم كانوا فى الأربعين يذبحون ضحية من الحيوانات: ففى ذكرى الميت يذبحون خروفًا أو ثورًا، وفى ذكرى الميتة يذبحون بقرة أو معزة، وكانوا يفسرون هذه الطقوس باعتبارها نوعًا من تقديم الدعم للميت لمساعدته على تدبير شئون منزله فى العالم الآخر. وأحيانًا كانوا يضحون بحصان الميت، بيد أن هذا نادرًا ما كان يحدث، لأنهم كانوا على حصان الميت يلتقون بالموتى لتأبين الميت معهم ومن ثم يودعونهم. وعلى سبيل المثال فى منطقة إنصار بمحافظة بنز وفى أماكن عديدة أخرى كان ممثل الميت يرتقى حصانه ويذهب إلى الجبانة، ويقص هناك من ذيل الحصان خصلة شعر يلقيها على قبره ويردد: "ها حصان لك استخدمه ولا تعطه لأحد".

وقبل ذبح الأضحية كانوا يقومون بطقوس سحرية مختلفة : فكان الإرزيا يطعمون الحيوان بكثرة ويلفون بدنه بمنشفة (كان الموكشا يلفون القرون)، ويقفون أمام الحيوان يسألونه أن يغفر لهم ذبحه، ويعدونه بتزويده فى الحياة الآخرة بالكثير من التبن والدقيق. كانوا يبكون الحيوان ويقبلونه، ويطلبون منه أن يسأل سيده الميت فى العالم الآخر الصحة والعافية للأحياء.

كانوا أيضًا يجمعون دماء الضحية فى وعاء، ومن ثم يصبون الدماء فى أوعية طبخ الوجبات الطقسية الخاصة بالتأبين، أما الرأس والأرجل فكانوا يدفنونها فى قبر الميت عند توديعه، ويعلقون الفراء على الباب. وفى أثناء الطرابيزة (بمعنى : الطعام/ المترجمة) كانوا يمتنعون عن الحديث. وبعد حك كوب الميت وملعقته وملابسه، كانوا يجمعون كل ما تبقى من الأكل ويلقون به فى حفرة القمامة، ويكررون الطقس نفسه فى اليوم التالى.

وعند دفن الميت كان الموردف يضرمون النار، التى يجب إضرامها بحك قضيبين من الخشب ببعضهما، وأن يكون الحطب المستخدم لإضرام النار من الشجرة نفسها التى أتوا بها من الغابة وجزوا جذعها ليصبح مقعدًا لممثل الميت.

وتسمى هذه النار "أود تول" (عند الموكشا والإرزيا) (أى النار الجديدة) أو "براشاما تول" (عند الموكشا) (أى نار الوداع). وحول هذه النار يلتف المشيعون، ويقفزون فوقها ويغنون أغانى طقسية ممسكين بالشموع الموقدة. وكانوا يحركون الشموع حركة دائرية فوق رءوسهم ويشدون بضع شعرات من رءوسهم أو ذقونهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن الميت سيكون بحاجة إلى هذه الشعرات لبناء جسر إذا صادفه على الطريق للآخرة بحر. وفى أثناء دفن الميت كانت المسنات من السيدات يشاركن أحيانًا ممسكات عظامًا ملساء، وحين يتوجهن إلى المقابر كن يرددن كلمات الوداع ويلقين بهذه العظام ويعدن مسرعات إلى الحشد الآخر من المشيعين الذين لم يشاركوا فى الدفن. وكان الموردف يعتقدون أن مَنْ يتخلف فى المقابر سيموت قبل غيره. وتشير المواد المتوفرة عن عام ١٨٧٦، أنه عدا إلقاء العظام والعودة بسرعة كان من بين طقوس الموكشا إجراء نوع من المصارعة أو المنازلة بين سيدتين (إذا كان التأبين على شرف سيدة) أو رجلين (إذا كان التأبين على شرف رجل) ، ويعتقدون أن من يخسر سيموت قبل مَنْ ينتصر.

وفى منطقة كراسناسلابودسك كانوا فى مساء الأربعين يذهبون إلى الأقرباء لتأبين الميت، وكانوا أيضًا بعد توديع الميت يغنون أغانى قديمة، ويسألون الميت، عبر ممثله، ألا يعاود الظهور بين الأحياء.

ولا تختلف كثيراً طقوس تذكر الميت التى كانوا يقيمونها بعد مرور نصف سنة على الوفاة ومن ثم بعد سنة على الوفاة عن تلك التى كانوا ينظمونها فى الأربعين. وكان الموردف تكريمًا للميت فى العام الأول لوفاته يتركون للرجل صاحب البيت شريطًا من الأرض لا يحصدونه فى حقل الحبوب (عادة الشريط المجاور للطريق)، وتكريمًا للمتوفاة صاحبة البيت يتركون شريطًا من القنب أو الكتان. وإذا تصادف تزامُن تَذَكر الميت مع مواعيد حصاد محصوله، كانوا ينحرون ثوراً بعد تغطية عينيه بمنديل أبيض، ومن ثم يتوجه المشيعون إلى الحقل ويحصدون الشريط الذى تركوه من الأرض ويربطون المحصود فى حزم (لا تزيد عن خمس) يتركونها فى الحقل مع السنديان

المستخدم فى الحصاد. وكانوا يتصـورون أن مَنْ يلمس هذه الحـزم يمكن أن يمـوت. وفى بعض الأمـاكن كانوا يصنعـون حزامًا من القش تضعـه الأرملة طوال النـهار على خصرها. وعند حصـاد شريط الميت كان الإرزيا يضـعون السنديان على نصله، ويلقون بالسنابل أو أكواز المزروعات التى حصدوها خلف ظهورهم مطيحين بها من فوق رءوسهم. وفى أثناء هذا الطقس الذى كـان يشـارك فيـه كل الأقـارب، كـانوا يتناولون الوجبـات الطقسية مرتين. وفى محـافظة صـاراتوف كانوا يتركون للميت شريطًا لا يحصدونه من كل مـا يزرعونه. ومن المعتاد أيضًا تذكر الموتى فى الأعياد والمناسبات العائلية الكبرى مثل الزواج والتعميد وغير ذلك.

المراجع :

(1) Premerov A. Religioznye i suevernye obychai mordvy Krasnoslobodskogo uezda//Penz. Eparh. Ved 16 1870.

(2) Orlov N. P. Mordva-Moksha//Penz. Guber. Ved 107-108 1876.

(3) Milkovitch. Byt i verovaniya Mordvy v kontse XVIII stoletiya// Tamb, epath. Ved. 18, 1905.

(١) الطقـوس الدينيـة والخـرافـات عند المـوردڤ فى منطقـة كـراسنـاسـلابودسـك. أبرشية بنز ١٨٧٠، بريميروف أ.

(٢) الموردڤ الموكشا، محافظة بنز ١٨٧٦، ١٠٧ – ١٠٨، أرلوف ن. ب .

(٣) حياة الموردڤ ومعتقداتهم فى نهـاية القرن الـ ١٨، أبرشية طامبوف، ١٩٠٥ – ١٨ ، ميلكـوفتـش.

G

شبح الميت/ الطيف Ghost of the deceased/spectre/

(Chopacha, E و Shopacha, M)

شو باتشا (عند الموكشا) وتشو باتشا (عند الإرزيا) هو شبح الميت – طيف – شيطان – لوحة – صورة فوتوغرافية، وفى قاموس باسونن: هو طائر يحلق فى الشفق يشبه الوقواق من حيث حجمه ومظهره.

وإذا لم تُقَدَّم للشبح أضحية يتحول إلى طيف هائم على وجهه. وكان الموردف يؤمنون أن الطيف يدخل إلى الحلم، ويأتى فى أيام التأبين. وفى الأساطير: الطيف كائن شفاف يظهر فى صورة إنسان، ويمرح مع الفتيات، ولكن الأشباح لا تظهر ظهورهم أبداً (لم يكن لهم ظهور، وكانت كل أعضائهم الداخلية مكشوفة للعين). وبوسع الشبح التحول إلى خنزير أو مكنسة. والأشباح تحب المرح والأفراح وترقص ببراعة.

والمقصود بالشبح فى منطقة بوجوروسلان: شبح الحى وشبح الميت. فحين يغيب زوج لفترة طويلة عن منزله، أو حين يشتاق الناس إلى آخرين بعيدين عنهم، تتراءى لهم أشباحهم وتعذبهم. ويظهر الشبح عند فراش الناس، ويخبط على جدران المنزل ويمسك بأرجل النائم ويجره على الأرض. ولطرد الشبح كانوا يعلقون على رقبة الشخص المُطارد قطعة من كبد كلب أو خنزير، وقطعة من الفحم النباتى المُستخدم فى شى خنزير، وفى هذه الأثناء يردد الساحر تعويذة يرد فيها أن على الشبح ألا يخشى شيئاً وأن أحداً لن يقتله. وفقط بوسع حكيم عجوز يحيا فى قاع الماء العظيم فى منزل من الثلج أن يطرد الشبح ويحشره فى حفرة عفنة.

ووفق بعض الحكايات كانت الأم، لمنع طفلها الميت من العودة إلى المنزل فى شكل شبح، تضع على رأس فراشه مشطاً وتردد: "من هذا الجانب البحر، ومن الجانب الآخر القصب".

وفى بعض القرى، وحتى لا يبقى شبح الميت فى المنزل بعد رحيله، وفى أثناء حمل تابوته خارج المنزل (إلى المقابر) كانوا فى هذه الأثناء يوجهون ضربات إلى المكان الذى رقد فيه الميت قبل وفاته مستخدمين فى ذلك فأسًا أو سكينًا. وللغرض نفسه يقوم الناس فى محافظة سيمبيرسك برش مكان الميت بالرماد ومن ثم يغمدون فيه سكينًا.

ويمكن لشبح الميت أن يتحول إلى نار؛ أى أن يقوم الميت من قبره متخذًا هيئة النار ليمتص دماء الأحياء ويميتهم. ويمكن إعادة الميت للحياة برسم دائرة حول جثمانه باستخدام دم عجل أسود. وكان الموردف يعتقدون أن بوسعهم التخلص من الشبح الشرير إذا غرزوا فى جثمانه إبرة مكبح لعجلة عربة ظلت فى مكانها نفسه فى العربة نفسها طوال سبع سنوات.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952

هارفا يو : التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

كوفافا الإلهة الحارسة للقمر / Goddess of Moon

(Kovava, M-E) (Kow القمر و ava امرأة/أم)

لدى كوفافا زوج هو كوفياتا (عند الموكشا) وكوفباز (عند الإرزيا) (رب القمر). ووفق معتقدات الموردف تتحكم كوفافا فى الزمن وترى كل شىء يجرى على الأرض، وعليها تعتمد بدرجة ما صحة الناس. وارتباطًا بهذا كانوا يقيمون الصلوات على شرف كوفافا متوسلين إليها أن تهبهم الصحة. وعادة ما يصور الفلكلور كوفافا برفقة الشمس، ولكن بمقارنتها بالشمس كانت عبادة كوفافا أقل حظوة بين الناس، الأمر الذى ينعكس فى المحرمات المختلفة المرتبطة بالقمر (انظر كوف).

أنجى باتيا / Goddess-Mother of Gods, patroness of love and marriage

أم الآلهة وإلهة الحب والزواج

(Ange Patyay, M-E) (Ange اسم علم، patyay, E الأخت الكبرى/العمة/الخالة)

هى عند الموردف الإرزيا فى منطقة نيجنى جورود أم الآلهة والإلهة الحارسة للحب والزواج، الراعية لولادة الأطفال وحارسة صحة المولود والطفل. وعند الموكشا فى منطقة كافيلكين يعتبرونها ربة الخصوبة والصحة. وتشير أساطير الإرزيا فى منطقة نيجنى جورود إلى أنها الإلهة الوحيدة التى خلقها تشيباز (إله الشمس) من بيضة دهسها الإله فخرجت أنجى باتيا، وهى التى خلقت بدورها كل الإلهات والآلهة الأخرى. وهى زوج تشيباز أيضًا. وتتمتع أنجى باتيا بشباب أبدى ممتلئة قوة وحيوية وجمالاً، ترعى الحياة فى كل أرجاء الدنيا، وتُعَدّ عذراء طاهرة، حارسة العذارى والعفة. أنجبت أنجى باتيا من تشيباز ثمانية أبناء (أربعة آلهة وأربع إلهات) ورغم ذلك ظلت عذراء. ووفق معتقدات الإرزيا فى نيجنى جورود تعيش أنجى باتيا فى السماء وفى الأرض. يقع مستقرها خلف السحاب ويمتلئ بمختلف بذور المزروعات وأجنة الحيوانات المنزلية والبرية، وكذلك أرواح ناس لم تولد بعد. من هذا المقام الإلهى تصب أنجى باتيا على الأرض الحياة التى تتسلل إلى قطرات الندى والأمطار والثلوج والبرق الخفيف، والأخير هو أحب أحفاد أنجى باتيا المساعدين لها وأكثرهم خصوبة.

وأنجى باتيا عندما تهبط من السماء للأرض تتحول من شابة إلى عجوز قوية على نحو خيالى (تتقوس الأرض تحت أقدامها، وتخلف آثارًا على الصخر). وأحيانًا تهبط أنجى باتيا إلى الأرض فى هيئة طائر كبير بذيل ذهبى طويل، ومنقار من الذهب يلامس الأرض وينثر الحبوب فى المروج. وتتخذ أنجى باتيا أيضًا مظهر حمامة ثلجية البياض تلقى من عل الزهور للنحل حتى يزداد عسله، وفتافيت الخبز للدجاج. ويرى الناس ظلها فقط عندما تزور الغيطان.

ومن بين كل المزروعات كانت ترعى بشكل خاص الذرة العويجة(٢٠١) والكتان لخصوبة محاصيلهما، وأيضًا البصل والثوم. وكان الناس يضعون الثوم تحت وسادة الوليد بعد تعريضه للبخار الضاعد من غليان قشر البصل. وأنجي باتيا تُعَدّ أيضًا حارسة الغزل، وهي تغزل بنفسها من خيوط الكتان فوق عرف ديك فضي بمغزل ذهبي تغزل أشكالاً على قمصان أبنائها الآلهة. ويعتقد الإرزيا في منطقة نيجني جورود أن نسيج العنكبوت الطائر في أيام الخريف المشرقة هو من غزل أم الآلهة أنجي باتيا.

وترسل أنجي باتيا إلى الأرض خَدَمها ومعهم أجنة حيوانات وأرواح ناس، وتوجد بنفسها، غير مرئية، عند ولادة الأطفال، وليس من النادر أن تزورهم في أحلامهم.

ومن بين الحيوانات المنزلية تفضل أنجي باتيا الدجاج. وتشير الحواديت أنه عند خلق العالم أمرت أنجي باتيا حيواناتها ونساءها أن يأتوا يوميًا بثمار وأجنة. بيد أن الكل رفض لصعوبة الأمر، باستثناء الدجاجة التي وافقت على تنفيذ رغبة الربة التي جعلت منها في المقابل أحب الحيوانات إليها. وبسبب خصوبتها، تحب أنجي باتيا أيضًا الخنزير والنعجة، ولهذا السبب كان الناس يقدمون لأنجي باتيا أضحية من الدجاج والبيض، وفي الصيف يقدمون نعجة بيضاء وفي الشتاء خنزيرًا: ومن النعاج البيضاء كانت أنجي باتيا تحصل على الصوف وتصبغه أزرق بلون السماء وأحمر بلون الشمس وأصفر بلون القمر وقرمزيًا بلون الفجر، ومن ثم تغزل منه على قمصان الآلهة (الأطراف والأكتاف) الأشكال المختلفة، وتخُص قمصان نيشكيباز بقوس قزح فهو العلامة المميزة له.

وبسبب نموها السريع فالبتولا هي الشجرة المحبوبة لأنجي باتيا، ولذا فبدون البتولا لا يمكن أن يمر أي عيد كان تكريمًا لأنجي باتيا. وكان الناس في الشتاء يستخدمون في طقوس أعيادها المقشات المصنوعة من أفرع البتولا. وكان الحكيم/الساحر أحيانًا يستخدم أفرع البتولا أو أوراقها لرفع الأمراض أو المعاناة عن

---

(٢٠١) الذرة العويجة: Millet وبالروسية Proso / المترجمة

الناس، وكانت أنجى باتيا تساعد الساحر/الحكيم وترعى القابلات، ولذا كان الموردف فى بعض القرى يسمونها ربة القابلات.

ويعتقد الموردف أيضًا أنه لولا أن أنجى باتيا تكبح جماح العواصف والرعد والبرق لانتهى الكون منذ زمن بعيد بالدمار. وكانت أنجى باتيا فى أثناء المطر ترش من مقامها السماوى الحليب على الأرض فتسقط قطرات الحليب على البقر فيزداد إدرارها للحليب.

وتكريمًا لأنجى باتيا يحتفل الموردف بعيدين أساسيين: كيلى أوزكس(صلوات خاصة لأنجى باتيا حارسة البتولا)، ويقام فى يوم الخميس فى العيد الروسى "سيوميك"(٢٠٢)، حيث تقوم الفتيات فى البداية بالاحتفال (فى القرى ومن ثم بالقرب من النهر)، وبعدهن تحتفل الأرامل. والعيد الثانى فى الشتاء عشية الكريسماس ويسمى كاليادكى، ويحتفلون به فى المنازل حيث فى البداية يحتفل الأطفال أحباء أنجى باتيا، ومن ثم النساء المتزوجات والقابلات. وعدا هذين العيدين عادة ما كانوا يكرمون أنجى باتيا فى الأعياد والمناسبات الأخرى مثل: تيتير أوزكس (صلوات العذارى)، وفى يوم الجمعة – اليوم الثانى لعيد سيوميك الروسى، وفى بابان أوزكس (صلوات الأرامل)، وفى يوم الخميس بعد عيد العنصرة، وفى أوزكس (صلوات منزلية لأنجى باتيا وابنها نيشكيباز)، وفى الكريسماس، وفيه يدعون كل الآلهة لمشاركتهم العيد، وفى اليوم الثانى لرأس السنة يقيمون صلوات جماعية تسمى"فيلين أوزكس" يشارك فيها الرجال والنساء والقابلات، وعشية رأس السنة وهو عيد للأطفال يكرمون فيه أنجى باتيا، وفى يوم رأس السنة يقيمون صلوات منزلية لأنجى باتيا ويسألونها فيها أن تهبهم الخصوبة.

المراجع:

Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981

قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٢٠٢) عيد روسى يسمى سيوميك syomik / المترجمة

God-patron of the Erzians

نيشكيباز/ إنشكيباز الرب الحارس للإرزيا

(Nishkepaz, Ineshkepaz, E) (neshke خلية نحل/نحل و ine عظيم و paz إله)

نيشكيباز/إنشكيباز الرب الحارس للإرزيا وهو أشبه بتشيباز- الإله الأعلى إله الشمس وخالق العالم والأرض، ولا غرابة فى ذلك فهو ابن تشيباز بل وأحب أبنائه إليه، ولذا وهبه كل قواه. وتشير بعض الأساطير إلى أن نيشكيباز/ إنشكيباز هو الابن الأكبر للإلهة أنجى باتيا. وكانوا يعتبرونه أيضًا رب النار والحب والسماوات، وراعى الحياة الأسرية وحارس النحل وخلاياه. ويعتبر الموردف أن نيشكيباز/ إنشكيباز هو الرب الراعى لتربية النحل، الذى تحلق حوله أرواح النحل. والموردف من التيريوخان والإرزيا بمحافظة نيجنى جورود يسمونه أيضًا إنيتشيباز (الفصح الكبير) ابن الرب. وفى نصوص الصلوات يُذكَر نيشكيباز/ إنشكيباز بـ"الإله السابع"، الواقف تحت الإله السادس. وهو مَنْ صنع النجوم – أرواح السعداء من الناس.

وفى الأساطير التى تدور حول خلق العالم يبدو نيشكيباز/ إنشكيباز شخصًا طويل القامة بشعر طويل كثيف متدلٍ، ولحية بيضاء تصل إلى الأرض. وعندما يرقد نيشكيباز/ إنشكيباز تحت الشجرة تنمو، وتنبسط الأرض والسماء، وتمتلئ الوديان بالمياه، وتنبثق الينابيع من تجاويف الأرض، وعلى الأرض المقفرة يظهر العشب والحيوانات والطيور وغير ذلك. وفى الأغانى الأسطورية يهب نيشكيباز/ إنشكيباز الناس السعادة وهو متربع على فرع شجرة السنديان.

ويمكن لنيشكيباز / إنشكيباز التحول إلى حمامة أو بجعة أو صقر أو سنونو أو ذئب أو ثور أو حصان أو أرنب برى أو دب، وطائره المفضل هو البجعة – مبعوث السماء ومنظم العلاقات بين السماء والبشر. و"كاسترجو"إحدى بناته السماويات، ومقامه "كارجون كى" (عند الموكشا والإرزيا) (أى المجرة/درب التبانة) أو برج فيستا (المقصود على الأرجح برج الميزان/المؤلفة). ولدى نيشكيباز/ إنشكيباز قارب ذهبى

يُنزله من السماء على سلاسل ذهبية وأسلاك فضية، ليأخذ من الأرض الفتيات البائسات ممن لم يجدن لأنفسهن أزواجًا جديرين بهن.

وكان الموردف يعتقدون أن نيشكيباز/ إنشكيباز يسترق السمع تحت النوافذ، من يتحدث حول ماذا؟ يأمل في ماذا؟ من بحاجة لشيء؟ وللتخلص من المرض كان يجب عبر نافذة مفتوحة إعطاء شحاذ شيئًا ما من ملابس الميت أو المريض وترديد: "نيشكيباز/ إنشكيباز، يا إلهي خذ هذا وأعطه لابني في العالم الآخر".

وموردف الإرزيا في محافظتي سيمبيرسك وبنز يعتبرون أن لدى نيشكيباز/ إنشكيباز منازل كثيرة؛ حيث تعيش أرواح الطيبين من الناس. وكما يرفرف النحل حول الملكة، ترفرف أرواح الطيبين من الناس حوله بكثرة، حتى إنه يعطى لأمه أنجي باتيا حجر صوان لإبعاد الأرواح الطيبة عنه.

ولنيشكيباز/ إنشكيباز كانوا يقيمون صلوات وطقوسًا سحرية خاصة مثل احتفال القرية (على شاكلة الاحتفال بعيد القديس بيتر[٢٠٣] ويسمى "عصيدة العذارى") واحتفالات عائلية يقيمونها بشكل عرضي وفق الحاجة (المرض والجفاف والتعاسات الأخرى). ويقدمون أضحيات لنيشكيباز/ إنشكيباز في شكل نعجة ودجاجة، ويسألونه المساعدة في هذا الشأن أو ذاك، مثل المحصول الوفير والمطر وحمايتهم من الرعد والرياح وغير ذلك. وكانوا يقيمون له الصلاة أيضًا عند تعميد الأطفال ويطلبون منه للوليد الصحة والسعادة والحماية من العين الحسود والسحرة. ويتردد اسم نيشكيباز/ إنشكيباز في الكثير من التعاويذ والأدعية يستعطفونه ويتوسلون إليه، راجين رحمته في مواجهة الحريق والأضرار وعض الأفاعي وغير ذلك.

وتشير أساطير التيوريوخان والإرزيا في منطقة نيجني جورود ومحافظة صامارا أن تشيباز(الإله الأعلى) كان في البداية قد أرسل نيشكيباز/ إنشكيباز للناس، وأنه

---

(٢٠٣) عيد القديس بيتر: عيد روسي مسيحي يقام في ٧/١٢ من كل عام، هو في الكنيسة المصرية القديس بطرس أحد حواريي المسيح عليه السلام/المترجمة .

كان يعيش على الأرض فى هيئة إنسان يساعد الناس (ويصد الشر عنهم ويعلمهم طيبة القلب ويعالجهم وغير ذلك). وبتحريض من الشيطان يقتل الناس نيشكيباز/ إنشكيباز، الذى يصعد إلى السماء (واضح هنا تطابق هذه الأسطورة مع المعتقدات المسيحية حول صعود المسيح)، ولكنه فى المقابل يعاقب البشر: فيخفت ضوء الشمس وينخفض الدفء الذى تنشره سبع مرات، ويصبح الشتاء سبع مرات أبرد مما كان، وتشح المحاصيل التى تهبها الأرض وتقل خصوبة الماشية.

المراجع:

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordwine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889, 2. Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981 3.Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف وصحيفة جمعية فين-أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٣) الأغنية الشعبية الملحمية الموردفية، ماسكايف أ. إى. صارنسك ١٩٩٦ .

القديس نيقولاى / God Nikolay (Saint Nicolas)

(Mikola, M و Mikulapaz-Mikila, E)

من بين كل القديسين المسيحيين يعد القديس نيقولاى(٢٠٤) الأكثر حظوة وإجلالاً بين الموردف، هو الحبيب صاحب المعجزات. وفى الأساطير يدعو نيشكيباز القديس نيقولاى ليشارك فى وضع الطقوس والعادات التى يسير عليها البشر. وتكريمًا له كانوا يكرسون له عيدين(صيفى فى ٢٨ مايو، وشتوى فى ١٩ ديسمبر) مع إقامة الطقوس المسيحية والوثنية معًا وتقديم أضحيات خاصة. وكان الموردف يعتبرونه مماثلاً لاثنين من الآلهة: فهو فى الربيع "ماستورباز"(عند الإرزيا–انظر ماستورباز) الذى يمنح القوة للنباتات على الأرض، وهو فى الشتاء "نازارباز"(إله الشتاء والليل عند الإرزيا).

وكانوا يصلون لنيقولاى سائليه أن يحقق لهم الأمانى المختلفة (ليمنحهم الصحة وليوفر لهم المحاصيل الغزيرة). وفى عيد القديس بيتر (بيتر أوزكس فى ٧/١٢) كانوا يضعون رأس ثور أمام الأيقونات.

المراجع:

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889, 2. Paasonen H. Mordwinishche Volksdichtung. Bd. 4. Helsinki, 1947

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين – أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

(٢) الشعر الشعبى الموردفى. باسونين. هلسنكى ١٩٤٧ .

---

(٢٠٤) القديس نيقولاى عند الروس، من الواضح أن حرف النون فى الاسم بالروسية يتحول إلى ميم بالموردفية فيصبح ميقولاى – ميكيلا – ميكولاباز مع العلم أن "باز" تعنى "إله" بالموردفية/المترجمة.

God-patron of the nether world

ماستورياتا/ ماستورياز الرب الحارس للملكة السفلية

(Mastorpaz, E و Mastoratya, M)

(Mastor الأرض/الأطراف و atya زوج/ رجل مسن)

ماستورياتا/ ماستورياز الرب الحارس للملكة السفلية، وكانوا يسمونه أيضًا ستاكاباز (Stakapaz) (staka / ثقيل paz / إله: أى رب الأثقال). ووفق أساطير الإرزيا ما قبل المسيحية فى منطقة نيجنى جورود، ولد ماستورياتا/ ماستورياز من زواج تشيباز (إله الشمس) ونوروفافا إلهة المحاصيل والزراعة. وتصوره المخيلة الشعبية جالسًا على الأرض يمنح القوة لكل النباتات وبشكل خاص القمح والذرة والخضروات. ووفق تصورات الموردف فإن ماستورياتا/ ماستورياز صموت وثقيل (من هنا اسمه الثانى ستاكاباز-إله الأثقال).

ويعتبرونه أيضًا راعى الموتى، ولهذا السبب كانوا ينظرون إليه باعتباره خطرًا (يمكن للساحر أن يلعن إنسانًا مستخدمًا اسمه). وكان الناس يتوجهون إليه سائليه أن يوصل الطعام إلى " العالم الآخر" - إلى أقاربهم.

وينتشر بين الموردف تصور أن كل المكاره التى أصابت الناس بعد سقوط الإنسان على الأرض يمكن محوها لو لجأ الناس إلى ماستورياتا/ ماستورياز طلبًا للمساعدة. وفى الصيغ السحرية التى يلجؤون إليها عند مخاطبته يسمونه الذقن الذهبية. وكأضحيات كانوا يقدمون له ثورًا أسود، وإذا أرادوا طلب المغفرة منه كانوا يتوجهون إليه فى المقابر (عادة يوم الجمعة) أو عند تقاطع طرق.

المراجع :

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

أتيامشكاى/ بورجينيباز إله الرعد God of the Thunder

(Atyamshkay, M) (atyama الرعد و atya زوج/رجل مسن و shkay إله)

(Pur'ginepaz, E) (Pur'gine الرعد و paz إله)

(Meltsedey-Mel'sedey, E) (mel' ذاكرة/فكرة/رغبة)

أتيامشكاى/بورجينيباز إله الرعد فى تصورات الإرزيا فى نيجنى جورود أنجبته نيشكيندى تيتر (Nishkende teiter) (Nishke, E و Neshke, M النحل أو خلية النحل و teiter فتاة) ابنة أنجى باتيا. وُلِدَ إله الرعد مقوس الرجلين ولذا ألقاه تشيباز وأنجى باتيا إلى الأرض؛ حيث عاش حتى آن موعد زواجه. وتعكس صورة إله الرعد تصورات ميثولوجية موردفية مغرقة فى القدم حول التواصل المباشر بين عالم الناس وعالم الآلهة. وفى الأساطير والأغانى الميثولوجية يشار إلى حب إله الرعد لبنت أرضية اسمها ألدونا، وإلى رغبته فى الزواج منها (تقتلها إلهة البرق بدافع الغيرة). وفى الأساطير نراه إما شابًا جميلاً أو على العكس شخصًا أسود اللون ذا عينين كالنار حمراوين. وتشير الحكايات والأغانى إلى زواج بين إله الرعد وفتاة أرضية تسمى فاسالجا عند الموكشا وسيرجا عند الإرزيا. وتقول الحدوتة إنه فى أثناء مأدبة العرس أخذ إله الرعد يرقص على إيقاع اصطكاك الكؤوس والملاعق، ويرفع صوته عاليًا. وعندما حان الوقت لكى تذهب العروس إلى بيت عريسها، أخذ إله الرعد يطلق صرخات كالرعد ويطلق البرق من عينيه حتى أن النيران اشتعلت فى الكوخ. وصعد إله الرعد وزوجه إلى السماء. ومنذ هذه اللحظة، من المألوف الاعتقاد أنه إذا لف الرعد الأرض والسماء فإن إله الرعد يلهو ويرقص بالكؤوس كما حدث فى عرسه. وفى أثناء الرعد يخرج موردف التيوريوخان إلى الشارع ويرفعون أزرعهم إلى السماء صائحين: "هيه هيه، خفف خفف الوطء، خفف الوطء، أنت أيها الرب ربنا". ويؤمن الموردف أنه فى أثناء الرعد يتجول إله الرعد فى السماء على عربة يجرها حصانان أو ثلاثة نارية، تفرقع عجلاتها بالنار، ويمسك أتيامشكاى/بورجينيباز الرعد بيده اليسرى والمطر باليمنى.

ويشير الفلكلور إلى أن زوج إله الرعد زارت موطنها الأصلى، ونزلت إلى الأرض على سلاسل معدنية. وكان الموردڤ يؤمنون أن الأبناء الذين ينجبهم زواج الآلهة من فتيات موردڤيات أرضيات سيظلون إلى الموت حُكام الموردڤ، وبعد الموت يعودون إلى السماء - إلى آبائهم. ويرى المؤلفان ميلنيكوف/بيتشرسكى أن الموردڤ كانوا يعتبرون أن الأمير الموردڤى بورجاس (القرن الثالث عشر) هو ابن إله الرعد.

ويطابق الموردڤ بعد انتقالهم إلى المسيحية بين أتيامشكاى/بورجينيباز إله الرعد فى الوثنية والنبى إليا حارس الرعد والمطر عند المسيحيين، ويبدو هذا واضحًا فى نصوص الصلوات التى يؤدونها فى القرى: ففى عيد النبى إليا فى أثناء الجفاف كان الموردڤ يذهبون إلى نبع ويطلبون من إله الرعد أتيامشكاى/بورجينيباز وإليا النبى أن يمنحاهم المطر للزرع، وأن يصدا عن حقولهم البَرد. ومن المألوف بين الموردڤ ذبح دجاجة كأضحية لإله الرعد.

ويضفى الموردڤ على أتيامشكاى/بورجينيباز القدرة على القصاص: فهو يقتل ويحرق أديمفس/الشيطان/المسخ/العملاق. وكانوا يعزون إليه الجفاف والبَرد الذى يعصف بالمحاصيل وغير ذلك. وكان الموردڤ خوفًا من غضب أتيامشكاى/بورجينيباز يفرضون على أنفسهم فى أثناء الرعد المحرمات المختلفة: يُحَرمون العمل والأكل والحديث بصوت عالٍ أو الصياح (فقد تجلب على نفسك بهذا غضب الإله وقصاصه)، والمشى حافى القدمين أو بدون غطاء رأس (قد يقتلك الإله) وعند البناء لا يسمح باستخدام خشب الشجر الذى أسقطه الرعد (يجلب هذا سوء الحظ). وإذا اخترق المرء هذه المحرمات قد يقتل أتيامشكاى/بورجينيباز الماشية والناس بإلقاء الحجارة عليهم (التى يسميها الإرزيا بورجينى كييف، ويسميها الموكشا أتيام كييف أى: حجارة الرعد). ولحماية أنفسهم من غضب أتيامشكاى/بورجينيباز فى أثناء الرعد كان الموردڤ يسدون مدخنة الفرن ويغطون الأطعمة.

وعندما يبدأ الرعد فى القصف كان من المألوف نفض الملابس فى الشارع حتى لا تعج بالبراغيث طوال العام، ويصبون ماء باردًا فى عب ملابسهم حتى يتجرأوا على

مواجهة الرعد. وكانوا يعتبرون أن مَنْ يموت فى أثناء الرعد يذهب إلى الجنة (لأن أتيامشكاى/بورجينيباز يطهرهم من خطاياهم كلها)، ولهذا كان المسنون يخرجون أحيانًا إلى الشارع فى أثناء الرعد ساعين للموت وللتطهر.

وحتى الآن يتنبأ الناس بالطقس القادم اعتمادًا على الرعد: فإذا كان أول الرعد قادمًا من جهة الجنوب أو الشرق، يعنى هذا طقسًا جميلاً طوال الصيف، وأول الرعد فى مطلع الربيع يعنى صيفًا مبكرًا، والرعد الآتى متأخرًا فى الخريف يعنى خريفًا طويلاً، وإذا استمر الرعد لفترة طويلة ينذر بقدوم البَرد، وإذا قصف الرعد بعد المطر فسيحل الدفء. والرعد فى المنام يفسره الإرزيا بنشوب المشاحنات والموكشا بالفاقة الشديدة. والرعد يوم العرس-حياة تعيسة. ويستخدم الموردڤ لفظ الرعد فى صب اللعنات ("شتويا أتيامس شافالينزى" (عند الموكشا) أى: فليقتلك الرعد). وقوس قزح هو طريق أتيامشكاى/بورجينيباز (أتيامن كى-عند الموكشا).

المراجع:

(1) Yakov. O. O Mordvah, nahodyashchihsya v Nizhegorodskom uezde Nizhegorodskoi gubernii.SPB., 1848, 2. Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981. 3. Maskayev A. I.

Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1947

(١) عن الموردڤ فى منطقة نيجنى نوفجورود بمحافظة نيجنى نوفجورود، ياكوف ١٨٤٨ .

(٢) قضايا موردڤية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٣) الأغنية الملحمية الشعبية الموردڤية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٤٧ .

God of the Sun, Time/ Supreme God

شكاى/ شكاباز إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى

(Shkay-Shkabavaz-Otsyu Shkay-Vyare Shkay, M)

(Chipaz-Shkipaz-Verepaz, E)

(من: Shi, M وChi, E الشمس/النهار وShka, E الزمن/الوقت، وbavaz, pavaz, M السعادة و otsy, M كبير و vyare, M و vere, E الأعلى) (والمرادف له عند الإرزيا هو أيضًا ابنه نيشكيباز (انظر نيشكيباز).

يتصور الموردف شكاى/ شكاباز إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى بعينين كبيرتين يرى بهما كل شىء يجرى على الأرض. ولنظرته القدرة على الإخصاب. وهو غير محدد الجنس يقف على رأس خلق العالم، إنه خالق العالم وراعيه، يحكم العالم المرئى وغير المرئى وكل ما هو حى بمساعدة أساسية من الإلهات التابعات له.

وتروى الأساطير أن إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى قد انتقى النساء كمساعدات له، لأنهن، كما يعتقد الموردف، يطعن ما لا يرينه، ويشعرن بما لا يسمعنه. وعليهن إخبار إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى بكل شىء يجرى على الأرض. ونوروفافا (الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة عند الإرزيا) هى التى توزع الخبز اليومى للإله، تلك المهمة التى وهبها هو إياها، فى إشارة إلى إعجابه بسلوكها: وفى يوم جمعة تأخرت نوروفافا عن تقديم المعلومات للإله عما يجرى فى الأرض لأنها كانت توزع الخبز على الجوعى فى الأرض، ولهذا السبب أمر الإله بالتوقف عن العمل أيام الجمعة.

ووفقًا للأساطير فقد اخترقت امرأة هذا التحريم، وأخذت تعجن العجين يوم جمعة، فما كان من الإله إلا أن رفعها إلى الشمس ليتركها تموت بحرارتها (ولم ينقذها من الموت إلا تفكيرها فى آخر لحظاتها قبل الموت فى أبنائها- يتامى من بعدها). ولهذا السبب ترفَّق بها شكاى/شكاباز فانزلها إلى الأرض بشرط أن تنشر هذا التحريم بين الناس. وكإشارة إلى وجودها مع الإله، رسم على جبهتها بقعة قرمزية/زرقاء. ومنذ ذلك الحين لم تعد النساء أبدًا تعجنَّ العجين فى عيد نوروفافا.

والشمس هي مقام شكاي/ شكاباز، ينام هناك على فراش دائري. لا يراه الناس، منه يأتي فقط الخير، ولكن إذا أغضبته بسلوك سيئ يعاقبك. وفي فلكلور الموكشا يتخذ شكاي/ شكاباز هيئة أرنب بري أو خنزير أو نبات الشوك. وكان الموردف يعتقدون أن شكاي/ شكاباز يتجول في الليالي ويسترق السمع تحت النوافذ عما يتحدث الناس أو بما يحلمون (يتمنون) ومما يعانون، وماذا يطلبون، ومَنْ مِن الناس يفتقر إلى ماذا؟

وفي الميثولوجي يتزوج شكاي/ شكاباز من فتاة أرضية. وتشير الأساطير إلى أنه خلق العالم والإنسان، وأمر الشيطان بخلق الأرواح الشريرة وإسكانها في المستنقعات والبرك عبرة للناس.

وبعد أن خلق الأرض، نام شكاي/ شكاباز تحت شجرة ثلاثين عامًا، وفوقها ثلاثين عامًا. واستيقظ من ألم في مفاصل رجله اليمنى، فدهس برجله المرفوعة على الشجرة بيضة خرجت منها فتاة جميلة. أصبحت (وفق رغبته) زوجته التي يسميها الإرزيا أنجي باتيا (انظر أنجي باتيا).

وفي التصورات الشعبية إذا أقدم شخص على عمل سيئ يعاقبه شكاي/ شكاباز إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى بواسطة الأرواح الشريرة، ولكن إذا توجه إلى الإله برجاء أن يرفع عنه هذا الشر، يتدخل شكاي/ شكاباز لوقف الأرواح الشريرة (يأمرها بالجلوس في الماء). ومن المألوف اعتبار أن استعطاف شكاي/ شكاباز واسترضاءها لا يتم فقط عبر صلاة واحدة فردية وإنما من الضروري أيضًا القيام بصلوات عامة وأخرى منزلية للآلهة التابعين له (إلهة المنزل وإلهة الفناء وغيرهما). ولذا كان الموردف يتوجهون إلى شكاي/ شكاباز في بداية أية صلوات لأي آلهة كانت. ونادرًا ما كانوا يكتفون بالتوجه إليه وحده بكل رغباتهم واحتياجاتهم.

وكانت عبادة شكاي/ شكاباز راسخة شديدة القوة بين الموردف، حتى إنهم كانوا يمتنعون عن العبور فوق حزم أشعة الشمس التي تتسرب من النوافذ إلى منازلهم خوفًا من أن تطأ أقدامهم رجل الإله. وكانوا أيضًا يتجنبون الإبحار (أو الاستحمام) عبر انعكاسات أشعة الشمس على المياه حتى لا يصطدم (وفق تصوراتهم) المجداف بذقن شكاي/ شكاباز. وكما ذكرنا سلفًا فإن مقامه هو الشمس، وبالتالي فالشمس عندهم هي شكاي/ شكاباز أو هي رمز له.

وفى الصلوات المنزلية لشكاى/ شكاباز كانوا يقدمون له كأضحية مهرًا أو واحدة من الماشية الصغيرة الحلوب أو طائر أو فطائر أو بيرة. وتجرى هذه الصلوات مرتين فى السنة، فى بداية الربيع بعد بذر الحبوب، وفى الخريف حيث يسأله الناس شتاء طيبًا . وفى أوقات العمل الصيفى فى الحقول كانوا يسألونه مباركته لعملهم، ويشكرونه فى نهاية يوم العمل لأنهم تمكنوا من العمل طوال النهار موفورى الصحة. وبعد المسيحية أضفى الموردف على الرب المسيحى الصورة الميثولوجية لإله الشمس والزمن/ الإله الأعلى.

وحتى يومنا هذا كثيرًا ما يستخدم الموردف اسم شكاى/ شكاباز عندما يشعرون بالحاجة لحماية أنفسهم، أو عند القسم وعند التأنيب كقولهم: "شكايس فيلرى، سيلمونازا الوت"(عند الموكشا) (أى: شكاى/ شكاباز فوق وعيناه تحت). وكانوا أيضًا يظنون أن إله الشمس والزمن/ الإله الأعلى يُنزِل من السماء حبلاً مع قديسين ثلاثة لانتزاع روح الميت.

المراجع:

(1) **Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889, 2. Milkovitch K. S. Byt I verovaniya mordvy knotsa 18 stoletiya// Tamb. Eparh.Ved. Chast neofits., no 18, 1905. 3. Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981, 4. UPTMN. T. 10. Legendy, predaniya, bylichki. Saransk, 1983**

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين–أجور. هلسنكى ١٨٨٩ حياة ومعتقدات الموردف نهاية القرن ١٨ . أبرشية طامبوف، ١٩٠٥ العدد رقم ١٨، (وثائق غير رسمية) ميلكوفيتش ك. س.

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى(وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ١٠ – أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

القبر / Grave"eternal house" after death

(Kalma, M - Kalmo, E)

القبر "المثوى الأبدى" بعد الموت، مكان الطمأنينة والسكينة. كانت التقاليد تملى حفر القبر من الشرق فى اتجاه الغرب. وتشير بعض مواد الفلكلور إلى أن الموردف كانوا فى السابق يضعون التابوت عند تقاطع طرق ثلاثة على أى شىء يرتفع عن الأرض، أو على أى شجرة باستثناء البتولا على تل أو مكان مرتفع. وفى الشتاء كانوا يتركون التابوت فى الغابة، وفى الربيع يدفنونه تحت شجرة. وفى أزمنة متأخرة نسبيًا أخذ الموردف فى دفن الميت فى قبر بعد لفه بلحاء شجر البتولا. ومع الميت كانوا يضعون فى القبر، بعد حك كل الأشياء بسكين، كل ما هو ضرورى لحياته فى العالم الآخر من طعام وأشياء (بعض الخبز وسكين وآلات وبعض قطع من قماش القنب وإبر وخيوط ونقود)، بل كانوا أحيانًا يدفنون مع الميت كلبًا حتى لا يحتاج لأى شىء. وفى بعض الأماكن كان الناس يقدمون الخبز والنقود لأول المدفونين فى الجبانة الذين كان الموردف يعتبرونهم "حراس الجبانة".

كانوا فى البداية يبكون الميت، ومن ثم يلفون الخشبة المُسجى عليها فى "كوتف" (عند الموكشا قماشة بعرض المنشفة) أبيض طويل ينزلون الخشبة بمساعدته إلى القبر ويرفعونها ثلاث مرات. ويضعون الميت فى القبر على نحو تتجه فيه رأسه إلى الغرب. ومن ثم يطلبون من الميت أن يغفر لهم ويعتاد على مقامه الجديد وألا يخافه. وحتى لا يخاف الميت يقوم كل واحد من المشيعين بإلقاء ملء قبضة يده من التراب على التابوت متمنين أن تكون الأرض تحت الميت ناعمة طيبة. وكانوا ينتبهون فى أثناء الدفن: فإذا كان القبر أكبر مما ينبغى، عليهم توقع وفاة أخرى بين الأقارب. وإلى الاستنتاج نفسه يتوصلون إذا انهال التراب من على حافة القبر، أو فى حال وجود حذاء مفكوك الرباط بجوار القبر.

وإذا مات شخص ورأسه على وسادة، كانوا يلقون فى القبر فى أثناء دفنه ثلاث ريشات من هذه الوسادة ويسألون الرب والأجداد ألا يطالبوا الميت فى العالم الآخر أن يعد أكثر من ثلاث ريشات، اعتقاداً منهم أن هذا الطقس يضمن حماية أغطية الفراش (التى رقد عليها الميت) من التلامس مع الموت مرة ثانية.

وفى القرن الثامن عشر كان الموردف التيوريوخان يضعون على القبر- الذى يتخذ شكل رابية أو مرتفعًا صغيرًا - عودًا من الخشب أو ريشة تمييزًا له، وفى القرن التاسع عشر كان الموكشا من منطقة كراسناسلابودسك يبنون القبور أشبه ببيوت منخفضة، ويضعون فوقها ما يشبه العلامة أو الإشارة المميزة لهذه العشيرة أو الأسرة. وكانت القبور ترتفع قليلاً عن سطح الأرض (بارتفاع خمسة زنود من الخشب، ويغطونها بألواح من الخشب)، وعلى الغرار نفسه كان الموردف التيوريوخان يبنون قبورهم. وكانوا يدفنون الموتى على سفح ينحدر تدريجيًا فى اتجاه النهر. وحتى يومنا هذا يضع الموردف الموكشا على القبر صليبًا مرتفعًا يتجاوز طوله ثلاثة أمتار. وفى بعض الأماكن كانوا يتركون على جانب القبر ثغرة أو فتحة حتى يتمكن عبرها الميت من مراقبة هذا العالم، وتتمكن روحه من الخروج. وعند العودة من مكان الدفن كانوا يحكون بالسكين عملة نقدية معدنية. وعند الانتهاء من طقوس الدفن، يبقى الأقارب المقربون بالجبانة لتناول الوجبة الجنائزية. ويتركون ما تبقى على القبر للأجداد. وفى بعض قرى محافظة صاراتوف يضعون جزءًا من الوجبات الجنائزية فى حُفَر يحفرونها خصيصًا أعلى القبر. وفى السابق كانوا تكريمًا للرجل الميت يذبحون عند القبر مهرًا(٢٠٥)، وللسيدة المتوفاة بقرة، وكانوا يأكلون جزءًا من الحيوانات التى يقدمونها أضحية، ويأخذون إلى البيت جزءًا آخر، أما الجلد أو الفراء فكانوا يعلقونه على عصا يثبتونها على القبر أو على أقرب فرع شجرة إلى القبر، وفى محافظة سيمبريسك يعلقونه على وتد خاص معقوف الطرف. وفى محافظة

---

(٢٠٥) من الجدير بالذكر أن الروس يأكلون لحم الخيل بعد تدخينه وتعليقه ليجف فى الهواء، وكان وما زال من أغلى أنواع اللحوم الجاهزة (كالبسطرمة عندنا لكن الطعم يختلف)/المترجمة.

بنز هناك عادة فريدة، فبعد خروج المشيعين من المقابر، كان الأهل يحضرون كبشًا أسود، يعقدون قرونه بمنديل أحمر، وقبل ذبحه كانوا يرفعونه على أقدامه الخلفية ويدورون به ثلاث مرات حول القبر.

ومن تقاليدهم أيضًا أنهم كانوا يدقون وتدًا من شجر الحور الرجراج (الملعون/المترجمة) على قبور السحرة حتى لا يتمكنوا من الخروج. والميت الذى قضى بسبب الإكثار من شرب الكحول كانوا يرشون قبره بالمياه فى فترات الجفاف لأنهم كانوا يعتقدون أن هؤلاء الموتى هم المتسببون فى الجفاف بامتصاصهم للرطوبة من التربة.

المراجع:

(1) Smirnov I. N. Mordva. Kazan, 1895; 2. UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi.Saransk 1972

(١) الموردف فى قازان، سميرنوف أ. ن.

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٧، الجزء ١- العديد والنواح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

H

الشَّعر / Hair

(Shyayar'kht, M Chert', E)

يُعد الشَّعر فى المخيلة الشعبية للموردف بؤرة تمركز القوة الحياتية للإنسان. ومنذ القدم والشعر عند الموردف يرتبط برموز خاصة فى الطقوس والعادات، وقص الشعر بشكل خاص له مغزى وطقوس رمزية خاصة فى الثقافة الشعبية. ويشهد الشِّعر الشعبى الموردفى على سبيل المثال على علاقة قص الشَّعر بالزواج. وفى الأغانى يسمى قص الشعر(٢٠٦) "تياشتكس" (عند الموكشا) (أى: علامة/إشارة/فأل ما)، وتساعد هذه العلامة/الإشارة على تمييز العروس والتعرف عليها حتى لو اختبئت أو بدلت مظهرها. وقص أو انتزاع خصلة من شعر فتاة، وفق تصورات الموردف، يعنى انتزاع استقلالها وحريتها وإخضاعها (والسيطرة على قلبها).

وكانوا فى بعض الحالات يعتبرون أن قص الشعر هو علامة/إشارة على تغريب البطل عن عشيرته وضمه إلى عشيرة أخرى. وفى رثاء العروس(٢٠٧) تطلب بشكل خاص مباركة حياتها الجديدة، وتمسك العروس ضفيرة شعرها وتلفها حول العريس حتى يأخذها إلى منزله ويلتحما إلى الأبد. وفى العرس، بينما تغادر العروس بيت والديها، تنتزع بضع شعيرات من رأسها وتلقيها فى اتجاه البيت مودعة بذلك أهلها. واعتقاداً منهم أن شعر العروس فى أثناء الفرح يمتلك قوة سحرية كانوا يولون عناية شديدة لكل ما يتعلق بالشعر فى أثناء العرس، فإذا تمكن ساحر من قص خصلة شعر

(٢٠٦) ليس المقصود هنا قص الشعر بالمعنى الذى قد يتبادر مباشرة للقارئ؛ وإنما المقصود عدا المعنى المباشر للكلمة كل المعانى الأخرى المرتبطة بالسحر والشعوذة وقراءة الطالع وغير ذلك مثل انتزاع بعض الشعرات أو خصلة من الشعر واستخدامها فى أعمال سحر مختلفة - التنبؤ بشىء وإلحاق الضرر بشخص أو ساحر باستخدام خصلات الشعر فيما نسميه "عَمَل" وغير ذلك/المترجمة.

(٢٠٧) رثاء العروس: سبق الإشارة إلى طقس خاص من طقوس الزواج عند الموردف وهو: رثاء العروس الذى تنعى فيه عذريتها وتركها لبيت والديها/المترجمة.

من العروس معنى هذا ضياع الخصلة طوال قرن (بكل ما قد ينطوى عليه هذا فى مخيلتهم من معانى). وتشير أدبيات القرن الرابع عشر إلى أن البنات فى بعض المناطق كن يقمن بقص شعورهن بأنفسهن ويتركنها قصيرة للغاية حتى لا يتمكن ساحر أو شيطان من قصها.

وكان الموردف يقومون بأنفسهم بقص خصلة شعر من رءوسهم عند التعميد وعندما يتحول الشخص إلى كاهن أو راهب أو من بين خدم الكنيسة.

وفى الأغانى عندما تذهب العروس إلى بيت عريسها تضفر شعرها ضفيرة تنتهى بذيل طويل من الليف أو لحاء الشجر(يسمونها عند الإرزيا كير بولو)، تشبهًا بشجرة الزيزفون المشهورة بخصوبتها وثمارها الوفيرة. وعلى هذا النحو، وفى صحبة موسيقيين يعزفون على الكمانجات والأبواق، تدخل العروس وعريسها على الأقارب والمعارف. وتضفير شعر العروس ومعه عرف حصان يعنى الارتباط بعالم الحيوان.

وترتبط بالشَعر الكثير من العادات والمعتقدات؛ فقد كانوا يؤمنون أن الفتيات كن يقدمن شعورهن أضاحى لكائنات أسطورية خاصة تسمى "أوست سود" أو "أوست فى سوط" (عند الإرزيا) (وأوست تعنى: المخ/العقل/القوة/الحكمة وسود تعنى يحكم/يقرر). ويرى باسونن فى قاموسه أن هذه الكائنات هى ضرب من النيازك أو الشهب كان الإرزيا يعتبرونها أفاعى نارية أو أرواحًا شريرة تخبئ الشمس والنور، ولهذا السبب كانت البنات يقدمن شعورهن أضاحى لهذه الكائنات حتى لا تحجب الشمس والنور. وفى محافظة سيمبيرسك مركز أرداتوف كانوا يلقون الشعر المقصوص من الصدغين فى النار حتى لا يستخدم ضدهم. وكانوا يقومون بحركات دائرية فوق رءوس بعضهم البعض ممسكين بالشموع الموقدة وينتزعون من رءوس بعضهم البعض بضع شعرات، يلقونها فوق قبر الميت بعد دفنه اعتقادًا منهم أنه بحاجة إليها ليبنى جسرًا يعبر به الماء متوجهًا إلى العالم الآخر. وكانوا يحرقون الشعر بشمعة الأجداد فى أثناء الصلوات (أوزكس) (انظر شتاتول). وما يفسر القوة

السحرية للشعر هو أنه فى قديم الزمان كان هناك مبدأ شعبى يقول بالاستعاضة عن الكل بالجزء (٢٠٨)، وبالتالى فخصلة واحدة يقصونها من الشعر تمتلك كل خصائص الشخص الذى انتزعت منه.

وتملى العادات أن يظل شعر الفتيات والعروس قبل الزواج بلا غطاء للرأس بما فى ذلك فى الأعياد وحتى فى الشتاء وفى أثناء الصقيع الشديد. وأحد أهم ما يمكن أن تتصف به الفتاة الجميلة هو الضفيرة الضخمة التى تتدلى على الظهر لتصل إلى الكعب. وبعد العرس على السيدة أن تولى عناية بالغة بتغطية شعرها.

وإحدى العلامات المميزة للسيدة المتزوجة هو غطاء الرأس، بمنديل أو غطاء خاص طويل للرأس (يسميه الإرزيا بانجو). وعلى هذا النحو فللشعر مغزى ميثولوجى أيضًا ووظيفة اجتماعية إخبارية، فهو يخبر الناس بوضع المرأة وما إذا كانت عذراء (فتاة) أم أنها متزوجة، أو أنها عروس.

وللشعر الطويل عند الموردف مغزى ودلالات خاصة، ويرتبط بطقوس خاصة. فتسريحة الشعر، على سبيل المثال، وثيقة الصلة بالعرس - وبالتالى بطقوس الخصوبة السحرية المغرقة فى القدم. وكان الموردف دائمًا يصورون أبطال الأساطير-الآلهة الوثنيون (فيديافا إلهة الماء وفيريافا إلهة الغابات وكوملياقا إلهة حشيشة الدينار ونيشكيباز الإله الأعلى عند الإرزيا) - بشعور طويلة تصل إلى الأرض. وكانوا يعتبرون أن الشعر الطويل يمنح قوة مقدسة خاصة، وأن الجانب الأيسر من الرأس يرمز إلى سوء الحظ والانكسار والخضوع، فيما يرمز الجانب الأيمن إلى قوة الحظ وإلى الانتصارات. وبالتالى كان من المألوف تضفير الضفيرة من الجانب الأيمن، وحلها من الجانب الأيسر.

---

(٢٠٨) فى أحيان ليست نادرة وبين أبناء الأسر الروسية المثقفة نجد الأم بشكل خاص والزوجة أو الابنة يقصون خصلة صغيرة من شعر الميت قبل دفنه للاحتفاظ بها وكأنهم بهذا يستعيضون بالجزء عن الكل/المترجمة.

ويرتبط الشَّعر في تصورات الموردف بقوى العالم الآخر وبالموتى من الأسلاف. ووفق المعتقدات الشعبية يساعد الشعر الموتى فى العالم الآخر على التنقل والتحول فى الزمان والمكان. والشعر نوع من العبور أو الاجتياز، إنه جسر فوق السيل العارم (بحرًا كان أو نهرًا).

وتُمارس بعض الأعمال السحرية (قراءة الطالع وغير ذلك) باستخدام الشعر: فكانوا على سبيل المثال يقصون خصلة شعر ويضعونها فى منديل يربطونه ويخبئونه تحت شجرة اعتقادًا منهم أن هذا الطقس يشعل نار الحب فى قلب الشاب تجاه فتاته. وإذا جمعت امرأة عاقر الشعر المتساقط على الأرض من امرأة ولود، فهى بذلك تنتزع الخصوبة منها.

ووفق التقاليد كانت الفتاة إذا بلغت أو أصبحت فى سن الزواج يقصون ضفيرتها. وإذا ماتت سيدة متزوجة كانوا يقصون ضفيرتها – باعتبارها رمزًا لعذريتها – ويضعونها إلى جوارها، اعتقادًا منهم أن هذا يعينها على العودة للحياة مرة أخرى فى الآخرة والزواج هناك وإنجاب الأطفال. ونجد للشعر وظيفة أيضًا عند دفن الرجال كرمز للبعث ورمز للبدايات الأنثوية للعالم (الأصل الأنثوى للعالم). وعادة قص خصلة شعر من الميت تعنى مروره من عالم إلى آخر، والانتماء إلى عالم الموتى الراقدين فى سبات، أى الانضمام إلى عشيرة الموتى وسننهم.

ويقص أهل الميت خصلة من شعرهم علامة على فجيعتهم وحزنهم، وإشارة إلى علاقة النسب العشائرية التى تربطهم بالميت. وفى الفرح كان يحدث الشىء نفسه، عندما يقوم العريس بقص شعر العروس وكأنه بذلك يضع خاتم القرابة الجديدة أو علامتها.

وعندما تبلغ الطفلة الوليدة عامها الأول كانوا يفردون خصلة من شعرها حول حلقة ويقصونها، حتى تصبح صحيحة معافاة وسعيدة. وكانوا يُشَبِّهون الشعر المجعد بالخواتم أو الدوائر ويعتقدون أن له قوة خاصة فى طقوس الزواج (الانتقال إلى وضع اجتماعى جديد). وفقدان الشعر يعنى فقدان القوة. ولإخضاع فتاة لكى تتزوج كان يجب قص شعرها، وقص الشعر يعنى موتًا رمزيًا.

وحتى يومنا هذا مازالت هناك علاقة خاصة مبهمة بين الشعر ومحرمات خاصة به؛ فقص الشعر تنظمه عدة حقائق منها عمر الشخص ووقت قص الشعر (أيام الأسبوع وحالة القمر) وغير ذلك. فلا يجب قص الشعر فى أيام الأعياد (وبشكل خاص فى الليل) ولا عند انمحاق القمر ولا فى الأيام الصعبة من الأسبوع (الإثنين والجمعة) ولا يوم الأحد (فهذا ينذر بشؤم وبعدم نمو الشعر ثانية). ويفرضون تحريماً أيضاً على قص الشعر فى أثناء الحمل (ينذر هذا بولادة عسيرة وبمشكلات للمولود).

ولم يكونوا يقصون شعر المولود حتى يبلغ عامه الأول (وكانو يحتفظون بأول شعر يقصونه حتى يصل الطفل سن البلوغ)، ولم يكن من المستحب قص الشعر عند الشروع فى القيام برحلة (لأن المرء بذلك يقطع على نفسه الطريق)، وكانوا يعتقدون بضرورة تحريم إلقاء الشعر المقصوص، وإلا سيبنى به الطائر عشاً، وسيلازمك صداع الرأس، وبالتالى يجب إحراق الشعر المقصوص. ووفق التصورات الشعبية، إذا سقط شعرك فى يد ساحر، فستضيع أنت. ولا يجب حل الشعر الذى ضفرته يورختافا (الإلهة الحارسة للبيت) - فقد تقتل يورختافا المرء عقاباً على هذا السلوك.

وفى أعمال السحر حول الحب (إيقاع السحر بالمحبوب) كانوا يلفون خصلة الشعر المقصوص حول زر فى إحدى قطع الملابس أو حول أى من أنواع الزينة أو حول الإصبع أو وضعها فى عب الرداء.

وبمساعدة الشعر كانوا ينصبون الشراك للناس (بدفن الشعر فى الجبانة)، وينقلون إليهم المرض. وفى أثناء الرعد كانوا يفرضون ارتداء غطاء الرأس لحجب الشعر (وإلا سيقصفك الرعد ويميتك).

والشعر المطلق يرمز إلى تسريحة شعر طقسية خاصة مرتبطة بالسحر وبعبادة الخصوبة. وفى أثناء الولادة يطلقون شعر المرأة، والسحرة عادة يمارسون سحرهم باستخدام الشعر المطلق. وكعلامة على الفجيعة على الأم المتوفاة كانت البنات تحل الضفائر وتذهب لدفن أمهاتهن فى المقابر.

ومن له منبتان للشعر أعلى الرأس يتنبؤون له بالزواج مرتين. وحتى ينمو الشعر سريعًا وفق معتقدات الموكشا يجب أكل عروق اللحم (عِرق/أوتار عضلية/المترجمة). وإذا سقطت خصلات شعر في أثناء تمشيطه، يستنتجون من هذا أنهم على وشك القيام برحلة.

المراجع:

(1) Paasonen H. Mordwinishche Volksdichtung. Bd. 2. Helsinki, 1939, Bd 4 Helsinki, 1947, 2. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994

(١) الشعر الشعبي الموردقي. باسونن. هلسنكي ١٩٣٩-١٩٤٧ .

(٢) الأمارات والإشارات الشعبية للموردف (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

«فاردا» الكائن نصف الأسطوري / Half-mythical creature

(Varda, E) (Vardo عدو/عبد/سجين/روح غير طاهرة)

فاردا كائن نصف أسطوري، خبيث شرير، بنت حقود، صعلوكة رثة الثياب. العلامة الموسومة بها على ظهرها توضح انتماءها إلى أصول غير طبيعية فضلاً عن اتصالها بقوى العالم الآخر. وفاردا قادرة على إرغام الطيور على العمل وعلى استطلاع الأخبار من القمر. ومن شر فاردا كانت الأمهات تحمي أبناءهن بالبصق تحت الإبط، أو بتطريز خاص على طرف الثوب.

المراجع:

UPTMN. T. 3, ch. 2, Erzianskie skazki, Saransk 1967

الإبداع الشفاهي الشعري للشعب الموردقي، المجلد ٣، الجزء ٢- حواديت الإرزيا صارنسك ١٩٦٧ .

Healer/Witch, sorcerer, magician

الساحر/الحكيم، الساحر، المشعوذ، العراف، الماجوسى(٢١٠)

(Soday loman, M وSodytsya, E)(sodams يعرف و loman رجل/شخص)

وعنهم يقول الموردق: "أف شتادون كيادين كونداما" ("بيد خاوية لن تمسك بتلابيبهم" والمقصود: ليس بالسهل التغلب عليهم لشدة خبثهم وأساليبهم وجرابهم الممتلئ بالأعاجيب، وسرعة حركتهم وبديهتهم، وشبه استحالة القدرة على التغلب عليهم). وأعمالهم تقف على أرض ميثولوجية تضرب بجذورها إلى أعمال السحر التى كان يقوم بها الإنسان الأول. وبينهم الساحر/الحكيم الذى يمارس علاج الناس (السحر الأبيض) والمشعوذ والقادر على مسخ الناس (السحر الأسود)، الذى يسمونه عند الموكشا "بوكراسا كايايخت" (pokry بوكرى/ البذرة الداخلية لحبة الخوخ وكايامس kayams بمعنى يضع) أى: ذلك الذى يقرأ الطالع باستخدام بذر الخوخ، والذى بوسعه إلحاق الضرر بالناس، والقيام بأعمال السحر.

---

(٢١٠) هنا ترد مجموعة من مترادفات لفظ الساحر/الساحرة، بما فى ذلك المشعوذ والعراف وغير ذلك، وجدير بالذكر أن المترادفات تظل مترادفات، وأن كل لفظ يظل يحمل فى طياته معناه هو الدقيق، وفى حالتنا يظل يحمل دلالات خاصة به، يظل يحمل عناوين وتاريخًا خاصًا به فى علوم أصول اللغة. وحول المترادفات الواردة هنا للفظ ساحر فهى فى الحقيقة خليط بين المعنى المعاصر للساحر الذى يستخدم مهاراته فى خداع المتفرجين، والساحر بالمعنى الأسطورى القديم القادر على إيذاء الناس ومسخهم وهلم جرا، والساحر/الحكيم أى الذى يعالج الناس، والساحر بمعنى النصاب، والساحر بمعنى الملحد والماجوسى، والساحر الذى قد يلجأ إليه الناس لبعض أغراضهم، والساحر من يقرأ الطالع، ومن يفك العمل ومن يعمل عَمَلاً، ومن ينصب على الناس فى روسيا يسمونه ساحرًا، ومن ينجز عملاً بشكل بديع دقيق وسريع يسمونه ساحرًا، ومن يحل مشكلة تستعصى على الحل يسمونه أيضًا ساحرًا، وغير ذلك، وكل هذا وارد فى المترادفات التى أوردتها المؤلفة حول لفظ الساحر، وجدير بالذكر أيضًا أن التغلب على الأمراض فى عصور الجهل والظلام كان أمرًا يدخل فى عداد المعجزات والسحر، الذى كان الناس يكرهونه ويخشونه ويلجأون فى الوقت نفسه إليه باعتبار أن بوسع الساحر أن يعالج الناس وأن يؤذيها فى الوقت نفسه بقواه الخارقة، ويسمون هذا النوع من السحرة تمييزًا لهم عن الآخرين الساحر/الحكيم/المترجمة .

والمواهب التى يتمتعون بها ليكون بوسعهم القيام بهذه الأعمال يحصلون عليها بشكل يختلف من ساحر إلى آخر، فهم إما يحصلون على هذه القدرات مع الولادة، أو من الشيطان أو منقولة إليهم من ساحر مات كان يملك هذه القدرات. وكان الموردف يجتهدون للابتعاد عن هؤلاء الأشخاص فى اللحظات الأخيرة من حياتهم حتى لا يتمكنوا من نقل قدراتهم إليهم. وعن أنفسهم يقول هؤلاء إنهم لا يتعرفون مباشرة على القدرات الخاصة التى يتمتعون بها، وأنهم أحيانًا يبدأون فى علاج الناس أو القيام ببعض أعمال السحر دون وعى وإنما فقط بإحساس بالاحتياج الملح للقيام بذلك.

والسبيل الأوسع انتشاراً الذى يستخدمه الساحر لعلاج الناس هو التعويذة التى ترافق أعمال السحر المختلفة (كانوا يرسمون صليبًا أو دائرة حول المكان المريض باستخدام سكين أو فأس، وينفخون فى الدائرة مرات ثلاث ويبصقون عبر الكتف الأيسر)، ويشار فى التعويذة إلى الأطعمة (الخبز-السكر-الماء وغير ذلك) والملابس (يعتمد هذا على نوع المرض، أو الضرر). بيد أن السحرة لم يكونوا يقدمون على علاج الأمراض كلها.

وكان الناس يتوجهون إلى السحرة فى المواقف المعقدة كلها، وكانوا يخشونهم ويعاملونهم فى الوقت نفسه باحترام. وفى الأفراح كانو يحاولون استضافتهم على أحسن وجه حتى لا يقدموا على إيذاء العروسين (٢١١) الأكثر عرضة من غيرهم للتأثر بما قد تفعله الأرواح الشريرة.

ولدى هؤلاء الناس القدرة على إصابة الإنسان والحيوانات المنزلية بالأمراض بمساعدة الأرواح الشريرة، بيد أن بوسعهم أيضًا مساعدة الناس بالنصائح المفيدة، وتقديم العون لهم فى هذا العمل أو ذاك، والتشارو معهم وتحذيرهم من أية مشكلات قد تلحق بهم وتخفيف وطأة الشوق إلى الحبيب بالتعاويذ التى تستخدم الخبز أو الماء أو الملابس. ولا يسأل الساحر أبدًا عن المرض وإنما يقول هو ممَّ يعانى المريض

(٢١١) سبقت الإشارة إلى أن المرأة فى أثناء الوضع هى ووليدها عرضة للعين الحسود ولأعمال السحرة، ويضاف إلى هذا العروسين أيضًا. ويبدو أن الموردف يعتقدون مثلنا أن كل ما يبعث على الفرح والبهجة يعرض صاحبه للعين الحسود وللأعمال الشريرة للسحرة والأرواح الشريرة/المترجمة.

وما الذى تسبب فى مرضه هذا. ويعتقد الموردف أن الساحر إن لم يؤذ أحداً ولو مرة واحدة فى الأسبوع يفقد قواه ويسقط مريضاً بل وحتى قد يموت. لأنهم، كما يعتقد الموردف، تتراكم لديهم الكثير من الطاقة "السوداء" ولذلك يسقطون دائماً صرعى الكآبة المروعة إذا مرت فترة من الزمن لم يتخلصوا فى أثنائها من هذه الطاقة بإيذاء الناس. وإذا لم يتوفر شخص بجوار الساحر فى هذه اللحظات لإنزال هذه الطاقة السوداء عليه، "يطلقها" الساحر إلى "الريح" أو إلى تقاطع طرق. ومن تلحق به هذه الطاقة السوداء لا يمكن علاجه.

وتنشب العداوات والمشاحنات بين السحرة أنفسهم، الأمر الذى يستغله الناس فى صراعهم ضد الأذى الذى يلحقونه بهم، ويحدث هذا بمساعدة ساحر آخر أشد قوة من الآخرين. وأكثر الأضرار التى يلحقونها بالناس تحدث فى أثناء العرس، وقد تمس حتى أطفالهم هم. ويلحقون الأذى بالناس فى أثناء لقائهم بهم (عند الأبواب أو البوابات) بتوجيه ضربات خفيفة بأيديهم على كتف الإنسان (ويسمى هذا: السحر بالعدوى).

وتروى الحواديت أن روح الساحر تخرج فى الليل عبر المدخنة (أحياناً فى هيئة أفعى نارية) ويظل جسده فى المنزل (كأنه نائم). وتصف "آراجياموت بيدوندا" (عند الإرزيا) (أى: تعويذة ضد السحرة) أعمال الساحر فتشير التعويذة إلى أنه فى دقيقة واحدة، من بيض معدنى، يجلب الساحر نحلاً معدنياً موجوداً فى طاسة داخل حجر راقد فى قاع البحر(أو المحيط)، ومن غور فضى فى سهل مقفر موحش بمساعدة سهم ذهبى يجلب بطة ذهبية، إذا أكلها مريض يشفى. وكانوا أحياناً يعتقدون أن الساحر هو زوبعة أو إعصار، وأن روحه تحلق مع الرياح، وإذا طُعنت الزوبعة بسكين فستصيب الساحر بالجراح. والوسائل الأكثر شيوعاً للحماية من الساحر هى استخدام: الإبرة والدبوس والصليب والصلوات والقُرّاص(٢١٢)، الذى يجب أن يحمله معهم الناس دائماً، ولهذا الغرض نفسه أيضاً يخيط الناس فى ملابسهم الأزرار المختلفة. وإذا مر شخص بالقرب من ساحر عليه أن يلتزم الصمت وأن يصنع دائرة فى راحة يده بملامسة طرفى الإبهام بالبنصر

(٢١٢) القُرّاص: Nettle نبات خشن الملمس يغطى أوراقه شعر أشبه بالإبر اللاسعة القارصة ولذا يسمى القُرّاص/المترجمة.

لحماية نفسه من أعمال الساحر، ولا يجب الإجابة عن أسئلة الساحر، وإذا اضطر الإنسان للحديث معه عليه أن يشد زراعه إلى قبضة يده ويحشر الإبهام بين السبابة والوسطى(٢١٣). وفى البيت من الضرورى قلب شوكة الفرن والمكنسة، ورشق سكين بالباب للحماية من السحرة وأعمالهم. وبهدف الحماية من العين الحسود، عليك إذا امتدحك ساحر أن تبصق ثلاث مرات عبر الكتف الأيسر. وللتخلص من أى شر قد يلحقه بك الساحر عليك عند مخاطبته أن تقذفه بالشتائم وأن تناديه أو تخبطه على كتفه خبطة أقوى من التى وجهها إليك. ولكى تنزع عنه قوته، عليك بغرز إبرة فى ثيابه، وفى الأفراح يطلقون أعيرة نارية أو يطرقون على باب الفرن. وكان الموردف يعتقدون أن السحرة يتعذبون عذابًا مريرًا عند الموت، وأرواحهم تترك أجسادهم فقط بعد أن ينقلوا المعرفة التى يمتلكونها إلى آخرين (انظر كولوما/الموت)، وروح الساحر بوسعها الخروج من القبر، ولذا كانوا يدقون وتدًا من شجر الحور الرجراج (الملعون) فوق قبره، لأن الأرض أيضًا ترفض احتضان جثته لمدة ثلاثة أعوام.

وسلوك "الناس العارفين" وحياتهم (المقصود السحرة، المترجمة) لها علامات وإشارات خاصة. وعادة ما نجد فى بيوتهم حزمًا كثيرة من الأعشاب ورأس أفعى مجففة وأحجارًا صغيرة مختلفة وأشياء وقطعًا مختلفة لقراءة الطالع وغير ذلك. وعند مخاطبة الناس يحاول السحرة تجنب النظر مباشرة إلى العينين، ويحولون عيونهم جانبًا أو ينظرون إلى الأرض. ويمكن تمييز الساحر بانخفاض صوته، وبأنه صموت غير اجتماعى، وكثيرًا ما يتحدث إلى نفسه، وعينه عادة بندقية أو سوداء اللون،

---

(٢١٣) الحركات بأصابع اليد: حتى يومنا هذا تستخدم الشعوب الروسية هذه الحركة بأصابع اليد فى المشاحنات والشجار والخناقات، وهى حركة وإن كانت فى المقام الأول بذيئة، ولكن الروس فى أثناء ذلك يرددون جملة: اذهب إلى الشيطان. وهى الحركة نفسها عند المصريين والأمريكان وغيرهم ولكن باستخدام أصابع مختلفة لرسم علامات مختلفة، أو باستخدام قبضة اليد، ويرددون أيضًا بعدها إما جملاً بذيئة أو اذهب للشيطان أو الجحيم: Go to hell . أشير هنا إلى أن هذه الحركات بالأصابع مازالت لدى شعوب عديدة تحمل آثارًا ودلالات لها علاقات بمعتقدات مغرقة فى القدم مرتبطة بفكرة حماية الإنسان من الشيطان وغير ذلك من معانى الوقاية والحماية من ظواهر غيبية أو أشخاص غير مرغوب فيهم/المترجمة.

وأحيانًا ملونة بأكثر من لون. ويعيشون كقاعدة منعزلين لا يتزوجون، ومن يتزوج منهم لا يعيش حياة أسرية سعيدة، وأحيانًا يتحدثون إلى الناس عبر الأبواب المغلقة ولا يظهرون لهم، ويفضلون النوم بالنهار وفى الليل يتجولون ويذهبون إلى الغابة. ووفق روايات الثقاة فإن بوسع بعضهم التحدث مع الأفاعى، ومعرفة لغة الحيوانات. والساحر ثاقب الفكر حاد الذكاء يقرأ أفكار الناس ويعرف وقائع الماضى والحاضر وما يخبئه المستقبل. ويوسع الساحر أن يجد ما يضيع من الناس ويحدد السارق ويرسم صورته على الماء. وتؤكد بعض الشواهد أن الناس كانت فى بعض الأحيان تنقض على السحرة وتحرق منازلهم. وكان الموردف يعتقدون بوجود علاقة حميمية بين الساحر والقوى غير الطاهرة.

ويشم السحرة الطفل الوليد ويسعون للطيران إليه عبر المدخنة. وكان الموردف يعتقدون أنه لو لم يغلق الناس المدخنة فى أثناء الولادة بوسع الساحر الطيران عبرها وخنق أو مص دماء الوليد. ولرد الحياة لهؤلاء المواليد كانوا يفتحون أفواههم ويصبون فيها قطرات من حساء "بيارياكات"(أى: حساء الفطائر باللحم[٢١٤])، وكانوا يعتبرون أن الأطفال المفقودين قد أكلهم السحرة. ولحماية البيت من السحرة كانوا يعلقون على سور البيت حذاء من الليف، وفى البيت والمنحل كانوا يضعون جمجمة دب أو حصان. وتشير الحواديت والحكايات إلى أن الساحر يمكن أن يمشى تحت الأرض أو يطير على الأشجار أو يتسلل عبر الحوائط وأن يحرق التبن ويقوم بتحويل الأشياء إلى أخرى-مثلاً يحول المنديل إلى أرنب.

ويتحول الساحر نفسه إلى خنزير أو كلب أو خروف أو قطة. وتروى حواديت الإرزيا أن الكائن الأسطورى "تريتناى" ظهر لصيادى الأسماك والحيوانات متخذًا شكل قرموط البحر والأرنب البرى، وأن كل محاولاتهم للإمساك به باءت بالفشل. وأكثر الأوقات الملائمة لظهور السحرة هى الليل أو منتصف الليل. وعندما يلتقى الساحر بشخص

---

(٢١٤) الفطائر باللحم: نوع من الفطائر فى شكل كرات صغيرة من العجين بقطر حوالى ٢ سم يحشونها باللحم ويضعونها فى ماء يغلى مزود بالبهارات والسمن، وهى من أشهر الأكلات الروسية/المترجمة.

يحاول عضه وبث الرعب فى قلبه والجلوس على كتفه وغير ذلك. وفى القرى كانوا عادة يتعرفون على هؤلاء الناس[٢١٥] ويحاولون تطويعهم وتأديبهم وتعليمهم أكل لحم القطط أو الخيل عوضًا عن لحوم البشر، وكانوا يضربونهم ويجدعون أنوفهم أو آذانهم. وإذا تحول السحرة إلى بشر يصيبهم المرض، وكانوا يربطون رءوسهم ليخفوا بذلك الأنف أو الأذن المقطوعة حتى لا يكتشف الناس علاقاتهم بالأرواح الشريرة.

ويعتقد الموردف أن قراهم فى الماضى كانت تعج بآكلى البشر والسحرة، وحرفتهم هذه لم يتلقوها فقط عن الأرواح الشريرة، ولكن أيضًا تعلموها على أيدى سحرة ومشعوذين آخرين أو تعلموها بأنفسهم، عبر السماع من الآخرين. وفى أسطورة تعود مصادرها إلى الميثولوجى الموردفى، قدم الوالدان ابنهم يورتاى إلى ساحر عجوز لتعليمه، فحصل يورتاى على حكمة السحر ومعارفه ليبزّ معلمه فيرفض الأخير إعادته إلى والديه. ويتحول يورتاى إلى حيوانات مختلفة كثيرة ويقنع أباه ببيع هذه الحيوانات ليستعين بها على كسب رزقه. ويعتقد الموردف أنه ليس بوسع كل من أراد التمكن من فنون السحر ومعارفه، لأن الناس لا تستطيع تحمل المعاناة والمشاق المرتبطة بالاتصال بالقوى الشريرة والأرواح غير الطاهرة. وأيا كان فلا عودة من الطريق الموصل إلى السحر والسحرة، ومن يقدم على السحر ويفشل يتيبس ويذوى من الضنى ويعانى أشد المعاناة ومن ثم يموت دون أن يصل إلى هذه المعارف(ومعنى هذا أن روحه لم تتمكن من الاستسلام للأرواح الشريرة).

وحتى لا يتوصل الناس إلى التعرف على السحرة، كانوا يحاولون بشتى الطرائق إخفاء أنفسهم (ومع ذلك كانوا يشاركون الناس فى أعيادهم ويذهبون معهم إلى الكنيسة) .

---

(٢١٥) قد يتوقف القارئ هنا ليسأل أليس هناك خلطًا أو خطأ فى الترجمة، وهل هؤلاء ناس أم سحرة أم شياطين أم ماذا؟ وأنا أيضًا راودتنى الشكوك نفسها. ولكن الترجمة صحيحة فيما يشير النص مرة إلى أنهم أناس عاديون، بل وحتى صالحين أحيانًا ويقومون بعلاج الناس، أو أنهم حيوانات أو مسوخ أو كائنات غير مرئية أو أنهم يتحولون إلى كائنات أخرى، أو أنهم يأكلون لحم البشر وهلم جرا. ويبدو أن الخيال الشعبى للموردف جمع كل هذا فى شخص الساحر/المترجمة .

المراجع :

(1) UPTMN. T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983. 2. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981. 3. Mordovskie narodnye skazki, Saransk 1978

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ١٠ - أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٧، الجزء ٢- الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

(٣) الحواديت الشعبية الموردقية، صارنسك ١٩٧٨ .

Hen / الدجاجة

(Saraz, M-E)

الدجاجة فى التصورات الميثولوجية للموردف فى منطقة نيجنى جوورد هى الطائر المفضل للإلهة أنجى باتيا (انظر أنجى باتيا) فهى الوحيدة التى لم ترفض تنفيذ رغبة الإلهة أن تأتى يوميًا بثمرة.

ووفق العادات كان الدجاج هو القاسم المشترك بين الأضحيات فى طقوس التعبد السحرية المختلفة: فى طقوس خاصة يسمونها "صاراز أوزكس"(انظر: صاراز أوزكس) يقيمونها بعد بذر حبوب الربيع، ويذبحون فى طقوس "بابان كاشا" (عصيدة العجوز) تسع دجاجات، وفى صلاة كانوا يقيمونها تكريمًا لماستورافا (انظر ماستورافا) الإلهة الحارسة للأرض يضحون بدجاجة سوداء، ومن اللون نفسه كانوا يلقون بطائر فى القبو فى الاحتفال بالإلهة الحارسة للمنزل كودافا (انظر كودافا) استرضاء لها واستعطافًا. وكانوا يقدمون أضحيات من الدجاج أيضًا احتفالاً بوضع

أساس كنيسة أو مدينة (يقسمون الأضحيات أربعة أقسام ويضعونها فى الأركان الأربع للأساس).

ومباشرة بعد موت أحد أفراد العائلة، كانت صاحبة البيت تلتقط من الفناء دجاجة وتقلع رأسها بحشرها فى قائم باب الحظيرة أو البوابة. وأرجل الدجاجة يلقونها فى قبر الميت، وعلى صدر الميتة كانوا يضعون رأس الدجاجة اعتقاداً منهم أن الميتة ستجد بذلك لنفسها فى العالم الآخر بيضًا وأفراخ دجاج.

وكانوا يلاحظون ويستنتجون: إذا علق تبن بذيل دجاجة، أو إذا طارت دجاجة عبر مدخنة الحمام أو صاحت فمعنى هذا أن وفاة ستحدث فى المنزل. وكانوا يعتقدون أن صياح الدجاج، الذى يعتبرونه نذير شؤم، يمكن أن "يذهب مع الريح" لو أن صاحبة المنزل ذبحت هذه الدجاجة ونزعت حلقها وحرقته ورمت الرماد فى الريح. وكانوا أيضًا يعتقدون أن الدجاج يشعر بقدوم الشر إلى البيت، وأن الدجاجة إذا وضعت بيضًا وفقس البيض أفراخًا دون أن يلحظ أى من أفراد المنزل ما يحدث - فستبتلى الأسرة بالفقر، وإذا ارتفع صياح الدجاج فستنشب فضيحة أو مشاجرة فى البيت.

وكانوا يراقبون سلوك الدجاج ويتنبئون بالطقس، فإذا نتف الدجاج ريشه، أو تمرغ فى التراب أو اختبأ فى النهار ينبئ هذا بهطول الأمطار. وإذا أخذ الدجاج فى تنظيف ريشه فمعنى هذا قدوم مبكر للخريف، وإذا تساقط ريش الدجاج معناه أن الشتاء سيكون قارس البرودة، وإذا سقط ذيل الدجاجة فلن تضع بيضًا أبدًا. وإذا بللت دجاجة رجلها فى عيد يفداكيا كانوا يقولون: "نا يفداكيو كوريتسا نوجو ناماتشيلا" (٢١٦) (أى: أن الطقس فى الصيف سيكون جميلاً).

ويهدف الحماية كانوا يفرضون محرمات مختلفة مرتبطة بالدجاج: لا يجب أن تأتى من الحقل ومعك ما تبقى هناك من الخبز، فسيموت الدجاج، ولا أن تأتى إلى

---

(٢١٦) من الأمثلة الشائعة ومعناه حرفيًا: "بللت الدجاجة قدميها من يفداكيا" (يفداكيا اسم علم لقديسة)، وعيد يفداكيا عند الموردف يكرسونه لهذه القديسة ويسمى باسمها: عيد يفداكيا ويوافق ١٤ مارس. والمقصود أن الطقس يتخلص من برودة الشتاء ويصبح دافئًا/المترجمة.

المنزل ومعك حجارة صغيرة، وإلا لن يضع الدجاج بيضًا، ولا تأتى للمنزل بنبات الشقيق الأصفر (سيصاب الدجاج بالعمى). وعند مرض الدجاج كانوا يقيمون صلاة خاصة للإلهة الحارسة للعشب نارفافا (انظر نارافا).

المراجع:

Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889.

ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين-أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

Heroine of myths/earthly girl

ليتوفا بطلة الأساطير/ البنت الأرضية

(Litova, E)

يطلق الموردف على هذه البطلة الأسطورة أسماء تختلف باختلاف المناطق الموردفية، فهم حينًا يسمونها فيتوفا وحينًا آخر ليتووفا أو ليتوما أو ليتيوفا وغير ذلك. وقد يبدو صحيحًا ما يشير إليه ماسكاييف أ. أى. أن أصل اسم ليتوفا يأتى من ليفتى آفا (Lifti ava) أى: المرأة الطائرة. وتشير الروايات حول أصل القبائل الموردفية إلى أن الجدة الأولى من أسلاف الإرزيا اسمها ليفتا. والجذر الفلندى المشترك لهذا اللفظ لا يعنى "الطائرة" فقط وإنما أيضًا "المتصلة" (لتشابه هذا اللفظ باللفظ الإستونى[٢١٧] المُرادف: ليتوما الذى يعنى "المتصلة").

---

(٢١٧) إستونيا: جمهورية إستونيا، عاصمتها تالين، تعداد السكان حوالى مليون و٤٠٠ ألف ولا تزيد مساحتها عن ٢٢٧، ٤٥ كيلو متر مربع. تقع شمال شرق أوروبا، يحدها من الشمال خليج فنلندا (وهو امتداد لبحر البلطيق) ومن الشرق روسيا ومن الجنوب لاتفيا ومن الغرب بحر البلطيق وخليج ريجا.=

وحول ليتوفا توجد أساطير متشابه بمسميات مختلفة: فعند الموكشا هناك أسطورة تسمى فاسالجيا وعند الإرزيا تسمى الأسطورة نفسها صيرجا أو أزرافكا وغير ذلك. وتروى الأساطير أن ليتوفا هى ابنة غير محبوبة من والديها (لأسباب غير معروفة) (فى أساطير أخرى محبوبة لكن صاحب ولادتها غرابة وأعاجيب[٢١٨]). والنفور من الابنة هو فى حقيقة الأمر صدى لجميع الطقوس والتحريمات التى تملى عزل البنات فى منازل خاصة[٢١٩]. وليتوفا من ناحيتها عنيدة تدخل فى صدام مع والديها. وعلى الرغم من جمالها الشديد ومهارتها المنزلية والتطريزية، لا يرغب رجل فى الزواج منها. وفى أسطورة مماثلة عن صيرجا، يتقدم لخطبتها رجل أسود جاء من أراض غير مرئية، عيناه تشتعلان كالنار اسمه بورجينيباز (انظر بورجينيباز إله الرعد عند الإرزيا).

وفى إحدى الأساطير إشارة إلى أن ليتوفا أصبحت زوج إينولا (انظر إله الرعد عند الموكشا) أى زوجة ابن نيشكيباز (انظر نيشكيباز)، وفى أساطير أخرى هى زوج شكابافاز (الإله الأعلى عند الموكشا) أو زوجة ابنه أو أنه اختطفها إلى السماء دون الإشارة لماذا حدث هذا أو مع من. والشائع أكثر هو أن بورجينيباز هو الذى اختطفها،

= شكلت مع لاتفيا وليتوانيا ما يسمى ببلدان البلطيق التى يفصلها عن فنلندا - التى طالما كانوا يتطلعون إليها - بحر البلطيق وخليج فنلندا. وإستونيا أصغر هذه البلدان من حيث المساحة والسكان، ويشكل الروس أكبر تكتل سكانى غير إستونى بعد الإستونيين. . ضُمت إستونيا إلى الاتحاد السوفيتى منذ الحرب العالمية الثانية وتحديداً عام ١٩٤٠ فى أوج الحرب السوفيتية ضد الجيوش النازية أخذاً بعين الاعتبار للموقع الجغرافى الاستراتيجى لها والقريب للغاية من أوروبا وألمانيا. انفصلت عام ١٩٩١ إبان حكم جارباتشوف للاتحاد السوفيتى وإعلانه عن سياسة إعادة البناء (البريسترويكا) التى أفضت إلى دمار وتفكك الاتحاد السوفيتى واقتصادياته العملاقة، ووقف وراء هذا الانفصال بشكل خاص ياكفليف عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى الذى قدم دعمًا هائلاً لمطلب الانفصال وبرر هذا وأمده بكل الحجج والوسائل الممكنة/المترجمة.

(٢١٨) تشير المؤلفة فى غير موضع إلى ما يطلقون عليه فى الميثولوجى الموردفى أطفال المعجزات، أى الطفل الذى تصاحب ولادته أشياء غير عادية، كأن يولد بأسنان على سبيل المثال. ومن السياقات التى يرد فيها الحديث عن هؤلاء الأطفال يبدو أن النظرة إليهم كنظرتهم إلى السحرة، فهذا الطفل محبوب ومكروه على حد سواء، وهو صاحب معجزات أيضًا/المترجمة.

(٢١٩) يبدو أن نفور الموردف من البنت كنفور المصريين من إنجاب البنات وتفضيلهم الأولاد الذكور/المترجمة.

وأمسك بها فى الشارع من بين كورس غنائى ربيعى للبنات أو من الأراجيح الاحتفالية فى عيد من الأعياد ورفعها إلى السماء على مهد طفل. ولاختطاف ليتوفا استعان بورجينيباز بالزوابع أو الأمطار التى هبت بشكل طبيعى آنذاك أو أرسلت خصيصًا لهذا الغرض. وتُختطف ليتوفا عادة فى أثناء عواصف رعدية تهب منتصف النهار أو فى أثناء تلبد السماء بالغيوم وهطول مطر نهارى هادئ. وأحيانًا تطلب ليتوفا بنفسها أن تنزل إلى الأرض مع الهواء أو السحب تعتلى أرجوحة فضية تشدها سلاسل نحاسية ومن ثم تعود أدراجها إلى السماء.

وفى الأسرة الإلهية وُهبت ليتوفا ثروة أسطورية، ولكنها لا تمتلك حقوق زوجات الأبناء نفسها هناك. عهدوا إليها بالعمل المنزلى، وفرضوا عليها فى الوقت نفسه مجموعة من المحرمات: ممنوع الالتفات عبر الكتف الأيمن، أو النظر عبر النافذة السحرية، أو الدخول فى مخزن محدد من مخازن الحبوب (عادة المخزن السابع). ووضعها فى السماء، كما كان فى الأرض، هو وضع الخاضع التابع (ففى كل خطوة تخطوها عليها الحصول على موافقة كبير المنزل). بيد أن ليتوفا تخترق بعض المحرمات (فتفتح المخزن السابع، وترى والديها ومنزلها) لأنها تشتاق للحياة الأرضية ولوالديها، وكثيرًا ما تبكى وتشعر بالتعاسة وتأمل النزول لزيارة والديها فى بيتهما. ويوافق زوج/حمى ليتوفا على نزولها ويضع لهذا شروطًا: ألا تتأخر عن ساعة زمن (وأحيانًا ساعات ثلاث – لكن يحدث هذا بشكل نادر)، وألا تودع أحدًا وألا يودعها أحد، حتى لا يعلم أحد أين تذهب، أو أنها تصعد إلى السماء. وفى إحدى الأغانى يُوقع شكابافاز العقاب على من يخرق هذه المحرمات (فيقتل أخاها الأصغر الذى يصاحبها حتى البوابة مودعًا لها). وعادة ما تزور ليتوفا والديها منفردة، وكثيرًا ما لا تجدهما بالمنزل، وتترك على الطاولة أو الحائط بصمات أو إشارات تدل على وجودها بالمنزل فى أثناء تغيبهما عنه. وتشير بعض الأغانى إلى زيارة ليتوفا لوالديها بصحبة زوجها السماوى.

وحتى أيامنا هذه مازالت الذاكرة الوطنية الشعبية الموردڤية تحتفظ بأغانى تدور حول ليتوفا، حتى إن فريقًا للموسيقى المعاصرة فى موردڤا أطلق على نفسه اسم ليتوفا.

المراجع :

(1) Yakov. O. O Mordvah, nahodyashchihsya v Nizhegorodskom uezde Nizhegorodskoi gubernii.SPB., 1848. 2. Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964;

(١) عن الموردف فى منطقة نيجنى جورود بمحافظة نيجنى جورود، ياكوف ١٨٤٨ .

(٢) الأغنية الملحمية الشعبية الموردفية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

Holiday, magical ceremony accompanied with praying in honor of a oxen/ صلاة/ عيد تكريماً للثيران

(Buka ozks, M- E) (Buka ثور و ozks صلوات/عيد)

يحتفل الموردف فى محافظة صاراتوف بهذا العيد/الطقس السحرى قبل عيد صعود المسيح عليه السلام، ويضحون فيه بثور، ويعدون مشروب الكفاس ومشروب العسل الأبيض. ويحتفلون بالعيد على تل تنمو عليه أشجار البتولا. ويقوم أربعة رجال بطقوس تقديم أضحية العيد. وكانوا كل عام يختارون رجالاً جدداً، ويجلس فى العيد الأرامل كبار السن من الرجال والنساء فوق شجرة البتولا-التى يؤدون تحتها طقوس العيد- ويظلون هناك حتى انتهاء الاحتفال (يضعون لهم الطعام فى وعاء يثبتونه على فرع الشجرة). وعندما يعلقون جلد الثور على فرع منخفض من الشجرة يركع الناس ويرفعون أزرعهم إلى أعلى، ويأخذ أحد القائمين على تنظيم العيد فى ترديد الصلاة للإله الأعلى، سائليه نشر العدالة والمحصول الوفير وخصوبة الماشية. وبعد انتهاء الطقوس كانوا يبيعون الجلد ويضعون ما يحصلون عليه من أموال فى صندوق ويخصص للإنفاق على الاحتفال التالى.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952

هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

Holiday, magical ceremony devoted to a cattle-shed

كالداز أوزكس/ عيد الزريبة

(Kaldaz ozks, M- E) (Kaldaz فناء/زريبة و ozks صلوات/عيد)

تحتفل به الأسر بعد عودة الماشية من المراعى مع انتهاء الصيف[٢٢٠] للبيات الشتوى (يُقام هذا العيد فى مركز كارسون بعد مرور أسبوعين على عيد الغطاس). وكانوا يعدون فى الاحتفال أربع فطائر طقسية صغيرة ويشوون خنزيراً، ويقيمون الصلاة فى وسط الزريبة حيث يعدون طاولة عليها بعض الأطعمة. ولم يكن الموردف يستخدمون أيقونات فى هذا الاحتفال. وكانوا يثبتون شمعة موقدة على عامود بالقبو ويصلون متوجهين إلى الشرق متضرعين إلى الإلهة الحارسة للزريبة كالدازافا (عند الموكشا) وكاردو سياركو (عند الإرزيا) سائليها حماية الماشية. وبانتهاء الصلاة يتركون بعض الأطعمة فى الزريبة ويعودون إلى البيت لتناول الوجبة الطقسية للغداء. ومن عادات هذا العيد منع استخدام السكين، وكانوا يقطعون لحم الخنزير والخبز بأيديهم، أو يأكلونها مباشرة وهى على راحة اليد. وكانوا يقدمون العظام للماشية فى الزريبة حتى تتكاثر بوفرة.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr.T. 5. Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردقى يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

---

(٢٢٠) بعد عودة الماشية من المراعى مع انتهاء الصيف: انظر هامش المترجمة رقم ٦٥/المترجمة.

Holiday, magical ceremony devoted to a Hen

صاراز أوزكس/ عيد الدجاج

(Saraz ozks, M- E) (Saraz دجاجة و ozks صلوات/عيد)

صاراز أوزكس عيد ريفى تقليدى يحتفلون به بعد بذر الحبوب فى الربيع. ويعود اسم هذا العيد إلى لفظ "دجاجة" لأنهم يقدمون فيه الدجاج كأضحيات (من كل بيت دجاجة)، وكانوا يذبحون الدجاج فى مكان الصلاة على ضفة نهر، ثم يسلقونها فى قدور مشتركة الملكية. وعند الذبح يتركون دماء الأضحية تسيل فى حفرة خاصة ويحرقون الريش والزغب، ويلقون بالعظام فى الماء. وفى الصلاة كانوا يتضرعون للإله الأعلى سائليه المحصول الوفير والصحة للناس والخصوبة للماشية.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T.5 Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردڤى يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony in honour of barn

آفين أوزكس / عيد مخزن الحبوب

(Avin ozks, M- E) (Avin مكان تجفيف الحبوب و ozks صلاة/عيد)

أفين أوزكس عيد تقليدى يحتفلون فيه بقبو تجفيف الحبوب، ويحتفل الإرزيا بهذا العيد مرتين فى العام فى كل أسرة أو عشيرة على حدة. (ويحدث هذا عادة قبل بداية موسم درس المحاصيل وعند نهايته)، ويحتفل الموكشا بالعيد مرة واحدة فى السنة (فى عيد الفصح أو فى الأحد الأول بعد الفصح). وكأضحية يقدمون فى هذا العيد ديكًا

أحمر (كانوا يتركون الرأس والدم فى سرداب مطمور تحت مخزن تجفيف الحبوب). وعلى الغداء كانوا يأتون بالبوظا (مشروب كحلى موردقى) والديك المسلوق (الذى يظل بعض الريش والزغب عالقًا به هنا وهناك) إلى حيث الفرن/الجُرن حيث يتناولون طعامهم فى هذا العيد. وكانوا فى الصلاة يشكرون إلهة الفرن/الجرن لأنها تحمى حبوبهم، ولانتهائهم بالتوفيق من درس المحاصيل. وبعد الصلاة تبدأ الطرابيزة (الوجبة/المترجمة) الطقسية.

المراجع :

Orlov N. P. Mordva-Moksha//Penz. Gubern. Ved. No. 106-108.Penza, 1876

المورِدف الموكشا بمحافظة بنز. أرلوف ن. ب. ١٠٦-١٠٨ بنز ١٨٧٦ .

Holiday, magical ceremony devoted to horses on Ascension

الآشن أوزكس/ صلاة الخيل

(Alashan ozks, M- E) (Alash حصان و ozks صلاة/عيد)

الآشن أوزكس صلاة للخيل تُقام يوم صعود السيد المسيح عليه السلام. وعشية هذه الصلاة يشترى الناس من أموال يجمعونها: العسل الأبيض لإعداد البورا[٢٢١] الخنازير والأوز. وعشية العيد على صاحب المنزل، الذى يحل دوره فى إعداد الاحتفال وتنظيمه، أن ينتقل ومعه من يساعده بكل الاحتياجات المطلوبة (الحطب والقدور والأكواب) إلى مكان الصلاة (حيث شجرة صنوبر) ويبدأون فى إعداد الوجبات الطقسية.

(٢٢١) البورا: مشروب انظر هوامش المترجمة رقم ٥٢-٩٤/ المترجمة.

وفى الاحتفال يشارك شخص من كل بيت حاملاً معه رغيفًا من الخبز يضعون على سطحه بيضة دجاجة بحيث يظهر منها على سطح الرغيف أقل من نصفها ويختفى النصف الأكبر من البيضة فى الرغيف. ويضعون كل ما جاءوا به من أرغفة فى صف على الأرض، وأمامهم مثبتة على زانة مغروزة فى الأرض أيقونة الآلهة الحارسة للخيل فلور (Flor) ولافر (Lavr) وشمعة مضاءة، ثم يختارون ثلاثة من أكبر المشاركين سنًا للقيام بالصلاة؛ حيث يتضرعون إلى فيريباز (الإله الأعلى عند الإرزيا) وإلى الآلهة الحارسة للخيل يسألونهم حمايتهم من أشكال الشر كلها، وبعد هذا يقوم كبار السن بالدوران ثلاث مرات حول الخبز الموضوع على الأرض على أن يلمس كل منهم براحة يده كل رغيف، وفى المرة الثالثة من الدوران حول الخبز يقوم أحدهم (الأول) بتناول سكين ويأخذ من كل رغيف قطعة يضعها فى إناء، ومن ثم يدفنون كل هذا فى الأرض تحت شجيرة، ويشرعون فى تناول الوجبات الطقسية.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony devoted to a Porridge(٢٢٢)

صلاة/ عيد العصيدة

(Balamyk ozks, M) (Balamyk عصيدة خفيفة و ozks صلاة/عيد)

صلاة يقيمونها فى شهر يونيه على أحد المروج تحت شجرة البتولا، ويشارك فيها فقط النساء والبنات. ويتميز هذا الاحتفال بشكل خاص بأنهم يعدون فيه عصيدة من

(٢٢٢) العصيدة من الأكلات الشعبية الشائعة فى روسيا انظر هامش المترجمة رقم ٨٢/المترجمة

نوع خاص تسمى بالاميك (من الدقيق والحنطة أو الشعير والبيض)، وفيه يتضرعن للآلهة لإنجاب أطفال.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردفى ، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony devoted to a wooden plough

كيريت أوزكس/ صلاة المحراث

(Keret' ozks, E) (keret محراث(خشبى) و ozks صلاة/عيد)

كيريت أوزكس/صلاة المحراث صلاة جماعية يقيمونها قبل بداية حرث الأرض، وينظمونها وفق العادات على أطراف القرى فوق أحد المروج تحت أشجار الدردار القديمة، وكأضحية يذبحون ديكًا أو ذكر بط، ومنه يعدون حساء.

ومن كل بيت يأتون برغيف من الخبز، وعلى مفرش أبيض يضعون الخبز والملح والطائر المسلوق. ويقوم من يرشحونه من المسنين للقيام بالصلاة ويتلو الصلوات متوجهًا نحو الشرق، وباسم كل المشاركين فى الصلاة يتوجه إلى شكاى (انظر شكاى) يسأله المحصول الوفير وخصوبة الماشية وهطول المطر وحماية القرويين فى الظلمات ومن الساعة الشؤم والرياح.

وبعد الصلاة، كانوا يستقطعون من كل ديك وذكر بط ورغيف خبز قطعة يسمونها "أوزوندوما باكش"(عند الموكشا) (أى: قطعة الصلاة)، ويجمعون كل هذا فى سلة يعلقونها على شجرة الدردار للآلهة الحارسة. ومن ثم يلتف المشاركون حول الطاولة

التى تحوى وجبات طقسية فى مجموعات من عشرة أشخاص(٢٢٣). ويعد الطرابيزة (الوجبة/المترجمة) كانوا يحددون يوم بداية العمل فى الحقول ويختارون الشخص الذى سيكون أول من يبدأ العمل فى الأرض، وكانوا يخصون بهذا الشرف شخصًا موفقًا سعيد الحظ يفترضون أنه سيجلب لهم التوفيق ومعروف عنه أن محاصيله كانت الأفضل.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردقى ، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony in a village

فيلى أوزكس / عيد قروى

(Vele ozks, M- E) (Vele قرية و ozks صلاة/عيد)

فيلى أوزكس صلاة/عيد قروى يشارك فيه الرجال والنساء والأطفال ويستمر أيامًا ثلاثة تبدأ بعيد القديس بيتر (فى ٧/١٢ المترجمة). وفى اليوم الأول يذبحون ثورًا كأضحية، وفى اليوم الثانى عِجْلَة صغيرة، ويعدون البيرة. وفى اليومين الأولين كانوا يصلون للإله الأعلى شكاى يسألونه الصحة للقرويين والمحصول الجيد من الحبوب، وفى اليوم الأخير يسألونه صحة الجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية فى ذلك الوقت. وكانوا يعدون خصيصًا لهذا اليوم برميل بيرة وكميات من العصيدة، ويسهرون فى هذا الحفل إلى وقت متأخر من الليل. وكان كبار السن يجلسون يشربون البيرة فيما يمرح الشباب فى ألعاب مختلفة. وكانوا يؤدون طقسًا يسمى "سيوكورون لاسفتيما".

(٢٢٣) بالعُشر يقسمون الأرض: العُشر أو بالروسية ديسياتينا Dessiatina هو وحدة قياس الأرض فى روسيا قبل الثورة الروسية ١٩١٧ وتساوى ٢,٧ أكر الذى يساوى بدوره ٤٨٤ ياردة مربعة. والمقصود هنا أنهم كانوا يجلسون عشرات تيمنًا بالعشر وحدة قياس الأرض /المترجمة

(Syukoron' las'fteme) (عند الموكـشـا) (أى: الركض وراء الفطيـرة) حـيث يقـوم متطوعان بالركض، تُقدم لأحدهما قطعة لذيذة من فطائر لقمة القاضى، وعلى الآخر الركض وراءه وانتزاعها منه.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5 Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردقى ، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony on village meadows

صلاة/عيد على مروج القرية

(Laima ozks, M) (Laima طائر بُطمِة الشمال[٢٢٤] و ozks صلاة/عيد)

صلاة قروية فى المروج، يؤدونها على تل تنحدر تحته تدريجياً المروج. وأغلب الظن أن اسم هذا العيد مرتبط بطائر بطمة الشمال الذى يتصادف وجوده بالقرب من مكان إقامة هذه الصلوات. وأحياناً يطلقـون على هذه الصلاة "أكشاكال أوزكس" (عند الموكشا) (أى: صلاة السمك الأبيض والمقصود سمك الأبراميس (الشلبة/المترجمة) أو سمك الكراكى وغير ذلك). وكانوا كأضحية يذبحون خروفين ويصلون لإله الشمس ويسألونه المساعدة فى حصد العشب وجمعه فى أكوام، وأن تأكل الماشية العشب ويجلب لها العشب الصحة.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5 Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردقى ، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

---

(٢٢٤) طائر بطمة الشمال: طائر يسمى بالإنجليزية Bird cherry tree وبالروسية "تشيريوموخا" /المترجمة.

Holiday, magical ceremony devoted to driving the catile to pasture

صلاة الاحتفال بإخراج الماشية إلى المراعى

(Liftema-Suvaftoma ozks, M)

(Livtema Sovavatoma ozks, , E)

(Liftemas, M و Livtems, E يفلـت / يسـقـط / يتـرك (Let out) و Suvaftoms, M و Sovavtoms, E يُدخل (Let in))

صلاة يقيمونها فى القرى احتفالاً بإخراج الماشية للمراعى[٢٢٥]، تقام على أطراف القرى حيث يقودون الماشية (باستثناء الخنازير). وفى هذا اليوم كانوا فى كل البيوت يصبون الماء على نار المواقد لإخمادها. وكانوا يضرمون النار الجديدة (أود تول: أى النار الجديدة-عند الموكشا) فى مكان الصلاة بحك قضيبين جافين من الخشب بعضهما ببعض، ويأخذ كل صاحب بيت في وعاء خاص نصيبه من النار الجديدة (الفحم المشتعل)، ويظل هذا الفحم مشتعلاً فى الوعاء طوال العالم حتى موعد الصلاة اللاحقة. وفى هذا المكان فوق حفرة تعد خصيصاً لهذه المناسبة يشيدون منصة ضخمة من الألواح الخشبية تنتصب على قوائم ويغطونها بالعشب. وفى أثناء الصلاة ويمنتصف المنصة يضعون وعاء النار الجديدة. وبهدف الحماية من الأرواح غير الطاهرة يقودون الماشية ثلاث مرات لتمر من أسفل المنصة. وكأضحية كانوا يذبحون خروفًا ويقدمون أرغفة الخبز. وفى الصلاة كانوا يطلبون الصحة وخصوبة الحيوانات المنزلية بحليبها وصوفها وعسلها.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr.T. 5 Mordavskaya Svadba. Saransk. 1966

العرس الموردفى ، يفسيفيف م. أى. صارنسك ١٩٦٦ .

(٢٢٥) إخراج الماشية للمراعى: انظر هامش المترجمة رقم ٦٥/المترجمة.

Holiday, magical ceremony preformed by women

بابان أوزكس/ صلاة العجوز/ عصيدة العجوز

(Baban' ozks, E) (Baba عجوز/سيدة مسنة و ozks صلاة/عيد)

(Baban Kasha, E) (عصيدة العجوز)

صلاة العجوز: عند الإرزيا فى منطقة نيجنى جورود يقيمونها فى أسبوع العنصرة ويشارك فيها الأرامل من النساء والرجال (وغير مسموح للغير بالمشاركة فيها)، وعند الإرزيا فى منطقة بنز يقيمون هذه الصلاة فى أول أحد لاحق لعيد القديس بيتر (٧/١٢ المترجمة) أو يوم عيد القديس بيتر نفسه ويشارك فيها النساء والرجال. وفى الطقوس السحرية التى يقيمونها فى هذا الاحتفال يظهر بوضوح إيمانهم بالآلهة الأسطورية وتبرز صريحة آثار الطوطمية. ولإقامة الاحتفال كانوا فى القرى يجمعون الأكل والنقود لشراء خروف، وفى يوم العيد يأخذون إلى مكان إقامة الطقوس ما جمعوه (الخروف - ٩ دجاجات - ١٥ وعاء عصيدة) وشجرة بتولا يزينونها بالمناديل والمناشف البيضاء. وبالقرب من أحد البساتين يتوقفون ويضرمون النار ويعدون السالما (وجبة من العجين الرقيق مع اللحم) ويحمرون البيض. وبداية كانوا يضعون ما أحضروه على الأرض، وينصبون شجرة البتولا فى منتصف المكان، ويقيمون الصلاة ثلاث مرات (يطلبون فيها من الإله نيشكى (ابن الإله الأعلى) الخبز، ومن فيديافا (الإلهة الحارسة للماء) الصحة). وبعد الإفطار يأخذون قسطًا من النوم. ومن ثم يقومون بطقوس إعداد الأضحية وتقديمها (فيذبحون الخروف و٩ دجاجات: ويتركون الدم يسيل فى حفرة يعدونها لهذا الغرض ويسدون الحفرة بالتراب). وبعد إعداد الوجبات الطقسية من اللحم، يشعلون شمعة (انظر شتاتول) ويتلون صلوات أخرى ثلاث مرات يتوجهون فيها للآلهة وللأسلاف يسألونهم فيها حماية قريتهم من المرض والبَرد وغير ذلك. وبعد المائدة الطقسية، كانوا يدفنون جزءًا من الأكل فى الركن الغربى لزريبة الماشية، ويدفنون جزءًا أخر تحت حجر الإلهة الحارسة لزريبة الماشية (كاردوسياركو). ويضعون شجرة البتولا فى زريبة الماشية ، وينشرون أفرعها هناك.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، صارنسك، ١٩٦٦ .

مولد إيفان كوبالا / Holiday (Ivan Kupala's)

(Valnoma Chi, E و Kupalnya, M)

مولد إيفان كوبالا (فى السابع من يوليه)- مولد يوحنا المعمدان[٢٢٦]، يوم الانقلاب الشمسى الصيفى، الذى دخل إلى الثقافة الشعبية للموردف بعد المسيحية، ولكن بشكل متحور بدرجة ما (بتأثير ازدواجية الأديان)[٢٢٧].

وحتى يومنا هذا فى العديد من قرى الموكشا والإرزيا يظل أهم جزء من طقوس هذا اليوم هو رش الناس لبعضهم البعض بالماء، ويعتبرون أنه كلما زاد الماء الذى يرشون به بعضهم البعض كان هذا أفضل، ولذا كانوا أغلب الأحيان يستخدمون دلاء لهذا الغرض ويصبون منها الماء حتى يغرقوا بعضهم البعض من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين. وفى المخيلة الشعبية للموردف أن هذا الطقس يستهدف إنعاش

(٢٢٦) يحتفل المسيحيون السلاف بمولد يوحنا المعمدان فى ٧ يوليه ولكنهم يسمونه عيد إيفان كوبالا. ويرتبط فى الكنيسة المصرية القبطية بالبشارة التى أبلغها يوحنا المعمدان إلى السيدة مريم البتول بحلول الروح القدس فيها. انظر هامش المترجمة رقم ٦٢-"إيفان كوبالا"/المترجمة.

(٢٢٧) المقصود تأثير الوثنية على كل الطقوس والأعياد والمناسبات الدينية المسيحية، ويبدو هذا التأثير واضحًا للغاية فى السياقات الأخرى كلها، حيث كانوا عمليًا يجمعون بين المناسبات والأعياد الدينية الوثنية والمسيحية، بل وأحيانًا يضفون على القديسين المسيحيين وحتى المسيح عليه السلام صفات آلهتهم الوثنية وقدراتهم ومعجزاتهم، ويمارسون طقوسهم الوثنية فى الأعياد المسيحية، ويطابقون بين آلهتهم الوثنية والقديسين المسيحيين/المترجمة.

الصحة وتجديدها وطرد الأرواح الشريرة من الأبدان. ومن المألوف انتشار الاعتقاد بأن الماء وعالم النبات مساء عيد كوبالا يصبحان ذا قوة سحرية. وتنتشر تقاليد جمع الزهور (التى يسمونها عند الموكشا كوبالنايا بانتشفت (أى: زهور الاستحمام) فى وقت متأخر من الليل عشية عيد كوبالا، وتجفيفها وحفظها فى البيت حتى العيد القادم. وكان الموردف الموكشا يعتقدون أن العشب فى كل مكان تضيئه الشموع، وأن فوق كل زهرة اثنتى عشرة شمعة مضاءة يراها فقط الطيبون من الناس، ولو أن إنسانًا انتزع ولو بتلة صغيرة من هذه الزهور التى تضيئها الشموع فسوف يفهم لغة الوحوش والأفاعى والطيور. وكانوا يعتقدون أيضًا أنه عشية عيد كوبالا يرتفع إلى سطح الأرض كنز مطمور فى هيئة حصان فضى بقوس ذهبى وجرس ذهبى، يسمعه فقط من يستحق أن يجد هذا الكنز.

وبهدف العلاج كان المرضى يذهبون إلى النهر قبل شروق الشمس فى فجر العيد، ويؤدون طقوسًا سحرية محددة، من ذلك على سبيل المثال: يرسمون الصليب ثلاث مرات، ويخرجون من بيوتهم إلى النهر ورءوسهم عكس اتجاه الطريق، ويلتزمون الصمت طوال الوقت. ويستحمون ثلاث مرات سائلين كوبالا فى صمت أن يشفيهم. ثم يعودون إلى البيت ملتزمين الصمت ويرقدون فى فراشهم.

وكانوا فى عيد كوبالا يمتنعون عن إعطاء أى شىء من البيت لأى شخص (إذ يعنى هذا أنك تعطى صحتك وقوتك للآخرين)، وكانوا أيضًا يحرمون العمل فى هذا العيد وبشكل خاص انتزاع الحشائش والنباتات الضارة من بستان الدار (إذ ينذر هذا بمحصول هزيل). وكانوا يتنبأون بالطقس القادم وفقًا للطقس السائد يوم العيد، فالطقس المشمس فى العيد يعنى صيفًا جميلاً والممطر يعنى صيفًا ممطرًا.

Holiday, magical ceremony with sacrificing a stallion

أيجور أوزكس/ عيد الحصان

(Aigor ozks, M- E) (Aigor فحل الحصان و ozks صلاة/عيد).

عيد وثنى أطلق عليه هذا الاسم لأنهم كانوا يقدمون فحل حصان كأضحية فى هذا العيد، وكانوا يعلقون جلد الحصان بعد نحره على الشجر. وكانوا يحتفلون به فى الخريف بعد بذر الحبوب مرة واحدة كل ثلاثة أعوام فى الحقول التى يزرعون فيها المحاصيل الشتوية. ويشارك فى الاحتفال الرجال فقط، وكانوا فى الصلوات يسألون باكسيافا الإلهة الحارسة للحقل أن تهبهم محصولاً وفيراً.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، صارنسك، ١٩٦٦ .

Holiday, magical ceremony of womem's beer

آفان بوظا[٢٢٨]/ عيد بيرة النساء

(Avan' poza, M) (ava سيدة/أم و poza مشروب وطنى/بيرة)

عيد بيرة النساء عيد دورى عام يحتفلون به قبل موسم بذر الحبوب (فى الأسبوع التالى لعيد الفصح) تكريماً لـ"باكسيافا" (عند الموكشا) الإلهة الحارسة للحقل واستجلاباً

(٢٢٨) البوظا بالموردقية هى البيرة، وعند المصريين يطلقون على نوع ردىء ورخيص من المشروبات الكحولية اسم بوظا أيضاً/المترجمة.

لرحمتها وعطفها(وحاليًا يحتفلون بهذا العيد بعد بذر الحبوب). وفى الإعداد لآفان بوظا تشارك فقط النساء. وفى كل عام يختار القرويون(بالتتابع-بالدور) امرأة لإعداد البوظا فى منزلها. يقيمون الصلاة يوم الجمعة سائلين الآلهة الحارسة منح الصحة للناس والمحصول الوفير، ويقدمون يوم السبت الخروف الأضحية، ويعدون الوجبات الطقسية للأطفال، وبعد المائدة الطقسية يقدمون البوظا، ويوم الأحد يقيمون الطقوس الرئيسية للعيد، فتدعو صاحبة المنزل كل القرويين للمشاركة فى العيد، وتتلقى من كل عائلة بيضة(رمز الخصوبة والحياة). وقبل الشروع فى الاحتفال يقيمون الصلاة مرة ثانية، وإذا تصادف وجود زوجة ابن شابة فى المنزل المضيف، فعليها الانحناء أمام كبار السن من القرويين، الذين يتمنون لها فى المقابل حياة طيبة سعيدة. وبعد الاحتفال، وفى وقت متأخر من الليل، تُقدم أوعية إعداد الوجبات والبيرة إلى صاحبة المنزل الذى سيقام فيه العيد القادم. وحتى وقتنا هذا ما زال الموردڤ يحتفلون بهذا العيد فى الكثير من قرى منطقة كوفيلكينو بجمهورية موردڤا.

المراجع:

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. Evsevyev M. E. Mordovskya svadba. Saransk, 1966

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردڤ، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) العرس الموردڤى. يفسيفيف. صارنسك ١٩٦٦ .

Horse/steed

الفرس/ الجواد

(Alasha, M- E)

الفرس/الجواد فى التقاليد الشعبية وفى الدين موضوع للعبادة، وهو حيوان يحظى بمكانة خاصة واحترام كبير، خاصة عند تقديمه كأضحية، إنه رمز الدفء ورمز الربيع. وتشير الحفريات الآرخيولوجية إلى أن الموردف عرفوا الفرس/الجواد منذ زمن بعيد. وفى الأغنية الميثولوجية " الفرس والصقر" نرى الحصان بلون الكارى وأرجل بيضاء، وعلى جبينه نجمة، وفى معركة بين الحصان والصقر على حق أىٍّ منهما فى أن يكون "مُطْعِم" الناس ومالك الأرض، ينتصر الحصان.

ويشير باربارو إى. إلى أن تقاليد تقديم الحصان قربانًا للآلهة تعود إلى القرن الخامس عشر، وكان الموردف عندئذ يربطون أرجل الحصان ببعضها، ويشدون رأسه إلى عمود أو سارية مغروزة فى الأرض ويطلقون عليه سهمًا. وكانوا يحشون جلد الفرس بعد سلخه ويصنعون منه حيوانًا/عروسة (كالمحنط[٢٢٩]) يضعونه عند عتبة المنزل ويصلون له. وكانوا عادة يعلقون على الشجرة فراء الحيوانات التى يقدمونها قربانًا للآلهة فى هذه المناسبة، ومن ثم يؤدى المشاركون بعض الطقوس على المائدة ويشرعون فى أكل لحم الفرس. وأحيانًا كانوا يرفعون الحيوان المحنط أعلى شجرة ويصلون له مثل الشمس.

وتنعكس عبادة الفرس فى الكثير من التقاليد والطقوس؛ ففى قرية لوباسكى التى يقطنها الإرزيا بمنطقة إتياشيفا بجمهورية موردفا كانوا يقدمون الفرس كأضحية فى مناسبات تأبين إحياء ذكرى الموتَى من الرجال. وبعد مأدبة الدفن كانوا يعلقون جلد الفرس فى الجبانة/القرافة على شجرة سنديان. وفى تقليد آخر لاحق تاريخيًا لهذا كانوا

(٢٢٩) ليس المقصود على الإطلاق المعنى الذى قد يتبادر لذهن القارئ عن التحنيط، المقصود بدقة هو أنهم كانوا بعد ذبح الحصان يسلخون جلده ويحشونه ليتخذ مرة أخرى هيئة الحصان، وإن كانت المؤلفة استخدمت كلمة "التحنيط" التى التزمت من ناحيتى بترجمتها/المترجمة.

يُقَطّعون جلد الفرس إلى شرائط رفيعة (بهدف الحفاظ عليه لفترة أطول) ويعلقونها على شجرة سنديان ويتركونها بالجبانة، وفى تقليد لاحق كانوا يضعون هذه الشرائح فى قبر الميت. وبعد المسيحية كف الموردف عن تقديم الفرس كأضحية، وعن استخدام لحم الفرس فى مأدب التأبين وإحياء ذكرى الموتى، وحتى وقت قريب كانوا يمتنعون عن أكل لحم الحصان.

وانتشرت على نطاق واسع جداً فى مناسبات وأعياد وطقوس خاصة وعشائرية عادة الاحتفاظ بحصان محنط، أحيانًا يعتليه رجل أو سيدة، (ومازالت هذه العادات موجودة حتى الآن فى بعض القرى). وفى محافظة سيمبيرسك كانت التقاليد تملى فى عيد تجلى الروح القُدُس أن يقوم رجلان بتمثيل دور الفرس، ويعلقون على الرقاب جرسًا، ويُجلسون على الحصان طفلاً، ويأكلون البيض المعد بالطريقة الطقسية.

ولعبادة الفرس تجليات أخرى تبدو واضحة فى بعض الطقوس والشعائر، من ذلك على سبيل المثال: عند نقل شمعة العشيرة (انظر شتاتول/شمعة) تتأرجح النساء معتليات هيكل خشبى (فى شكل حصان)، وفى منتصف الهيكل الخشبى مجموعة أشولة محشوة بالذرة ومزينة بعقد من الشرائط تتخذ هيئة بدن الحصان. وكانوا فى هذا المشهد يعلقون أسفل الشوال الأخير كرتين من قماش أحمر (لإعطاء انطباع بأن هذه الهيئة هى جواد حقيقى). وكانت بعض النساء تعتلى ظهور هذه الهياكل الخشبية وتقلد صهيل الفرس، فيما تقوم نساء أخريات، معتليات ظهور الخيول الخشبية تمسكن شرائط ملونة مزينة وتعلقن أجراسًا خشبية على رقبة الخيول الخشبية، بقرع الموسيقى المصاحبة للأغانى المرحة.

وفى الأعراس كانوا يؤدون ضربًا من الطقوس السحرية المرتبطة بعبادة الخيل، ففى محافظة سيمبيرسك، كانوا فى أثناء نقل تورتة الفرح من البيت إلى مخزن الحبوب، حيث الفراش المعد للعروسين خصيصًا لهذه المناسبة، كانت امرأة تتقدم الحشد تضع طقم فرس على ظهرها ولجامًا فى فمها، وتأخذ فى تقليد الخيل فتصك أقدامها بالأرض وتقفز وتصهل. وحتى يومنا هذا فى منطقة أتياشيفا، إذا تصادف والتقيت بموكب عرس[٢٣٠]

(٢٣٠) فى قرانا المصرية يشيع المشاركون فى الفرح العروس إلى منزل زوجها مرورًا فى شوارع القرية فى موكب تصاحبه الآلات الموسيقية والغناء والرقص الشعبى، وهو الزفة فى المدن المصرية، وهذا ما يحدث فى قرى موردفا حتى الآن/المترجمة.

تجد النساء المتقدمات فى السن يعتلين ظهور تلك الخيول الخشبية المزينة ليستقبلن العروسين فى موكب عند عودتهما من مكتب تسجيل الزواج إلى البيت.

ومن بين طقوس الإرزيا فى احتفالات عيد الفصح ينتشر على نطاق واسع مشهد الفارس الذى يمتطى صهوة الجواد الشمسى، وكان اجتماع القرية هو الذى يحدد الشخص الذى سيقوم بتمثيل "الفصح" والذى يجب أن يكون صاحب حصان فاتح اللون (رمادى أو أبيض). وعند قدوم هذا الفارس إلى القرية كانوا يقدمون له الخبز والملح، وكان يمر على كل بيت ويتوقف بحصانه ويتمنى لكل عائلة السعادة والتوفيق والثراء، وفى المقابل يقدم أصحاب البيت له البيرة المنزلية (البراجا). وفى نهاية الفصح كانوا يودعون الفارس والحصان حتى أطراف القرية ويطلقون أعيرة نارية(٢٣١). وكان الإرزيا يعتقدون أن الفصح يظهر ممتطيًا حصانًا أبيض. ووجود الحصان كتجسيد لصورة الشمس أصبح من التقاليد المتبعة فى أعياد الفصح والعنصرة ورأس السنة، أى الأعياد التى كان الفلاحون يعلقون فيها آمالاً على رحمة السماء وكرم الشمس. ومن هنا تأتى فكرة إضرام نار ضخمة فى عيد رأس السنة يستحثون بها الشمس لكى تشرق إشراقًا يملأ الدنيا بنورها، ومن هنا أيضًا فكرة إعداد البلينى الطقسى-رمز النور السماوى، وتلوين البيض بقشر البصل فى عيد الفصح - الأمر الذى يرمز إلى الشمس والحياة معًا، واقتلاع أشجار بتولا صغيرة - لمنح الأرض والناس قوة الطبيعة والشمس. وفى عيد بيت الكريسماس (راشتوفان كودا- انظر-كشتيمان كود) كان الحصان هو الشخصية الرئيسية فى الاحتفال، وكانوا يصنعون جسد الحصان من حشو جلد الحصان بالخيش ويصنعون رأسًا تقلد الرأس الحقيقى. وفى قرية ريبكينو (بمنطقة كوفيمكينو) كانوا يستخدمون رأسًا حقيقيًا لحصان يثبتونها على عامود خشبى، وكانت هذه الخيول تقوم بألعاب جنسية متحرشة بالنساء كنوع من تجديد وبعث للطبيعة. وكانت فتاة ترتدى ثيابًا براقة تعتلى الحصان رمزًا لرأس السنة.

---

(٢٣١) ورد فى غير مكان الحديث حول إطلاق الأعيرة النارية عند وداع الأعياد، فقد كانوا يشخصون العيد ويمثلونه تمثيلاً، ويودعون من قام بالتشخيص والتمثيل عادة حتى أطراف القرية ويطلقون خلفه الأعيرة النارية لطرد الشياطين التى قد تلحق به/المترجمة .

وفى عيد العنصرة، فى أثناء صلاة النساء، كانت واحدة من المشاركات تقوم بدور الحصان مرتدية ثياب رجل، وتجلس لتناول طعام العيد معهن. والشىء الرئيسى الذى يميز الحصان هو اللجام الذى تضعه المرأة حول رأسها. وكانت هذه المرأة الحصان تقوم بأعمال عنيفة وتقفز وتصهل وتعارك الرجال. والصلاة المصحوبة بمثل هذه الألعاب فى عيد العنصرة كانوا يكررونها فى القرية نفسها بضع مرات.

وحتى يومنا هذا، وفى بضع قرى، فى أعياد الصيف فى مواسم الحصاد والعنصرة يصنعون هذه الخيول الدمى تجسيداً للربيع. والحصان فى طقوس الأعياد الربيعية، عدا كونه رمزاً للشمس "اللعوب" هو تجسيد لروح النبات التى تُبعث فى هذا الوقت من السنة. وبالنسبة للفلاح فالحصان هو النبات والخبز معاً.

ولاحظ الموردف أنه مع تغير الطقس يأخذ الحصان فى التقلب على الأرض، ومع اقتراب هطول المطر يرتجف ويصهل. وكانوا يعتقدون لضمان عودة الحصان إلى صاحبه بضرورة أن يعلقوا على عارضة أمام الفرن كيساً صغيراً به بضعة أسنان لحصان. وكانوا يستخدمون جمجمة الحصان فى المناحل للحماية. ورؤية الحصان فى المنام تعنى المرض، والسقوط من على صهوة الحصان - شفاء. وإذا عض الحصان على شكيمة اللجام فمعنى هذا توقع حريق بالمنزل.

وتنعكس عبادة الحصان فى العصر الجديد فى أشياء عديدة من ذلك مواد التزيين لدى النساء (الحلى والأقراط التى تتخذ شكل حصان).

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964 Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الأغنية الملحمية الشعبية الموردفية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٣) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

البيت / House

(Kudo, E وKud, M)

البيت فى الثقافة الشعبية هو انعكاس - صورة - نموذج مصغر للعالم الكبير، فالزوايا الأربع للمنزل ترمز إلى الجهات الأربع للعالم، والسقف (Kyd prya, M-Kudo prya, E و prya الرأس) والهيكل (Kud potma, M- Kudo potmo, E والمعنى الحرفى: داخل المنزل) والقبو أو ما تحت الأرض (sedyal, M- masroralks, E)(mastorks تعنى الأرض و sed جسر و al الجزء السفلى) تشير إلى المستويات الثلاثة للكون (السماء - الأرض-العالم السفلى). وفى الشعر الشعبى تتسع المساحة الداخلية للمنزل لتصبح بحجم الكون ويتوحد العروسان مع القمر والشمس. وتشير الأساطير إلى أن السماء كانت فى الأصل ترتفع قليلاً عن الأرض وتقترب من شرفات المنازل (انظر السماء).

والمنزل هو مستقر الأسرة، ولهذا السبب تشكل وحدة البدايات الذكرية والأنثوية للعالم وتناقضها أساسًا لمنظومة الرموز اليومية الحياتية. والنظرة إلى البيت كقاعدة نظرة ثنائية، فالسقف (السطح) يجسد السماء - الرجل، والقبو (يجسد الأرض) - المرأة. والفرن و"الركن الأحمر" (أى: الركن الأمامى) والطاولة والعتبة هى الأشياء المقدسة فى البيت. ومركز البيت هو المساحة القائمة تحت العارضة الأفقية الرئيسية للبيت، حيث تجلس زوجات الأبناء مجتهدين لاستمالة رضا أصحاب البيت وكودافا الإلهة الحارسة للمنزل. ولبعض أجزاء المنزل ولبعض الأشياء فيه آلهتها الخاصة بها: فهناك إله اللحاء وجذوع الشجر "كيرن شوتشكون باز" ، وهناك الإلهة الحارسة للفرن "بياناكودافا" (عند الموكشا) و"كاشتومافا" (عند الإرزيا) وغير ذلك. وعبر المدخنة والشرفات يتواصل الناس مع القوى فوق الطبيعية والآلهة الحارسة والأسلاف (فيدعونهم لمشاركتهم فى الأعياد ويصلون لهم). وفى رثاء العروس[٢٣٢] يشار إلى بيت العريس بصفته العالم الآخر-الموت، وعلى العكس فى رثاء الدفن، حيث يطلقون على

(٢٣٢) قبل الفرح ترثى العروس عذريتها وبيت أهلها/المترجمة.

النعش: البيت، حيث ينتقل جثمان المرء بعد الموت إلى بيته الجديد، ولذا كانوا يفتحون فى النعش شرفات وبابًا تمامًا كما فى المنزل (انظر لزكاست).

وترافق بناء البيت الطقوس والإجراءات المختلفة؛ فأول صف من صفوف الأساس يجب أن يكون من خشب البلوط لضمان أن يكون البناء متينًا، وبعد إرساء الصف الثالث من الأساس، كانوا يعدون طاولة فى الفناء عليها الخبز والملح والنقود لضمان يسر الحال، ولهذا الهدف نفسه كانوا يضعون فى الركن الأحمر النقود، ويدفنون فيه بعض النمل الذى أحضروه من الغابة. ولدى الموردف الكثير جدًا من الممارسات السحرية، لكل منها وظيفتها الخاصة فى حماية المنزل من سوء الحظ ومن الشياطين والسحرة، فكانوا يدفنون فى القبو أسفل المنزل شجيرة رماد الجبل بجذورها، ويحتفظون فى البيت بجمجمة دب، ويعلقون على سور المنزل من جهة الشارع حذاء من اللحاء وأربطة الحذاء، ويضعون الباشكور مقلوبًا، ويعلقون على الحائط حزمة من الأعشاب يجمعونها فى عيد إيفان كوبالا[٢٣٣]، وقبل عيد الغطاس كانوا يرسمون بالفحم صلبانًا على الشرفات والأبواب. ولصد سوء الحظ عن المنزل كان على صاحب البيت بالضرورة أن يلمس بالبشكور كل من يدخل إلى منزله فى الإثنين الأول بعد عيد المرافع.

وعند الانتقال إلى منزل جديد على أصحاب المنزل أن يصطحبوا معهم الإلهة الحارسة للمنزل كودافا الخاصة بهم، ويعدون تكريمًا لها "أو كودون بوظا" (عند الموكشا وتعنى: بيرة المنزل الجديد). وفى البيت الجديد كان أول من يدخل قطة، اعتقادًا منهم أنهم بذلك يبعدون شبح الموت عن أفراد العائلة ويقدمون له هدفًا آخر هو القطة وبالتالى فهى أول من سيموت فى المنزل الجديد. وكانوا يراقبون القطة ويتصرفون وفق ما تمليه رؤاهم: فالمكان الذى ترقد فيه القطة هو أفضل مكان لنصب السرير، وكانوا يتشاءمون لو خطت القطة خطوات للخلف أو رفضت الدخول إلى المنزل الجديد، وإذا اختفت من

---

(٢٣٣) عيد إيفان كوبالا هو المرادف لمولد يوحنا المعمدان.انظر هامش المترجمة رقم ٦٢/المترجمة.

المنزل، فإن يعنى هذا أنها فعلت ذلك حماية لأصحاب المنزل من سوء الحظ القادم إليهم. وبمناسبة الانتقال إلى منزل جديد كانوا يطلقون ديكًا فى المنزل، وفى القبو يلقون بدجاجة (لكودافا الإلهة الحارسة للمنزل). وحتى تعينهم كودافا على الثراء كانوا إذا انتقلوا إلى منزل جديد يعدون مائدة فى الفناء عليها الخبز والملح، ويربطون بأرجل المائدة مِزَق من الأقمشة هدية لكودافا.

وحول المنزل هناك مجموعة من المحرمات المتعلقة بالحفاظ على سعادة الأسرة ورفاهيتها ويسر حالها، من ذلك على سبيل المثال بعد غروب الشمس: لا يجب إقراض أحد مالاً (وإلا ستفتقر أنت إلى المال)، ولا يجب إلقاء القمامة فى الشارع (تفتح بيتك للشياطين)، ولا يجب فتح شق فى جدران المنزل (تندلع المشاحنات والفضائح)، ولا يجب أن تصفر (تفتقر إلى النقود) وغير ذلك. وكان إلقاء التحية على شخص يقف على الجانب الآخر من عتبة البيت يعنى فراقًا أبديًا معه، ويجب عبور العتبة وعدم الوقوف عليها (فأنت تقتطع بهذا من سنوات عمرك). ولم يكن من المستحب زيارة الناس فى الإثنين المقدس لعيد المرافع (ستتوقف الماشية عن الإخصاب). وكانوا يعتقدون أن بناء طائر لعشه على سقف البيت فأل طيب، وإذا جلس عصفور الجنة على السقف – يعنى شفاء المرضى.

وكان أول من يدخل المنزل يوم رأس السنة يجلس على شويا(معطف من الفراء/المترجمة) حتى تزداد خصوبة الماشية (وكأن هذا الشخص دجاجة مفرخة تحتضن بيضها ليفقس). وكانوا يعتقدون أن الشؤم سيصيبهم طوال العام لو أن أول شخص دخل المنزل فى يوم رأس السنة "ثقيل الأقدام"(٢٣٤)، ولهذا كانوا أحيانًا يختارون من بين أهل البيت من هو خفيف القدم ويجعلونه أول من يدخل المنزل يوم رأس السنة. ومن علامات الموت أن ترى فى المنام نحلاً يطير داخل المنزل أو الرعد

(٢٣٤) ثقيل القدم: تكررت هذه العبارة فى غير موضع ومن السياق واضح أن ثقيل القدم هو الفاشل غير الموفق والنحس، وخفيف القدم هو الناجح الموفق والفأل الطيب/المترجمة.

يقصف المنزل أو انهيار ركن من أركان المنزل. ومن العلامات التى كانوا يتشاءمون منها أيضًا أن ترى فى المنام الهيكل الخشبى للمنزل أو المنزل بدون سقف أو طين جاف على سقف المنزل أو بناء منزل.

المراجع:

(1) Paasonen H. Mordwinische Volksdischtung. Bd 4. Helsinki, 1947. 2.

UPTMN. T. 6, ch. 2 . Mokshanskaya svadebnaya poeziya. Saransk, 1975. 3. T. 6, ch. 1. Erzianskaya svadebnaya poeziya, Saransk, 1971. 4. Devyatkina T. P. Tainy snov, Saransk 1995

(١) الشعر الشعبى الموردقى. باسونن. هلسنكى ١٩٤٧ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٦، الجزء ٢- شعر الأفراح عند الموكشا، صارنسك ١٩٧٥ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٦، الجزء ١- شعر الأفراح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

(٤) الأحلام الغامضة. ديفياتكينا ت. ب، صارنسك ١٩٩٥ .

I

المرض/ الداء / Illness/disease

(Orma-Seredema, E و Syaryadema-urma, M)

يعتقد المرودف أن الأمراض كلها مصدرها أفعى ترقد فى عش لها فى جسد الإنسان، وأن المرض عقاب من الآلهة الغاضبة أو نتيجة الأعمال الشريرة للسحرة. والقدرة على إنزال المرض (بما فى ذلك المميت منه) بالناس تعزى أيضًا للموتى من الأجداد عندما يكف الناس عن تذكرهم، أو ينسونهم أو يتناولونهم بالسوء أو بعدم احترام وإجلال. وقد يكون الإنسان نفسه هو من يجلب لنفسه المرض. وكانوا يعتقدون أن بوسع الإنسان نفسه فى أثناء تناول الطعام أن يحسد نفسه بالقول إنه أكول. ويمكن إنزال المرض بالإنسان عقابًا له على خرق المحرمات، وبشكل خاص، خرق تحريم ضرب معين من العمل فى بعض الأعياد (الفصح - الكريسماس - العنصرة وغيرها). ويمكن أن يمرض الإنسان من الرياح والزوابع (إذا تعرض لها)، أو من شعر الإنسان إذا سقط الشعر فى عش طائر. وكانوا أيضًا يؤمنون بأن بوسع قوس قزح إنزال المرض بالإنسان كنوع من العقاب (إذا خرق تحريم الإشارة إلى قوس قزح بالإصبع) وكذلك القمر (إذا لم يبد الاحترام الكافى له).

وكانوا يعتقدون أن من السهل إنزال المرض بالإنسان: لو ألقى أحد عليه كومة من الطين الجاف مما يتبقى بعد حفر قبر، أو قطعة من قماش رداء شخص آخر أو خصلة شعر. ويمكن للمرء أن يشفى فقط لو أدى بعض الطقوس الخاصة فوق قمامة يأخذها خصيصًا من مكان الحدث نفسه.

وكانت الفكرة عن المرض مبهمة غامضة (هو شخص ما، صورة ما غير واضحة المعالم). هو علة من العلل (وبشكل خاص "ماشتيكس" - الحمى عند الموكشا) يتصورونها فى شكل ذبابة صغيرة، لا يعرف أحد أين تعيش ولكن يتصورون أنها تأتى من مكان بعيد ما.

والنذير بقدوم المرض فى المنام هو رؤية اللحم أو الحصان (أن يعتلى المرء صهوة حصان أبيض). وللتخلص منه على الإنسان أن يصلى ويتضرع للإله الذى أنزل به المرض، وللموتى من الأجداد، وعليه تقديم الأضحيات لهم وتلاوة الصلوات. ومن بين الأساليب الكثيرة للطب الشعبى التى تستهدف طرد المرض، كان الموردڤ يلجأون إلى التعاويذ والرقيات والاستحمام بندى الصباح والذهاب إلى نبع (انظر: ماء) والخروج للقاء بزوغ الشمس فى الفجر والشفق، فضلاً عن أعمال السحر حول الإنسان وأشيائه التى ترمز إلى طرد العلة أو قهرها.

ومن الأساليب التقليدية الشائعة للتخلص من المرض: الحرق الرمزى له (أغلب الأحيان أمام الفرن فى الحمام)، والاستحمام بمياه طاهرة أو مقروء عليها التعاويذ، وإلقاء المرض عبر الكتف الأيسر لساحر لنقله إلى شخص أو حيوان آخر (قطة أو كلب)، ودفن المرض فى الأرض بين شجرتين (انظر : شاتشيما توما " البتولا والسنديان")، أو نثر المرض فى الرياح، أو إعطاؤه لشحاذ عبر الشرفة. وللغرض نفسه كان التعرى وتعليق الثياب على فروع الشجرة المقدسة و إلقاء الأشياء عند مفترق طرق. وكان الموردڤ يتصورون أن المنتحرين والمشنوقين بوسعهم علاج المرء لو طُلب منهم ذلك.

وكان يمكن علاج عضة الأفعى العمياء، التى تُبصر فقط فى مولد القديس إيفان (يوحنا المعمدان/المترجمة)، باستخدام مرق يعدونه من نبات الجِنسة[٢٣٥] ودماء حمامة بيضاء قُطعت إلى قسمين. وفى الحمام كانوا يعالجون حمى التيفود، التى يسببها استقرار هذه الأفعى فى جسم الإنسان. ولتخفيف الألم كانوا يعطون المريض بعض الحليب أو زيت القنب ومن ثم كانوا يرفعون المريض عاليًا حتى يصل إلى السقف ويتركونه معلقًا على هذا النحو حتى تخرج، كما كانوا يعتقدون، الأفعى من أحشائه.

(٢٣٥) الجنسة: نبات صينى يستخدم فى الأغراض الطبية، ويدخل كمكون أساسى فى الكثير من الأدوية المصنعة/المترجمة.

وفى التعاويذ كانوا يتوجهون إلى الآلهة الحارسة المختلفة متوسلين الشفاء، وتشير الأساطير إلى الطائر العملاق الذى ينتزع المرض من العين، وإلى الحدأة البيضاء والعجوز الأبيض. وكان الموردف بهدف الحماية من الأوبئة المنتشرة يعلقون الأقفال على رقاب المرضى من الأطفال. وإذا مرضت الماشية كانوا يحرثون الأرض حول القرية بمحراث معدنى ويقرعون الأجراس.

المراجع:

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 3. Devyatkina T. P. Tainy snov, Saransk 1995

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٣) الأحلام الغامضة، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٥ .

Iron-metal / الحديد–المعدن

(Kshni, M-E)

فى المعتقدات الشعبية تنسب المخيلة الموردفية للمعدن/الحديد خصائص سحرية خاصة ترجع إلى استخدامه فى أغراض الحماية. ويرمز المعدن/الحديد إلى البدايات الذكرية للعالم، منه يصنعون الأسلحة وأدوات العمل (ويبدو أن من هنا يأتى اعتقادهم بأنه إذا سقط سكين من على المائدة فسيدخل عليهم بالتأكيد رجل)، فضلاً عن أدوات الزينة. وفى بعض أدوات الزينة من المعدن/الحديد رموز ميثولوجية عميقة تؤكد على أن المظهر الفريد للإنسان يتطابق مع مظهر الآلهة. ومن بين أدوات الزينة انتشرت على نطاق

واسع "تينكات" (عند الموكشا: دوائر صغيرة من المعدن تشبه النقود أو قشر السمك، ويطلق عليها الموكشا أيضًا "كوين بريات" أى رءوس الأفاعى)، وكانت النساء والبنات تضع حزامًا/زينة على خصورهن من الأزرار والأجراس الصغيرة المعدنية (اعتقادًا منهم أنها تُخيف الأرواح الشريرة برنينها وأجراسها). ومن أدوات الزينة من المعدن/الحديد انتشر أيضًا ما كان يطلق عليه الموكشا "بيلكست" أو "بايل بريات" (بايل: أذن و بريات: رأس/أعلى) وهى دوائر تتخذ شكل الشمس تضعها النساء فى ثقوب بآذانهن، بينما تعلقها نساء الإرزيا على غطاء الرأس. وهناك أيضًا "كياتكس" (عند الموكشا) وهو نوع من أساور الزينة من المعدن البرَّاق وترمز إلى الضوء - الخير.

وفى الأساطير يستخدم البطل السلاسل المعدنية ليصعد إلى السماء أو يهبط إلى الأرض أو يعبر إلى المملكة السفلية تحت الأرض. والبطل الأسطورى تيوشتايا وُلد بكعوب معدنية، وركبة ملفوفة بالأسلاك، ولديه هراوة حديدية شق بها البحر، أما مساعده-الغراب النورانى- فمنقاره معدنى.

ويلجأ الموردف فى صراعهم ضد السحر والقوى فوق الطبيعية إلى استخدام أدوات معدنية؛ ففى العرس التقليدى الشعبى والعصرى عند الموكشا والإرزيا يشبكون فى ثياب العروسين إبرًا بعد أن يكسروا عين الإبرة، ويغرسون سكينًا تحت مدخل منزلهما الجديد. ومن بين الأشياء التى لا غنى عنها للشخص المسؤول عن ترتيبات العرس والذى يطلق عليه الموكشا والإرزيا "طورون كاندى" (أى: "الصديق") هو "تور" (أى: السكين الطقسى عند الموكشا والإرزيا) الذى يطرد به "الصديق" الأرواح الشريرة عن العروسين (باستخدامه فى نحت صلبان حول عربة العروسين فيبعد بذلك الأرواح الشريرة عنهما) حتى لا تلحق بهما أى أذى. ولهذا الغرض نفسه كان الإرزيا يستخدمون سيف "الصديق". وفى الصلاة التى يتلوها "الصديق" فى العرس متوجهًا إلى "نيشكيباز" إله الإرزيا، يتضرع إليه سائلاً أن يحيط الإله العروسين بسياج معدنى أو بحلقة معدنية لحمايتهما. وفى مناطق كثيرة كان الموردف إذا ما انتشرت الأوبئة،

وبهدف الحماية، يشقون أخدوداً حول القرية مستخدمين فى ذلك محاريث معدنية (انظر ستاكا أوزكس). ووفق تصورات المورداف يحيط "سياج معدنى" - خلف السماوات السبعة، حيث لا يمكن اختلاس حتى نظرة خاطفة - مسكن الإله نيشكيباز (ابن الرب).

ويصور الفلكلور(الرثاء والحواديت) الموت فى شكل امرأة عجوز معها منجل حديدى ماض، أو رجل عجوز يحذر ضحيته بأنه سيمزق أوتار عضلاته بالسكين السحرى الطقسى ("تور" عند الموكشا والإرزيا) الذى يحمله معه فى وعاء نحاسى ممتلئ بالدماء. وحتى يومنا هذا، وبعد حمل الميت خارج المنزل، يبادرون مباشرة بوضع فأس فى المكان الذى رقد فيه حتى لا يعود الموت من جديد إلى هذا المنزل منقضاً على ضحيته الثانية، ويضعون بالقرب من الباب سكيناً حتى لا يخافوا هم من الميت وحتى "لا يعود" الميت إلى المنزل. ويستخدمون لقراءة الطالع مجرافاً حديدياً وحلقات معدنية. وكانوا يضعون مسماراً معدنياً لعجلة - تصادف ووجدوه فى الشارع - فى عبهم حتى لا يصيبهم الدوار.

المراجع :

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 2. Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964;

(١) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) الأغنية الملحمية الشعبية الموردفية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

L

Legend/mythological or fantastical story

الأسطورة/ الحدوتة الشفوية الميثولوجية أو الخيالية

(Evtnema, E و Azondoma, M)

الأسطورة/الحدوتة المتناقلة عبر الأجيال/وقائع الماضى البعيد/ الحدوتة الشفوية الميثولوجية أو الخيالية حول واقعة ما/تحولت إلى تقليد فى العصور ما بعد الميثولوجية، أى التاريخية. وضرب من هذا هو الأساطير التى تدور حول خلق العالم والعلاقات المتبادلة بين الآلهة والناس، وحول أصل بعض أشكال الرذيلة بين الناس، وحول الآلهة القديمة للموردف. وهناك أيضاً حواديت من هذا النوع حول قديسين وأحداث وشخصيات ذات طابع دينى-إنجيلى مأخوذة عن المسيحية الروسية، بيد أن الموردف أضفوا تفسيرهم ورؤاهم الخاصة على الملامح والوظائف المحددة لكل هذا ليصبح موردفياً خالصاً وتقبلوه على هذا الأساس. بل إنهم بدّلوا حتى الأسماء بأخرى فى كثير من الأحيان، وأضفوا على أبطال المادة المسيحية الروسية ملامح فوق طبيعية لتصبح من ذلك النسيج الخيالى الخرافى نفسه المميز لأساطيرهم هم. ولا شك أن كل هذا إنما كان يستهدف إضفاء مصداقية على هذه الروايات والوقائع والشخصيات. الأساطير المُسَجلة حول العماليق هى الإرهاصات الأولى للحواديت والأساطير التى تدور حول المبعوثين الأوائل لتعمير الأرض الخالية من البشر، وتعكس أساطير العماليق أيضاً تصورات الأسلاف حول نشأة الإنسان وتطوره. وفى حواديت العماليق ينعكس الواقع على نحو رمزى، وكثيراً ما لجأ الموردف لتصوير ارتفاع قامة هؤلاء المردة الجبابرة وقوتهم ("باتورون باندا" أى: جبل باتور عند الموكشا) بمقارنتهم بالإنسان العادى-المزارع الذى يبدو أمامهم كالحشرة الصغيرة. وإلى زمن بعيد تعود الحواديت التى تدور حول زعماء القبائل الموردفية، وبشكل خاص حول تيوشتيا وحول نارافتشاتكا ملكة الموكشا. وفى أثناء صراع هؤلاء

الزعماء ضد قبائل بدو السهول كانت تساندهم الآلهة العظمى: نيشكيباز وشكاى. وتضم الأساطير حكايات كثيرة عن لقاء الإنسان بالقوى فوق الطبيعية يمكن فيها تتبع علاقة المعتقدات الدينية الحالية، على حد سواء، بالمعتقدات الدينية المبكرة و(متأخراً) بالمسيحية التى اعتنقها الموردف فى الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. ولقد أفضى هذا التضافر للمعتقدات الدينية إلى الثنائية التى ميزت الصور الميثولوجية؛ فالأبطال الرئيسيون للحواديت هم: الإنسان والكائنات الميثولوجية مثل: فيريافا (إلهة الغابات) وفيديافا (إلهة الماء) ويورختافا (إلهة المنزل) وكويجورز (رب المنزل). وأساس الحدوتة: وصف لقاء الإنسان بكائنات العالم الآخر، وما يجرى بينهما.

المراجع:

(1) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964; 2. UPTMN. T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983

(١) الأغنية الملحمية الشعبية الموردفية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد عشر أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

Lime-tree / شجرة الزيزفون (٢٣٦)

(Pekshe, E و Pyashe, M)

الزيزفون شجرة مقدسة كان الموردف يعبدونها. ولقد سَجَّلَ العالم يفسيفييف فى قرية فيتشكينينو بمنطقة ناروفتشات الروسية وجود ما يُطلق عليه الموكشا

(٢٣٦) الزيزفون: Lime tree و Linden . شجر للزينة أوراقه كالقلب وأزهاره صفراء عاطرة/المترجمة.

"براشيوناى بياشت" (شجرة الزيزفون التى تمنح الغفران/ تحل الناس من عهودهم)، والتى كان الموكشا يعتقدون أنها نمت على دماء أختين مزقتهما الذئاب. وتشير إحدى الأساطير إلى أن الناس أرادت ذات يوم قطع شجرة زيزفون، بيد أنه منذ أول ضربة للفأس على الشجرة تفجرت الدماء من الشجرة. ويقيم الإرزيا صلاة خاصة لإلهة شجر الزيزفون (بيكشيباز) يسألونها وفرة المحاصيل. ويعتقد الموردف أن أى مرض تنزله الآلهة بالناس كعقاب لهم إذا أغضبوها يمكن علاجه إذا تضرع الناس للآلهة سائليهم الشفاء، وأن شجرة الزيزفون تملك القدرة على منح الغفران للناس. ولذا كان الناس يلجأون إلى الزيزفون فى المصائب كلها، وبشكل رئيسى تلجأ إليها النساء العاقرات ومن يموت أطفالهن. وكان الناس يقدمون للزيزفون هدايا من أشكال الطعام المختلفة، ويركعون مصلين لها متوسلين إليها تقديم يد المساعدة. وكانوا يعلقون الهدايا (قطع من قماش القنب ومناديل وقمصان جديدة وغير ذلك) على الشجر، وكانوا ينزعون عن المرضى من الأطفال صلبانهم وقمصانهم وأحزمتهم ويتركونها تحت شجرة الزيزفون معتقدين أن المرض سيذهب مع الملابس. ولم تكن عبادة الشجرة وإقامة الصلوات لإلهة الزيزفون تتم بشكل دورى منتظم، ولكنها كانت تجرى فى أغلب الأحيان فى الصيف والخريف.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

M

الإنسان–الآدمى Man/human being

(Loman, M- E)

تشير إحدى أساطير الموكشا أن الإله الأعلى صنع الإنسان من جَذْعَة شجرة عمرها ثلاثون عامًا، ولكنه طلب منها أولاً بعض الماء. وأمر الإله الجذعة أن تقف (فظهرت الأرجل) وأن تتحرك (فظهرت الأزرع) وأن تفرك عينيها (فأصبحت ترى). وفى أسطورة أخرى صنع الإله الإنسان الأول من الطين وجعل كلبًا يحرسه (حتى لا يؤذيه الشيطان)، بينما ذهب هو لاستحضار الأنفاس له. ولكن الشيطان، الذى وعد الكلب بغطاء من الصوف (كان البرد قارسًا)، تمكن من البصق على الإنسان عدة مرات. وقلب الإله المواضع التى بصق عليها الشيطان إلى الداخل فتحولت إلى أمراض.

ويعتقد الموردف فى محافظة نيجنى نوفجراد أن الشيطان هو الذى خلق الإنسان؛ صنع الجسد من الطين والرمل المأخوذ من ٧٧ مكانًا مختلفًا، ولكنه أدرك أنه ليس بوسعه إعطاء الإنسان الشكل الصحيح دون مساعدة تشيباز الإله الأعلى. وكان الإنسان الأول يشبه الخنزير والكلب ولم يكن يتكلم بل ينبح. وبطلب من الشيطان أقام الخفاش عشه فى السماء على أحد أطراف منشفة تشيباز، فسقطت منشفة الإله الأعلى إلى الأرض بفعل ثقل العش، ومسح الشيطان بها الإنسان الذى صنعه، فاتخذ الإنسان لهذا السبب مظهر تشيباز. بيد أن الإنسان ظل بلا حياة، فلما رآه الإله تملكه الغضب وتشاجر مع الشيطان، ولكنه مع ذلك بعث الحياة فى الإنسان وفرض عليه حمايته. ومنذ ذلك الحين أصبح للقوى الشريرة سلطة على الإنسان فقط فى أثناء حياته، ولكن بعد الموت تعود الروح إلى خالقها على المنشفة التى يُنزلها تشيباز إلى الأرض ليلف بها الروح. أما الجسد، الذى خلقه الشيطان، فيلفه التراب.

وتشير إحدى الأساطير إلى أن شكاى-إله الموكشا- خلق الإنسان فى البداية بطول العماليق، فكان طوله ٩٩ آرشنًا(٢٣٧)، ويمتد عمره ليبلغ ٧٠٠-٨٠٠ سنة. وكان الإنسان يظل عازبًا حتى عمر ٣٠٠ سنة، وكان يملك قوة المردة الجبابرة (ينزع ببساطة شجرة البلوط من الأرض). وكانت الخيول صنوًا لهم. وكانت الخطوة الواحدة للإنسان تعبر ٤٠ فرستًا(٢٣٨). بيد أن الطوفان العظيم اجتاح الأرض ومحاهم من على وجهها. ومن تبقى منهم حيًا بعد الطوفان أخذ حجمه يتضاءل وعمره يصبح أقصر يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى.

المراجع:

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952, 2. UPTMN. T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد عشر أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

الزواج/العرس (الوثنى والكنسى)(٢٣٩) Marriage/wedding

(Venchamo, E وVentsyama, M)

المقصود بالزواج الوثنى والكنسى طقوس العرس التقليدية التى تسجل الزواج وتضفى عليه حصانة الجماعة الإنسانية. وتعكس هذه الطقوس فى جوهر الأمر دوافع

---

(٢٣٧) أرشن: وحدة قديمة لقياس الطول تساوى ٢٨ بوصة. انظر هامش المترجمة رقم ٤٤ /المترجمة .

(٢٣٨) فرست وحدة قياس توازى ٣٥٠٠ قدم. انظر هامش المترجمة رقم ١٠٦/المترجمة .

(٢٣٩) المقصود الزواج القائم وفق الأعراف والمؤسسات والطقوس الدينية وثنية كانت أو مسيحية/المترجمة .

إنسانية قديمة كامنة للتغلب على الحدود المكانية السحرية (عتبة البيت – البوابة – الطريق). ولقد حافظت ذاكرة الموردف على الكثير من وقائع عقد القران الوثنى، ووفقًا لأدبيات القرن التاسع عشر، كانت امرأة عجوز تقوم بهذه الطقوس عند الموكشا، وكانت العجوز تأخذ قبعة العريس وشرائط العروس وتحركها حول رأسيهما بضع مرات ثم تضع قبعة العريس على رأس العروس وشرائط العروس على رأس العريس، وهنا تنتهى طقوس الزواج.

وكانت طقوس الزواج فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر على النحو التالى: كان العروسان يذهبان إلى مكان معد خصيصًا لكى يقيما الصلاة للآلهة سائليها مباركتهما ومنحهما السعادة والثروة ووفرة الخبز والماشية والأطفال. وبعد الصلاة يركع العروسان حتى تصل رأساهما إلى الأرض، وإلى جوارهما يركع القائم على ترتيبات العرس ويضع يديه على رأسيهما.

وفى بعض الأحوال لم يكن الموردف يؤدون طقوس الزواج، من ذلك على سبيل المثال: فى حالة الاتفاق المسبق على اختطاف العروس وفى حالة عدم توافق العمر بين الاثنين (كأن تتزوج فتاة ناضجة من طفل لم يتجاوز الثالثة من العمر)(٢٤٠). وعند مطلع القرن العشرين كان الشكل الرئيسى للزواج بين الموردف الذين تحولوا إلى المسيحية هو الزواج الكنسى (الذى يحرم الطلاق). ولم يسجل أحد طقوسًا تتطابق مع طقوس الزواج الكنسى بين الموردف القدماء.

وكان الموردف يعتقدون أن العروسين يوم عرسهما " مفتوحين " (معرضين/المترجمة) للأرواح الشريرة والسحرة. والسحرة عند رؤيتهم للعروسين لا يتمكنون من ضبط أنفسهم ولا يمكنهم إلا إلحاق الأذى بهما (فالسحرة أحيانًا قد يلحقون الأذى

---

(٢٤٠) سبقت الإشارة فى موضع أخر إلى حالات زواج من هذا النوع وكانت تستهدف زيادة العمالة/المترجمة .

حتى بأبنائهم[٢٤١]). ولحماية أنفسهم في أثناء طقوس الفرح يحمل العروسان أدوات مختلفة: "بايلفتيما سالموكست" (عند الموكشا: إبر منزوعة العين) يغرزونها في ياقة الرداء من الداخل، وشريط من شبكة صيد الأسماك يشده العريس على خصره كالحزام، ويضعون في عب الرداء قطع فحم صغيرة وبعض البصل (يسميه الموكشا "شورخكايا ") وغير ذلك. وكانوا يعتقدون أنه لو تمكن ساحر من إلقاء قرن من البازلاء يضم تسع حبات بازلاء على موكب الزفاف فلن تتحرك خيول الموكب من مكانها، أو على العكس لن تتوقف عن الحركة، وأن هذا يجلب النحس للعروسين. وبهدف حماية العروسين من أي شر أو أذى يدور القائم بطقوس عقد القران ثلاث مرات حول عربة العروسين وبيده سكين (أو سيف عند الإرزيا) يحفر بها صلبانًا على جوانب العربة ويطلق أعيرة نارية من بندقيته ثلاث مرات خلف العربة لقتل الأرواح الشريرة ومنعها بذلك من اللحاق بالعروسين، ويطرقع بسوطه حول العربة (لطرد السحرة والمشعوذين).

وكانت بعض الوقائع والطقوس قبل الزواج وبعده تستهدف التأثير على مستقبل العروسين وذريتهما. فإذا مر ناس قاطعين طريق موكب العرس إلى الكنيسة ممسكين بدلاء فارغة، كانوا يحركون الخيول إلى الاتجاه المعاكس أو إلى طريق آخر، وكانوا يُحَرِّمون الدخول إلى الكنيسة يوم العرس من الجانب الذي تغرب منه الشمس (وإلا سيعيش العروسان في فقر). وكانوا أيضًا يحرمون الزواج في يوم ميلاد العروس وإلا فستعاني العروس في أثناء الوضع معاناة مضاعفة: عن نفسها وعن أمها. وكانوا يعتقدون أن الفِصال أو المقايضة عند شراء أيقونات العرس يفضي إلى سوء الحظ، وعند دخولها إلى الكنيسة كان على العروس أن تلمس رزة باب الكنيسة حتى يستجيب زوجها لأهوائها كلها في فترة حملها.

---

(٢٤١) سبقت الإشارة في موضع آخر في السياق نفسه أن السحرة إذا افتقروا لشيء أو إنسان يوجهون إليه طاقاتهم السحرية فقد يطلقونها إلى الرياح أو حتى لأبنائهم، وإلا تلحق هذه الطاقة الضرر بهم هم وتصيبهم بالمرض. وأنهم قبل الموت ينقلون هذه الطاقات والمهارات إلى آخرين، ولذا يتجنبهم الناس في اللحظات الأخيرة قبل الموت/المترجمة.

وترتبط بالزواج الكثير من الإشارات والعلامات ذات الدلالات المهمة، فكان لقاء موكب العرس بموكب ميت يرمز إلى الخير فى بعض القرى وإلى الشر فى قرى أخرى، وكانوا يراقبون ويستنتجون: أول من يطأ من العروسين بقدميه مشاية الكنيسة سيكون الآمر الناهى فى البيت، وإذا سطع لهيب الشموع فخير وحياة طيبة، وإذا اهتز اللهيب فشر وسوء طالع، ومن يأكل اللهيب الشمعة لديه أسرع من الآخر، فسيموت أسرع من الآخر. وكانوا يحرمون تحريمًا قاطعًا المرور بين العروسين فى أثناء عقد القران، لأن هذا يعنى التفريق بينهما. والشمس الساطعة من العلامات الطيبة الخيرة فى أثناء طقوس الزواج، وكانوا يفسرون الأمطار الخفيفة والغزيرة والثلوج بالدموع، وكان الرعد علامة سيئة أيضًا. وكان الموردف بعد العرس: ينثرون أوراق نبات حشيشة الدينار على العروس ويوجهون إلى ظهرها ضربات خفيفة بمقشة السونا، ويخطون فوق معطفها المصنوع من الفراء لحمايتها وضمان خصوبتها. وكانوا أيضًا قبل الدخول إلى منزل العريس يغرزون سكينًا فى باب الدخول لقطع أيادى السحرة ومنع الأرواح الشريرة من التسلل إلى البيت. وكان العروسان يحتفظان بملابس وشموع وأيقونات العرس حتى الموت.

والآباء الذين لا يتزوجون فى الكنيسة (أى من ينظمون زواجهم بطريقتهم الخاصة، أو من يتفقون مسبقًا على اختطاف العروس) ينجبون أبناء يطلق عليهم الموكشا اسم "جولبييش"(أى: الوتد المحروق) وفى العادة يرفض القساوسة تعميدهم. وهناك إشارات إلى أن عقد القران كان أحيانًا يتم قبل الموت بل وأحيانًا يتم حتى بعد الموت.

وسجل بعض العلماء نوعًا من طقوس الزواج الرمزى بعد الموت عند الإرزيا، عند تأبين فتاة، وكانت صديقة المتوفاة هى التى تقوم بدورها.

المراجع:

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966,2. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994. 3. Devyatkina T. P. 1. Mokshanskie svadebnye obryady i pesni. Saransk, 1992

(١) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) الأمارات والإشارات الشعبية للموردف (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

(٣) أغانى وطقوس العرس عند الموكشا – ديفياتكنا ت. صارنسك ١٩٩٢ .

Marriage/wedding ritual عقد القران/ طقوس العرس(٢٤٢)

(Ur'vakstoma, E وR'vyayaftomas-Maksoma, M)

يعكس عقد القران/طقوس العرس بوضوح الرؤى الميثولوجية للموردف. وأنجى باتيا عند الإرزيا فى نيجنى جورود هى الإلهة الحارسة للعرس والحب. وكان العروسان يدعوان فى الصلوات إلهتهم للقدوم سريعًا إليهم، ويغنون تمجيداً لها، وكانوا يشكلون فى العرس حلقات رقص وغناء حول شجر البتولا (المقدس).

وعند الموردف الكثير من الطقوس المختلفة لعقد القران من ذلك على سبيل المثال: اختطاف العروس (اختطاف متفق عليه مسبقًا بين الرجل والفتاة، وأحيانًا نادرة يحدث فيها اختطاف حقيقى عنوة) وهروب الفتاة إلى حبيبها وزواجهما سراً، وبيع العروس وشراؤها (تشهد الكثير من وقائع وطقوس وأغانى هذا النوع من الزواج والتى سجلت قبل مطلع القرن العشرين على وجود هذا النوع من بيع العروس وشرائها التى تدخل بيت زوجها كأمة أو جارية (يسميها الموكشا والإرزيا: أورفا). وإجمالاً تعنى طقوس العرس دخول عروس من عشيرة غريبة إلى عشيرتك. وأصبحت هذه الطقوس لاحقًا تستهدف اعتراف الجماعة الإنسانية بالزواج. وأكثر أشكال الزواج شيوعًا كان الزواج الذى تسبقه خُطبة ويُسجل فى عقد بوجود شهود وبمصاحبة تصفيق الحضور وصياحهم :

---

(٢٤٢) المقصود هنا الزواج خارج المؤسسات الدينية/ المترجمة.

"تياشتن بوتوماس" (عند الموكشا أى: ضع نجمة (علامة) على جبين العروس والمقصود قبلة)، ويحددون فى هذه الأثناء المهر وغير ذلك من التفاصيل. وفى الوثنية مورس الزواج الذى تسبقه خطبة. وكان والد العريس، بعد تقديم الأضحيات (الملح والعسل الأبيض) للآلهة الحارسة وللأجداد الموتى، يقطع رأس رغيف الخبز ويحشى باطنه اللين بالعسل الأبيض، ومن ثم فى منتصف الليل سراً وبعيداً عن كل العيون، يعتلى صهوة جواده ويذهب إلى بيت العروس ويضع رأس الرغيف على مائدة بجوار باب الدخول، ويطرق على الشرفة مستخدماً الأكرة ويصيح قائلاً إنه جاء ليخطبها. ومن ثم وبأقصى سرعة ممكنة يعود أدراجه إلى بيته، لأنه إذا لحق به أهل العروس فلن يكون هناك زواج أبداً.

ويستند الأساس الميثولوجى لطقوس الزواج على اعتبار الزواج سراً مقدساً، واعتبار الحب نفسه تعبيراً عن إرادة الآلهة لإرساء "رفاهية العالم". وأن الحب، مبعوث السماء، لا يتطلب لا موافقة الوالدين ولا أية طقوس تطهره من أى خطيئة كانت. ولاحقاً تقريباً فى نهاية القرن الثامن عشر كان العريس الشاطر أحياناً يضع على بوابة بيت الفتاة التى يحبها قطعة خبز ومن ثم يعلن لوالدها أنه سيتخذ من ابنته زوجاً له. ولم يكن هذا الطلب على هذا النحو يُقابل بالرفض. وكان الزواج يمر دون خِطبة فقط بين اليتامى والفقراء.

وكانت أشكال الزواج مختلفة ومتنوعة؛ ففى الوثنية كان يمكن للرجل الزواج حينما يريد أى عدد من الزوجات فى الوقت نفسه مادام بوسعه الإنفاق عليهن، ولقد سجل الشعر الشعبى هذه الذكرى. وتشير أساطير الموردف وأغانيهم إلى زواج ذوى القربى(٢٤٣) (كزواج الأخ من أخته والأب من ابنته)، وتشير بعض الأغانى التى تمجد الخصوبة ورموزها إلى بقايا ممارسات للزواج الجماعى، ويغنون هذه الأغانى فى الأعراس وفى أثناء القيام بطقوس وشعائر خاصة، وغناء هذه الأغانى فى حالات أخرى باستثناء حفلات الزواج يعد أمراً شائناً ومخزياً وضرباً من التجديف والكفر.

---

(٢٤٣) عند المسيحيين الروس ذوو القربى هم الأخوة والأخوات، وبنات وأبناء العمة والعم والخالة والخال، وينظر إلى الأخيرين تماماً كالأخوة والأخوات ويحرم الزواج منهم/المترجمة .

وينظر الموردف إلى عقد القران باعتباره سلوكًا اجتماعيًا إجباريًا. ونادرًا ما كان الصبيان والبنات الموردف ينذرون أنفسهم للعزوبية (باستثناء البنات اللواتي كن يضعن عمدًا ضربًا من الخمار أو الحجاب على وجوههن). ومؤخرًا فقط ظهرت بعض القيود والتحريمات على الزواج وتتعلق بشكل خاص بالعلاقة العائلية أو القومية أو الانتماء الدينى (كتحريم الزواج بين الموردف والتتار وبدرجة أقل بين الموردف والروس). ويتمسك الموردف بشدة بفكرة الزواج بالدور حسب العمر، وكانوا يعتقدون أن زواج الابنة أو الابن الأصغر قبل الأكبر يحرم هذه الزيجات السعادة.

وجنبًا إلى جنب مع الزواج التقليدى، كانت توجد أشكال أخرى من الزواج؛ من ذلك على سبيل المثال: قبول زوج الابنة فى بيت والديها (كان الإرزيا يسمون هذا النوع من الزواج "صاداموكس صوفامو" أى: قبول زوج الابنة فى البيت والاعتراف به زوجًا لها). ويحدث هذا فقط عندما تكون ذرية والد الزوجة من البنات فقط، وفى العادة يقبلونه زوجًا للابنة الكبرى والصغرى ولا يكون أبدًا للابنة الوسطى. ويقبلون مثل هذا الزواج أيضًا بين اليتامى وأصغر أبناء الفقراء. وكان هؤلاء الأزواج يدخلون إلى بيت حماهم مباشرة بعد العرس الذى ينفق عليه والد الزوجة أو فى أثنائه.

ويشير الشعر المُغنى إلى العلاقة الجنسية الحرة للطرفين قبل الزواج، بيد أن المجتمع بدأ فى فترات لاحقة يدين هذه الظاهرة. وكان الموردف يعتبرون أن الزواج من فتاة سبق وأنجبت[٢٤٤] أمرًا يعد من قبيل سوء الحظ، ولم يكونوا فى هذه الحالات يقيمون فرحًا أو طقوسًا للعرس.

ولم تكن العروس تغادر بيت والديها عبر البوابة وإنما من فوق سياج البيت، ولذا كانوا يحملونها لتعبر السياج. وكانوا يعتقدون أن الفتاة التى سبق وأنجبت لو عبرت فناء منزل والديها عبر البوابة ذاهبة إلى زوجها، فإن كل المتاعب التى قدر لها المرور بها بسبب فقدانها غير الشرعى لعذريتها ستخلفها فى منزل والديها

(٢٤٤) المعنى هنا غير واضح ويبدو أن المقصود هو من أنجبت دون زواج/المترجمة .

الذى ستسقط عليه كل أشكال المصائب. أما إذا غادرت عبر السياج فستأخذ سوء حظها كله معها.

ويتزوج للمرة الثانية فقط الأرامل من السيدات ونادراً من الرجال. ولا يتسامح الموردف مع الخيانة الزوجية، ويعاقبون مرتكبيها، أما الطلاق فلم يكن عرفًا ولم يرتبط قط بهذه الطقوس أو تلك، وكانت نادرة جداً حالات هجر الزوجة لبيت زوجها، وبوسع كبير العائلة أن يعيد هذه الزوجة لبيت زوجها متى شاء.

وهناك الكثير جداً من رموز طقوس العرس عند الموردف، وأكثر هذه الرموز انتشاراً "الدائرة": كانوا يلفون شرائط على شكل دائرة على رأس العروسين، وكان الموكشا والإرزيا قبل الزواج يمرون فى حركة دائرية حول الطاولة ثلاث مرات مع حركة عقارب الساعة. وهناك أيضًا رغيف دائرى من الخبز كالخاتم يسميه الموكشا "كابشى"، وغطاء سرير العروسين"أونافا" (عند الموكشا) يدخل فى عداد الرموز الشائعة ذات الدلالات المهمة. واستبدال تسريحة الشعر عند النساء يعد أيضًا رمزاً للانتقال من وضع إلى آخر (ففى اليوم الأول أو الثانى من العرس كانت العروس تجلس على جذع شجرة وتقوم فتاة بتقسيم شعرها بالمشط لتجعل مفرق الشعر فى منتصف أعلى الرأس ، كما يجب على المتزوجات. وينطوى على رموز أيضًا: غطاء الرأس عند النساء والملابس وأدوات الزينة والسلوك وطريقة السير. ويعد الرقم السحرى ٧ من الرموز العميقة الدلالة فيما يتعلق بالزواج ويعنى مسافة محددة (سبعة طرق، سبعة حقول – غابات – قرى – أنهر)، وكذلك فكرة "التحطيم/التكسير" (القدور-كسر فطيرة الفرح إلى قسمين وتقديم قسم منها لأهل العروس وقسم لأهل العريس وغير ذلك). وترمز طقوس الزواج أيضًا إلى وحدة العروسين (لذا كانوا يحزمون العروسين بمنشفة واحدة، وكانا يشربان ويأكلان من وعاء واحد ومن تورتة واحدة)، وترمز أيضًا إلى انتمائهما لمنزل جديد (فكانت العروس تسمى اسماً جديداً فى طقوس يقيمونها بالقرب من الموقد، وكانت حماتها تطعمها بيدها مأكولات جديدة مزينة ومزخرفة.

وتشير نصوص الفلكلور والحواديت والحكايات إلى الزواج الرمزى، ومن أشهر المواد التى تشير إلى طبيعة هذا الزواج ووقائعه: زواج امرأة مخطوفة من دب وزواج

البنت/البجعة والصياد الذى سرق ريشها. وتروى الأغانى الميثولوجية قصصًا قديمة مثل حدوتة الزواج المقدس بين "بورجينيباز" (إله الرعد عند الإرزيا) والبنت الأرضية "فاسالجيا" من الموكشا و"ليتوفا" من الإرزيا.

وينعكس وضوح طقوس الزواج فى ممارسات عديدة، من ذلك على سبيل المثال: كانوا يزينون البنت المتوفاة دون زواج عند دفنها بملابس العرس، وينظمون عرسًا رمزيًا فى ذكراها تلعب فيه صديقة لها دورها، ومن ذلك أيضًا العلامات والإشارات التى تنطوى فى تقديرهم على تفسيرات خاصة، مثل اعتقادهم أن رؤية العرس فى المنام بشير شؤم، ومن تلك الطقوس أيضًا قراءة الطالع فى العرس. وفى بعض الأماكن كان وقت الزواج وشروطه يعتمد على المهارات المكتسبة، ففى بعض القرى يمكن للشاب الزواج فقط حين يتعلم كيف يصنع بيوت النحل.

وللكثير من طقوس الزواج وشعائره أساس ميثولوجى. وكانت بعض الشعائر والطقوس تُقام لأهداف سحرية معتقدين أنهم بهذه الشعائر والطقوس يضمنون خصوبة البيت ودعم اقتصاده، من ذلك على سبيل المثال: قياس مائدة الطعام بحزام، ورش العروسين بالحبوب وحشيشة الدينار، والطفل الصغير الذى يجلس فى حضن العروس وغير ذلك. وتنطوى الفطائر (انظر بيارياكات) والخبز الطقسى (كابشات) والملح على رموز سحرية قديمة تجسد معانى الرفاهية والسعادة، وترمز إلى العريس والعروس.

وبين الموكشا-الشوكشا هناك طقس يسمونه "سيرياموت" (أى: ينادى بصوت عالٍ)، يؤديه العروسان فى الربيع الأول بعد الزواج فى الصيام العظيم، ويعكس التأثير الطيب للعروسين فى بعث الحياة فى الطبيعة (٢٤٥) . وبهذه المناسبة يغنى المشاركون

(٢٤٥) يشار هنا إلى أن هذا الطقس يجرى فى الربيع (الأول بعد الزواج)، حيث يصيح العروسان بأعلى الصوت لبعث الحياة فى الطبيعة. والمعروف أن الشتاء فى روسيا يغطى الأرض بطبقة كبيرة من الجليد تبدأ فى الذوبان فى الربيع ومع ذوبان الجليد تكسو الخضرة وجه الأرض، وكأن الطبيعة تموت فى الشتاء ومن ثم تُبعث من جديد فى مطلع الربيع، وأن صياح العروسين يؤثر تأثيرًا إيجابيًا فى عودة الحياة للطبيعة/المترجمة .

للعروسين ويعددان مناقبهما. وتمر البنات بمنزل العروسين وتغنى وتطلب إطعامهن طعامًا لذيذًا، فيقدم لهن العروسان الطعام (وإذا لم يعجبهن الطعام يعاتبن العروسين).

وكانت العروس تقوم ببعض الشعائر والطقوس التى تعكس فكرة الزواج باعتباره تغييرًا للوضع الاجتماعى لها وموتًا رمزيًا يليه بعث جديد. فكانت قبل الزواج وطوال بضعة أيام، وبعد أول صياح للديكة، تخرج من باب المنزل وتنتقى مكانًا نظيفًا(بانكس تاركا عند الإرزيا) فى منتصف الفناء بالقرب من البوابة الخلفية للمنزل، وترفع يديها فوق رأسها وتوجه رأسها صوب الشرق وتناجى الآلهة: نشكيباز (ابن الرب عند الإرزيا) وكاردو سياركو (الإلهة الحارسة للفناء عند الإرزيا) وكاسترجو (ابنة نشكيباز)، وتطلب منهم أن يستيقظوا. ومن ثم تدور ثلاث مرات حول البئر (مع اتجاه حركة الشمس). وبعد كل دوران تقف لتركع على الأرض وتعود إلى المكان النظيف (الطاهر/المترجمة)، وتأخذ فى إيقاظ الموتى من الأجداد وتدعوهم للمشاركة فى العرس، ثم تعود إلى المنزل وتغنى للفجر وبزوغ الشمس وتوقظ أهلها، وتجلس على الدكة الأمامية وتبدأ الرثاء[٢٤٦] وتدعو صديقاتها ليدفنوا معها عذريتها فى مكان الموت الرمزى والبعث الجديد.

وكان الموردف يعتقدون أن الآلهة تحمى العروس، ولذا كانت العروس تكثر من التوجه للآلهة وتطلب من كاردو سياركو (الإلهة الحارسة للزريبة عند الإرزيا) أن تستر عليها وتحيطها بالصليب وأن تبخرها بالمبخرة. وكانوا أيضًا يعتقدون أن البيت نموذج مصغر للكون العظيم: فالأرضية الحديدية هى الأرض والسقف الفضى[٢٤٧] هو السماء والشرفتان هما الشمس والقمر.

وطقوس تَطَهر العروس كانت تتمثل فى الحمام، حيث كانوا هناك يقرأون الطالع أيضًا حول شخصية زوج المستقبل وحول الحياة المشتركة القادمة.

---

(٢٤٦) ترثى العروس قبل الزواج عذريتها وتركها لمنزل أهلها، انظر ملاحظة المترجمة رقم ٢٠٧، والمقصود بالموت الرمزى موت عذريتها والبعث الجديد، الحياة الجديدة فى بيت زوجها/المترجمة .

(٢٤٧) المقصود بالحديدية والفضى الألوان فقط/ المترجمة .

وفى طقوس الزواج كانت أشكال الحماية (من الأرواح الشريرة والسحرة) كلها تنطوى على أهمية بالغة، من ذلك على سبيل المثال: ضرورة أن تكون العربات المشاركة فى موكب العرس ذات عدد فردى (٣-٥-٧)، وأن تسرع فى المسير حتى لا تلحق بها الأرواح الشريرة، وكان "الصديق" (تورن كاندى عند الموكشا) (القائم على ترتيبات العرس/المترجمة) يطرقع بالسوط خلف عربة العروسين لطرد الأرواح الشريرة ويرسم صلبانًا بسكين حول العربة، ويقوم دب[٢٤٨] (أوفتو عند الإرزيا) بتوجيه ضربات خفيفة على ظهور الضيوف بمقشة الساونا، ويقدمون لـ"الشُكاك" (الساحر) النبيذ المضاف إليه بعض الرماد وبراز كلب، ويغرزون سكينًا بالباب وغير ذلك. ولغرض الحماية كان الموكشا والإرزيا يتعمدون إحداث جلبة وضوضاء فيطلقون أعيرة نارية، ويقرعون أبواب الفرن والحوائط والدلاء الفارغة والقدور مستخدمين العصى. وعند الإرزيا طقس خاص يسمونه " كودان ليفتيما" (أى: طرد المشاركين فى موكب إحضار العروس لعريسها) ويحدث هذا فى اليوم الأخير من العرس ويستهدف طرد الأرواح الشريرة التى قد تكون قد تسللت إلى المنزل مع الغرباء. وكانوا يعتقدون أنه لو تجاهلوا هذا الطقس فلن تكون هناك حياة فى المنزل لأن الأرواح الشريرة ستمرح وتغنى وترقص فى المنزل فى الليل.

وكانت مواد الحماية كلها تنتشر فى بيت العروسين، من الأدوات المنزلية إلى الملابس والفراش والفطائر وأرغفة الخبز الطقسية وغير ذلك. وكانوا يدورن ثلاث مرات مع حركة عقارب الساعة حول حوض العجين ممسكين بأعواد مشتعلة. وكان الموكشا يقيمون طقسًا خاصًا لتبخير ملابس العروس، وقبل العرس كانوا يغرزون بملابس العروسين إبرًا ودبابيس ويضعون تحت فراشهم أدوات حادة (سكين - فأس - مقص أو غير ذلك). وفى اليوم الأول لعقد القران كان العروسان يذهبان ليلاً بصحبة الخاطبة و"الصديق" (القائم على ترتيبات العرس/المترجمة) إلى مخزن الحبوب غير المسقوف[٢٤٩]. وهناك كانوا يؤدون أغانى إباحية يعتقدون أنها تضمن سعادة الزواج وخصوبة الزوجين وتحميهما من الأرواح الشريرة.

---

(٢٤٨) سبقت الإشارة إلى أن امرأة تقوم بدور الدب باستخدام فراء الدب/المترجمة .

وينعكس الالتحاق الميثولوجي للزوجة بمنزل جديد في الكثير من الشعائر، من ذلك على سبيل المثال: ما يطلق عليه الموكشا والإرزيا "ليمديما" (أي: منح زوجة الابن في منزل زوجها اسمًا جديدًا) ويقيمون هذا الطقس بالقرب من الفرن، وطقس آخر يسمى عند الموكشا "إشي لانجس ليختيماس" (أي: الذهاب مع زوجة الابن إلى نبع أو بئر)، وعند الموكشا كانت العروس تخبز الفطائر فيما يحاولون عرقلتها ومعاكستها بالتدخل في كل شيء (يسرقون الفطائر ويدفعون الدلاء لينقلب ما فيها ويرشون العروس بالماء)، وطقس آخر يسميه الموكشا "تسستن سيافوما" (أي: انتزع السعادة).

وعند الموكشا طقس يطلقون عليه "كوتسفنيما" (أي: الصعود) يعكس أفكارًا ميثولوجية حول "الأعلى" و"الأدنى"، ويقيمون هذا الطقس عادة في اليوم الثاني بعد العرس. وعلى العروس أن تبحث عن أقارب العريس الذين يختبئون خصيصًا فوق شجرة أو سقف الزريبة (وكلما اختبأ أحدهم في مكان أعلى كان هذا أفضل لأنه بهذا يقترب من السماء) ومن تجده العروس تقدم إليه هدية. ومن بين الطقوس التي يقيمها الإرزيا بعد العرس هناك طقس يسمى "أورجان سيافوردوما" (أي: دلق الخميرة)، حيث يدعون الآلهة والموتى من الأجداد لآخر غداء، ومن ثم يصبّون الخميرة من حوض البيرة في مكان نظيف.

المراجع:

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 2. Devyatkina T. P. 1. Mokshanskie svadebnye obryady i pesni. Saransk, 1992

(١) العرس الموردفي، يفسيفيف م. أي، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) أغاني وطقوس العرس عند الموكشا – ديفياتكنا ت. صارنسك ١٩٩٢ .

(٢٤٩) سبقت الإشارة إلى أن العروس كانت ترفض دخول بيت زوج المستقبل لو التصق تراب الأرض بسقف المنزل، ويعتبرون أن الوجود تراب (الأرض) على السقف فأل شؤم/المترجمة .

الطمث-الحيض / Menses-menstruations

(Mesyachnoit, E و Odezhat, M)

الطمث/الحيض فى المخيلة الشعبية الموردفية هى الفترة التى تكون فيها الفتاة/السيدة "غير طاهرة". وفى فترة الحيض كانوا يلتزمون بمجموعة من مختلف الوصفات الشعبية والمحرمات، من ذلك على سبيل المثال: كانوا يخفون تمامًا عن أية أنظار أى ملامح للحيض، ويعتقدون أنه عكس ذلك تتضاعف آلامه ودماؤه ومدته، وأن بوسع السحرة والمشعوذين استخدام دماء الحيض لإلحاق الأذى والشر بصاحبته، وإنزال السحر بالمحبوب فيبتعد عنها. وكانوا يسمحون بغسيل الفراش الملطخ بدماء الحيض فقط بعد انتهاء الحيض وفى الليل، وإلقاء ماء الغسيل فى مكان نظيف (طاهر/المترجمة). والفراش الملطخ بدماء الطمث الأول يجب إخفاؤه إخفاء تامًا عن عيون الغرباء. وكان الموكشا يطلقون على الفتاة التى جاءها الحيض للمرة الأولى: "لوتكاس كاسومدا" (أى: كفت عن النمو) أو " ستيركس آراس" (أى: أصبحت شابة)، وفى القديم كانوا يعزلون هؤلاء البنات (بإرسالهن للعيش فى معازل خاصة). وتنعكس بدايات النضج عند الفتيات فى سلوكهن وطريقة سيرهن وملابسهن، وكن يغطين رءوسهن بطريقة خاصة بهذا العمر يسمونها "ستيركس"، فضلاً عن بداية اهتمامهن بالزينة وأدواتها.

وكانوا يحرمون تحريمًا قاطعًا خلط بياضات مجموعة نساء عند غسيلها اعتقاداً منهم أن دماء الحيض لهؤلاء النساء يمكن أن تختلط ببعضها البعض الأمر الذى يخشونه ويتجنبون حدوثه. وإذا اضطربت دورة الحيض عند الفتاة أو السيدة، أو كانت الدماء غزيرة فى أثنائه كانوا يقومون ببعض الممارسات السحرية الخاصة عند غسيل البياضات بعد الحيض لمنع تكرار هذا، من ذلك على سبيل المثال: كانت الفتاة أو السيدة تملأ قبضة يديها ثلاث مرات بالماء وتقف عند الحوض الذى تنقع فيه الغسيل وتردد: " موناين ساتى تنيارز" (وتعنى عند الموكشا: يكفينى هذا القدر من الدماء/المترجمة). وكانت المحرمات والقيود التى تفرض فى أثناء الحيض تستهدف

فى المقام الأول حماية الناس والأماكن العامة من النساء "غير الطاهرات". وكانوا فى أثناء الحيض يحرمون المشاركة فى الصلاة الجماعية، ومؤخراً أخذوا يحرمون الدخول إلى الكنيسة، والذهاب إلى المقابر ولمس الأيقونات والماء الطاهر وإشعال شمعة لقنديل الأيقونة والمشاركة فى طقوس التعميد. ولا يسمح للمرأة "غير الطاهرة" القيام ببعض أعمال المنزل: تخمير الكرنب، وإحضار التفاح من الفناء (وإلا تجف شجرة التفاح)، والشروع فى عمل أى شيء. وكانوا يضيفون بضع قطرات من دماء الحيض على الشراب لإنزال السحر بالحبيب وأيضاً لعلاج بعض الأمراض.

وكانوا يداوون الوحمة عند الأطفال بتغطيتها ثلاث مرات بدماء حيض لعذراء، وإذا تأخر الحيض كانت النساء تستحم ببخار الماء، أو تضع قدميها فى ماء ساخن مضافاً إليه بعض الملح(٢٥٠). وعندما ينقطع الحيض كانوا يعتبرون أن المرأء أصبحت طاهرة، ومن بعدها تحظى بمكانة مختلفة فى الحياة الاجتماعية (فكانوا يدعونها إلى المشاركة فى الغسل الطقسى للأطفال والموتى، ويدعونها للمشاركة فى ولادة الأطفال).

Milky Way / المجرة - درب التبانة

(Kargon'ki, M-E) (kara, M- karo, E) غرنوق (٢٥١) و ki, M-E طريق)

فى ميثولوجى الموكشا خلق "شكاى" الإله الأعلى السماء، وصنع النجوم من الحجارة التى جمعها من الأرض ونثرها فى السماء ليشق بذلك طريق المجرة الذى تنسق الطيور طيرانها وفقاً له (لأنها تطير حول الجهات الأربع). والمجرة هى واحدة من الأماكن التى يحيا فيها نيشكيباز(ابن الإله الأعلى عند الإرزيا).

---

(٢٥٠) حتى الآن يعالج الأطباء الروس والمستشفيات أيضاً بعض أمراض الدورة والمبايض والرحم بوضع الأقدام فى ماء ساخن قدر الإمكان ومضافاً إليه بعض الخردل الذى يجعل الماء حارقاً بدرجة ما. وعندنا حين نشعر بالإرهاق نضع الأقدام فى ماء ساخن مضافاً إليه بعض الملح/المترجمة .

(٢٥١) غرنوق وجمعها غرانيق: /المترجمة.

المراجع :

UPTMN. T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983

الإبداع الشفاهي الشعرى للشعب الموردقى، المجلد عشر أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣

Moon / القمر-البدر

(Kov, M-E)

يشير الموردف إلى القمر وفق الحالة التى يمر بها؛ فهو: "القمر الجديد"[٢٥٢] (أو كوف بريا-عند الموكشا والإرزيا)، وهو "القمر الواهن" (ماشتى كوف عند الموكشا والإرزيا) إذا خف وبهت ضوءه، وهو "البدر" (بيشكسى كوف عند الإرزيا و بياشكسى كوف عند الموكشا). ويرتبط القمر بطيف عريض من مختلف التصورات والمحرمات والطقوس السحرية، فكان الموردف يتصورون القمر شابًا والشمس فتاة. وفى الفلكلور عادة ما يظهر الاثنان متلازمين، يطلبان فى البداية من تشيباز (إله الشمس عند الإرزيا) ومن ثم من كوفباز (إله القمر عند الإرزيا) السعادة وكل أشكال الخير. وفى الحواديت الميثولوجية ينزل القمر من السماء إلى الأرض على قمة شجرة العالم (انظر كيلى/شجرة البتولا) ويضىء العالم. ويعكس القمر العلاقة بين أبطال الأساطير وحركة الأجسام السماوية، وفى شعر الأعراس نرى العريس والقمر من خلف رأسه والشمس المشرقة على جبينه. وفى هذا الصدد تشير أغانى تفسير الأحلام إلى علامة أو إشارة: إذا رأيت فى المنام القمر من جانب واحد فمعناه الزواج.

وكان الموردف يعبدون القمر، الأمر الذى ينعكس فى تفاصيل الحياة اليومية. فكانت نساء الإرزيا تطرز شكل الهلال على خاصرة ملابسهن، وكن يرتدين المناديل البيضاء

---

(٢٥٢) القمر الجديد هو الهلال/المترجمة .

والحمراء لاستجلاب رعاية الآلهة الحارسة للقمر والشمس، وكان اللون الأحمر هو الغالب فى التطريز على ثياب النساء.

وكان الموكشا يُحَرِّمون النظر طويلاً إلى القمر، بيد أن إيفان المبشر(٢٥٣) خرق هذا التحريم فأطاح شكاى (الإله الأعلى عند الإرزيا) برأسه، وما زال إيفان إلى الآن يقف على القمر بالقرب من طاولة شكاى بلا رأس. وهناك مجموعة محرمات مرتبطة بالقمر إذا وهن: لم يكن الموردف يبذرون المحاصيل من الحبوب ولا يزرعون الخضروات ولا يبدأون فى عمل شىء جديد (فكل هذا يجلب عليهم النحس والشر المستطير)، ولم يكونوا يقصون الشعر (اعتقاداً منهم أن بوسع القمر إذا غضب بسبب خرق هذه المحرمات أن ينتزع الحياة ويتسبب فى صداع الرأس). والقمر الواهن موات لقراءة التعاويذ المزيلة لآلام الأسنان والدمامل (فتختفى العلة مع اختفاء القمر). ومن العلامات المبشرة بالخير رؤية القمر الجديد (فهو علامة طيبة لمباشرة عمل أى شىء)، بيد أن رؤية القمر الجديد فى المنام معناها الموت الوشيك، وإذا رأيت القمر عبر الكتف فشىء ما سيثير دهشتك، ورؤية قمر كبير تعنى التعاسة وسوء الطالع. وكانوا يربطون العلامات والإشارات الخاصة بالقمر ببعض الظواهر الاجتماعية (فالقمر الساطع عشية عيد الفصح معناه شر وشيك أو حتى حرب وشيكة).

وعند رؤية القمر كانت مفاهيم "اليمين" و "اليسار" تنطوى على أهمية بالغة (انظر: ملاك). كان الموكشا يعتقدون أن النظر إلى وجه القمر أو جانبه الأيسر سوء توفيق، والعكس صحيح فإذا نظرت إلى القمر الجديد من الجانب الأيمن يعنى هذا حظًا موفقًا طوال الشهر. وكان الإرزيا يعتقدون أن النظر إلى وجه القمر أو جانبه الأيمن يعنى ضربة تأتيك من الجانب الأيسر – هى الحب.

---

(٢٥٣) إيفان المبشر من القديسين المسيحيين الروس. وتبدو هنا ثنائية الدين واضحة، فشكاى الإله الأعلى عند الإرزيا فى الوثنية يعاقب المبشر المسيحى إيفان لأنه عصف بتحريم النظر طويلاً إلى القمر. وقد يكون إيفان المقصود هنا هو نفسه إيفان كوبالا، راجع هامش المترجمة رقم ٦٢ وهو المرادف الروسى ليوحنا المعمدان /المترجمة .

ووفقًا لوضع القمر فى السماء كانوا يحددون طبيعة الطقس: فالقمر الجديد (الذى يمكن تعليق دلو على حافته) يعنى سماء صافية، ويعتقدون بقدوم الأمطار والجو العاصف فى الحالات التالية للقمر: القمر الشاحب أو المحاط بدائرة أو الهلال الذى تتجه حوافه إلى أسفل والقمر الذى يبدو "منكفئًا على ظهره". ويتنبئون بالرياح والسماء الملبدة بالغيوم إذا ظهرت بقع صريحة على وجه القمر. وإذا أحاطت القمر دوائر أو أعمدة زرقاء ورمادية اللون يعنى قدوم الطقس البارد. ويربطون بين تساقط الثلوج الأولى والقمر الجديد.

وكان الموردف يعتقدون أنه فقط فى ضوء القمر يرى من قُدر لهم الغرق فيديافا الإلهة الحارسة للماء التى تظهر عادة فى ثياب بيضاء. وكان السحرة يرددون اسم القمر فى قراءة الطالع، أما معارفهم وأساليبهم فى تفسير ما يتعلق بالقمر فكانت سرًا لا يطلعون أحدًا عليه. وكانوا يعتبرون أن كسوف القمر ينذر بيوم القيامة، وعندئذ يبدأ كبار السن فى الاستعداد لمقابلة الموت.

المراجع:

(1) UPTMN. T. 6. ch. 2. Mokshanskaya svadebnaya poeziya. Saransk, 1975. 2. Narodnye primety/compiled by Devyatkina T. P. Saransk, 1992

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٦، الجزء ٢ – شعر الأفراح عند الموكشا، صارنسك ١٩٧٥ .

(٢) الأمارات والإشارات-جمعتها ديفياتكينا ت. ب، صارنسك ١٩٩٢ .

Mythological personage/tribal chief

تيوشتيا البطل الأسطورى/ زعيم القبيلة

(Tyushtya, M- E) (tyashte, M., teshte, E بمعنى نجمة)

فى المواد المبكرة للفلكلور (الأساطير والحواديت والحكايات والأغانى) كان تيوشتيا نمونجًا خيرًا وشخصية إيجابية، ولكنه تحول فى المواد المتأخرة تاريخيًا إلى شخصية سلبية. حضر نيشكيباز الإله الأعلى عند الإرزيا مولده ومنحه السعادة. وبالتالى فأصله يشهد على انتمائه للعالم الأعلى. ولقد وُهِب تيوشتيا قوة سحرية: يمكنه حرث الأرض ممتطيًا ١٢-٢٤ حصانًا فى الوقت نفسه، ومستخدمًا ٣٠ محراثًا خشبيًا و٤٠ مسحاة لتمهيد التربة. وعلى جبين تيوشتيا الشمس وعلى قفاه القمر الجديد المضىء، وعلى أطراف شعره نجوم صغيرة متلألئة. ولد تيوشتيا بكعب حديدى وحجر فوق رأسه، وتلتف حول ركبتيه أسلاك.

وتصور مصادر ميثولوجية أخرى تيوشتيا ممتطيًا صهوة جواد أبيض، يحيط به مساعدوه من الغربان السوداء النبوية ذى المناقير الحديدية وثلاث من عصافير الجنة وملكة نحل وجواد مطهَّم. وبوسع تيوشتيا التحول إلى جواد أو نحلة أو عصفور أو سمكة أو ديك أو غير ذلك، ويتخذ تيوشتيا هيئات مختلفة: فهو مع القمر الجديد شابًا ومع البدر التام يصل مرحلة الرجولة ومع القمر الواهن يتحول إلى عجوز.

ويعيش تيوشتيا على الجبل الذى تشرق منه الشمس، وهو أثرى أثرياء الأرض، فلديه قصر فضى وملابس من الذهب وهو وسيم ورشيق وأنيق يرتدى قميصًا أبيض. هو أيضًا ساحر تخضع له الأرض والماء، بوسعه بنظرة واحدة بناء المدن وبنظرة أخرى خلق البشر، وبوسعه أيضًا التحكم فى الظواهر الطبيعية. ولذا كان الموردف أحيانًا يعزون سوء المحاصيل والكوارث الطبيعية إلى غضب تيوشتيا ولعناته.

وتيوشتيا معبود الموسيقيين، فإذا أراد رقص الناس وغنوا ومرحوا. ويمسك تيوشتيا عصا بيد وبوقًا باليد الأخرى ينفخ فيه ليدعو الناس للمعركة مع الأعداء. وبوق تيوشتيا يصدر صوتًا كالرعد، كصوت الآلهة وصوت الأسلاف، ويرعى الإله الأعلى تيوشتيا ويناصره.

وفى أزمنة لاحقة أبحرت صورة تيوشتيا هذه من الأساطير إلى الأغانى الملحمية والحكايات التى تصور تيوشتيا كحاكم وكاهن ومحارب ومزارع فى الوقت نفسه. ويختاره الناس أنفسهم ملِكًا لهم. وهكذا من رجل عادى كادح قوى البنية ثرى يزرع الأرض بنفسه يتحول تيوشتيا إلى ملك يختاره الناس ويمنحونه ثقتهم. وأحيانًا تصور مواد الفلكلور تيوشتيا ابنًا لأرملة عانت الأمرين. وبعث الحياة فى شجرة ذابلة هو رمز عدالة اختيار تيوشتيا ملكًا. وكان الموردف يقرأون الطالع لاختيار ملكهم: فكانوا يضعون مغرفة فى وعاء به شراب العسل الأبيض ويراقبون حركة مقبض المغرفة إلى أن تتوقف الحركة فى مواجهة شخص ما يختارونه تيوشتيا لهم - أى ملكًا لهم. وفى المراحل المبكرة من التاريخ كان تيوشتيا ملكًا عادلاً صارمًا يفرض حمايته على فقراء الناس ويقيم النظام فى مملكته ويعاقب اللصوص بالشنق. بيد أن فلكلور القرنين السابع عشر والثامن عشر يصوره ملكًا ظالمًا جبانًا لا يدافع عن شعبه، وتحذره ملكة النحل أنه مقدر له أن يهلك على يدى طفل ذكر. وفى حكاية أخرى تنجب أرملة تبلغ من العمر ٧٠ عامًا تيوشتيا جديدًا يشبه تيوشتيا الأسطورى القديم (ذى الكعبين الحديديين). وعادة ما تنتهى الحواديت التى تدور حول تيوشتيا بعبوره البحر إلى الضفة الأخرى، على نحو يشبه رواية الإنجيل، حيث يقدم نيشكيباز إله الإرزيا الطعام للناس. وتشير الحواديت إلى أن تيوشتيا مستشعرًا اقتراب الموت يسأل عشيرته عن المكان الذى يجب أن يذهب إليه لمقابلة الموت، فتشير عليه العشيرة ألا يفعل هذا أمام عيون الناس، لذا يذهب تيوشتيا إلى مكان مجهول، ولكنه يترك فمه ليتذكره شعبه. وعندما يسوء الطقس وتعصف الرياح يصدر فم تيوشتيا أصواتًا تنطلق من المدخنة، عندها يردد الناس: تيوشتيا ما زال حيًا. وفى حكايات أخرى أن تيوشتيا ما زال حيًا وأنه يعد العدة لشن الحرب على أعدائه، وهذه الحرب ستكون الأخيرة لأنها ستهلك العالم وتفنيه.

وكانت موردڤا الوثنية تقيم احتفالات خاصة وأعياداً عشائرية تسمى "تيوشتيا".
ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الاحتفالات والأعياد لم تكن تقام فى كل القرى، وكانت تقتصر على بعضها فقط. وفى منطقة توربييف بموردڤا كانوا يطلقون على الشمعة الرئيسية للعشيرة (ضرب من الشعار الضرورى المميز للصلوات الطقسية) اسم تيوشتيا.

وحتى يومنا هذا، فى إشارة إلى أزمنة سحيقة، يردد الموردف المثل القائل: تيوشتيان بنجى (الموكشا) وتيوشتيان بينجيت (الإرزيا) وهو المثل الروسى نفسه القائل: "أيام القيصر بازلاء" أو "أيام القيصر قيصر" أى: من أزمنة سحيقة[٢٥٤].

المراجع:

Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964;

الأغنية الملحمية الشعبية الموردڤية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٢٥٤) ترجمة هذا المثل ترجمة حرفية إلى الإنجليزية: In the year dot ومعناه: From time immemorial /
ويردد المصريون مثلاً مشابهاً حين يقولون بالعامية : "من أيام الجنيه الجبس" أو "من أيام سيدنا نوح" مثلما يقول الروس "من أيام القيصر بازلاء" / المترجمة .

N

الاسم (٢٥٥) / Name

(Lem, M- E)

للاسم فى المخيلة والثقافة الشعبية قوة سحرية، وكان الموردڤ يعتقدون أن مصير الإنسان يتوقف على اختيار اسمه؛ فالاسم يؤدى وظيفة حماية الإنسان، وانتشرت بين الموكشا أكثر من الإرزيا فكرة أن الاسم هو العلامة المميزة للإنسان بين الناس. ولكل طفل فى العائلة لقب (أو اسم ثانٍ) يتم اختياره اعتماداً على ملامح شخصيته وعلى مظهره وسلوكه وغير ذلك. وكثيراً ما يلتصق هذا الاسم بصاحبه طوال

(٢٥٥) لا أظن أن شعبًا يتعامل مع الأسماء على النحو الذى يفعله الروس؛ فهناك اشتقاقات ونهايات لا حصر لها تضاف للاسم لها دلالات مختلفة. ولتقريب الفكرة تفترض أن فلانًا اسمه أحمد، يطلق الروس عليه: أخمدشا - أخمدتشكا - أخمدولا وغير ذلك. وتختلف النهايات باختلاف الجنس فللذكر نهايات وللأنثى نهايات وتضاف هذه النهايات على جذر الاسم. ولهذه النهايات والاشتقاقات أغراض كثيرة ومختلفة فمنها ما يعنى تصغير اسم الطفل لصغر سنه ولتدليله، أو تصغير اسم رجل أو امرأة تحقيراً، ومنها ما يكون احتراماً لكبار السن دون تدليل، أو يكون احتراماً وتدليلاً لكبار السن من الأقرباء كالجدة والجد وغيرهما. ومنها ما يكون لتقليل شأن الشخص والاستخفاف بقدره، أو يكون للدلالة على ملمح معين من ملامح الشخصية وهلم جرا. فاسم تاتيانا المؤنث قد يكون: تانكا وتانيتشكا وتانيوشا وغير ذلك واسم فلاديمير المذكر قد يكون: فوفا وفالوديا وفانكا وغير ذلك. ونهايات الأسماء الكاملة تختلف باختلاف الجنس، ولتقريب الفكرة فاسم: عزة عبد الرحمن الخميسى يصبح بالروسية عزة (كما هو دون تعديل) عبد الرحمانوفا (تأنيث نهاية اسم الأب) الخميسوف (تذكير نهاية اسم الجد). واسم أحمد عبد الرحمن الخميسى يصبح أحمد (بلا تعديل) عبد الرحمانوفتش (تذكير اسم الأب)الخميسوف (تذكير اسم الجد). وأخيراً تختلف مخاطبة الروس لبعضهم البعض باختلاف العمر والوضع الاجتماعى والقرابة ونوع العلاقة وغير ذلك من اعتبارات. ودرجة الرسمية فى المخاطبة هى على التوالى على النحو الآتى: الأشد رسمية أن تخاطب الشخص باسمه ثلاثًا كاملاً، أحمد عبد الرحمن الخميسى، والدرجة الأقل رسمية هى مخاطبة الشخص باسمه مصحوباً باسم جده: أحمد الخميسى، والأقل رسمية أن تناديه باسمه مصحوباً باسم والده: أحمد عبد الرحمن، وأقل أشكال المخاطبة رسمية، وأن تظل رسمية أن تناديه باسمه كاملاً فقط. ولا ينادى الناس بعضهم بأسمائهم إلا فى الحالات الرسمية وعدا هذا باسم تصغير وتكبير وتدليل وغير ذلك/المترجمة .

حياته بل وأحيانًا يرثه الأبناء. وقبل المسيحية كان إطلاق اسم على الطفل الوليد يصاحبه شعائر سحرية مختلفة تستهدف ضمان منح الطفل مستقبلاً سعيدًا، وحماية حياته.

وأول المعطيات الخاصة بأسماء الموردف في عهود ما قبل المسيحية نجده في المخطوطات الروسية القديمة للقرنين الثالث عشر والرابع عشر . والأسماء التقليدية للموردف نجدها بشكل رئيسي محفوظة في دفاتر المساحة والوثائق القضائية بالملفات الروسية في القرون الـ ١٦-١٨، ومعظم الأسماء الموردفية القديمة مذكورة في نصوص الفلكلور التي سُجلت في القرنين الـ١٩-٢٠ .

وأكثر الأسماء الوثنية انتشارًا هي: أزرافكا-فيتوفا-ليتوفا (للإناث) وأنديامو-صوراي-تيوجاي (للذكور). أما الأسماء الموردفية ما بعد المسيحية فقليلة في المصادر الروسية. وفي الماضي البعيد كانت السلطات الروسية القيصرية تسجل الوثائق الرسمية فقط للرجال.

وأحيانًا كان المقطع الثاني من أسماء النساء هو كلمة آفا[٢٥٦] (سيدة/أم عند الموكشا والإرزيا)، بيد أن معظم أسماء النساء كانت من مقطع واحد وتختلف قليلاً من حيث نمط تشكُل الكلمة عن أسماء الرجال مثل: آفاكشا-اندیامکا-فارافكا-كاردا-فيلمايكا-كويانكا-توندیا-تشنجاي وغير ذلك. وفي الوقت نفسه هناك مجموعة من الأسماء تستخدم للنساء والرجال[٢٥٧] مثل: لوباي-صيركا-بوتيايكا-إندوامو. وكان الموردف جنبًا إلى جنب مع الأسماء المسيحية التي يطلقونها على أطفالهم في الكنيسة بعد التعميد، يطلقون عليهم أسماء وثنية.

---

(٢٥٦) آفا: سبقت الإشارة إلى مقطع آفا في أسماء النساء الموردفيات ويعني (سيدة - امرأة - أم) . وهو المقطع الثاني في كثير من أسماء الإلهات الحارسات في الوثنية مثل: فيديافا و كودافا وفيرمافا وغيرهن/عزة عزولا أزنتشكا أزنكا أزكار / المترجمة.

(٢٥٧) لا ينفرد الموردف بهذه الظاهرة فلدى الروس الكثير من الأسماء للرجال والنساء من ذلك على سبيل المثال ألكسندر. وفي العربية أيضًا الظاهرة نفسها مثل: عفت وضياء وبهجت وغير ذلك/المترجمة.

وفى هذا الصدد أدخل الموردف أيضًا على عدد من الأسماء الروسية الأرثوذكسية تعديلات لتقريبها من الأسماء التى اعتادوا عليها قبل المسيحية، من ذلك على سبيل المثال: يصبح اسم تانيا (للأنثى/المترجمة) تاتو بالموردفية ويصبح أفدوتيا (للأنثى/المترجمة) أولدا ونيقولاى (للذكر/المترجمة) ميكول وغير ذلك. وكان أبطال الأساطير الموردفية يحملون أسماء الناس العاديين نفسها مثل: ليتوفا-إنديامو. ونادراً ما كانت هناك أسماء خاصة تتميز بها الشخصيات الأسطورية مثل سيسيم كارياز (عند الموكشا: سيسم تعنى سبعة وكارياز تعنى ظهر/دعم/عمود فقرى) ومثل بوبو (عند الموكشا والإرزيا مخلوق يخيفون به الأطفال وهو موجود فى مخيلة الموردف إلى يومنا هذا).

وعادة ما تمنح "أيدن بابا" (القابلة عند الموكشا) الأطفال أسماءهم كما يحلو لها. وأحيانًا يكون ما تختاره من أسماء هو اسم لأى شىء أو اسم أول قادم مع مولد الطفل، ويعد اسم أول قادم بشير خير اعتقاداً منهم أنه مادام أن هذا القادم حيًا معافًى فسيكون الطفل كذلك. وكانت أحداث الحياة الاجتماعية ومكان الولادة وظروفها تدخل فى الاعتبار عند اختيار الأسماء.

ولم تكن أسماء الأشخاص ترمز فقط إلى ملامح الشخصية (مثل اسم كيجدى عند الموكشا والإرزيا والذى يعنى مقطع كيج فيه - شرير) وإنما ترمز أيضًا إلى رأى أو موقف من هذا الطفل، وترمز كذلك إلى مشاعر الوالدين تجاهه (مثل اسم فيتشكاس عند الإرزيا، و فتشكومس تعنى يُحب)، وكانوا أحيانًا يطلقون على الأطفال اسم مكان ولادتهم أو حدث معين (مثل اسم نويات والمقطع نومس يعنى حصاد). وكانت هناك أسماء تضم جذرًا يشير إلى أسماء حيوانات أو طيور أو أشجار(مثل اسم أوفتاى حيث أوفتو عند الإرزيا تعنى الدب، ومثل توماى حيث يعنى المقطع توما عند الموكشا والإرزيا شجرة السنديان واسم كارجاش حيث يعنى المقطع كارجا عند الموكشا والإرزيا طائر الكركى). ويشير علم القوانين البشرية (Anthroponomy) إلى أن نموذج الأسماء السائدة للموردف قبل المسيحية كان النموذج ثنائى المقطع، وكان يتضمن اسم

الأب[٢٥٨] يسبق الاسم الشخصى ويكون فى حالة المضاف وأيضًا فى حالة الاسم (مثل بيفتساين نويانزا وفيدياين كالوماس وغير ذلك).

وعادة إعطاء الطفل اسم أول عابر أو اسم شىء أو طير أو حيوان عادة مرتبطة باعتقادهم أن نزع الشخصنة عن الاسم يمنح صاحبه حياة طويلة. وعادة منح الطفل اسم الميت من جد وجدة وأخ وغير ذلك هى من ملامح العبادة القديمة للأسلاف حيث كانوا يعتقدون أن روح الميت تتجسد فى الطفل الوليد. وكانوا أيضًا يعتقدون أن منح الطفل اسم شخص مات لتوه يمنحه السعادة طوال حياته، ويسمون هذا الإجراء عند الموكشا "ليمونتس كينيريزا" أى: أخذ الاسم.

وكانوا يقيمون الصلاة بمناسبة منح المولود اسمًا. وكانت المرأة إذا أنجبت للمرة الأولى يذهب إليها الأقارب ومعهم دلو ممتلئ بالطحين وفوق الطحين يضعون رغيف خبز أبيض وفطائر. وحتى لا يجوع الطفل أو يفتقر لشىء فى حياته كانوا فى يوم التعميد يحملون معهم البيض والخبز والمشروبات والكعك وبعض الحبوب فى وعاء ويضعون المولود على معطف من الفراء.

وبعد تقديم أضحيات الشكر للآلهة الميثولوجيين: كودافا الإلهة الحارسة للمنزل ويورختافا الإلهة الحارسة للعشيرة وللأسلاف الموتى، كانت القابلة تطلب من أحد الحضور أن يمسك برغيف خبز فوق رأس الوليد وتمسك هى برغيف آخر ومن ثم تضرب الرغيفين ببعضهما البعض وتنطق باسم الوليد.

وفى طقوس منح الوليد اسمه كانوا يفرضون المحرمات المختلفة. ومن أكثر المحرمات انتشارًا تحريم إطلاق اسم واحد على شخصين من الأسرة نفسها (كأن يسمى الوليد باسم والده أو جده المباشر أو إخوته) وإذا خرق أحدهم هذا التحريم كانوا يعتقدون أن واحدًا من الاثنين سيموت أو الوليد المسمى على اسم والده لن يكون سعيدًا أبدًا. وكانوا أيضًا يحرمون إطلاق اسم طفل مات لتوه على الوليد حتى لا يلاحقه المصير نفسه.

---

(٢٥٨) اسم الأب patronymic مسبوقًا بما يدل على النسب أو كنية الأب/ المترجمة.

واسم الإنسان، الذى يتطابق فى الأساطير مع حامله ويستقل بدرجة معينة فى الوقت نفسه عن حامله، كان موضوعًا لطقوس عديدة. وتختلف الأسماء باختلاف الجنس والعمر والوضع الاجتماعى. فيطلقون على الأطفال أسماء تصغير وتدليل(٢٥٩) (مثل تاتكانس-انتشانس وغير ذلك)، وإذا بلغ الرجل سن الزواج أو تزوج كانوا ينادونه باسمه الكامل، ولكن كانوا يبدلون أسماء النساء المتزوجات. وكانوا فى العادة يطلقون اسمًا جديدًا على العروس/زوجة الابن فى منزل زوجها فى اليوم الأول أو الثانى من العرس، ويحدد هذا الاسم حقوق زوجة الابن وواجباتها فى العائلات الموردفية الكبيرة الأشبه بتنظيم هرمى صارم. وكانت الأسماء تمنح بترتيب الأولوية، فكان اسم زوجة الابن أو الأخ الأكبر عند الموكشا بارافا (الجيدة/ الطيبة)، واسم زوجة الابن أو الأخ الثانى عند الموكشا مازافا (الجميلة/الحمراء)، واسم زوجة الابن أو الأخ الثالث عند الموكشا فيجافا (الصغيرة) وغير ذلك. وكانوا يعطون أسماء لأهل العروس (ابن الأخ أو الأخت وأخت العروس وغيرهم) وكانت والدة العريس ووالده يسميان زوجة ابنهما أورفا (زوجة الابن عند الإرزيا). ولم يكن الزوج والزوجة يناديان بعضهما البعض بأسمائهما وإنما كانوا يصيحان هاى (Hi) . وكانت العروس تحمل اسمها الجديد حتى الموت، وكانوا يسجلونها فى الوثائق الرسمية بهذا الاسم.

وطقس منح العروس اسمها الجديد كانوا يقيمونه بالقرب من الموقد/الفرن أو بالقرب من المائدة فى منتصف البيت، ومن بين الطقوس الواجبة فى هذه الأثناء وجود رغيف أو فطيرة دائرية الشكل. وفى العرس الشعبى التقليدى عند الموكشا والإرزيا كان هناك طقس خاص يتطلب فى العادة وجود ولد (ليميدنيا أو ليمون أو ليمديتسا عند الإرزيا، وليمدرنيا أو ليمون ماكسى عند الموكشا أى: ولد. والمقصود ولد يصيح بالاسم الجديد للعروس)، ويقوم هذا الولد ليعلن بصوت عال الاسم الجديد للعروس فيجعله بذلك مشروعًا وقانونيًا. ويلعب هذا الدور أحيانًا "الصديق"(تورون كاندى عند الموكشا والإرزيا) (الشخص القائم على ترتيبات العرس/المترجمة).

---

(٢٥٩) راجع هامش المترجمة رقم ٢٥٥/المترجمة.

وتختلف الطقوس المتبعة عند منح العروس اسمًا جديدًا من مكان إلى آخر؛ فعند الإرزيا بمحافظة سيمبيرسك كان الشخص القائم على هذه المهمة يقفز إلى عتبة الجرن ويضربتين من فأس يكسر قطعة من الزند الثالث من خشب السقف، ومن ثم يضع قطعة الخشب هذه ومعها رغيف من الخبز على رأس العروس ويصيح باسمها الجديد، ويبدأ فى الدوران حول كل الضيوف والفأس بيده ويسألهم عن اسم العروس. ومن ثم يضع قطعة الخشب فى عب ردائه. ويكرر هذه الطقوس ثلاث مرات، بعدها يخلع قبعته ويمزقها بالفأس إلى قطع صغيرة، وبانتهاء هذا الطقس تقدم له العروس البيرة. وفى اليوم التالى كانوا يحرقون فى الفرن قطعة الخشب هذه ومعها قطع من العربة المحطمة لموكب العروس. ويبدو أن فكرة التكسير/التحطيم ترجع إلى تحريم مناداة زوجة الابن باسمها قبل الزواج (وكأنهم بذلك يحطمون اسمها السابق على زواجها). وما زال الموكشا إلى يومنا هذا يؤدون طقس تسمية العروس الذى توقف عند الإرزيا منذ خمسينيات القرن الماضى.

ويستخدم الموردف اسم الإنسان فى التعاويذ المضادة للأمراض والأخرى الخاصة بالحب لإنزال السحر بالحبيب (ولهذا الغرض كانت العروس تقف عند المدخنة وتردد ثلاث مرات[٢٦٠] اسم عريسها). ويستخدم الاسم أيضًا فى صب اللعنات، وفى ممارسة تأثير طقوس سحرية على الاسم تلحق بصاحبه الأذى. وكان الموردف يحرمون الاستجابة لسماع أسمائهم فى حالة ذهاب الشخص ليلاً إلى أماكن "خطرة" (تقاطع طريق-الحمام-النهر) لأداء طقوس قراءة الطالع، ويعتبرون فى هذا نذير شؤم. وكانت البنات تتنبأن فى قراءة الطالع باسم زوج المستقبل من أول قادم يأتيهن فى أثناء قراءة الطالع، أو من الكرنب[٢٦١] .

---

(٢٦٠) يبدو أن الرقم ٣ عميق الدلالة شائع الاستخدام بشكل خاص فيما هو طيب من الأغراض، فلقد ورد استخدامه كثيرًا جدًا فى مواضع مختلفة /المترجمة.

(٢٦١) سبقت الإشارة إلى أن البنات كن يطلقن أسماء ذكور مختلفة على الكرنب، والكرنبة التى تنمو جيدًا وتزهر نفترض أن اسمها أحمد، سيكون هذا اسم زوج المستقبل/المترجمة.

المراجع :

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966 2. Mokshin N, F. Tainy mordovskih imen. Saransk, 1991. 3. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994

(١) العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) الأسماء الموردقية الغامضة، موشكين ن. ف، صارنسك ١٩٩١ .

(٣) الأمارات والإشارات الشعبية للموردف (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

Next world/abode of dead people

الآخرة/ مثوى الموتى

(Tona shi, Mو Tona chi, E)(tona, M-E بمعنى ذلك و shi, M, chi, E يوم. ذلك اليوم)

كان الموردف يعتقدون أن الحياة الآخرة امتداد للحياة على الأرض، وكانوا بالتالى يعتقدون أن الناس هناك يحرثون ويبذرون ويربون النحل، والبنات والرجال يتزوجون وينجبون، وأن الطيبين من الناس يعيشون هناك فى سعادة ووفرة، وأن الخطاة يُسلَقُون فى وعاء به قطران يغلى، وأن السحرة والمنتحرين ومن مات من الإفراط فى تعاطى الكحل يُلقَون فى النار حتى رقابهم، وأن العالم الآخر الذى يقع تحت الأرض مظلم وكئيب. وكان الموردف يعتقدون أن الموتى يعيشون هناك فى جماعات وبالتالى كانوا يرسلون لهم أفضل التحيات والأمنيات ويبعثون إليهم رسائل تتضمن أخبار حياتهم على الأرض. وكانوا بالتالى أيضًا يفترضون أنهم بحاجة إلى طعام وملابس وأوعية، لذا كانوا يخربشون بسكين على بعض الأشياء اعتقادًا منهم أن الموتى يحصلون بهذا الشكل على ما يحتاجون إليه.

وكانوا يعتقدون أن الموتى فى العالم الآخر يموتون مرة ثانية(٢٦٢) وأن هذا يرفعهم إلى درجة من الوجود جديدة أعلى. ويأتى الموت الثانى عندما يموت شخص آخر من العائلة نفسها. والميت ثانية يسمونه عند الموكشا سيرى ستارى، أى العجوز أو الزوج. وكانوا يعتقدون فى الوقت نفسه أن الموتى بوسعهم فى الليل ترك قبورهم والذهاب إلى الأحياء وإيذاؤهم أو مساعدتهم. ويشير هذا الضرب من المعتقدات إلى أن الموردف كانوا يميزون بين جسد الإنسان وروحه.

وفى أزمنة لاحقة وتحت تأثير الأرثوذكسية الروسية، تبدلت تصورات الموردف حول الآخرة لتصبح عندهم هى النار والجنة، ودخلت إليهم فكرة يوم القيامة الذى تتحدد فيه الأعمال الخيرة للبعض وأثقال الخطايا للبعض الآخر، وأن الميت يحاكم فى محكمة الرب لمدة ستة أسابيع يرسل بعدها الخطاة إلى جهنم ويرسل الطيبين إلى الجنة.

وفى الرثاء والندب يصورون الطريق إلى الآخرة عصيبًا للغاية بصرف النظر عن المكان الذى سيستقر فيه الميت (سواء كان الجنة أو الجحيم)، فعلى الميت أن يجتاز نزولاً أو صعوداً ٢٥ خطوة، وفى كل خطوة عليه أن يجيب عن سؤال يتعلق بأعماله على الأرض (عن موقفه من الإيمان ومن المرضى وإحسانه للفقراء وغير ذلك).

وكانوا يتصورون الجنة تشبه الحياة على الأرض حيث السماء والطيور والحدائق، أما جهنم فمظلمة. وكانوا أيضًا يعتقدون أن الوصول إلى الآخرة يحدث بمساعدة الشعر والأظافر، وأن الموتى يدفعون نقوداً مقابل المرور الآمن عبر العراقيل النارية.

المراجع:

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952, 2. UPTMN, T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; 3. T. 7, ch. 2. T. 7. ch. 2 Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979;

(٢٦٢) يموتون للمرة الثانية بمعنى أنهم يموتون للمرة الأولى على الأرض وللمرة الثانية فى السماء/المترجمة.

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردڤ، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى، المجلد ٧، الجزء ١- العديد والنواح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى، المجلد ٧، الجزء ٢- العديد عند الموكشا صارنسك ١٩٧٩ .

الأرقام / Numbers

(Chislat, M- E) (يستخدم الموردڤ لفظ تشيسلا باللغة الروسية بمعنى الأرقام، فلقد فُقد اللفظ الموردڤى عند كل من الموكشا والإرزيا).

وللأرقام فى المعتقدات والشعائر الفلكلورية مغزى سحرى طقسى خاص. وكان الموردڤ فى الأصل يربطون بين الأرقام والعَدِّ من ناحية وأجزاء الجسم وأشياء الحياة المحيطة من ناحية أخرى. (يدان - ثلاث سمكات - إصبع واحد). وكانوا يعدون بشكل رئيسى على الأصابع وباستخدام علامات خاصة يرسمونها على ألواح خشبية. وبمرور الوقت أصبحت الأرقام تنطوى على أهمية كبيرة بعد أن تحولت إلى ضرب من إشارات خاصة تستخدم لوصف رؤاهم وتصوراتهم الميثولوجية عن العالم، حتى إن بعض الأرقام أصبح لها معانٍ مقدسة.

وفى الثقافة التقليدية الشعبية للموردڤ كانت كل الأرقام حتى ١٠ تعد رموزًا خاصة. وارتبطت بالرقم ١ مجموعة كبيرة من الشعائر والمحرمات، من ذلك على سبيل المثال أن الطفل قبل أن يبلغ عامه الأول (واحد): يحرمون قص شعره أو وضعه أمام مرآة (وإلا لن يتعلم الكلام لفترة طويلة). ويعتقدون أنهم لو اصطحبوا الطفل إلى الحقل فى اليوم الأول (واحد) من موسم بذر الحبوب سيتعلم أن يمشى بسرعة أكثر من غيره. وكانوا يخربشون أول سن (واحد) يظهر للطفل بعملة فضية ويلقون أول سن (واحد)

يسقط فى القبو اعتقاداً منهم أن هذا الطقس يمد أسنان الطفل بالقوة. وكانوا يعتقدون أيضًا أنه لو أكلت امرأة ورقة واحدة من الورقات الخمس لنبات "كياد" (اليد)[٢٦٣] فلن تنجب طوال عام (واحد). وكان "الأول" دائمًا ذا مغزى خاص، لذا كانوا اعتماداً على ما يحدث فى اليوم "الأول" (سحر اليوم الأول) من أى شىء أو حدث يحاولون تحديد طبيعة كل الأحداث المتتالية اللاحقة لليوم الأول. فكانوا على سبيل المثال يتنبئون بأحداث طوال العام اعتماداً على ما يحدث فى رأس السنة (اليوم الأول من السنة)، أو يحددون ما ستجره عليهم الطبيعة فى الصيف ومحصول العام اعتماداً على اليوم الأول من قصف الرعد وهلم جرا.

وفى الأعياد وبشكل خاص عيد الفصح كانوا يولون عناية بالغة للزائر "الأول" (فتحدد طبيعة أول زائر طبيعة العام كله)، وكانت البنات فى هذا العيد يحددن أسماء أزواج المستقبل ونجاح أعراسهن ومشترياتهن وطريقهن فى الحياة اعتماداً على شخصية الزائر "الأول". وكانوا يقيمون مجموعة من الطقوس بمناسبة اليوم "الأول" لإخراج الماشية للمراعى (بعد البيات الشتوى فى صقيع شتاء روسيا حيث يحتفظون بالماشية فى الحظائر الملحقة بفناء البيت/المترجمة): فيضعون على بوابة البيت حزامًا، ويوجهون للحيوانات ضربات خفيفة بأفرع شجرة الصفصاف، ويقدمون البيض للرعاة وغير ذلك. وحتى يحبها أهل زوجها، كانت العروس حين تغسل وجهها "أول" مرة فى بيت زوجها تفعل هذا سراً بالقرب من الموقد بعيداً عن العيون كلها.

أما رقم ٢ فنادراً ما نلتقى به بالمعنى السابق الإشارة إليه، ويستخدم عادة فى الألغاز والألعاب.

ويحتل رقم ٣ مكانة خاصة فى منظومة الرؤى الميثولوجية للموردف، فكان الموردف على سبيل المثال حين يؤدون الصلاة فى الغابة يجتهدون بحثًا عن مكان به ثلاث أشجار تنتصب بالقرب من بعضها البعض: الزيزفون والبتولا والسنديان. وفى

---

(٢٦٣) نبات كياد: يسمونه "اليد" لأنه يثمر ورقة ذات خمس حواف أو خمس أوراق أشبه باليد/المترجمة.

الأساطير والحواديت ترفع الأرض ثلاث سمكات: الدلفين الأبيض والقرش والزجر(٢٦٤)، وللأرض ثلاث بدايات وثلاث لجج، وتزور الأم ابنتها/بطلة الأساطير المحبوسة فى سرداب محكم الإغلاق بالقرميد ثلاث مرات، ويأتى الموت لاختطاف ضحاياه ثلاث مرات، ويطالبه المرضى إرجاء اختطافهم ثلاث سنوات. وتحمل العجوز طفلها فى رحمها ثلاث سنوات، وتستمر ولادتها ثلاثة أسابيع. وفى أغنية عند الموكشا يأخذ إله الرعد البنت الأرضية فاسالجيا إلى السماء بعد أن تهتز أرجوحتها ثلاث مرات، وتبحث الأفعى الأسطورية عن منقذها لسنوات ثلاث، ويجرى الشجار والمشاحنات فى الحواديت بين أخوات أو أخوة ثلاث. وعلى الأم ووليدها حتمًا الاستحمام فى ثلاثة حمامات وثلاثة مياه (وإلا قد يموت المولود). وكان الموردف يعتقدون أن شفاء المريض يمكن فى حال: استحمامه بالبخار ثلاث مرات مستخدمًا مقشات سونا من أفرع ثلاث شجرات بتولا وحجارة(٢٦٥) من ثلاثة حمامات وماء من ثلاثة ينابيع. ولعلاج الطفل من الحمى كان الموردف يجلبون مياه من ثلاثة ينابيع ويغسلونه بها، والمولود قبل أوانه كانوا "ينضجونه" ثلاث مرات، بوضعه ثلاث مرات فى الفرن بعد خبز الخبز فيه، وعلى هذا النحو يستكمل المولود نضجه. وكانت معتقداتهم الدينية تهيئ لهم أن أجراس الكنيسة نادرًا ما تقرع ثلاث مرات فى الليل، لأن الموتى ممن قضوا بشكل غير طبيعى (الغرقى والمنتحرون والمحترقون من شرب البيرة) يصلون فى الليل. وكانت العروس وعريسها يدورون ثلاث مرات حول الطاولة، ولغرض الحماية يدور القائم على ترتيبات العرس حول عربة العروسين ثلاث مرات وبيده سكين. ولحماية المرء من السحرة والعين

(٢٦٤) الدلفين الأبيض منه يؤخذ الكفيار، وجدير بالذكر أن المقطع الأول من الكلمة التى دخلت لغات العالم مقطع روسى بمعنى الأبيض. والقرش نوع ضخم من الأسماك لديه عادة الإبحار للأنهر لوضع بيضه، يؤكل لحمه ويؤخذ منه الكفيار وغراء يسمى غراء السمك/المترجمة.

(٢٦٥) عادة ما يستحم الروس فى الريف بالبخار المتصاعد من فحم أو خشب محترق يتحول على الجسد إلى قطرات مياه. وتختلف الأماكن التى يضعون فيها الفحم أو الخشب المحترق، من ذلك وضعه خلف الحائط الخشبى للحمام، ومنها وضعه فى إناء بالحمام ومن فوقه حجارة صغيرة تتوهج هى الأخرى من النار، وتلك هى الحجارة التى يشير إليها النص/المترجمة.

الحسود: كانوا يبصقون ثلاث مرات من فوق الكتف الأيمن، ويغرزون إبراً أو ثلاثة دبابيس فى ثياب العروس، ويعلقون ثلاثة خيوط (أحمر وأبيض وأسود) أو ثلاث خرزات بيد الطفل أو على رقبته. وأخيراً فالرقم (٣) يعبر عن البنية الثلاثية العمودية للعالم، الممالك الثلاث: السماء والأرض والعالم الآخر.

وفى الثقافة التقليدية الشعبية للموردف وبشكل خاص فى الشعائر والطقوس التى تصون بقايا الأفكار والرؤى والعادات والتقاليد القديمة، يعد رقم ستة ذا أهمية خاصة: فعلى رداء العروس ستة شرائط مطرزة، وستة قمصان للعروس يضعونها فى صندوقها ("بار" عند الموكشا والإرزيا: أى صندوق العروس الذى يضعون فيه أشياءها قبل ذهابها إلى بيت زوجها) بينما يؤدون أغانى العرس الشعبية، وغير ذلك. ويدخل الرقم ستة فى أشكال الحفر على الخشب التى يزينون بها الصندوق الذى تضع فيه المرأة ملابسها وأدوات زينتها. ووفق ما توصل إليه بعض الباحثين ففى أزمنة جماعة فين-أوجر وُجدت (أو كانت فى مرحلة التكوين) منظومة حسابية سداسية أزاحتها بعد ذلك منظومة عشرية للحساب.

وكان الكثير من أدوات الزينة القديمة (مثل الخواتم والأقراط) عند الموردف تُصنع من وحدات من ٣ أو ٦ أو ٩ أو ١٢ من الأشياء المختلفة (الخرز والقطع المعدنية وغير ذلك). وكان الأطفال يستخدمون ستة أحجار فى لعبة تشاكاسا (ضرب من ألعاب الأطفال يستخدمون فيها الحجارة).

وينطوى رقم ٧ أيضًا على أهمية بالغة فى الميثولوجى والطقوس والشعائر الموردفية، وتشير الأغانى الشعبية إلى أن سمعة البنت الطيبة تطير أبعد من سبع غابات وسبعة حقول، ورقم ٧ السحرى هذا يرمز إلى حدود المسافات البعيدة التى تنتشر فيها أخبار السمعة الطيبة للبنت، حيث من هناك، من على بعد كل هذه المسافات، على بعد سبع غابات، تأتى الخاطبة للعروس. وبعد الحمام الطقسى لها، تتوجه العروس إلى بانيافا الإلهة الحارسة للحمام تسألها: أين ينمو ويزدهر الشجر الذى يأتون به لتستخدم خشبه فى استجلاب البخار لحمامها، ومَنْ قطع هذا الشجر؟ وتجيب العروس نفسها عن أسئلتها قائلة: إن هذا الشجر ينمو على الجانب الآخر من

نهرى صورا ورافا (نهر الفولجا) فى غابة صنوبر، وأن الشجرة قُطعت باستخدام فؤوس سبع، واستُحضرت على سبع عربات (يجرها ثلاثة خيول). وكان المشاركون فى العرس يغنون أغانى شعبية يتمنون فيها للعروس أن تنجب سبع بنات وسبعة أولاد، ولم يكن الموردف يسمحون بالزواج من أقارب حتى الجيل السابع من الأجداد.

وكان الإرزيا ينتعلون بشكل رئيسى أخفافًا مصنوعة من سبعة شرائط، وفى الأغانى التى تدور حول البطل الأسطورى "تيوشتيا" يُشار إلى أنه يحرث الأرض مستخدمًا سبعة خيول وأن سهمه يزن سبع بودات(٢٦٦). وتشير بعض الحكايات ذات الطابع الميثولوجى أن نشكى (أو نيشكيباز الإله الأعلى عند الإرزيا) بعد أن خلق الإرزيا ازداد عددهم وعاشوا فى سبع قرى، وأن البنت التى تُقدم كقربان للآلهة عند بناء حصن أو قلعة، يُحضرونها فى عربة تجرها سبعة خيول يعلقون الأجراس على رقابها لإخفاء صوت بكائها الذى يسمعه الناس على بعد سبعة فرستات(٢٦٧). وفى الأغانى الأسطورية الطابع يُحرم الإله الأعلى نشكى على أزرافا الزوجة الأرضية للإله إندول (إله الرعد عند الموكشا) فتح المخزن السابع، لأنها بوسعها فقط من المخزن السابع أن ترى حياة والديها، وفى أغنية "فاسلجيا" يطلب الوالدان اللذان أنجبا سبعة أولاد من الإله شكاباز أن يمنحهما ابنة، وللتنين الأسطورى "كارياز"(كارياز عند الموكشا تعنى ظهر-عامود فقرى) رءوس سبعة وظهور سبعة.

وإلى يومنا هذا يستخدم الموردف الرقم ٧ فى اللعنات، فيقولون:" توك سيسيم سيلخت مودافا" (لعنة عند الموكشا تعنى: لتبتلعك الأرض إلى عمق سبع ساجينات(٢٦٨))، وتنتشر بينهم تسمية العدو بالخُراج أو الدمل (عند الموكشا) ذى "سيسم برياسا بايارن

---

(٢٦٦) بود pood : وحدة وزن روسية قديمة تساوى ١٦و٣٨ كيلو جرام أو ٣٦ رطلاً وفقًا للقاموس الروسى وتساوى فى مصادر أخرى ١١٥ كيلو جرام/المترجمة.

(٢٦٧) فرست: معيار روسى قديم لقياس الأطوال يساوى ١٠٦٠ مترًا، انظر هامش المترجمة رقم ١٠٦/المترجمة.

(٢٦٨) ساجين: معيار روسى لقياس عمق الماء يساوى مترًا و١٢ سنتيمترًا/المترجمة.

كودرياسا " أى: ذو الرؤوس السبعة وخصلات الشعر المجعد لنبيل(٢٦٩)، وتعنى هذه العبارة: فلان مثل الخراج/الدمل الضخم. وفى التعاويذ حول إنزال السحر بالمحبوب، تستدعى المرأة سبعة شياطين.

وفى الميثولوجى والطقوس والشعائر الموردفية تتردد الأرقام: ٤-١٠-١٢، فالأرض لها أربعة أركان تنتصب فيها أربعة عواميد، ويقسمون الحيوان الذى يقدمونه قربانًا على شرف ماستورافا الإلهة الحارسة للأرض إلى أربعة أجزاء ويدفنونها تحت الأركان الأربعة للبيت، ويطرزون أربعة شرائط على القمصان عند الموكشا.

ويسرق بطل الحواديت ريش البنت/الأوزة الثانية عشرة التى تصبح بعد ذلك زوجة له. وكانت التورتة التقليدية للعرس عند الإرزيا" لوفون كشى" من ١٢ طبقة، ويزينون الطبقة الأخيرة العليا بأربع بيضات لدجاجة أو أربع حمامات من العجين. وكان الموردف يعتقدون أن السعادة تسقط على العروسين من جهات الأرض الأربع.

وفى الفلكلور تتردد الأرقام ٣٠ و٧٧، فالبطل الأسطورى تيوشتيا يحرث الأرض ممتطيًا ٣٠ جوادًا، وتشارك فى العرس عند الإرزيا ٧٧ خاطبة من كل مكان. وفى التعاويذ ضد السحرة يخاطب الناس ٧٧ ملاكًا و٧٧ قديسًا، وكثيرًا ما يتردد رقم ٧٧ فى التعاويذ للشفاء من الحمى وغيرها من الإصابات (فيذكرون: ٧٧ عظمة و٧٧ مفصلاً و٧٧ قفلاً) وغير ذلك.

ولكل من الأرقام الفردية والزوجية معانى سحرية؛ ففى الأعراس تُفتدى العروس بعدد زوجى من الروبلات (ومعنى هذا أنه لا يوجد "فرد" فى الأسرة ليقترن بالميت)، والعكس يحدث فى مناسبات الدفن وإحياء ذكرى الموتى، حيث كل شىء يجب أن يخضع للعدد الفردى (أى أنه لا مزيد من الأشخاص فى البيت للموت)، وكانوا يعتقدون أن إعداد كفنين لميت واحد معناه توقع موت جديد.

---

(٢٦٩) الشعر المجعد لنبيل: تنتشر عند الروس صورة النبيل ذى خصلات الشعر المجعد المتطاير الذى يبدو معه الرأس كبير الحجم/المترجمة.

وفى أعمال السحر كانوا يستخدمون أرقامًا معينة وبشكل خاص ٣-٩، وإلقاء سنبلة من تسع حبات بازلاء أمام عربة العروسين يوقف الجياد عن الحركة ويجلب النحس، وفى الطب الشعبى يعالجون الدمل بدهانه "كولما فييخكسوسا" (أى: ثلاث مرات بتسع حبات بازلاء "عند الموكشا").

وللرقم عشرة دور سحرى فى معتقدات الموكشا: فعند الحصاد يتركون عشر سنابل قمح للمعزة السحرية (باكسيان كازاندى عند الموكشا وتعنى حرفيًا معزة الحقل) التي تحرس الحقل وتساعد على نمو المحاصيل طوال عشرة أعوام.

المراجع:

(1) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964; 2. UPTMN. T. 1. Epicheskie I liro-epicheskie pesni. Saransk,1963. 3. Martyanov V. N., Nadkin D. T. K voprosu o finno-ugorskoi sisteme schisleniya// Materialy po arheologii I etnografii Mordovii. Saransk, 1975

(١) الأغنية الملحمية الشعبية الموردقية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد الأول-الأغانى الملحمية والغنائية-الملحمية، صارنسك ١٩٦٣ .

(٣) حول منظومة الأرقام لدى شعوب فين-أوجر-مواد حول آرخيولوجى وإثنوجرافى الموردڤ. صارنسك , ١٩٧٥ مارتيانوف. ف. ن. و نادكن د. ت.

O

Oak / تومو شجرة السنديان

(Tumo, E و Tuma, M)

تجسد شجرة السنديان فى المخيلة الموردفية القوة والصلابة والبداية الذكرية للعالم. وشجرة السنديان فى حد ذاتها والمكان الذى تنمو فيه هما أكثر موضوعات العبادة انتشاراً بين الموردف. وعادة ما تنتصب الشجرة وحيدة على حافة غابة أو أعلى تل على أطراف القرية أو فى منتصفها. وبالقرب من السنديان كان الموردف يقيمون مختلف الطقوس والشعائر السحرية ويقدمون القرابين، ولهذا الغرض كانوا يختارون أضخم شجرة سنديان يكون بداخلها تجويف كبير أو شوكة مدلاة من فرعين أو ثلاثة، ويحضرون معهم الأطعمة الطقسية (اللحم والبيض والفطائر والبيرة). ومن ثم ينتخبون أشخاصاً ثلاثة (رجلين وفتاة) لإقامة طقس الدوران ثلاث مرات حول الشجرة. وعند موردف محافظة صاراتوف يحمل أحد الرجلين الخبز والملح وتؤدى الفتاة من خلفه ضرباً من الرقص الطقسى، بينما يعزف الرجل الثانى ألحاناً على مزمار القرية[٢٧٠]. وفى العادة يقوم رجل عجوز بترديد الصلوات التى يسأل فيها الإله الأعلى أن يهبهم المحاصيل الوفيرة والتوفيق فى أعمالهم، وبعد الصلاة تبدأ الوجبة الطقسية، لكن ليس قبل أن يضع المشاركون فى جوف السنديان قطع النقود. وعلى شرف توموباز إله السنديان كانوا يقيمون الصلاة سائليه أن يبعث إليهم المطر فى الوقت المناسب. وكانوا أيضاً يقيمون الصلاة بالقرب من السنديان ويسألون الآلهة أن تحميهم من الجفاف والأوبئة.

وإلى يومنا هذا يذهب أهالى بعض قرى الإرزيا فى منطقة تشامزينكا بموردفيا إلى "أوزنومو تومو" (وتعنى عند الإرزيا حرفياً: شجرة الصلاة) حيث يعلقون أو يربطون

---

(٢٧٠) مزمار القرية (مزمار القربة): آلة موسيقية تتكون من قربة للهواء مرتبطة بأنبوبين (مزمارين)، أحدهما للألحان ويصدر نوتات موسيقية منفردة، والآخر ينسق هذه النوتات باستخدام الأصابع/المترجمة.

على أفرعها الهدايا المختلفة، ويصلون ويتضرعون سائلين الخير والمساعدة والمحاصيل الوفيرة والمطر وغير ذلك. ولم يكونوا يسمحون دائمًا بلمس الشجرة المقدسة، ويحرمون قطعها، وخرق هذا التحريم يجر عليهم، فى اعتقادهم، البلاء وسوء المحاصيل وغير ذلك من كوارث. فوفقًا للمعتقدات الشعبية تحمى السنديان الناس من البلايا، وكانوا يعتبرونها إلهة القرية وتخومها. وكانوا يحرمون الوقوف تحتها فى أثناء العواصف (وإلا يقتلك الرعد)، ففى أثناء العواصف يكون السنديان فى حالة تواصل مع السماء.

وفى أسطورة "ابنة الراعى" يقتل إله الرعد شابًا بدافع الغيرة على "ألدونا" عروسته الأرضية، فيتحول الشاب إلى شجرة سنديان شابة رائعة يانعة. وفى الأغانى يُستخدم هذا النموذج لتصوير النشأة الأسطورية والأصل الفريد للشجرة، ولذا يشيرون إلى السنديان فى الأمثال والحكم والحواديت المسلية للأطفال تعبيرًا عن الأمنيات الطيبة للطفل: أن ينمو قويًا راسخًا على قدميه كالسنديان. واعتاد الموردف لشفاء المرضى من الأطفال وضعهم فى تجويف أو شق بشجرة السنديان (انظر: شجرة البتولا وشجرة الزيزفون)، ولعلاج البرد كانوا يستحمون بالبخار مستخدمين فروع شجرة السنديان فى مقشات السونا. وعند بناء بيت كانوا بعد إرساء الصف الأول من الأعمدة الخشبية للأساس، وفى منتصف الهيكل الخشبى يغرسون شجرة سنديان شابة اعتقادًا منهم أن البيت على هذا النحو يصبح راسخًا قويًا.

المراجع:

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. UPTMN, T. 8. Detsky folklore. Saransk, 1978

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٨، فلكلور الأطفال، صارنسك، ١٩٧٨ .

العلامات/الإشارات والمعتقدات الشعبية Omens/beliefs

(Sodamat, M و Sodams, M)(Primetat, E بمعنى يعرف/يتعلم/يكتشف)

المقصود هو تلك الأمارات/العلامات والمعتقدات التى تعكس الإدراك الحسى المتشكل على مر عصور مختلفة من تطور شعب الموردف. وتلقى الأمارات/العلامات والمعتقدات الضوء على الأوضاع الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية للموردف الأوائل، أى تلك الدرجة من التطور التى توصلوا إليها عبر احتكاكهم وارتباطهم الوثيق بالطبيعة. ويمكن عبر الأمارات/العلامات والمعتقدات فهم البيئة الثقافية التى تشكلت فى خضمّها معارفهم الأوسع حول العالم المحيط والمكان والزمان.

وإلى يومنا هذا مازالت هناك الكثير جداً من المعتقدات والأمارات والعلامات التى يؤمن بها الموردف حول الطقس والحياة الاقتصادية واليومية ووساوس الناس وهواجسهم. وتنقسم هذه الأمارات/العلامات والمعتقدات فيما يتعلق بدرجة مصداقيتها ودقتها إلى ثلاث: صحيحة (الأكثر دقة) ومحتملة (الأقل دقة والأقل مصداقية) وغير المنطقية أو المنافية للعقل. وكانوا فى هذا الصدد على سبيل المثال يتنبئون بالطقس: بمراقبة سلوك الحشرات والطيور والحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية (كحالة الشمس والقمر والنجوم)، وكذلك وفقًا لبعض الأيام التى جمعوا بينها لاحقًا وبين الأعياد المسيحية الرئيسية، وأيضًا بالحالة البدنية والعقلية للإنسان.

وفيما يتعلق بالأمارات/العلامات المرتبطة بالحياة اليومية والنشاط الاقتصادى وبشكل خاص التنبؤ بحالة المحاصيل يشار: إلى الجليد والطقس وشهور السنة والظواهر الطبيعية وشكل طيران الطيور والأعياد الدينية، وكانوا يعتقدون أن هناك ارتباطًا سحريًا بين الطقس من ناحية وبعض الأيام والفترات من ناحية أخرى، ويأخذون هذا الاعتقاد بعين الاعتبار حين يحددون مواعيد الزراعة والحصاد.

وإلى يومنا هذا مازالت هناك الكثير من الأمارات/العلامات والمعتقدات المرتبطة بالتنظيم الرمزى للفضاء الداخلى للمسكن التقليدى، وتحدد هذه الأمارات/العلامات

والمعتقدات الطبيعة الخاصة لهذا التنظيم الرمزى القائمة على مبادئ قدسية هذا الفضاء (الذى يتميز داخله: الجزء الرجالى-الركن الأمامى-الجزء الحريمى-الدعامة الأفقية الرئيسية للمسكن). وتعكس ضرورة انتقاء الأشجار عند بناء المسكن عبادة الأشجار التى كانت تُحرم استخدام بعض أنواع الشجر لتجنب التعرض لخطر أية كوارث وبلايا (انظر شجر الحور الرجراج - الملعون). وكانوا يعتقدون أن استخدام الشجرة التى يطيح بها الرعد أو الرياح فى بناء مسكن تسبب كوارث وأمراض فى مسكن المستقبل. والعديد من تفاصيل المسكن الريفى (الطاولة -الشرفات-الباب-الفرن وغير ذلك) يضفون عليها مغزى سحرياً معيناً. وكانوا يفرضون فى هذا الصدد المحرمات المختلفة: فكانوا يحرمون وضع غطاء الرأس على الطاولة أو كسر البيض عليها وغير ذلك (انظر طاولة)، وتعززت هذه المعانى ورسخت فى الوجدان الشعبى فى شكل نذر شر.

وتعكس الأمارات والعلامات المتعلقة بالحياة اليومية والاقتصادية تفكير الناس فى شكل صور محددة تتناول رؤاهم وتصوراتهم الخاصة عن العالم، والتى تؤكد بدورها أنها ليست إلا مجموعة من الأضداد: الذكر والأنثى، والمرض والموت، والحظ وسوء الحظ، والطيب والشرير، والتوفيق وغياب التوفيق وغير ذلك.

والأمارات والعلامات المتعلقة بالوساوس والهواجس (القريبة بحكم وظيفتها من المعتقدات الشعبية) تحتل حيزاً كبيراً فى حياة الموردف، وترتبط بالميلاد والموت وغير ذلك. ويرتبط الشعور بالخوف من اقتراب الموت بسلوك الطيور والحيوانات المنزلية والآلهة الأسطورية. ويعتبر كل الموردف أن كودازورافا (الآلهة الحارسة للبيت عند الموكشا) هى نذير الموت، وأن الميت يملك قوى خارقة للطبيعة؛ لذا كانوا ينظرون إلى الميت المسجى على فراشه وكأنه يبعث إليهم بنبوءة بما يحدث لهم فى قادم أيامهم: فالعيون المفتوحة والجسد اللين الطرى يعنى قدوم موت آخر فى الأسرة. وترتبط الأمارات والعلامات الخاصة بالزواج والميلاد بالحماية من الأرواح الشريرة والسحرة.

وينشأ عدد كبير من الأمارات والعلامات المتعلقة بالهواجس والوساوس عن تفسير الأحلام، الذى تعتمد فكرته الأساسية فى هذه الحالة على التركيز فى المقام الأول عند

تفسير الأحلام على التنبؤ بالمستقبل (الحظ وسوء الحظ، والحياة والموت وغير ذلك). ويعتمد تفسير الأحلام فى الغالب على مبادئ: التشابه (التشابه يستحضر التشابه) وعلاقات المصاهرة وتداعى المعانى والخواطر والشعائر التقليدية (انظر الحلم/المنام).

وترتبط بعض الأمارات والعلامات ببعض أجزاء الجسم: الأذنين واللسان وراحة اليد وأخمص القدم وغير ذلك، وكانوا فى هذا الصدد يعتقدون أنه لو استحك أخمص القدم فمعنى هذا سفر قريب.

وهناك بعض الأمارات والعلامات حول الناس أنفسهم، فيردد الناس مثلاً: لكلٍ علامته الخاصة، وتشير بعض الأمارات والعلامات فى بعض القرى إلى أناس محددين يرمزون إلى الطيبة أو الشر، أى كما يقول الموردف صاحب القدم "الخفيف" وصاحب القدم "الثقيل"(٢٧١)، ولقاء أحد هذين الشخصين قبل رحلة عمل أو قبل الشروع فى عمل شىء يؤدى إلى استنتاجات محددة وإلى الشعور بالاكتئاب أو الانتعاش والفرح.

المراجع:

Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy (mokshi i erzi). Saransk, 1994

الأمارات والإشارات الشعبية للموردف (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

(٢٧١) القدم الخفيف والقدم الثقيل: كقول المصريين: فلان قدم السعد، أو علان وش النحس/المترجمة.

P

Parents' Day / إحياء ذكرى الآباء (يوم الآباء)

(Kalmolangon'shi, M و Kalmolangon chi, E) (kalmo, E- kalma, M تعنى القبر و lango, E- langa, M أى أعلى/مكان)

يوم الآباء يقام إحياء لذكرى كل الأجداد والأسلاف، حيث كان الناس يؤدون الطقوس السحرية المختلفة التى تعبر عن الأفكار الميثولوچية القديمة عن العالم الآخر وعن الموتى.

ووفقًا للمواد والأدبيات المتوفرة عن القرن الثامن عشر، كان الموردف يحيون هذه الذكرى مرتين فى السنة: فى الصيف والخريف. ولكن الوقت والطقوس كانا يختلفان من مكان لآخر، ففى محافظة بنز كانوا يقيمون هذه الذكرى يوم السبت اللاحق لعيد الفصح وعشية عيد القديس دمترى، وعند الإرزيا فى مقاطعة أرداتوف بمحافظة سيمبريسك فى أول ثلاثاء من أسبوع الفصح والسبت قبل عيد القديس دمترى. وفى أماكن أخرى كانوا يحيون هذه الذكرى فى خميس الآلام المقدس وعيد القديس بتروف وعيد صعود المسيح عليه السلام. وكان الموردف يعتقدون أن أرواح الأجداد تعود إلى منازلهم عشية هذا العيد، وبالتالى كانت العادات تحرم النوم فى هذه الليلة.

وإحياء لهذه الذكرى فى الخريف كان الناس يذهبون إلى المقابر ويتذكرون أجدادهم طوال النهار والليل أمام النيران المضرمة، ويتناولون الوجبات الطقسية ويغنون أغانى هذه المناسبة ، ويتركون للأجداد فى فتحات صغيرة بالقبور[٢٧٢] بعض الأكل. وفى بعض الأماكن (بمحافظتى بنز وسيمبريسك) كانوا يقيمون طقسًا سحريًا خاصًا يدعون فيه الأجداد لزيارتهم بمنازلهم، ويعود هذا الطقس إلى التصورات الميثولوچية القديمة للموردف حول الموت والحياة وعلاقاتهم بالأجداد والأسلاف. وكانوا فى الركن الأمامى بالبيت (إيزمبرياس عند الموكشا) يفترشون الأرض بغطاء من اللباد

---

(٢٧٢) سبقت الإشارة إلى أن إيمان الموردف بالحياة بعد الموت كان يدعوهم لترك بعض الفتحات فى القبور لخروج الميت ومتابعته لما يجرى حوله وغير ذلك من أغراض متعلقة بالحياة بعد الموت/المترجمة.

أو الريش، ويضعون وسادة، ويخرج صاحب البيت، يعبر عتبة الباب ممسكًا بمنشفة بيضاء طويلة، ويقف أمام المدخل فى مكان خاص ليبدأ بدعوة الأجداد الموتى، ويدعو كلا منهم باسمه موجهًا رأسه إلى الشمال أو الجهة التى ينتصف من عندها الليل. ويعتقد الموردف أن أرواح الأجداد تتسلل إلى المنشفة التى ينشرونها على الوسادة، فينحنون لها ويطلبون من الأجداد مشاركتهم فى الوجبة الطقسية.

وأحد أجزاء هذا الطقس هو جمع كل المناشف من المنازل ومناولتها لعجوز يختارونه، فيربط العجوز المناشف ببعضها البعض ومن ثم يزور كل منازل الأقارب المشاركة فى كل بيت بإحياء ذكرى الأجداد، ويعود أدراجه لمنزل عشيرته (وتشير هذه الحقيقة إلى الأصل القديم لهذا الطقس) حيث ينشر المناشف على المخدات التى أعدت خصيصاً لهذا الغرض. وكانوا فى هذه الذكرى يغنون وترقص الفتيات والنساء اعتقاداً منهم أنهم على هذا النحو يسلون الموتى المفترض أنهم حضور معهم فى هذه الأثناء، وفى نهاية الاحتفال يسترد كل منزل منشفته.

ويكرسون الجزء الأخير من الاحتفال لتوديع أرواح الأجداد فى المقابر قبل غروب الشمس، ويطلبون من الأجداد العفو والرحمة وألا يوقعوا الأذى بالأحياء وأن يحموهم من السحر والشر ويهبوهم وفرة المحاصيل وخصوبة الماشية وألا يزوروهم دون دعوة. وفى الختام يطلقون حناجرهم عاليًا مرددين تعويذة تقول: "لتشتعل النيران خلف ظهوركم"[٢٧٣]. ولأغراض الحماية كان كل صاحب منزل يضرم النيران أمام بيته وينفضون فوقها المنشفة، لأن الموردف كانوا يتصورون أن بعض أرواح الأجداد قد تسكن فى أحد أجساد الأحياء الذى لن يكون بوسعه الموت بعد ذلك. وفى محافظة سيميريسك كان الناس يودعون أرواح الأجداد إلى المقابر مسلحين بشوكات الجرن ويطالبونهم بالعودة بسرعة إلى مستقرهم.

ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى العناصر المشتركة لهذا الاحتفال بين الموردف، تختلف وتتنوع بعض التفاصيل المحلية الطابع لهذا الاحتفال؛ من ذلك على

(٢٧٣) لطرد الشياطين والأرواح الشريرة حتى لا تلحق بهم/المترجمة.

سبيل المثال: طريقة إعداد الحمام الطقسى وبيرة العواجيز والأجداد (أتيان بيورا عند الموكشا والإرزيا) وتقديم الأضحيات والقرابين وإشعال شمعة الأجداد (أتيان شتاتوا عند الموكشا) (انظر: شمعة)، وجمع النقود والبيض فى قبعة الأجداد (أتيان شبكا عند الموكشا والإرزيا) وإخراج "فايمى كيتكس" (الصندوق عند الموكشا الذى يحتفظون فيه بأشياء منزلية خاصة ببضعة أجيال مضت من الأجداد) ووضعه فى منزل العائلة، وخربشة العملات النقدية ودعوة الآخرين إلى حيث ينتصب الجرن للاحتفال بهذه الذكرى وغير ذلك من تفاصيل.

وتشير مصادر القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى أن الموردڤ كانوا ينظمون حفلات ضخمة فى هذا اليوم تشارك فيها كل العشيرة فى فصل الربيع مرة كل خمسين عامًا أو يزيد، يقدمون فيها بالضرورة الأضحيات المختلفة (عادة الجياد والأبقار).

وكان الموردڤ على نحو أندر يحيون اليوم الثانى لذكرى الآباء الذى يوافق أول أحد بعد الفصح، وكانوا فى العادة يقتصرون فى الاحتفال فقط على زيارة المقابر؛ حيث يقدمون حصانًا قربانًا للأجداد ويعلقون جلده على صليب، ويعدون الوجبات الطقسية ويضرمون النار ويقفزون فوقها. وكان الموردڤ يعتقدون أن الأجداد والأسلاف يعاملونهم معاملة طيبة ويستقبلونهم عن طيب خاطر، ولكنهم قد يتملكهم الغضب فينزلون بهم المرض والحرائق وغير ذلك. ولاستعطافهم وإرضائهم كانوا ينظمون لهم فى هذه الحالة احتفالات إضافية يقدمون لهم فيها الأضحيات ويرددون التعاويذ طالبين العفو عنهم ومساعدتهم. وكانوا ينظمون هذه الاحتفالات الإضافية إذا تكررت رؤية ميت فى المنام، يأتى ليشكو ويطلب شيئًا ما. وكان مكان هذه الاحتفالات الإضافية ليس فقط المقابر وإنما أيضًا المنازل وأماكن القمامة (شوكشا بريا عند الموكشا). ولأنه لم يكن من اليسير معرفة لمن من الأجداد يجب تقديم الأضحية، كانوا فى الصلاة يذكرون أسماء كل الأجداد الموتى والمعارف وكذلك أول من دُفِنوا من الموتى فى المقابر[٢٧٤].

(٢٧٤) سبقت الإشارة إلى أن الموردڤ كانوا يبدون اهتمامًا بالغًا بأول من يُدفَن فى المقابر، ويعتبرونهم حراس المقابر ويذكرون أسماءهم فى الصلوات ويرعونهم. انظر هامش ١٠٧/المترجمة.

المراجع:

(1) Milkovich. Byt I verovaniya mordvy v kontse XVIII stoletiya// Tambov. Eparh. Ved., 18. Tambov, 1905. 2. Smirnov I. N. Mordva. Kazan, 1895

(١) حياة ومعتقدات الموردف فى نهاية القرن الثامن عشر، مخطوطات وملفات أبرشية طامبوف العدد ١٨ طامبوف، ١٩٠٥ . ميلكوفتش.

(٢) الموردف فى قازان، سميرنوف أ. ن. ١٨٩٥ .

Patron(-ess) of the house

ترايامكا (عند الإرزيا) كويجورج (عند الموكشا)

حارس المنزل - روح الإثراء والكسب والحظ واللصوصية أحيانًا(٢٧٥)

(Kuygorozh, M) (kuy تعنى الأفعى و korozh بومة) (Tryamka-Tryamo-Tiryamin'ge-Tiryamka, E) (tryams يطعم/يربى).

حارس المنزل - روح الإثراء والكسب والحظ واللصوصية أحيانًا، ترايامكا (عند الإرزيا) كويجورج (عند الموكشا) وهو مخلوق لا يوجد فى كل المنازل. ويعد فى مقاطعات لوكيانوفا وشاتكى وسميرنوف بمنطقة نيجنى نوفجورود روحًا شريرة.

وحول أصل هذا الكائن هناك حواديت مختلفة، فوفق إحدى الأساطير يحتفظ صاحب البيت بديك طوال سبعة أعوام، ويضع الديك بيضتين صغيرتين، يدس الرجل

(٢٧٥) يلاحظ القارئ أن الترجمة الإنجليزية تسمى هذا الكائن إله/إلهة فيما الترجمة عن الروسية مباشرة لا تستخدم هذه المسميات. والترجمة عن الروسية مباشرة هى الأدق، وتأتى الاستعانة بالإنجليزية فقط لتزويد القراء ممن لا يعرفون الروسية بإمكانية التعرف على مزيد من التفاصيل وأيضًا لتقريب الفكرة، وأخيرًا لترتيب المصطلحات وفق الأبجدية الإنجليزية الأقرب إلى ذهن القراء العرب/المترجمة.

وامرأته البيضتين تحت إبطيهما فتفقس البيضتان وتخرج هذه الكائنات. ويمكن لهذا الكائن أيضًا أن يفقس من بيضة ديك أحمر بعد أن يرقد عليها الديك سبعة أسابيع، أو من أول بيضة يضعها الديك فى الربيع أو من بيضة بومة يأخذها فلاح من الغابة من على حافة عش البومة أو من بيضة دجاجة سوداء، وفى هذه الحالة يكون ترايامكا/ كويجورج أسود اللون وغير مرئى. وعلى صاحب وصاحبة المنزل (شيخ وعجوز) العناية بالبيضة طوال ثلاثة / ستة أسابيع حتى تفقس.

ويختلف أيضًا مظهر هذا الكائن، فقد يبدو مشابهًا لكائن برأس طير وذيل أفعى، أو قط/قطة صغيرة يتدلى من وجنتيها كيسان صغيران غير مرئيين يمكن فيهما وضع رطلين من الحبوب. وكان بعض الموردف يعتقدون أنه كتكوت يتخذ صورة إنسان صغير الحجم جدًا بطول الإصبع، وعند مولده يكون أحيانًا بطول الكشتبان، يعيش وينمو طوال سبعة أعوام تحت الفرن حتى يصل طوله إلى مرفق الإنسان وتبلغ قوته حد خدمته لصاحبه. وعادة بعد مولده يكون هذا الكائن غير مرئى ونادرًا ما يظهر للناس. ورغم أن هذا الكائن كقاعدة يتخذ صورة الإنسان، فإنه عند الموردف الموكشا فى منطقة تينجوشيف يتخذ شكل الكتكوت، وهو عندهم لا يفقس من البيض، إنما على العكس يدعوه صاحب البيت الذى يجب أن يذهب لهذا الغرض بنفسه إلى المقابر فى أول ليلة حالكة الظلمة فى الربيع ويدعوه بطريقة تليق بمكانته. وطرد هذا الكائن من المنزل كان عمليًا أمرًا مستحيلاً، ومن الطرائف فى هذا الصدد أن الموردف كانوا يتصورون أن هذه الكائنات تأكل العصيدة دون أن تلمس سطحها، ومن تتردد شائعات بوجود هذا الكائن فى منزله، كان يضع على الطاولة فى الأعياد الدينية الكبيرة وعاء من العصيدة ويدعو الكاهن إلى المنزل، فإذا سقط سطح العصيدة عندما يضغطه الكاهن، يعنى هذا أن الوعاء فارغًا وسطحه فقط هو الموجود وبالتالى فهذا الكائن موجود بالمنزل وهو الذى أكل العصيدة تاركًا سطحها. ويتضح وجود هذه الكائنات فى المنزل أيضًا بالفوضى التى ينشرونها فى المنازل وبالقذارة التى يخلفونها على الموائد. وإذا عوملوا معاملة سيئة، يمكنهم التوصل إلى خراب البيت، فيسرقون ما به ويخلطون الحبوب بالأسمدة ويتبرزون فى منتصف الطاولة والمنزل.

وهذا الكائن عنيد دائمًا يطلب العمل حتى لو أن كل شيء قد تم إنجازه. وهو يجعل صاحبه ثريًا، ويعتنى بالماشية ويضاعف خصوبتها وعددها وغير ذلك. وبوسعه تنفيذ أية رغبات لسيده، ويملك قوة خيالية، ويعمل بسرعة فائقة (ففى ليلة واحدة بوسعه بناء منزل أو حظيرة وحرث حقل بكامله وزراعته وحصد المحاصيل وإعداد مئات الأشكال من الوجبات).

وهو ليس شريرًا ولكن إذا أهمل سيده فى إعطائه مهام لتنفيذها يمكنه تدمير كل ما قد بناه وأنجزه وترك منزل سيده إلى الأبد. وللتخلص من هذا المساعد المزعج يمكن لصاحبه أن يطالبه بإنجاز مهام لا يمكن تنفيذها مثل: أن يصنع حبلاً من الرمال، أو أن ينزح مياه مستنقع وغير ذلك. فى هذه الحالة يختفى أو يتحول إلى حيوان صغير.

وبوسع هذا الكائن أن يسرق لسيده، على سبيل المثال، الحبوب أو النقود أو غير ذلك من الجيران، وبالتالى لا يعامل الناس العائلات التى تحتفظ بهذا المخلوق معاملة طيبة. وكانوا يعتقدون أن البعض يسرق هذا الكائن من منازل الآخرين مستخدمًا تعاويذ ورقيات خاصة ويحتفظ به فى المنزل أو الحظيرة أو مخزن الحبوب ليدر عليه المنافع والأرباح، ويطعمه ويرعاه. وعندما يشعر هذا الكائن باقتراب الموت يبدأ فى الشيطنة والمشاكسة والبذاءة.

المراجع:

UPTMN. (1) T. 3., ch. 1. Mokshanski skazki. Saransk, 1966. (2) T. 10 Legendy, predaniya, bylichki, Saransk, 1983

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٣، الجزء ١- الحواديت عند الموكشا. صارنسك، ١٩٦٦ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد العاشر- أساطير وحكايات ووقائع الماضى، صارنسك ١٩٨٣ .

العنصرة [٢٧٦] (Pentecost) Whitsunday

(Trovitsya, E وTroitsya, M)

عيد العنصرة الذى يوافق اليوم الخمسين بعد الفصح. ويعد واحداً من أهم الأحداث الكنسية العشرين، ويقام احتفالاً بذكرى تجلى الروح القدس المسيح عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين بعد صعوده إلى السماء، وهو الحدث الذى شاركت فيه الوحدة الثلاثية المقدسة: الرب الأب - الرب الابن - الرب الروح القدس. وانتقل هذا العيد إلى الموردف بعد تحولهم إلى المسيحية (تقريبًا فى القرن الثامن عشر) بشكل تم تحويره، ويحتفلون به جنبًا إلى جنب مع الأعياد الوثنية. فكانوا فى العيد يبدأون بالصلاة فى الكنيسة، ومن ثم يقيمون الصلوات والطقوس والشعائر السحرية الوثنية تحت شجر الزيزفون، حيث تقيم البنات (لم يكن مسموحًا بمشاركة الرجال) "أوزكس" (صلاة البتولا).

وفى العنصرة كانوا يمارسون العادات المرتبطة بالعبادة القديمة للخضرة/النبات، فكانوا عشية العيد يزينون الشرفات بفروع شجر البتولا (وبعد ذلك يعلقونها فى مكان ظليل بهدف الحماية واستخدامها فى العلاج بالسحر)، وتضفر البنات أكاليل الزهور من أفرع شجرة البتولا والورود ويضعنها على رءوسهن ويعلقنها على الحوائط الخارجية للمنزل فى عدد يوازى عدد البنات فى المنزل. ومن عادات هذا اليوم خروج البنات لزيارة المنازل الأخرى ممسكات بأفرع شجر البتولا، ثم يبدأن فى أداء الأغانى الطقسية، ويسألن الآلهة الحارسة أن تهبهن أزواجًا صالحين، ومن ثم تأخذ البنات فى مديح من قدمت منهن الطعام فى العيد. وفى المساء تذهب البنات إلى النهر ومعهن شجرة بتولا مزينة بالمناديل والشرائط ويضعنها على ضفة النهر ويحنين رءوسهن أمامها، وينزعن الأكاليل عن رءوسهن ويلقين بها فى مياه النهر. وكن يراقبن ما يحدث ويستخلصن النتائج: فإذا طفا الأكليل على سطح الماء فسرعان ما ستتزوج صاحبته، وإذا غرق فسرعان ما ستموت. وكان من عاداتهم أن تغسل البنات أقدامهن فى النهر

---

(٢٧٦) : WhitSunday/Pentecost (Greek)راجع هامش المترجمة رقم ٦٧- ٧٩/ المترجمة.

فى هذا اليوم. وبعد أداء الطقوس والشعائر، كن ينزعن الزينة عن الشجرة ويُكسرنها ويلقين بها فى النار التى استخدمنها لإعداد الطعام.

وقبل الإقدام على الطرابيزة الطقسية (يطلقون عليها عند الإرزيا "بريافت تيتير". "بريات" عند الموكشا والإرزيا بمعنى رأس و "تيتير" عند الإرزيا فتاة/عذراء) كانت أهم شخصية فى البنات تؤدى الصلاة، وتطلب الصحة والأزواج الصالحين لهن جميعًا. ويقدمن بعد ذلك الأضحيات للآلهة من الوجبات التى أعددنها، وفى أثناء ذلك يرفعن الطاسات فوق رءوسهن ثلاث مرات. وبعد الطرابيزة والأغانى الطقسية كن يقبلن بعضهن بعضًا عبر مقشة ضخمة من أفرع شجرة البتولا. وينتهى الاحتفال بترانيم للثلاثى المقدس: الأب والابن والروح القدس.

وفى اليوم الثانى للعيد تقيم النساء ضربًا من الطقوس السحرية تسمى "بابان أوزكس" و"فيلين أوزكس"[(٢٧٧)]، يقدمن فيهما القرابين والأضحيات، فكن ينحرن خروفًا، ويعدونه مسبقًا بعناية شديدة لهذا الغرض، فيغسلنه فى النهر ويزين قرونه بأفرع شجر البتولا. ثم يتناولن الوجبات الطقسية. وفى منطقة سامارا كن يستبدلن تقديم الأضحيات بتقديم البيور (المشروب الكحلى الوطنى/يصنع من حشيشة الدينار). وأحيانًا يغرسن شجرة رماد الجبل فى مكان تقديم الأضحيات.

ويحرم الموردف العمل فى هذا العيد. وفى يوم السبت عشية العيد كانوا يقيمون احتفالات إحياء ذكرى موتاهم. ولقد أصبح هذا اليوم أحد أهم الاحتفالات الخاصة بإحياء ذكرى الموتى ويسميه الموكشا "كالمالانجون شى"، وتحولت زيارة المقابر فى هذا اليوم إلى تقليد يلتزم به الموردف. وكانوا أيضًا يربطون بين هذا العيد وعادة صناعة المقشات وزراعة اللفت.

---

(٢٧٧) سبقت الإشارة فى غير موضع إلى أن لفظ أوزكس يعنى بالموردفية عيد/صلاة. وبابان بالموردفية من بابا (baba) بالروسية أى سيدة/عجوز وبالتالى تسمى هذه الطقوس: طقوس/صلاة النساء. ومن الواضح أن فيلين من village / قرية وبالتالى فالاحتفال الثانى يسمى: احتفال (عيد) القرية/المترجمة .

المراجع:

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 2. Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981.

(١) العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) قضايا موردقية ، ميلنيكوف ب. أى(وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

الفطائر / Pies

(Pryakat, E و Pyaryakat, M)

فى منظومة العادات الثقافية عند الموردڤ، وفضلاً عن استخدام الفطائر كوجبات فى الحياة اليومية، فللفطائر وظيفة طقسية/سحرية. فيعد الموردڤ الفطائر عادة فى الأعياد الدورية، وينتشر إعداد الفطائر أكثر فى الصلوات السحرية الجماعية مثل: إعداد فطائر محشوة بعصيدة القمح (فطائر "كاشان"، عند الموكشا والإرزيا) فى إحياء ذكرى انتقال مريم البتول إلى السماء(٢٧٨)، وفطائر محشوة بالتفاح (فطائر "مارين" عند الموكشا) فى عيد التفاح(٢٧٩) . وكان إعداد الفطائر فى العرس التقليدى عند الإرزيا أمراً ملزماً. ويختلف عدد الفطائر التى تقدم للعروس من مكان إلى آخر،

(٢٧٨) انتقال مريم البتول إلى السماء: Assumption of the Virgin فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنيسة الأورثوزكسية هناك عقيدة تقول إنه بعد موت مريم العذراء صعد جسدها إلى السماء وتوحد مع روحها هناك. وفى البداية كان المسيحيون يحتفلون بهذه الذكرى باعتبارها ذكرى سقوط العذراء فى سبات النوم فى القرن السادس، ومن ثم باعتبارها ذكرى انتقالها إلى السماء. وتحتفل بهذه الذكرى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى ١٥ أغسطس من كل عام. وتسميه الكنيسة القبطية المصرية "عيد صعود السيدة العذراء"/المترجمة.

(٢٧٩) عيد التفاح: Apple Spass احتفالاً بالتفاح فى ١٩ أغسطس/المترجمة.

ففى بعض القرى يقدمون تسع فطائر وفى بعضها الآخر يقدمون سبعًا وفى ثالثة يقدمون خمسًا (ولكن ليس أقل). ولكل فطيرة اسم خاص ومغزى سحرى طقسى خاص، وأهم فطيرة وأكبرها هى "لوفون كشى" (luvoms, M- E بمعنى يعد/يحصى/يصلى وkshi, M- E بمعنى خُبز)، وهى نوع طقسى من الفطائر، تتخذ شكل الدائرة ويحيطونها بطوق دائرى (رمز الشمس) من خشب السنديان، وتتألف من اثنتى عشرة طبقة، تُصنع الطبقة السفلى (رمز الأرض والخصوبة) من عصيدة القمح والثانية من التفورج[٢٨٠] والثالثة من البيض المحمر والرابعة من العصيدة والخامسة من التفورج وهلم جرا. والطبقة الثانية عشرة العليا تتشكل من أربع بيضات دجاج لا يقشرونها ويخصصونها للآلهة العليا تضرعًا إليها لتهبهم الخصوبة. وكانوا يزينون الطبقة العليا ببضعة أشكال يصنعونها من العجين، يكون فى العادة حصانًا يمتطيه فارس أو بطتين أو أربع بطات، ويغرزون فيها فرعًا من شجر الشوح (الشربين/ التنوب-المترجمة) مزينًا بأوراق ملونة، الأمر الذى يرمز من ناحية إلى عالم "آخر" وبشكل خاص منزل العريس، ومن ناحية أخرى إلى شجرة الشوح التى كانت شجرة الحياة وطول العمر. وكانت هذه الفطيرة تترك على طاولة والدىِّ العروس، والطبقة العليا بزينتها تأخذها الخاطبة إلى منزل العريس لتقدمها إلى والدته، أما فرع شجرة الشوح فكانوا يغرزونه فوق فراش العروسين ويظل هناك إلى أن يضيع لسبب أو آخر. وفرع شجرة الشوح كان أيضًا عند الموردف الشوكشا أمرًا ملزمًا، بيد أنهم كانوا يقدمون هذه الفطيرة طعامًا للخنازير بهدف زيادة خصوبتها.

ويسمى النوع الآخر من الفطائر الطقسية "سوفامو برياكا"(فطيرة الدخول) التى كانوا يعتقدون أنها تُيَسر دخول القادمين إلى منزل العروس ومنزل جيرانها (الذى كان بمثابة ستر وحماية لها) وبالتالى كانوا يقسمون فيه هذه الفطيرة إلى قسمين: واحد للفتيات والآخر للمضيفين أصحاب البيت. وللنوع الثالث من الفطائر الطقسية، والذى

(٢٨٠) التفورج: أقرب إلى Cottage Cheese أى الحلوم من أنواع الجبن الأبيض، ولكنه على نحو أدق بين الجبن القريش واللبن الرايب من حيث الطعم، أقرب إلى السيولة من القريش والكثافة من اللبن الرايب، شائع الاستخدام جدًا بين الروس /المترجمة.

يسمى "آفا لوفتسو" (أى: حليب الأم) وظيفة الإعراب عن الامتنان لأم العروس لأنها أرضعتها حليب ثدييها. والنوع الرابع من الفطائر الطقسية واسمه "فانكس تاركان برياكا" (أى: فطيرة الدخول إلى منزل العريس) وظيفته اصطحاب العروس (قبل الذهاب إلى منزل عريسها) إلى مكان "نظيف" لتوديع الموتى من الأجداد، وتسمى هذه الفطيرة فى العديد من القرى "أتيافان بولا" (أى: نصيب الأسلاف). وللفطيرة الخامسة من الفطائر الطقسية ويسمونها "توى برياكا" (أى: فطيرة العرس) كانوا يصلون فى منزل العروس عند وصول موكب العرس إليه، ومن ثم يقسمونها بين أهل العروس.

وقبل وضع الفطائر فى الفرن وقبل إخراجها منه كانت النساء اللائى يخبزن الفطائر يُقِيمْنَ الصلاة وينشدن أغانى الآلهة (بازمورو عند الموكشا والإرزيا) ويسألن فيها إلهة الفرن "كاشتوم كيردى" أن تكون الفطائر جميلة وألا تحترق أو تتلوى أطرافها، ويشكرنها على الفطائر الجميلة الموفقة. ومن ثم يُقيمن صلاة جماعية يسألون فيها الرب المساعدة فى إنجاز طقوس الزواج بالتوفيق والسعادة والأمن للعروسين، وأن يحمى العروسين من العين الحسود ويمنحهما الخصوبة. ويبدو أن عادات تزيين الفطائر بأشكل مختلفة (كالحصان واليمامة والبيض) من العجين قد حلت محل الأضحيات التى كن يقدمنها فى السابق استرضاء الآلهة، وتتضح هذه العادات القديمة فى سلوك النساء عند خبز الفطائر، فكن بعد إخراج الفطائر من الفرن يضربن بأقدامهن على الأرض ويقلدن صهيل الخيل ويقرعن الأجراس ويسألن صاحب الفرن دعوة "الجياد الرمادية" لمساعدتهن لأنهن لا يستطعن حمل الفطيرة.

وبهدف تأمين الخصوبة للعروسين كان الإرزيا يعدون، بالإضافة إلى فطائر العرس المعروفة، ما يتراوح ما بين ٣٠-٤٠ فطيرة بحجم أصغر فى شكل يشبه ثدى المرأة ويسمونها " أودرفان بوت" (أى: ثدى الشابة)، وتستخدم هذه الفطائر فى طقوس لأداء صلوات خاصة فى منزل العريس، يسألون فيها الآلهة العليا و "كاشتوم كيردى" الإلهة الحارسة للفرن منح العروس الحليب والزبد فى ثدييها ومساعدتها لإنجاب سبعة أولاد وسبع بنات.

المراجع :

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

Pigeon-dove / حمامة – يمامة

(Gul'ka, E وGulnya, M)

كان الموردق الموكشا يعتقدون أن الحمامة "شكاين نارمون" طائر مقدس" له ما للإنسان من قدرات وسمات، بل إن بعض الحكايات تشير إلى هذا الطائر باعتباره إنسانًا. ولهذا كانوا يحرمون تحريمًا قطعيًا أكل لحم الحمام، ويعتبرون هذا خطيئة لا تغتفر. وهناك تحريمات أيضًا متعلقة بتدمير عش الحمام. وخرق هذه التحريمات يجعل الحمام يملأ منقاره بالنار ويحرق البيت ويدمر الأسرة.

وفى الشعر الشعبى وشعر الأساطير والحكايات يشبه سلوك الحمام واليمام سلوك البشر: فالحمام/اليمام يخبز الكيك من الحبوب التى يجمعها بمنقاره، بعد درسها ونخلها، ويمسح الفطائر بالزبد ويطعم الأطفال التى تغنى للكريسماس. وفى بعض الأغانى ذات الطابع الأسطورى تتحول فتاة شابة إلى حمامة، وفى فلكلور الأفراح ترمز الحمامة إلى وداعة العروس وخنوعها، فهى حمامة منزلية. وفى طقوس العرس التقليدى عند الإرزيا يزينون الطبقة الثانية عشرة من الفطيرة الطقسية الرئيسية للعرس "لوفون كشى" بحمامتين من العجين، وفى منطقة أرداتوف يضعون أربع حمامات من العجين على قمة الفطيرة، كرمز للحياة الجديدة القادمة الآمنة وللقوة الإلهية.

وفى ميثولوجى منطقة نيجنى نوفجورود أحيانًا تتحول أنجى باتيا إلهة الإرزيا إلى حمامة بيضاء بلون الثلج تلقى من عل الزهور للنحل ليزداد عسله وفتات الخبز للدجاج. وأحيانًا أيضًا يتحول نيشكيباز ابن إله الإرزيا، وهو بطل شعبى وكائن سماوى، إلى حمامة.

وفى المعتقدات الشعبية والأمارات والإشارات ذات الدلالة، إذا طارت حمامة عبر نافذة مفتوحة يجلب هذا سوء الحظ، وإذا طرقت الحمامة على الشرفة يعنى ورود أنباء أو تحذير من خطر قادم وبشكل خاص اشتعال الحريق بالبيت. وأخيراً كان الموردف يستخدمون الحمام فى قراءة الطالع.

المراجع :

(1) UPTMN. T. 7, ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981. 2. Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981. 3. Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٧، الجزء ٣- الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٣) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

العصيدة / Porridge

(kasha, E و yam, M)

العصيدة من أوسع الأكلات الشعبية انتشاراً بين الموردف، وبشكل خاص عند الإرزيا. وكانت نوعًا ملزمًا مقدسًا من الوجبات فى أثناء أداء الطقوس السحرية وحفلات العرس وفى أثناء الوضع وإحياء ذكرى الموتى. وعند الإرزيا طقس سحرى خاص يسمى: بابان كشا (أى: عصيدة العجوز).

وفى الأعراس الشعبية التقليدية تعد العصيدة بشكل رئيسى رمزاً للخصوبة. وكان اليوم الأخير لبقاء العروس عند الإرزيا فى منزل والديها يسمى: كاشادو يارتسامو تشى (أى: يوم العصيدة).

ولم تكن العصيدة فى الأفراح الشعبية تُعد فقط فى منزل العروس، وإنما فى كل منازل أقربائها ومن ثم يحضرونها إلى العروس فى منزلها فى قدور، ويضعون على القدور علامات بالطباشير تشير إلى عددها حتى يعلم الضيوف والعريس أن عدد أقرباء وعشيرة العروس كبير. وفى هذا الطقس تبدو واضحة الوظيفة السحرية للعصيدة فى رثاء العروس(٢٨١) الذى تتضرع فيه للآلهة الحارسة أن تهب الثروة وكل ما هو طيب لكل من أحضر لها العصيدة. وفى بعض القرى تقوم العروس ومعها صديقة لها بزيارة أقربائها لتأكل معهم العصيدة. ومن العادات والشعائر المنتشرة أن تقوم سيدة قد وضعت طفلها للتو بإعداد عصيدة القمح فى الحمام. ومازالت العصيدة الطقسية تقدم فى مناسبات إحياء ذكرى الموتى، وينتشر هذا التقليد إلى يومنا هذا ليس فقط بين شعوب فين-أوجر بل أيضًا بين شعوب عديدة أخرى.

المراجع:

(1) Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 2. Devyatkina T. P.Mokshanskie svadebnye obryadyi pesni. Saransk, 1992

(١) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) أغانى وطقوس العرس عند الموكشا - ديفياتكنا ت. صارنسك ١٩٩٢ .

(٢٨١) عشية العرس ترثى العروس عذريتها التى ستفقدها ومنزل والديها الذى ستتركه/المترجمة.

Praying (public) / religious and magic ceremony

الصلاة (الجماعية) / طقس دينى سحرى

(ozondoms, M., oznoms, E.) (Ozks, M- E بمعنى يصلى)

صلاة جماعية/طقوس دينية سحرية/عيد، يُقام قبل بداية ومع انتهاء بذر الأرض بالحبوب وجمع المحاصيل وقبل حصد الحشائش، على شرف الآلهة الحارسة والحيوانات المنزلية وغير ذلك. وفى هذا اليوم ينقطع الناس عن العمل (وعدا هذا يعد خطيئة). وكانت طقوس هذا اليوم جماعية ومنزلية وتنقسم إلى: احتفالية تقام فى العيد فى يوم محدد من أيام السنة، وأخرى طارئة تقام وقت الأحداث والظواهر الطارئة. ويتطابق الجزء الأكبر من الطقوس بين الموكشا والإرزيا. والمشترك بين الطرفين هو موضوع الصلاة التى تخصص للآلهة والموتى من الأجداد والأسلاف ومكان الصلاة الذى يقع تحت شجرة زيزفون أو بتولا أو دردار أو صنوبر على أطراف القرية بالقرب من نبع أو جدول ماء فى انفراجة ما بين أشجار الغابة بمكان خاص مُسَيَّج يسمونه "كيريميت". وتختلف طبيعة المشاركين من مكان لآخر، ففى بعض القرى تشارك النساء فقط مثلما يحدث فى عيد عصيدة العجوز (بابان كشا) وفى أخرى يشارك الرجال فقط مثلما يحدث فى عيد بوكا أوزكس (عند الموكشا والإرزيا) وفى ثالثة يشارك النساء والرجال.

وكانت الصلوات العائلية يتلونها كبار السن فى المنزل (صاحب المنزل وبشكل نادر صاحبة المنزل) ملتزمين فى أثناء ذلك بطقوس محددة، فيتوجهون نحو الشرق ويضعون أياديهم تحت إبطهم وينحنون أو يركعون أو يسجدون. ولأداء الصلوات الجماعية كانوا عادة كل مرة يختارون كبار السن من النساء والرجال أنفسهم الذين يحظون باحترام الناس. وكان أكبر أبناء القرية سنًا (يسميه الإرزيا والتيوريوخان "بريفات" ويسميه الموكشا "إنياتيا") يتولى مسؤولية القيادة. ولم يكن هؤلاء كهنة، فقد كانوا ينظمون تقديم الأضحيات ولكن لا يقدمونها. وكانت الناس تقدم لهم قبل الآخرين لحم الأضحيات ووعاء بيرة. وكانوا أيضًا يتولون مهمة جمع الناس للصلاة ومن ثم تفريقهم، وكانت القرى

تحتفظ عندهم بالأوعية والأحواض المقدسة وسكاكين نحر الأضحيات والأدوات الأخرى اللازمة لأداء هذه الطقوس. وكانوا هم من يحدد موعد أداء الطقوس. وفي بعض القرى يسمونهم : أوزكس أتياى" (عند الموكشا والإرزيا: أوزكس تعنى عيداً/صلاة وأتياى تعنى رجلاً مسنًا) و "أوزكس بابا" (عند الموكشا والإرزيا بابا تعنى امرأة مسنة)، وإمبابا (عند الموكشا وتعنى المرأة المسنة الرئيسية) وأزورافا (عند الموكشا والإرزيا: آزور تعنى صاحب المنزل وآفا تعنى سيدة/أمًا)، وفوزاتيا عند الإرزيا والتيوريوخان (فوز تعنى عبئًا/حملاً وآتيا تعنى رجلاً مسنًا/أبًا).

وقبل بداية الصلوات والطقوس كان القائم عليها يحاول عبر طقوس خاصة معرفة ما إذا كانت الأضحيات المقدمة (الطيور أو غيرها من الحيوانات) سترضى الآلهة. وفي بعض القرى كانوا يعاملون الحيوان الذى سيقدمونه قربانًا للآلهة معاملة خاصة وبكل أشكال الاحترام الواجب، ويتركونه يعيش معهم بالبيت بضعة أيام قبل العيد ويطعمونه طعامًا خاصًا مميزًا ويزينونه بأفرع شجر البتولا و بالشرائط وغير ذلك.

وكان لكبير القائمين على هذه الصلوات عند الإرزيا مساعدون (فى العادة ١٢) لكل منهم مهام خاصة، فمنهم من يجمع الخبز لإعداد البيرة ومن يجمع العسل والزبد والبيض والنقود من كل القرية، ومنهم من يوزع البيرة فى أثناء أداء الطقوس/الصلوات وآخر يقدم لحم الأضحيات مستخدمًا السكاكين المقدسة، وفريق آخر يحافظ على النظام، ولهذا الغرض كانوا يقفون على جنوع الشجر أو الأحواض المقلوبة.

وكان هؤلاء أيضًا يعدون ويضعون الشموع المقدسة، وقبل أيام ثلاثة من الصلوات العامة كانوا يضيفون إلى عدد هذا الفريق أشخاصًا ثلاثة يختارونهم بالانتخاب كانوا يجوبون أرجاء القرية بحثًا عن حيوان ذى لون واحد عادة ما يكون ثورًا أحمر وخروفًا أبيض يشترونه من الأموال العامة وينحرونه على حجر يسمونه "كاريو سياركو" تيمنًا بالإلهة الحارسة للفناء عند الإرزيا كاريو سياركو، ويتركون دماء الأضحية تسيل فى مكان خاص يعد لهذا الغرض، وكان الموردف يعتقدون أن دماء الأضحية يجب أن تسيل فى هذا المكان فقط وعدا هذا يُعد خطيئة لا تغتفر، قد تتسبب فى صب اللعنات على البيت.

وفى قرى الإرزيا بمحافظة سيمبريسك كانوا ينزعون الجلد عن الحيوان وهو حي، ويترافق هذا مع الصلوات العامة حتى تسمع الآلهة صياح الثور. وفى السابق كانوا يعلقون الجلد على أعمدة ويتركونه إلى الأبد.

وبعد الطقوس كانوا يطهرون الطعام ويوزعونه بين الآلهة والمصلين، ومن ثم يتحول العيد إلى احتفال عام ينقسم فيه الحضور إلى مجموعات وفقًا لانتمائهم العشائرى (يسمى الموكشا والإرزيا هذه المجموعات "يور" أى جذر. وفى هذا الاحتفال تنطلق الحناجر بالأغانى (يسميها الموكشا والإرزيا "بازموروت"، باز تعنى إلهًا وموروت تعنى أغانى) وينشد الكورال ويغنى الجميع ويرقص.

وعند الموكشا فى منطقة ناروفتشات، وعند حمل الشموع من منزل إلى آخر، كانت النساء المشاركات فى العيد تعتلى قمة هيكل خشبى (أشبه بالحصان/المترجمة) وتصحن مقلدات صهيل الخيل "إيجو جو"، فيما تمسك أخريات أعوادًا من الخشب مزينة بعدد لا يحصى من الشرائط والأجراس يسمونها عند الموكشا والإرزيا "ألاشات" أى: الجياد، كانوا يقرعونها على نحو يتوافق مع إيقاع الأغانى التى يرقصون على ألحانها.

وكان وقت إعداد الأضحيات يتميز بالمرح، وعلى سبيل المثال فى أثناء الصلوات والطقوس كان المشاركون تكريمًا لنيشكيباز إله الإرزيا يذهبون إلى وادٍ ضيق بالقرب من نهر لإعداد بيرة من العسل الأبيض فى مرجل، ويدورون حول المرجل ثلاث مرات ويؤدون رقصات وموسيقى طقسية محاولين تسلية الآلهة الحارسة والأسلاف، وبعد أداء الطقوس كانوا يشربون الكفاس المصنوع من العسل الأبيض. ومازالت إلى يومنا هذا تعيش بعض هذه الطقوس السحرية وإن يكن بصورة يشوبها بعض التعديلات.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966. 2. Melnikov P. I.(Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981

(١) العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى (وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

Praying after a cow's calving

الصلاة بمناسبة وضع البقرة عجلاً

(Michkon' ozondoma, M) (Michke التفورج [٢٨٢] و ozondoms يصلى)

يعد الموردف الموكشا فى اليوم الثالث لوضع البقرة التفورج ويصلون لآلهتهم وحراسهم، وبشكل خاص يصلون لكاردازوفا الإلهة الحارسة لزريبة الحيوانات ويسألونها أن تهبهم مزيداً من العجول، وفى هذه الأثناء تقوم بنات يجلسن حول الطاولة بخبط جباههن خبطًا خفيفًا بالشوك. وعلى شرف هذه الصلاة يخبز الناس "كورجونيات"(عند الموكشا والإرزيا: نوع من الفطائر بالتفورج) ويطعمون أهل القرية.

المراجع :

Mordwinische Volksdichtung. Bd. 3 Helsinki, 1947;

الفلكلور الموردفى، هلسنكى ١٩٤٧ .

الصلاة الشاقة / Praying ("heavy")

(Staka ozks, E) (Staka, M- E تعنى ثقيلاً و ozks, M- E عيداً/صلاة)

الصلاة الشاقة يؤدونها ليلاً على أطراف القرية فى حالة ظهور وباء بالقرية. ويشارك فى هذه الصلاة خمسة – ستة أشخاص يأتون بمؤونة من الطعام الذى يعدونه فى منزل كبير القرية، ومن ثم يصلون لستاكاباز الإله الحارس للأثقال يسألونه العطف والرحمة وأن يرفع عنهم اللعنات. ومن ثم يحيطون القرية بأخدود يحفرونه باستخدام مجراف

(٢٨٢) التفورج: جبن بين الحليب الرايب والجبن القريش من حيث كثافته وطعمه والعلاقة بين البقرة والتفورج واضحة؛ إذ إن التفورج يعد من الحليب، انظر هامش المترجمة رقم ٥ / المترجمة.

أو محراث حديدى يجرونه معهم عند عودتهم لمكان الصلاة. وبعد هذا يتناولون الطعام الطقسى ويطمرون ما تبقى منه تحت الأرض لستاكاباز ويتفرقون عائدين إلى منازلهم.

ومن تقاليد هذه الصلاة التزام الصمت فى أثنائها، ويرتلون الصلاة فى همس، وكانوا يفرضون على القرية بأكملها الهدوء فى هذه الأثناء ويحذرونهم مسبقًا بضرورة التزام السكينة والهدوء.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردقى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

Praying on a boundary-strip of neighbouring villages

الصلاة على الشريط الحدودى للحقول المجاورة

(Gran' ozks, E)

صلاة كان الموردف يقيمونها على الشريط الذى يقسم الأرض بينهم وبين جيرانهم من أهل القرية، وكانوا يتوجهون فيها لنوروفافا إلهة الخصوبة يسألونها فيها أن تهبهم المحاصيل الوفيرة، والنمو السريع والفوائد والمكاسب (سبورينا) للحبوب والتى بدونها لن تصبح الحبوب مغذية أو مفيدة فى تصورهم، ويسألونها أيضًا ألا تذهب حبوبهم إلى حقول الجيران. وكان الموردف يعتقدون أنه يكفى لكى تذهب "سبورينا" الحبوب إلى الحقول المجاورة حفنة صغيرة من ترابهم تُؤخذ للحقول المجاورة، وقد تذهب "سبورينا" الحبوب إلى الجيران بطريق المصادفة، فقد يقع بعض الطين من المحراث أو العجلة على الشريط الحدودى بين الحقلين.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

صلاة الجراد / Praying on the occasion of locusts

(Tasto ozks. E)

صلاة الجراد يقيمونها عند ظهور الجراد بالقرية، فيصلى الناس فى الحقول ويسألون الإله الأعلى تهدئة الجراد الذى يأكل العشب والمحاصيل.

المراجع:

Evsevyev M. E. Izbr. Tr. T. 5. Mordovskaya svadba. Saransk, 1966

العرس الموردفى، يفسيفيف م. أى، موسكو، ١٩٦٦ .

صلاة الليل / Praying at night

(صلاة/عيد ozks و الليل Ve)(Ven'ozks, M-E)

صلاة الليل يؤدونها فى حالة تكرار المرض بين أفراد الأسرة أو بين الماشية، ويوجهونها إلى يورختافا الإلهة الحارسة للعشيرة والاقتصاد المنزلى. وكانوا لغرض إقامة هذه الصلاة يخبزون فطيرة كبيرة، ويضعون فوقها أربعين شمعة، ويسألون يورختافا طرد الأمراض كلها من المنزل والفناء وحظيرة الماشية. وكانوا يدورون بأوعية بها فحم ساخن حول المنزل والفناء. ومازالت بعض قرى منطقة تيمنيكوف تمارس هذا الطقس.

صلاة المطر / Praying for rain

(Pizem ozks, M و Pizemen' ozks, E) (Pizem مطر و ozks عيد/صلاة)

صلاة المطر يقيمونها فى أثناء الجفاف حيث يذهب كل سكان القرية إلى النهر للصلاة. وهناك يوقظون فيديافا الإلهة الحارسة للماء ويسألونها المطر. ويرشون بعضهم بعضًا بالماء. ومن ثم يلقون بالبيض المسلوق فى النهر للإلهة استرحامًا واسترضاء لها. وفى بعض القرى يؤدون هذه الصلاة بالقرب من بئر، ومن ثم يذهبون إلى المقابر ويتوجهون إلى الموتى من الأجداد والأسلاف وإلى كالمازورافا الإلهة الحارسة للمقابر يسألونهم صد الجفاف عنهم(٢٨٣). وكان الموردف يعتقدون أنه بعد أداء هذه الطقوس وهطول المطر يأخذ إله البرق (إندولباز عند الموكشا) لنفسه ضحية، فكان يقتل حيوانًا أو يحرق منزلاً.

---

(٢٨٣) سبقت الإشارة إلى أن الموردف كانوا يعتقدون أن الموتى من المنتحرين ومن السكيرين وغير ذلك من أشكال الموت غير الطبيعى يمتصون الماء من التربة ويسببون الجفاف؛ لذا من الواضح أن طقس الذهاب للمقابر والتضرع للإلهة الحارسة للمقابر له علاقة بهذا الاعتقاد. انظر هامش المترجمة رقم ٦٣/المترجمة .

R

Rowan-tree / شجرة رماد الجبل(٢٨٤)

(Pizel chuvto, E و Pizelks, M)

من التقاليد الشعبية عند الموردف استخدام هذه الشجرة لأغراض السحر، وبشكل رئيسى السحر بغرض الحماية. فعند بناء منزل جديد كانوا يضعون شجرة رماد الجبل بجذورها فى القبو أو فى فناء البيت ويهيلون عليها التراب. وفى العرس يضع كل من العريس والعروس غصون الشجرة فى عبهما لتحميهما وتجلب لهما السعادة. وكان الإرزيا يضعون فروع الشجرة على جانبى الباب لتخيف الموتى الذين اعتادوا العودة للمنزل. واعتاد الموردف زراعة شجرة رماد الجبل بالقرب من المنازل، وكان الناس يحاولون الاحتفاظ بغصن من الشجرة بالمنزل لحمايتهم من العين الحسود. وكانوا يحرمون قطع الشجرة وإلا يلحق بك الأذى. وإذا ساءت أوضاع الماشية كان من الضرورى اقتلاع شجرة رماد الجبل عفية مع جذورها ودفنها فى أحد أركان الزريبة بهدف استعادة خصوبة الماشية وزيادتها.

وكان الموردف يعتقدون أن كاردازافا الإلهة الحارسة للزريبة بوسعها قتل كل الماشية المنزلية إذا لم تكن تعجبها هذه الماشية. وفى هذه الحالة كانوا يقيمون الصلاة لكاردازافا ويغرزون فى الحائط فرعًا من فروع شجرة رماد الجبل. وكانوا يعتبرون أيضًا أنه إذا أزهرت الشجرة بمحصول وفير من التوت، فمعنى هذا أن هذا العام سيكون عصيبًا على صحة الناس (وبشكل خاص على العيون) أو سيكون عامًا شديد البرودة.

المراجع:

Devyatkina T. P.Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994

الأمارات والإشارات الشعبية للموردف (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب. صارنسك ١٩٩٤ .

---

(٢٨٤) شجرة رماد الجبل : غبيراء الجبل شجرة التوت الجبلى ثمارها قرمزية. انظر هامش الترجمة رقم ١٢٤- ١٢٤/ المترجمة.

S

الظل / Shadow

(Suley, E و Tsil'f, M)

للظل فى المخيلة الشعبية للموردف تأثير سحرى؛ ففى قرية فيتشكانوفو بمقاطعة بوجوروسلان على سبيل المثال، كانوا يُخلصون الأطفال من الخوف باستخدام ظل الطفل. ففى ضوء القمر كانت ساحرة تلعق وجه الطفل ومن ثم تبصق على ظله وتردد فى أثناء ذلك تعويذة تقول فيها إن الظل لا أهل له ولا عشيرة، ليس له إخوة ولا أخوات ولا أى روح قريب، وتطلب من الظل إزالة الخوف عن الطفل. ويحرم الموردف أن يدوس المرء على ظله ويخطو فوقه، وإلا يمرض الإنسان. وكانوا أيضًا يعتقدون أن الشياطين والسحرة لا ظل لهم، ويتعرفون عليهم بين الناس بهذه الخاصية.

المراجع :

Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952

هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

السماء / Sky

(Menel', M-E)

تحكى الأساطير أن شكاى الإله الأعلى عند الموكشا قد خلق السماء فى الأصل زرقاء اللون شفافة، بيد أن الشيطان لطخها بسحب رصاصية داكنة. ولما لاحظ شكاى ما فعله الشيطان ملأ السحب بالماء وأمرها أن تنفرج (تنشق) بين وقت وآخر عندما تحتاج الأرض إلى المطر المنعش.

وكان الموردف يتصورن أن السماء قبة من الكريستال (يبدو أن هذه الصورة وصلتهم بتأثير العلاقة مع الروس) يعيش فوقها الرب وتوجد الجنة، وأن الضوء الأبدى يسقط على الأرض من السماء عبر فتحة فى القبة السماوية. وكان الموردف يعتقدون أيضًا أن الطريق إلى الجنة يسير عبر القبة السماوية الملساء، وبالتالى لا يستطيع المرء الوصول إلى هناك دون مساعدة الأظافر(٢٨٥).

وتشير أساطير أخرى إلى أن السماء كانت فى الأصل منخفضة وقريبة جدًا من الأرض. وهناك أسطورة من محافظة سيمبريسك تشير إلى أن السماء كانت منخفضة إلى حد أن السحب كانت تلمس المداخن وأن امرأة من الإرزيا كانت تزيح السماء بقضيب الفرن، وأن امرأة من الموكشا كانت تزيحها باستخدام طاسة الأكل. وفى أسطورة أخرى من محافظة قازان تروى أن بوسع الإنسان لمس السماء بيديه ولهذا السبب كانت صلوات الناس تصل إلى الآلهة العليا بسرعة. ووفق إحدى الأساطير رفع الرب السماء أعلى لأنه غضب من امرأة من الإرزيا عاتبته لأنها عندما تشعل الحطب للفرن يملأ الدخان المنزل.

المراجع:

(1) Mordwinische Volksdichtung. Bd. 3 Helsinki, 1947; 2. 2.Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952

(١) الفلكلور الموردفى، هلسنكى ١٩٤٧ .

(٢) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

---

(٢٨٥) فى موضع سابق أشارت المؤلفة إلى أن الموردف كانوا لهذا السبب يضعون مع الميت فى القبر أظافره/المترجمة.

الأفعى / Snake

(Guy, E و Kuy, M)

تصور المخيلة الشعبية للموردف الأفعى كرمز للخير والشر. وحتى يومنا هذا يعتبر الإرزيا فى منطقة بنز أن أفعى العشب (جيجر بريا جوى) هى حارس الزريبة. والأفعى هى آخر من خلق نيشكيباز إله الإرزيا بلا أزرع ولا أرجل وحكم عليها أن تزحف. وتعيش الأفعى فى الغابات والمستنقعات وتحت الأرض وفى فناء المنزل والأنهار والأبار العميقة وزرائب الماشية. ويصورها الفلكلور أحيانًا كائنًا له قدرات الإنسان وسماته، وأحيانًا بأجنحة، وحينًا آخر كائنًا ناريًا، يأكل الناس. والأفعى (الخبيثة السامة الرصاصية أو السوداء اللون) فى التعاويذ تطير، وتطير الأفعى الضالة من تحت جبال القمامة أو من فوق قمم الروابى والأكمة. ويصاحب طيرانها ضوضاء وصفير. وفى شعر الأعراس الأفعى هى رمز الرشاقة والسرعة (سرعة موكب العرس والخيول التى تجره). وملك الأفاعى كلها هو إينيكوىٌ (عند الموكشا)/ إنيجوىٌ (عند الإرزيا). وأغلب الظن أن الأفعى كانت يومًا ما طوطمًا ومن ثم حارس الموقد والزراعة. وفى الأساطير ترشد الأفعى الصياد إلى الطريق إلى منزله وتجبره أن يصبح مزارعًا. ومع تطور الزراعة تحول طوطم الأفعى إلى صورة فنية (صورة ترددها الأغانى) لحاكم طاغٍ مروع أجبر الصياد على ممارسة الزراعة ومنح المزارع الجديد زوجة.

وتصور بعض المصادر الأفعى كائنًا عاجزًا، رغم قوتها الكبيرة لا تستطيع الهروب من داخل شجرة تحترق أو الفرار من مستنقع أو بئر. وتأخذ الأفعى القابعة فى جذع شجرة تحترق أو المُحَاصرة بالماء أو النيران فى طلب المساعدة من الناس وتتحدث بصوت إنسانى، وتعد بمكافأة من يساعدها أو التحول إلى فتاة والزواج منه. بيد أنها غالبًا ما تخدع الإنسان وترد جميله بالشر وتبتلعه بعد أن ينقذها. وتتحول البنات اللائى يلعنهن آباؤهن إلى أفاعٍ، ولكنهن يستعدن على نحو خارق للعادة شكلهن الإنسانى عندما يعيدهن الصياد إلى منازلهن. وتروى إحدى الأساطير أن أفعى ضفرت

نفسها حول عنق شاب وأخذت تخبط فى الأرض ومن ثم تحولت إلى فتاة رائعة. وكان الموردف يُحَرّمون على الآباء ترديد كلمات أو عبارات بذيئة فى المنزل وإلا ستحاصر الأفاعى دائمًا أطفاله. وإذا تصادف وداس إنسان على أفعى كان يعتذر لها ويطلب منها الغفران حتى لا تعاقبه.

وكان الموردف يعتقدون أن الأفعى مسلحة بالحكمة وأنها تفهم لغة الإنسان، وشاع بينهم الاعتقاد أن بوسع الإنسان تعلم لغة الأفاعى عشية مولد يوحنا المعمدان (انظر إيفان كوبالا)، وأن بعض السحرة يفهمون لغة الأفاعى ويستخدمونها فى أغراض السحر، وبوسعهم أيضًا التحول إلى أفاعٍ نارية. واعتاد الموتى أيضًا العودة لمنازلهم طائرين عبر المدخنة متخذين شكل الأفاعى النارية. وكان الإرزيا يتصورون أن الأحجار النيزكية التى تخفى الشمس والضوء هى الأفاعى النارية أو الأرواح الشريرة.

وفى الطب الشعبى كانوا يعالجون عضة الأفعى بقراءة التعاويذ، وبمساعدة رأس أفعى كانوا يعالجون أمراض عديدة ويسحرون المحبوب، وكانت البنات والسيدات يستخدمن رأس الأفعى ("كوين بريا" عند الموكشا) كأحد أدوات الزينة الشعبية (انظر كشنى). وفى المعتقدات الشعبية تصوروا أن عضة الأفعى لا تسبب خطرًا لإنسان يغسل وجهه بحليب بقرة حمراء، وأن الأفعى تتغذى على حليب البقرة. وحتى تكف الأفعى عن امتصاص حليب البقرة كانوا يحلبون البقرة عبر "مورجا فاريافا" (عند الموكشا: ثقب يفتحونه خصيصًا لهذا الغرض بعد العقدة فى اللوح الخشبى الذى يحلبون البقرة عليه).

وتستخدم صورة الأفعى لصب اللعنات، فيقول الموكشا: كوويس بابالينزىَ (أى فلتعضك أفعى)، وأيضًا للتعبير عن موقف سلبى تجاه الناس وبشكل خاص تجاه امرأة. ورؤية الأفعى فى المنام لا يجلب خيرًا، وإلى يومنا هذا يعتقدون أن كثرة الأفاعى فى الغابة تبشر بمحصول وفير. وكانوا يعتقدون أن الأفاعى كلها تجتمع مرة فى السنة (فى الربيع) فى "مجلس الأفاعى" (كووين كيتمافكس عند الموكشا).

المراجع:

(1) Mordwinische Volksdichtung. Bd. 4, Helsinki, 1947;

2. UPTMN.T. 3., ch. 1. Mokshanski skazki. Saransk, 1966, 3. T. 3, ch. 2, Erzianskie skazki, Saransk 1967. 4. Maskayev A. I. 4. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964;

(١) الفلكلور الموردقى، هلسنكى ١٩٤٧ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٣، الجزء ١- حواديت الموكشا. صارنسك، ١٩٦٦ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردقى، المجلد ٣، الجزء ٢-حواديت الإرزيا صارنسك ١٩٦٧ .

(٤) الأغنية الملحمية الشعبية الموردقية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

Snakes' King/Great Snake / ملك الأفاعى/الأفعى الكبرى

(Inekuy, M و Ineguy, E)(ine, M- E كبير و kuj, M., guj, E أفعى)

ترمز هـذه الأفـعى فى الأسـاطـيـر المبـكرة إلى أنواع الأرواح الشـــريرة كلها، وفى الأسـاطيـر المتـأخـرة زمنيًا تتـحول إلى ملك الأفـاعى/الأفـعى الكبـرى. هى أفـعى بيـضـاء اللون (فى الأسـاطيـر المبكرة سـوداء) يمكن أيضًـا أن تكون نارية ذات رؤوس عـديدة (من ٧ إلى ١٢ رأسًا) ويمكن أن تطيـر فى السـمـاء. وفى الحـواديت الخرافـيـة تعيش فى أرض نائية (لا يصلها الطير) على قمة جلمود أسود مرتفع ينتصب فوق قلعة تحلق فوق بحر من السـخام الأسود. وفى حديقة القلعة أبراج تزحف فوقها أفاعٍ من ذهب(زالاتان كوييخت عند الموكشا). وتحرس القلعة أفاعٍ ثلاثية الرءوس، ويصاحب قدوم ملك الأفاعى ضجيج كالرعد.

وفى الحواديت الخرافية يتعلم الإنسان لغة الحيوانات بأن يأكل لحم أفعى بيضاء. وفى صراع الإنسان مع الأفعى ينتصر أحيانًا شاب من مواليد المعجزات(من زواج دب بامرأة). ويستخدم الموردف اسم الأفعى الكبرى لصب اللعنات على الآخرين كاللعنة التى يرددها الموكشا والإرزيا: "سيسيم برياسا" (فلتصب بدمل ذى سبعة رءوس) (فى إشارة إلى الأفعى ذى السبعة رءوس). وفى المعتقدات الشعبية تعد هذه الأفعى رمزًا للشر واللؤم والخبث.

المراجع:

(1) Maskayev A. I. Mordovskaya narodnaya epicheskaya pesnya. Saransk, 1964; 2.UPTMN T. 3, ch. 2. Erzianskie skazki, Saransk, 1967 3. T. 7 ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981

(١) الأغنية الملحمية الشعبية الموردفية، ماسكاييف أ. أى. صارنسك ١٩٦٤ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٣، الجزء ٢- حواديت الإرزيا، صارنسك ١٩٦٧ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد ٧، الجزء ٣- الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

الروح[٢٨٦] / Soul

(Oime, E وVaime, M)

الروح، وكانت فى الأصل تعنى التنفس (-vaimon' targama, M., oimen' tarkse ma, E., يعنى يتنفس)، هى الأصل الأولىّ للحياة ولكل الكائنات الحية. وكان الإرزيا فى نيجنى نوفجورود يعتقدون أن أرواح الناس الذين لم يولدوا بعد تحلق فوق السحب فى

(٢٨٦) راجع هامش الترجمة رقم ٣٠ /المترجمة.

منزل الإلهة أنجى باتيا، وأن كل النباتات والأشجار لها أرواح، وأن البشر يحصلون على أرواحهم من أمهاتهم عندما ينجبنهم. ووفق تصورات متأخرة زمنيًا تأتى الروح من الرب الذى يودعها قلب الإنسان. ويزعم الموردف أن الروح بوسعها ترك جسد الإنسان الحى بينما هو نائم وتقع فى هذه الأثناء فى براثن أرواح السحرة فتقوم بأفعال شريرة لأنها، كما كانوا يعتقدون، تطيع الشيطان فى هذه الأثناء. وكان الموردف يعتقدون أيضًا أن الروح تترك جسد الإنسان بعد الموت وتتحول إلى سحابة صغيرة سماوية اللون. وفى النواح بالمآتم وعند إحياء ذكرى الموتى، يصورون الروح أحيانًا كفراشة خضراء. وترمز الفراشة الخضراء إلى تحليق الروح وروحانيتها. ويردد الموردف عند موت أحدهم: فايموتس ليس (عند الموكشا: خرجت روحه) وأويمنزا نولديزا (عند الإرزيا: حرر روحه).

وتملى عادات الموردف وضع كأس من الماء بجوار المحتضر يسميها الموكشا: فايمى فييد، والإرزيا: أويمى فييد، أى ماء للروح، لتغسل به الروح نفسها، وأعلى الكأس يضعون عودًا من الخشب يرمز إلى الجسر المفضى إلى العالم الآخر. وكانوا يلقون بعملة نقدية فى الكأس استرضاء للروح، وإلى جوار الكأس يضعون رغيفًا من الخبز أو كعكًا. وفى الرثاء عند الإرزيا يأخذ القديس الثالث مبعوث الرب، الذى ينزل إلى الأرض فى أرجوحة، روح الإنسان ويغسلها على ضفة نهر(انظر الموت). وكان الموردف يعتقدون أنه بعد الموت يمكن للروح أن تتسلل إلى طفل لم يولد بعد، أو إلى رحم امرأة (تصبح بعد ذلك حبلى). وتذهب أرواح الموتى إلى العالم الآخر الذى يقع فى مكان ما فى الشرق تحت الأرض.

ويعتقد الإرزيا من نيجنى جوروند أن نازارومباز، الابن الثالث لأنجى باتيا يستقبل أرواح كل الموتى فى مملكته، ومن ثم يبعث بالأرواح الخيرة الطيبة إلى أخيه الأكبر نيشكيباز الإله الأعلى ويلقى بالأرواح الشريرة إلى الشيطان. ووفقًا للمعتقدات الشعبية، إذا اكتسى جثمان الميت بالشعر فى قبره، يعنى هذا أن الرب لم يتقبل روحه، فتظل تهيم بالقرية تبحث عبثًا عن مكان لها. وإذا كانت أعمال الإنسان على الأرض ورعة

تقية، كانت روحه تُبعث إلى الفضاء السماوى على خيط مشدود أو على خصلة شعر. وكانوا يعتقدون أنه بعد الموت يمكن للروح أن ترى كل شىء (كيف يكون جسدها وكيف يدفنونه) وتسمع كل ما يقال عنه. وهذا سبب امتناع الناس عن تناول سيرة الميت بسوء.

وفى أزمنة متأخرة وبعد اعتناق المسيحية، دخلت إليهم فكرة أن روح الميت تظل بالمنزل طوال أربعين يوماً، بعد ذلك يودعونها إلى العالم الآخر، ويحيون ذكرى الميت فى الأربعين ويذهبون إلى المقابر ويتركون بعض الطعام هناك. ويذكر الفلكلور أن الخطاة يعانون أشد المعاناة فى العالم الآخر، وهناك اعتقاد واسع الانتشار أن الروح تعود إلى منزلها فى أسبوع الفصح، وعند الإرزيا أمارة/إشارة: إذا شعرت الروح بالكآبة والملل، فتلك علامة على اقتراب الموت.

المراجع :

(1) Harva U. Die religiosen Vorstellungen der Mordwinen. Helsinki, 1952. 2. Melnikov P. I. (Andrey Petchersky). Ocherki mordvy. Saransk 1981. 3. UPTMN. T. 7, ch. 1. Erzianskie prichitaniya-plachi. Saransk, 1972; 4. T. 7, ch. 2. Mokshanskie prichitaniya. Saransk, 1979;

(١) هارفا يو: التصورات الدينية للموردف، هلسنكى ١٩٥٢ .

(٢) قضايا موردفية ، ميلنيكوف ب. أى(وأندريه بيتشيرسكى) صارنسك ١٩٨١ .

(٣) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد السابع، الجزء الأول- العديد والنواح عند الإرزيا صارنسك ١٩٧٢ .

(٤) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد السابع، الجزء الثانى- العديد عند الموكشا صارنسك ١٩٧٩ .

التعويذة / Spell/verbal formula

(Mormatsyama-vorozheyama, M و Orozheyamo-ozolma, E)

تتنوع التعاويذ بتنوع الغرض منها، والتعاويذ غالبًا ما كانت شفاهية حتى اعتناق المسيحية، ومن ثم أخذوا يدونونها كصلوات ويحتفظون بها دائمًا فى حوزتهم لحمايتهم من العين الحسود ومن مخاطر السفر. وكانوا أيضًا يرددون تعاويذ خاصة تضفى على الأشياء والطعام والماء، فى ظنهم، قوة سحرية لاستخدامها فى أغراض سحرية محددة.

وتمتد التعاويذ بجذورها إلى الماضى البعيد، وترتبط ارتباطًا لا ينفصم بالنشاط العملى والحياة اليومية للناس. ويمكن فى التعاويذ اقتفاء أثر الرؤى والتصورات المسيحية والوثنية على قدم المساواة حول الطبيعة وكيفية إخضاعها والتأثير عليها بمساعدة السحر.

وأولى المطبوعات الأقرب إلى الاكتمال التى ضمت التعاويذ عند الموكشا والإرزيا هى ما سجله العالم باسونن (H. Paasonen) ونشره باللغات الموردفية مع ترجمة ألمانية فى المجلدات ٣-٤-٦ من مؤلفه المعروف باسم: Mordwinishe Volksdichtung . وتنقسم التعاويذ وفقًا للهدف المطلوب التأثير عليه إلى بضع مجموعات: (١) التعاويذ التى تستخدم فى الحياة اليومية وترتبط بنشاطات الناس مثل: تربية الحيوانات والنحل والزراعة والشروع فى سفر وغير ذلك. (٢) التعاويذ المخصصة لحماية الناس من الأمراض ويسميها الموكشا: "سياريايديمادا". (٣) والتعاويذ التى تدور حول الحب ويسميها الموكشا "شياتيمات"أو "إجديمات". بيد أن أكثر هذه المجموعات استخدامًا بين الموردف هى تعاويذ الحماية من الأمراض. ومن بين هذه التعاويذ هناك ما هو مخصص لأمراض العين (يسميها الإرزيا سيلمين أوزولمات)، ولمرض الاستسقاء (ويسميه الإرزيا أوزولما نارفوتى) ولمرض الحُمرة (عند الإرزيا: روجادو أوزلما) وعضة الثعبان (كويين بابافتا عند الموكشا) والكدمات والرضوض (برامو تاركادو عند الإرزيا) والتهاب الطحال (كوسكى تشيتشييد عند الإرزيا) والحمى (ماشتوكصون عند الإرزيا) والنزيف (فيرون لوتكافتوما عند الموكشا) والحروق (بيتسافتى عند الإرزيا وبيديفتا عند الموكشا) وغير ذلك.

وهناك تعاويذ طيبة إيجابية تستهدف الحماية من الأرواح الشريرة والسحرة وتنتمى إلى ما يسمى السحر الوقائى، أى عندما تستهدف التعويذة الفائدة والنفع والتوفيق، وأخرى سلبية تستهدف إنزال المرض والأذى والتعاسة بالآخرين.

وهناك نوع من التعاويذ أكثر تعقيداً يبدأ بمقدمة من بضع كلمات موجهة لبعض الآلهة، ومن ثم يعددون وظائفهم وقدراتهم السحرية، أحياناً عبر مخاطبة يكررونها ثلاث مرات لإله أو اثنين أو أكثر مثل: كودافا الإلهة الحارسة للمنزل أو كاردو سياركو الإلهة الحارسة لحظيرة الماشية أو ماستورافا ربة الأرض. ويطلب الساحر من كل إله أن يتقبل هدية أو مكافأة ما ويساعدهم على التخلص من المرض ويحميهم من السحرة الأشرار. والسائد فى التعاويذ التوجه إلى فيديافا الإلهة الحارسة للماء وإلى إنيكوج ملك الأفاعى وإلى الشفق وإلى القديس نيقولاى وإلى حواء وآدم.

وفى الكثير من التعاويذ (مثل تعاويذ الحماية من غشاوة العين) يجرى المشهد بالقرب من البحر حيث يوجد بكثافة شجر الدردار ويجلس الطائر العظيم (أنى نارمون عند الإرزيا) الذى ينتزع بمنقاره الداء من العين. وفى تعاويذ أخرى يقوم عجوز إسطورى أبيض أو فضى اللون من شعر رأسه إلى أخمص قدميه بمعالجة غشاوة العين. ويجلس هذا العجوز على جذع فضى فى جبل فضى ويرتدى ثياباً فضية وبمغرفة فضية ينتزع غشاوة العين. وتروى تعويذة حول الحماية من عضة الثعبان حكاية خلق ابن الرب نيشكيباز للأرض، والذى خلق "المياه العظيمة" وألقى فيها ثلاث سمكات، تلك السمكات التى تحمل الأرض.

وأحياناً يتضمن الجزء المخصص للسرد فى التعويذة الوعد بتقديم آيات الشكر والامتنان للآلهة الحارسة وتقديم الأضحيات لها مثلاً بنحر ثور لا يتجاوز عمره سبع سنوات.

والتعاويذ ترددها عادة ساحرة (سوداى لومان عند الموكشا وسودايتسياى عند الإرزيا) تطلب فيها المساعدة. وللتعويذة طقس سرى خاص تؤديه الساحرة التى تقوم ببعض مهام الكاهن. وللساحرة مهارات فنية محددة، فهى تردد نصوص التعاويذ همساً دون النطق بكلمات مفهومة واضحة، وتقوم فى الوقت نفسه بحركات وأعمال

تنطوى على معانى رمزية، فترسم الصليب على نفسها وتبصق عبر كتفها الأيسر ثلاث مرات وتنفخ فى وجه الشخص المعنى أو على المكان المريض أو الشىء المعنى وغير ذلك. وأفضل الأوقات لقراءة التعاويذ هو الفجر (شويدافان عند الموكشا) وشفق غروب الشمس (إليادن عند الموكشا)، أما المكان فكانوا يختارونه وفقًا للهدف من التعويذة، فالمكان الأفضل لقراءة تعاويذ علاج الطفل من البكاء ليلاً هو عشة الدجاج، وإلى مفترق طرق كان يذهب لقراءة التعاويذ من يطلب المغفرة (براشتشينجاس عند الموكشا) من الآلهة. وأحد العناصر التى تؤمن التأثير المرجو للتعويذة هو سرية الإعداد السيكولوجى وغموضه، والجلسة الخاطفة للتأهب النفسى قبل قراءة التعويذة وفى أثنائها.

وكان التنويم المغنطيسى وبعض السلوكيات الخاصة تصاحب قراءة بعض التعاويذ الخاصة بالعلاج من الأمراض، من ذلك على سبيل المثال: الاستحمام بالبخار فى الحمام، والتدليك وشرب الماء المسحور. وإذا لم تأت التعويذة بالنتيجة المرجوة فى المرة الأولى ينصحون بتكرارها ثلاث مرات. والساحرة التى تقوم بقراءة التعاويذ تعطى معارفها وقدراتها فقط قبل أن تموت لشخص تثق به، وإذا لم يتوفر هذا الشخص، تمنح الساحرة معارفها ومهاراتها إلى المقشة المنزلية. وإذا كان الساحر أو الساحرة يمارسان السحر الأسود فإنهما يعانيان أشد المعاناة فى لحظات الموت، وفى هذه الحالة كان الناس يرفعون عارضة خشبية لأعلى حتى تخرج الروح الشريرة من جسد المحتضر.

المراجع :

(1) Mordwinische Volksdichtung. Bd. 3 Helsinki, 1941; Bd. 4. Helsinki 1947; Bd. 6. Helsinki, 1977. 2. UPTMN T. 7, ch. 3. Kalendarno-obryadovye pesni I zagovory. Saransk, 1981

(١) الفلكلور الموردفى، هلسنكى ١٩٤١-١٩٤٧-١٩٧٧ .

(٢) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردفى، المجلد السابع، الجزء الثالث-الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

T

المائدة / Table

(Tuvor, E و Shra, M)

المائدة فى الثقافة الشعبية موضوع ومكان مقدس ترتبط به مجموعة من المحرمات والوصفات والتقاليد الشعبية التى يُعاقب، فى ظنهم، من يخترقها على يد قوى خارقة فوق طبيعية تعود أصولها إلى الميثولوجى الموردقى. وتنضبط الجوانب الأهم من حياة الإنسان، وفى المقام الأول التقييد بالمعايير الأخلاقية، وفقًا لدور المائدة فيها.

وتميز المائدة الضخمة المرتفعة عادة الحياة اليومية للموردف. وكانوا فى السابق يحيطون المائدة بدكك عريضة مثبتة فى الأرض (يسميها الموكشا والإرزيا لافكى). وتوضع المائدة فى الركن الأمامى، وفوقها دائمًا يضعون بعض الخبز والملح، ظنًا منهم أن هذا يضمن لهم الثروة والسعادة. وترتبط الرموز التى تحتوى عليها المائدة بفكرة نقطة الانطلاق/الشروع فى عمل شىء/بداية شىء؛ فمن عاداتهم قبل القيام بسفر طويل أو قبل الخطوبة أو أية أحداث أخرى مهمة الجلوس حول الطاولة ووضع كأس من الماء وبعض الخبز والملح على المائدة ظنًا منهم أن هذا يؤدى إلى النجاح فيما هم مقدمون عليه. وكانوا يعتبرون من قبيل الفأل النحس لو أنهم نسوا وضع الخبز الطقسى على المائدة قبل الشروع فى أداء طقوس الزواج. وكان الباشكودا (الشخص الذى ينظم أمور الزواج مع والد العروس) يحاول سرًا سرقة المئزر الذى يستخدمونه فى منزل العريس لتنظيف المائدة، وبعد ذلك يجلس الباشكودا عليه فى منزل العروس حتى يضمن نجاح الزواج وتوفيقه.

وإلى يومنا هذا ما زال الإرزيا يمارسون طقس دوران العروسين (عند الموكشا تدور العروس وحدها) حول المائدة ثلاث مرات مع حركة عقارب الساعة. ويبدو أن فكرة هذا الطقس هى الحماية التى توفرها لهما قوة الدائرة المغلقة. بيد أنهم كانوا يحرمون

الدوران حول المائدة خارج هذا الطقس. وعلى المرء القيام من على الطاولة من الاتجاه نفسه الذى جاء منه ليجلس.

وهناك الكثير من الأمارات والإشارات المتعلقة بالطاولة: فإذا سقطت قطعة خبز من على المائدة فى أثناء تناول الإفطار، فعليهم انتظار ورود أنباء غير متوقعة، وإذا سقطت فى أثناء الغداء فمعنى هذا أن أحد الموتى يطالب بتذكره، وفى العشاء معناه الخوف من شىء ما، وإذا تبعثر بعض الملح على الطاولة فسينشب شجار، وإذا سقطت ملعقة أو شوكة أو تركت دون قصد بعد الأكل يتوقعون قدوم زائرة، أو رجل إذا سقط سكين، وإذا سقط سكين حاد النصل من على المائدة، فسيزورهم رجل حاد الطباع، وإذا انكسرت رجل المائدة عليهم انتظار موت فى الأسرة.

وبعد المسيحية ارتبطت الطاولة فى المخيلة الشعبية للموردڤ بمذبح الكنيسة وطاولة العشاء الربانى. ويحرم الموردڤ وضع غطاء الرأس على الطاولة (وإلا يصيبك الصداع أو لن تنطق أبداً أمام الناس)، وكسر البيض على الطاولة لتقشيره (فأل نحس)، وترك الطاولة دون تنظيفها (يجعل الشيطان يمرح عليها طوال الليل ويلعق الصحون)، وأرجحة الأرجل تحت الطاولة (تجعل الشيطان يؤرجح الأطفال)، ويمنعون القرع على الطاولة (لأنها مذبح الكنيسة لا يليق القرع عليه)، ولا ينصحون بجلوس الشباب على ركن الطاولة (وإلا يتأخر زواجهم).

وكان الموردڤ يعتقدون أن مسح الطاولة بورق أو خربشتها بسكين يجلب الشجار، وإذا تشاجر شخص على الطاولة فسيمرض، وأن الناس فى أثناء تناولهم الطعام ملتفين حول الطاولة بوسعهم إنزال السحر ببعضهم بعضاً وإصابة بعضهم بعضاً بالعين الحسود. ولهذا كانوا يتجنبون الأحاديث الطويلة على الطاولة فى أثناء تناول الطعام.

وكان من الشائع بين الموردڤ فى عهود الوثنية وضع طاولة فى الفناء عند الانتقال إلى مسكن جديد، ووضع الخبز والملح عليها، ويلفون أرجل الطاولة بقطع صغيرة من الأقمشة خصيصاً ليورختافا الإلهة الحارسة للعشيرة.

والمكان الذى يحتله الشخص على الطاولة يشير إلى مكانته الاجتماعية ووضعه فى العائلة ويعد تعبيراً عن درجة الاهتمام والاحترام لشخصه بصفته راعى المنزل ومصدر الخير المقدم على الطاولة. وكانت الأماكن الأمامية تخصص لرأس العائلة أو العشيرة.

وفى العرس الشعبى التقليدى، كانت الأماكن الأمامية على الطاولة تخصص لأقرب الأهل والأقرباء، والشىء نفسه يحدث فى المآتم.

ولم يكن مسموحًا بجلوس زوجة الابن على الطاولة مع أهل زوجها ما لم تكن قد أنجبت طفلها الأول.

المراجع:

Devyatkina T. P. Mokshanskie svadebnye obryadyi pesni. Saransk, 1992

أغانى طقوس العرس عند الموكشا – ديفياتكنا ت. صارنسك ١٩٩٢ .

الزمن – الوقت / Time

(Shka, E و Pinge, M)

الزمن/الوقت هو عدا كونه يعنى المسافات والفضاء يعد أحد أهم المكونات التى تشكل التصورات والرؤى الميثولوجية للموردڤ عن العالم. ويتصورون الزمن وحدة الماضى والحاضر والمستقبل. وينقسم الزمن فى المخيلة الثقافية الشعبية إلى: " تايا شى" (عند الموكشا: هذا الوقت، هذا العالم أو زمن الحياة (التى يحياها الإنسان/المترجمة) و "تونا شى" (عند الموكشا: ذلك الوقت، ذلك العالم أو العالم الآخر). والزمن واحد لا يتجزأ لا نهائى. واعتماداً على سلوك الإنسان فى هذا العالم، يتحدد مستقبله فى العالم الآخر (مستقبل مشرق أو أسود)، وكان الموردڤ يعتقدون أن مَنْ لا يحب النظر إلى النار سيعيش فى ظلمة العالم الآخر.

ويعتبر الموردف أن الزمن زائل يمضى سريعًا، الأمر الذى يعبرون عنه بقولهم الشائع: الوقت يمضى دون أن تشعر (بينجس يتايافى فاتيات). وينقسم زمن الحياة عندهم إلى قسمين: النصف الأول من الحياة ويمضى ببطء، والنصف الثانى ويمضى سريعًا. ومن حيث امتداد الأوقات المختلفة لليوم الواحد يعتبرون أن النصف الثانى من اليوم يمضى أسرع، والعكس صحيح. ووفق المعتقدات الشعبية: يزحف الوقت قبل الإفطار على بطنه، وقبل الغداء يجرى جرى الذئاب، وفى المساء يمشى مشى الأرانب (عند الموكشا: شيس زافتراكس مولى بيكى لانجسا، أبيدس فرجاس لانجسا، إلياد-نومول لانجسا). وفى التقاليد الشعبية للجنازات يجب إخراج الميت من المنزل بعد الظهر، ولكن زيارة المقابر فى هذا الوقت لم يكن مسموحًا بها، لأن الميت فى هذا الوقت، كما كانوا يعتقدون، لا يستطيع رؤية من جاء لتوديعه.

وكان الموردف يعتقدون أن للزمن بداية ونهاية (نهاية العالم). وأما الزمن الأول الأصلى فهو زمن ميثولوچى ترسخت فيه الأبدية، وتنعكس هذه الصورة فى تصوراتهم حول مولد العالم والآلهة الحارسة. ونهاية الزمن (العالم) ترتبط باختفائهم وزوالهم. وفى أزمنة لاحقة لهذه التصورات كانوا يعتقدون أن نهاية الزمن (نهاية العالم) ترتبط بكسوف القمر. وكانوا يحددون الوقت وفقًا لوضع الشمس والقمر. وفكرة أن اليوم ٢٤ ساعة لم تكن معروفة لديهم، وإنما كانوا يقولون: النهار (شى عند الموكشا) والليل (فيى عند الموكشا)، ويرتبط النهار بفكرة الوقت المشمس، حتى إن لفظ النهار والشمس عندهم واحد، والفجر (الشفق فى الصباح الباكر) (شابدافان زاريا عند الموكشا) هو الذى يبشر بقدوم النهار، وكانوا يسمون هذا الوقت "ماريا" وهذا نوع من التجسيد الميثولوچى للشفق فى الصباح الباكر فى صورة امرأة. والشفق فى المساء هو بشير قدوم الليل ويسمونه "إليادين زاريا" أو "داريا"، وكان الموردف يتوجهون لشفق الصباح الباكر وشفق المساء لمساعدتهم على الشفاء من الأمراض المختلفة، ويرددونهما فى التعاويذ.

وترتبط بشفق المساء مجموعة من المحرمات، فيحظرون: الشروع فى عمل أى شىء جديد (لن تنجح فى ذلك)، وقص الشعر (فلن ينمو أبدًا) وكنس الأرض (سينشب

شجار) وإلقاء القمامة خارج المنزل (ستعرف الشياطين طريق بيتك وتؤرق حياتك) وتسديد الديون (ستفتقر إلى المال دائمًا) وغير ذلك. وكانوا يعتقدون بضرورة تجنب رسم الصليب على أنفسهم عندما تدق أجراس الكنيسة ليلاً، لأن الذين ماتوا موتًا غير طبيعي (المنتحرين والسكِّيرين) يصلون ويطلبون المغفرة فقط فى هذا الوقت.

وينقسم الوقت فى اليوم والشهر والسنة إلى: مُرْضٍ/موات/مبشر بالتوفيق و غير مرض/غير موات/لا يبشر بالتوفيق (طاهر/غير طاهر). ومنتصف اليوم يعد من الأوقات الخطر غير الطاهرة وفق تصورات الموردف، ولهذا السبب فرضت مجموعة كبيرة من المحرمات فى هذا الوقت، فكانوا يحرمون الخروج من البيت فى هذا الوقت ويتجنبون الشروع فى عمل شىء جديد. وكانوا يعتبرون أن وقت السحرة والأرواح الشريرة هو الفترة الواقعة بين منتصف الليل وحتى صياح الديكة، وأن صياح الديكة فى منتصف الليل يحمى أرواح الناس من الأرواح الشريرة التى تؤرقهم فى هذا الوقت.

وساعات الليل هى الفترة المواتية لأعمال السحر المختلفة بهدف الشفاء وقراءة الطالع. وفى الليل (أو معظم الأحيان فى منتصف الليل) يذهب الناس إلى تقاطع طرق (عند الموكشا "بروستيندراما") طلبًا للمغفرة ولرفع المعاناة والعين الحسود عن كاهلهم. وهناك أوقات تُحَدَّد بصرامة لممارسة أعمال السحر التى تتوخى أهدافًا أخرى. ففى الأعياد المسيحية الكبرى كالفصح والغطاس والكريسماس ينظم الناس الشعائر والطقوس الوقائية، ففى عشية عيد الغطاس يرسمون الصلبان على الشرفات حتى لا تتسلل الأرواح الشريرة إلى المنزل، وقبل الفصح يستحمون فى ماء نبع للشفاء من الجرب. ويعتبرون أن الأعياد أوقات مواتية طاهرة. وكانوا يفرضون محرمات محددة فى الفترات الواقعة بين الأعياد. من ذلك على سبيل المثال كانوا يحرمون إلقاء أى شىء عبر الشرفة فى الشارع فى الفترة ما بين الفصح وعيد الصعود، ومن الفصح حتى بداية موسم بذر البذور فى الأرض لا يسمحون بإضرام النار، ومن الكريسماس حتى الغطاس يحرمون الغزل (وإلا يلطخ تراب الغزل رداء المسيح المخَلِّص).

وكانوا يفرضون محظورات وقيوداً على ممارسة الشعائر والطقوس فى أوقات معينة (يحرمون الزواج فى مواسم الصوم). وكانوا يعتبرون أن نتائج الأعمال أو الأفعال سلبية كانت أو إيجابية تعتمد على الوقت الذى تجرى فيه، ولذا كانوا حريصين على اختيار الوقت المواتى (فى اليوم وفى الأسبوع وفى الشهر) لعمل أى شيء (الخطوبة-بذر البذور-بناء منزل-حفر بئر). ففى الأربعاء والجمع والآحاد كانوا يمتنعون عن البدء فى أى نشاط جديد كان، وفى الثلاثاء يمتنعون عن بذر البذور (وإلا سيكون المحصول هزيلاً) رغم أن الثلاثاء كان محبوباً مفضلاً يسيراً وهيناً لأنه يوم ربة الماء التى تغسل الناس وتمنحهم السكينة. وكان الموردف يفرضون عدداً من المحظورات فى "الإثنين الطاهر"[(٢٨٧)] (ويسميه الموكشا: "بيلجون سينديما شى" وتعنى حرفياً: اليوم الذى يكسر فيه الناس أرجلهم). ففى هذا اليوم يحرمون إضرام النار أو الغناء أو إعطاء أو إقراض شيء للجيران، وخرق هذه المحرمات يفضى إلى دمار اقتصاد المنزل وإلحاق الأذى بالعشيرة وكامل القرية. وإذا أتاك زائر فى الإثنين الطاهر عليك أن توجه إلى رجليه ثلاث ضربات خفيفة بقضيب الفرن لتبعد الشر، ويمكن عموماً عدم السماح بدخول زائر إلى المنزل حتى لا يزورك شخص من نوى "الأقدام الثقيلة"[(٢٨٨)]. وكان الموردف يطلقون على يوم الإثنين: يوم القمر الجديد، ويعتبرونه يوماً جميلاً مفضلاً، فالقمر الجديد ينير يوم العمل.

ويمكن ملاحظة التأثير الخرافى الميثولوچى فى اسم يوم "الأربعاء" عند الموردف، إذ يسمونه "فيرجى" (عند الموكشا: فير تعنى دماء وجى تعنى يوماً). ويبدو أن هذا الاسم مرتبط بطقوس خاصة قديمة (كالقرابين والأضحيات التى كانوا يقدمونها لشكاى رب الزمن والشمس.

---

(٢٨٧) الإثنين الطاهر: الإثنين الأول من الصيام الكبير عند المسيحيين. انظر هامش الترجمة رقم ٧٩/المترجمة.

(٢٨٨) الأقدام الثقيلة: بالعامية المصرية: وش النحس/المترجمة.

والخميس (شوفالانيا عند الموكشا) هو اليوم الأفضل والأكثر خفة ويسراً من أيام الأسبوع، وكانوا يعتبرونه يوم رب نحل الغابات (المغرم بالعمل). وعادة ما كانت تتم خطوبة البنات يوم الخميس، وفيه يحبون البدء فى عمل أى شىء جديد، ويقيمون يوم الخميس أعيادهم الوثنية (انظر بابان أوزكس وأنجى باتيا). ويوم الخميس السابق للفصح هو يوم التطهر، فقد كانوا يؤمنون أن ماء النبع فى هذا اليوم يمتلك القدرة على شفائهم من الأمراض الخارجية، ولذا كانوا فى هذا اليوم يستحمون فى الأنهر والينابيع والجداول ويغسلون بهذا الماء ملابسهم وينظفون منازلهم استعداداً لاستقبال عيد الفصح.

أما الجمعة فكان يوم نوروفافا الإلهة الحارسة للمحاصيل والزراعة، وكانوا يفرضون فيه الكثير من المحرمات مثل: إضرام النار فى الحمام للاستحمام وتجنب رقاد الدجاج على بيضه، وإلا سيتطلب الأمر وقتًا طويلاً لتفقس الكتاكيت (بشكل خاص قبل عيد الفصح)، وتحريم الغزل (وإلا قد تصاب بالعمى) وتحريم الغسيل (وإلا ستشتعل النيران بالمنزل).

والسبت يوم رب المملكة السفلية، يوم الزراعة والعمل. وكانوا يعتبرونه مفضلاً محبوباً. والأحد أكثر الأيام طهراً، يوم رب الماشية ويوم الراحة، والعمل فيه حرام وخطيئة.

وكان الموردف يعتقدون أن يوم ميلاد الإنسان يحدد مصيره، فمن يولد فى مطلع الشهر أو فى يوم ثلاثاء أو سبت أو فى الأعياد المسيحية الكبرى يعد محظوظًا سعيداً، وأن من يولد قبل أوانه (فى شهره السابع أو الثامن) غير طيب، ثقيلة عينة، ثقيلة يده، ثقيلة قدمه.

وكانوا يعدون مرور الأعوام بالصيف، ولذا يستخدمون حتى الآن كلمة واحدة بمعنى "السنة" و"الصيف" هى: كيزا عند الموكشا وكيزى عند الإرزيا. ويعتبرون السنة الكبيسة من الأوقات الصعبة على صحة الناس والماشية، ويحبون مطلع العام.

وينظر الموردف إلى المواسم الأربعة للسنة كوحدات للزمن "الطبيعى"[٢٨٩] تعكس فترات (مواسم/المترجمة) العمل فى الزراعة وتربية المواشى فضلاً عن حالة الطبيعة. ويحدد القمر مواسم السنة وبداياتها ونهاياتها. والأسماء المعاصرة للشهور عند الموردف الآن مأخوذة عن الروسية، ويستخدمون كلمة واحدة بمعنى: "القمر" و "الشهر" هى: كوف عند الموكشا والإرزيا.

المراجع:

(1) Mainhof W. Les rests de la mythologie Mordvine//Journal de la Societe Finno-Ougrienne. Helsingissa, 1889, 2. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994

(١) ما تبقى من آثار الموردف. ماينوف و. صحيفة جمعية فين-أجور. هلسنكى ١٨٨٩ .

(٢) العلامات والإشارات الشعبية للموردف(الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت.

(٢٨٩) الزمن الطبيعى Natural time الصفة من طبيعة/المترجمة.

W

Water/ الماء

(Ved', M-E)

الماء عند الموردف هو مصدر الحياة والتطهر السحرى ("Ineved") عند الموكشا والإرزيا: ine كبير/عظيم و ved الماء) الماء العظيم-البحر-المحيط-الحالة الأولية الأصلية لكل ما هو حى، وتتطابق مع العالم والنور. ولعل الأضحيات التى كانوا يقدمونها للآلهة الحارسة وبشكل خاص فيديافا الإلهة الحارسة للماء وفيدماستورافا رب كل الماء على الأرض دليلاً على عبادتهم للماء والينابيع والآبار. كان الموردف يلقون بأطعمة طقسية فى الماء، أو يدفنونها بالقرب من النهر بينما يؤدون الصلوات والطقوس السحرية. ويرتبط عندهم الميلاد والموت والعرس بالغُسل الطقسى الذى يعد ضرباً من الحماية بالتطهر بالماء (الحمام، ذهاب العروس إلى نبع، إلى الماء). وكانوا يعتقدون أن الماء يزيل كل أشكال التعاسة التى تلحقها بهم الأرواح الشريرة. ويبدو دور الماء كمادة للتطهر واضحاً فى التعاويذ المختلفة. وكان الموردف يتوجهون إلى الماء ليساعدهم على الشفاء من أمراض العيون، أو عند الحاجة للتعاويذ التى تستهدف إيقاع السحر بالمحبوب. وفى هذا الصدد كانوا يقومون بعمل الآتى: يصبون بعض الماء الساخن فى قدر من الحديد الزهر ويرددون تعويذة يطلبون فيها من الماء العظيم ألا يهب السكينة لقلب الفتاة. وكانت النساء العاقرات والشباب حديثو الزواج أيضًا يطلبون العون من الماء العظيم. وكانت تنتشر على نطاق واسع التعاويذ التى يسألون فيها الماء إزالة الداء عن مرضاهم.

وكان الموردف يعتقدون أن القطرات الأولى للمطر تمتلك قدرة فريدة على بعث الحياة وتشفى المرضى وتهب الأطفال نمواً سريعًا. ولهذا السبب كانوا يصطحبون الأطفال إلى الشوارع ليلحقوا بأولى قطرات مطر الربيع (وكذا كان يفعل الكبار أيضًا)، وكانت الفتيات يغسلن وجوههن بماء المطر لإنعاش بشرتهن وتحسينها.

وكانوا يعتقدون أيضًا أن ماء الينابيع عشية عيد الغطاس يمتلك قدرات سحرية إعجازية، والماء المقدس لا يفسد أبدًا، وماء الصباح الباكر لا يقدر بثمن. ولاحقًا أصبحوا يتطهرون بالماء فى عيد الغطاس فى الكنيسة، الأمر الذى أصبحوا يعتقدون أنه يضفى مزيدًا من الطهر على الماء ليصبح "مقدسًا". وكان الموكشا والإرزيا يطلقون اسم "فيدبريا" على الماء الذى يعتقدون أنه الأفيد للصحة والأطهر، وكانوا يغسلون بهذا الماء وجوههم، ويقدمونه للماشية إذا مرضت ويرشون به المنزل لطرد الأرواح الشريرة، وبمساعدة هذا الماء كانوا يجعلون كودافا الإلهة الحارسة للمنزل تترك المنزل حديث البناء(٢٩٠).

وأحد أنواع هذا الماء الأفيد والأطهر هو ذلك الماء الذى يغسلون به الأيقونات وعوارض الأبواب. ويعتبرون أن الماء "الخطر" هو ماء غُسل الموتى، ولهذا السبب كان الناس يصبون هذا الماء فى مكان خاص لا تطؤه أقدام أحد. وفى إحياء ذكرى الموتى كانوا يحضرون الماء لهم حتى لا يشعرون بالعطش فى العالم الآخر.

وكان الموردڤ يولون عناية بالغة للماء الآتى من ذوبان الثلوج ويجتهدون للاغتسال به فى الخميس المقدس، وكانوا يغتسلون بماء يجمعونه من ثلاثة ينابيع، ومن ثم يذهبون إلى نبع طلبًا للمغفرة عن كل خطاياهم.

ويستخدم الماء عند قراءة الطالع فى مولد يوحنا المعمدان (انظر:إيفان كوبالا)، وكانوا يطردون السحرة بترك ماء يغلى فى قدر من الحديد الزهر. ومن الأمارات والإشارات عندهم: إذا اعترض طريقك، أو عبر الطريق أمامك، شخص يحمل دلوًا ممتلئًا بالماء، فأنت من المسعدين. وإلى يومنا هذا يضعون كأسًا من الماء على الطاولة قبل السفر لضمان نجاح ما أنت ذاهب لقضائه من أعمال. ولقد اعتاد مفسرو الأحلام ترديد أنك إذا رأيت فى المنام: الاستحمام فى الحمام فمعناه المرض، وإذا خضت فى ماء فالموت، والماء الموحل لا يجلب خيرًا، والماء النظيف العميق معناه حياة طويلة سعيدة.

---

(٢٩٠) سبقت الإشارة فى أكثر من موضع إلى أن الموردڤ كانوا يعتقدون أن لكل منزل كودافا خاصة به، وأنهم عند الانتقال إلى منزل جديد كانوا يصطحبون معهم كودافا الخاصة بمنزلهم، ويودعون كودافا الخاصة بالمنزل الجديد الذى انتقلوا إليه/المترجمة.

وهناك العديد من المحرمات المرتبطة بالماء: فكانوا يحرمون الاغتسال فى النهر بعد عيد النبى إليا (ففى هذا اليوم يتبول قنفذ فى ماء النهر)، وكانوا يحرمون البصق أو التبول فى الماء (لأنك بهذا تبصق وتتبول فى عيون أجدادك، الأمر الذى يغضبهم فينزلون بك العقاب).

ومن أكثر الموضوعات شيوعًا فى الحواديت والأساطير تلك التى تتناول الماء "الحى" والماء "الميت"، الذى يستعين به البطل الميت على استعادة الحياة والبعث من جديد.

وتروى إحدى الأغنيات الميثولوجية حكاية ثلاث أخوات أنقذوا أخاهم من الموت باستخدام الماء الحى. وفقط الأجداد الموتى هم الذين يعرفون مكان الماء "الحى"، ويعتبر الموردڤ أنه موجود فى العالم الآخر. وفى إحدى أغانى الإرزيا وتسمى "تاتيوشا اليتيم" تذهب فتاة إلى أمها المتوفاة وتعيد إليها الحياة باستخدام الماء "الحى". ومكان الماء "الحى" معروف أيضًا لـمَنْ بوسعه من الناس التحول إلى طائر والتسلل هناك، إلى حيث لا يستطيع الإنسان العادى.

المراجع:

(1) UPTMN.T. 1. Epicheskie I liro-epicheskie pesni. Saransk, 1963. 2. T. 7, ch. 3 kalendarno-obryadovye pesni I zagovory, Saransk, 1981; 3. Devyatkina T. P. Narodnye primety mordvy(mokshi I erzi). Saransk, 1994

(١) الإبداع الشفاهى الشعرى للشعب الموردڤى، المجلد الأول، الجزء الأول- الأغانى الملحمية والغنائية-الملحمية، صارنسك ١٩٦٣ .

(٢) المرجع نفسه، المجلد السابع الجزء الثالث-الأغانى والتعاويذ الشعبية الطقسية. صارنسك، ١٩٨١ .

(٣) العلامات والإشارات الشعبية للموردڤ (الموكشا والإرزيا)، ديفياتكينا ت. ب، صارنسك ١٩٩٤ .

ملحق الخرائط والصور

الأساطير والفلكلور في موردڤا

جمهورية موردفا الحكم الذاتى فى إطار الفيدرالية الروسية



الفيدرالية الروسية – التقسيمات الإدارية – موقع موردفا باللون الأسود



بنات الإرزيا – مطلع القرن العشرين



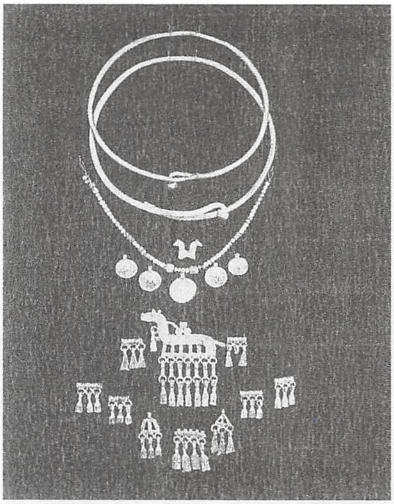
نساء الإرزيا . الخاطبة . مطلع القرن العشرين

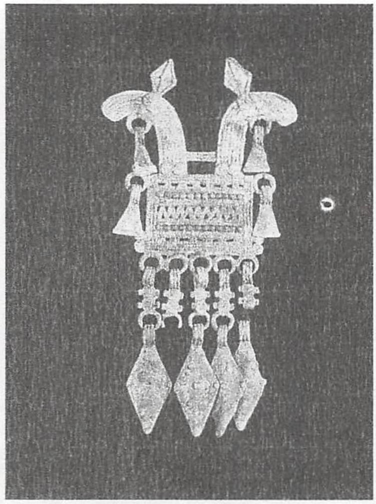


ملابس العُرس عند الشوكشا



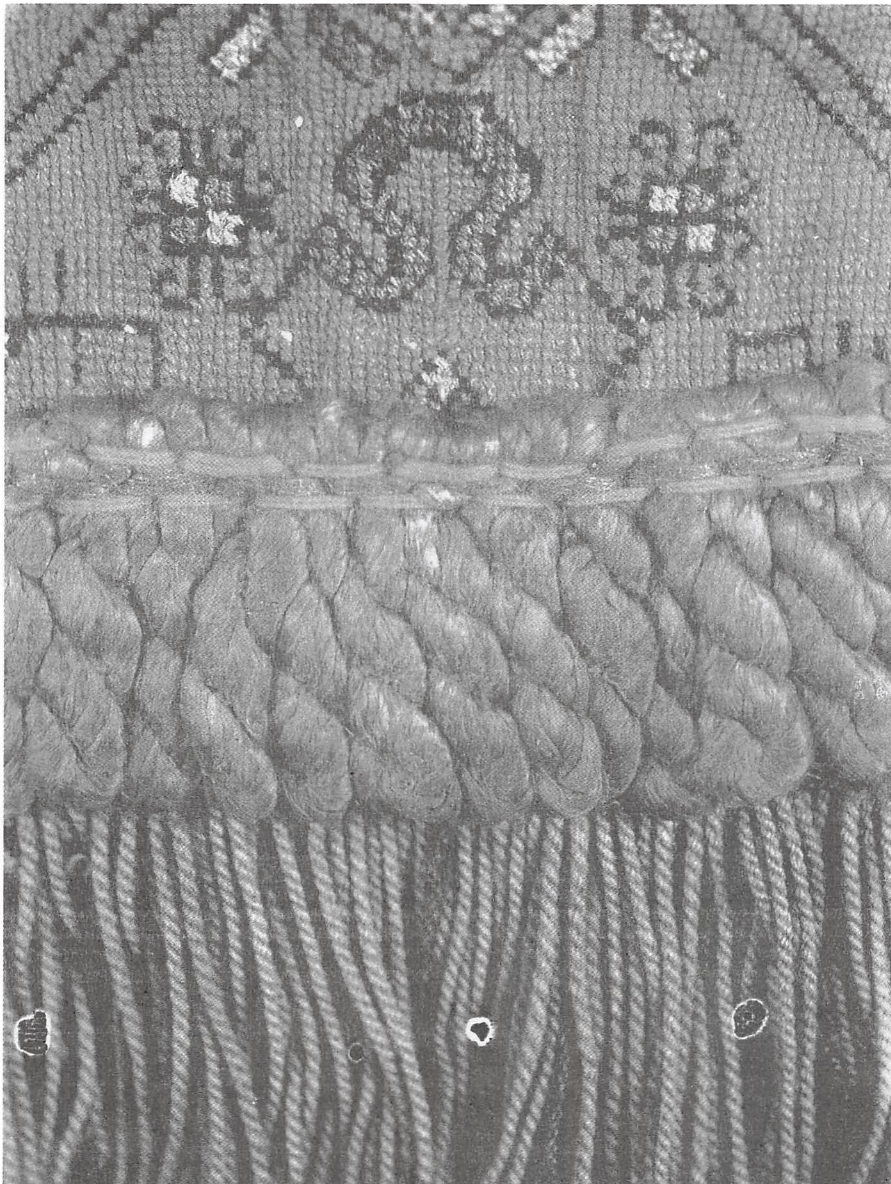
حلى النساء





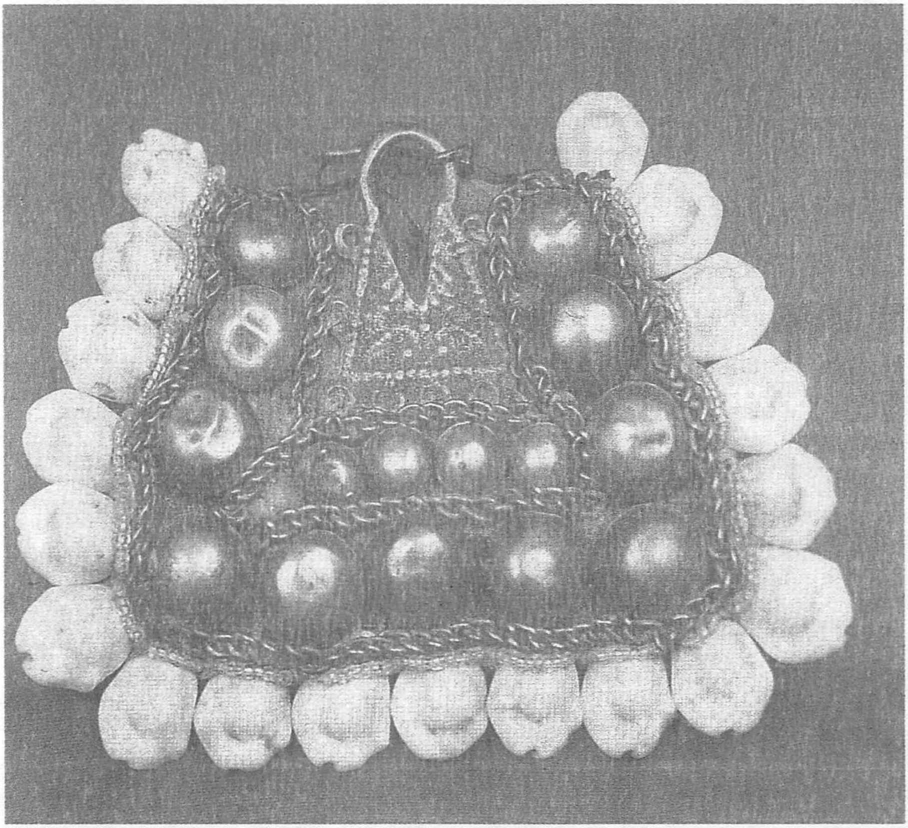


قطعة تطريز

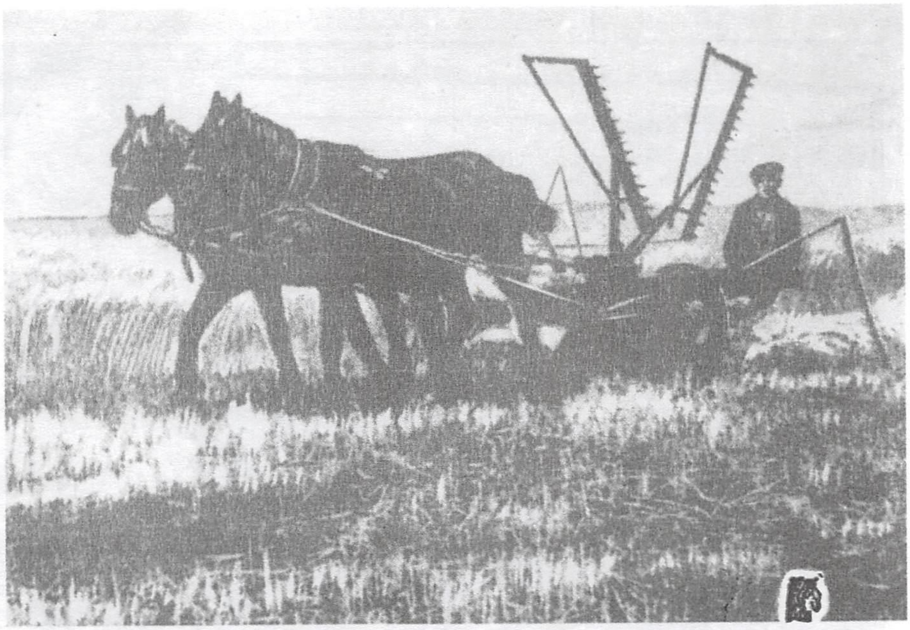


بروش تقليدى

نهاية القرن التاسع عشر



الحصاد فى القرية الموردفية ١٩٣٠



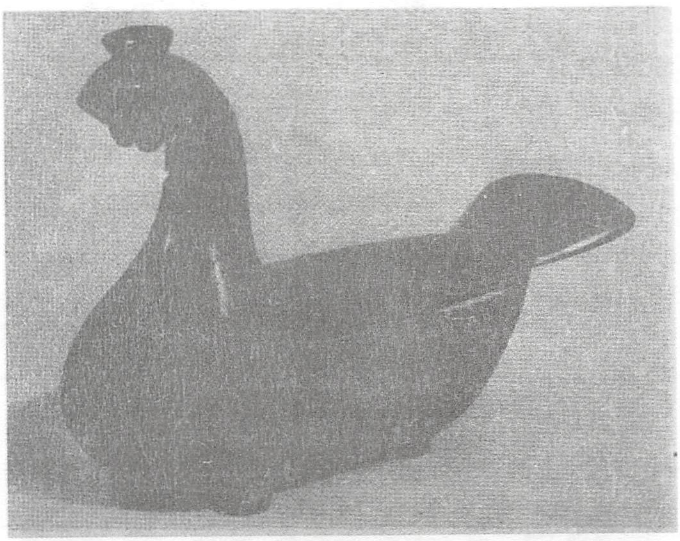
الاستعداد للحصاد ١٩٣٠



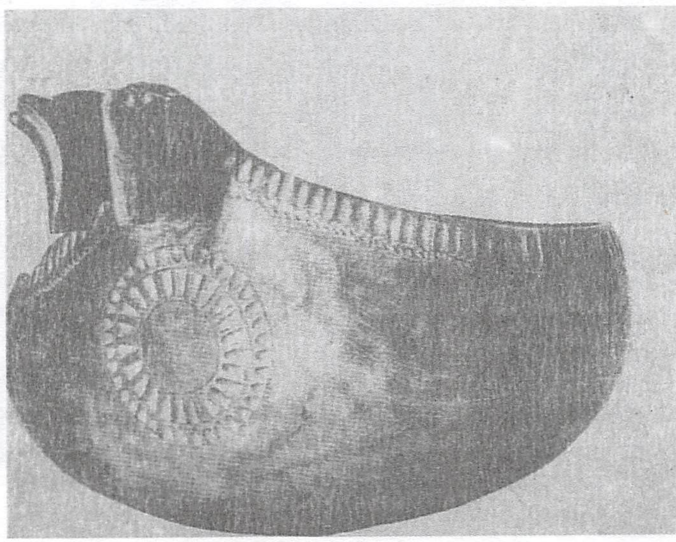
خلية نحل مع أشياء للحماية : قناع رجل وجمجمة حصان
نهاية القرن الثامن عشر



وعاء للملح – من الخشب (تشير بعض المصادر إلى أنه يمثل ياكسيبيا رجا البطة/الطوطم . المترجمة)
نهاية القرن التاسع عشر



مغرفة من الخشب لصب البيرة
نهاية القرن التاسع عشر



سياج المنزل



الإرزيا فى شوارع القرية بالثياب الشعبية
مطلع القرن العشرين

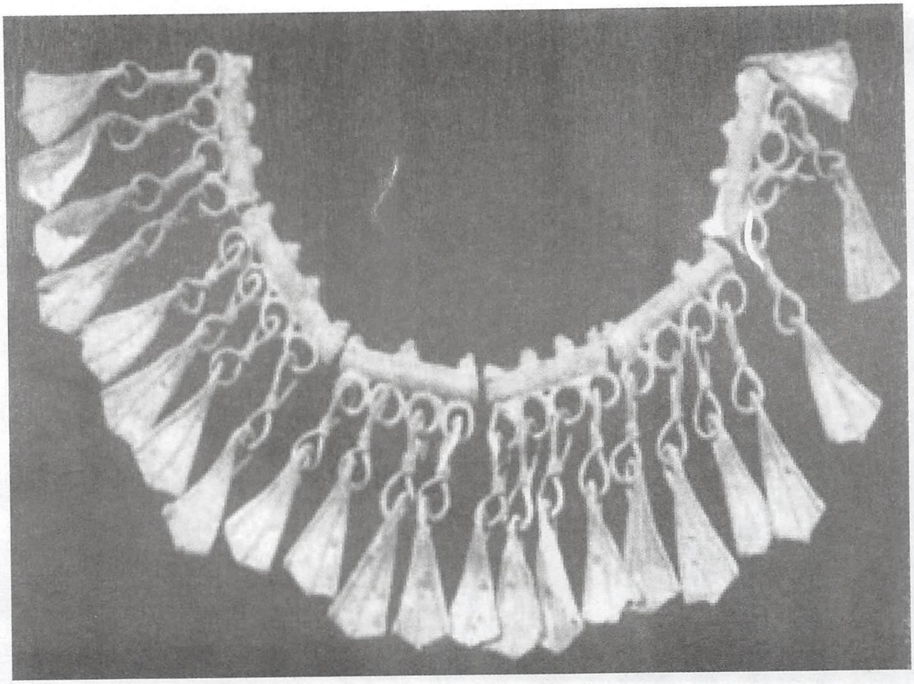


من طقوس العرس عند الموكشا

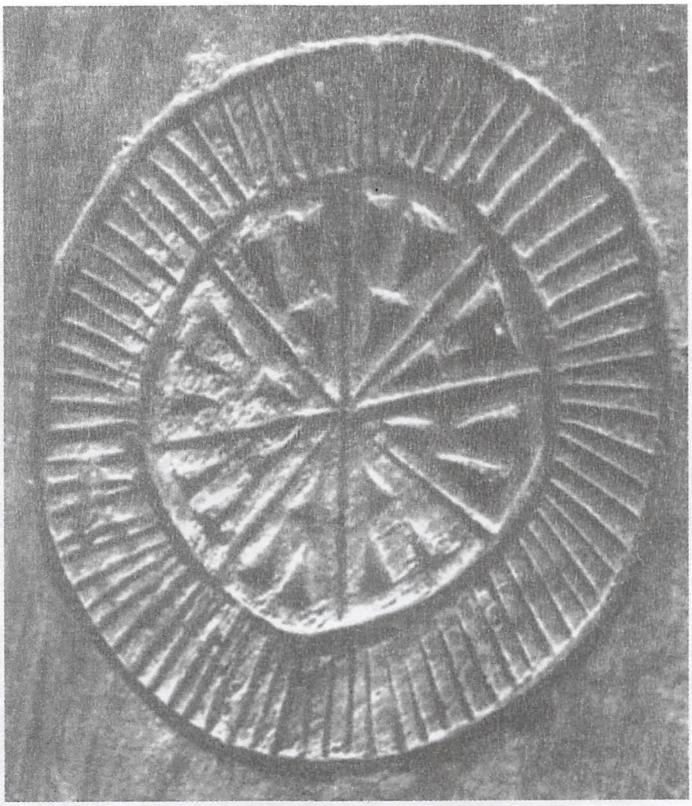
٢٠٠٣



حلى نساء الموردان / على الصدر



رمز الشمس ، نجده على الكثير من محتويات المنزل



الثياب التقليدية الشعبية للموكشا
عشرينيات القرن العشرين



شابة من الإرزيا فى ثياب العُرس
مطلع القرن العشرين



حلى نساء الموكشا / توضع على الصدر
من منطقة نيجنى نوفجورود . نهاية القرن التاسع عشر



فتاة من الموكشا فى ثياب احتفالية
١٩٩٢



بنات الموكشا فى ثياب احتفالية
١٩٧٢



موردڤى يحمل آلة موسيقية قومية
تسمى «بواما» . مطلع القرن العشرين



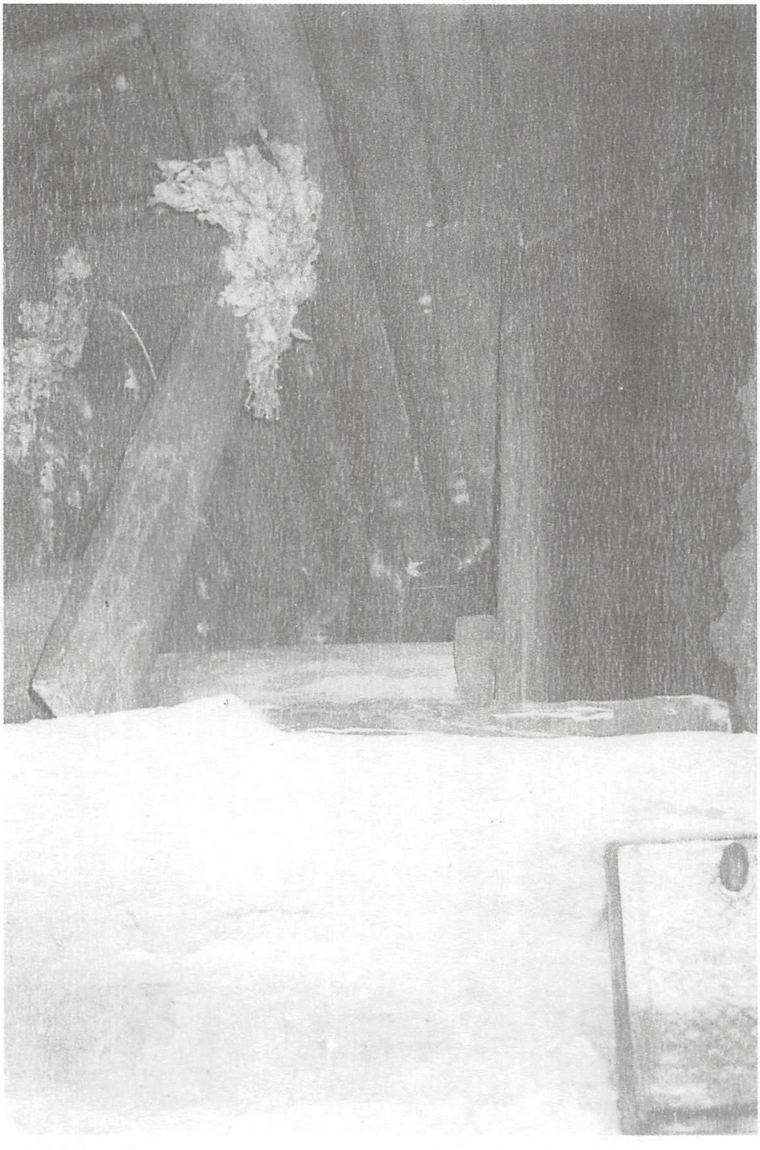
شارع القرية الموردڤية
عشرينيات القرن العشرين



الملابس الشعبية للفتيات بموردفا



الحمام بالقرى الموردڤية (الساونا)
١٩٩٦



لقطات من الأعراس المعاصرة بالقرى الموردفية
٢٠٠٣



حشيشة الدينار



من أزياء العرس المورد في المعاصر للشابات وصغار السن من النساء
٢٠٠٣



المشاركون فى العرس الموردقى المعاصر
٢٠٠٣

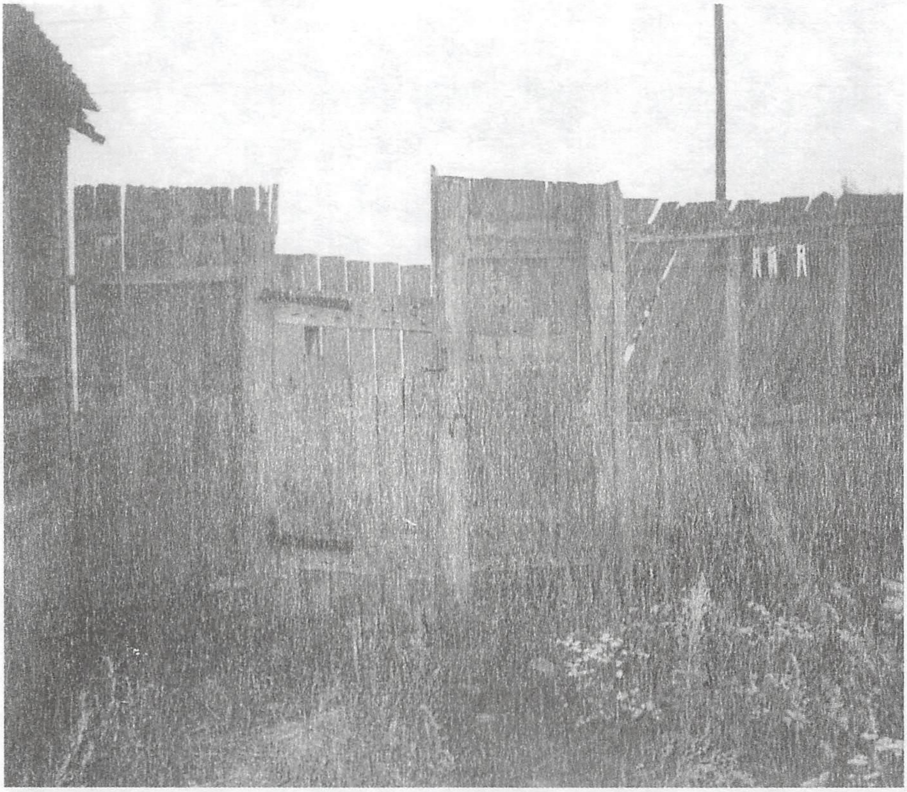


إعداد الوجبات الطقسية للصلاة الليلية



البوابة الحالية للمنزل بقرى الموردف

١٩٩٦



لقطات من طقوس العُرس

٢٠٠٣



الزواج المعاصر فى قرى الموكشا
٢٠٠٣



موكب العرس عند الموكشا ، العودة إلى المنزل نهاية العُرس
٢٠٠٣



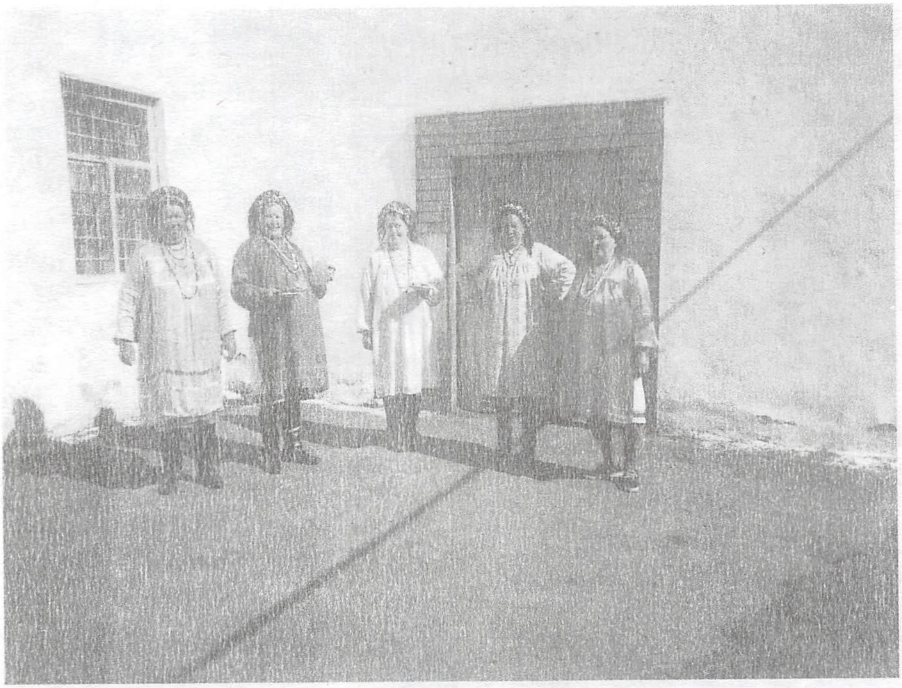
جمع العسل



بنات الموكشا فى الملابس الشعبية
٢٠٠٣



نساء الموكشا استعداداً للعُرس
١٩٩٥



ثياب الأعراس لنساء الموكشا من متوسطى الأعمار

٢٠٠٣



الثياب التقليدية الاحتفالية لنساء الموكشا

٢٠٠٣



الفطائر الموردقية بجبن الحلوم

١٩٩٥



لقطات من العُرس الموردفي
٢٠٠٣



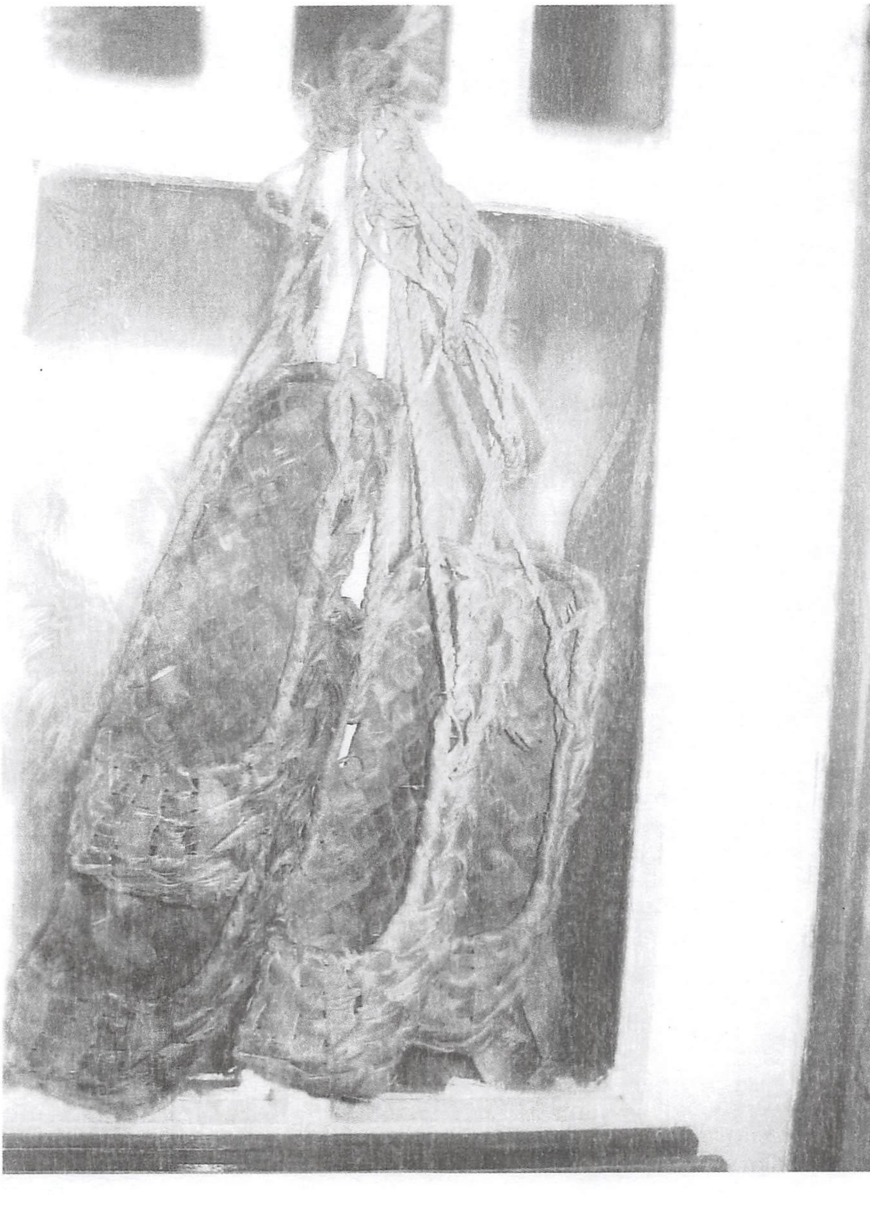
عودة نساء الموكشا من موكب الزواج
٢٠٠٣



نساء الموكشا يطرزن
٢٠٠٣



الخف الموردقى الشعبى يسمى «لبطى»



المؤلفة فى سطور :

هى البروفيسور تاتانيا بتروفنا دفياتكنا الحاصلة على دكتوراه اللغة والآداب فى معهد صارنسك التابع لجامعة موسكو بمدينة صارنسك . وهى عضو جمعية الفلكلور بالأكاديمية الفنلندية للعلوم والآداب، وأحد العلماء البارزين بجمهورية موردڤا (روسيا) فى مجال الأبحاث الأكاديمية حول الثقافة الشعبية التقليدية والحديثة لبلادها موردڤا، وتعنى تاتيانا دفياتكنا، بشكل خاص، بقضايا تقاليد الزواج وطقوسه والأغاني والرموز الفلكلورية وإجمالاً الميثولوچى الموردڤى، فضلاً عن كل ما يتعلق بميثولوچى المجموعة اللغوية (FINNO-UGRIC) فين – أوجر التى تنتمى إليها موردڤا. ولقد نشرت أعمالها وترجمت فى العديد من البلدان بما فى ذلك روسيا وإستونيا وهنجاريا والسويد وفنلندا وكندا والولايات المتحدة. وشاركت تاتيانا دفياتكنا فى العديد من المؤتمرات والمحافل والندوات الدولية المعنية بقضايا المجموعة اللغوية فين – أوجر .

وقامت البروفيسور تاتيانا دفياتكنا بتدريس الثقافة التقليدية والفلكلور وميثولوچى الشعب الموردڤى فى جامعات فيينا وتارتو بإستونيا وديبريسن بهنجاريا، وشاركت فى إنجاز الكثير من المشاريع الدولية حول لغة وميثولوچى وثقافة شعوب فين – أوجر، وقدمت العديد من البحوث الميدانية فى مناطق روسيا المختلفة مع علماء من روسيا واليابان وفرنسا وكمبوديا وألمانيا. وتتضمن "موسوعة الميثولوچى الموردڤى" التى تعد أول موسوعة ميثولوچية موردڤية من نوعها، العديد من نتائج أبحاثها.

المترجمة فى سطور :

عزة الخميسى :

دكتوراه الإعلام من جامعة موسكو .

أستاذة جامعية سابقًا (١٩٩٣–١٩٩٦) ، لها العديد من المساهمات الصحفية وأعمال الترجمة من وإلى الإنجليزية والروسية .

صدر لها فى مصر ترجمة لكتاب: "ثورة الضباط الأحرار" ، وفى الخارج ترجمة لبضعة كتب منها : "نساء جنوب أفريقيا: من أجل ابتسامتهن .. من أجل دموعهن" و"العلاقات السوفيتية الخليجية" و"تاريخ العلاقات الروسية مع دولة الإمارات" .

التصحيح اللغوى : صفـــاء فتـــحى
الإشــراف الفنــى : حـــسن كـــامل